وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

سهرات النسوان في الشام أيام زمان

صفحات مطوية من حياتنا



منير كيال

سهرات النسوان في الشام
أيـــام زمـــان

الإشراف الفني والطباعي
أحمد عكيدي

منير كيـال

سهرات النسوان في الشام أيـــام زمـــان

صفحات مطوية من حياتنا

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠٩

سهرات النسوان في الشام أيام زمان : صفحات مطوية من حياتنا / منير كيال .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٩ .- ٥٩٩ ص؛ ٢٤ سم .

١- ٣٩٢,٠٩٥٦١١١ ك ي ا س ٢- العنوان

٣- كيال

مكتبة الأسد

بسم الله الرحمن الرحيم

الشام ريحانة، وقرّة عين. وتاريخها الاجتماعي، عقد يزيّن جيدها. ستظلّ الشام شامخة شموخ تاريخها العريق. وسنظلّ نحن الذين نتفيّؤ ظلال غوطتها، وننهل من نمير برداها... مدعويّن لسداد دين عظيم لها في الأعناق..

أ. د. نبيه عاقل

بين يدي الكتاب

قبل أن ينفرط عقد الأسرة الدمشقية، ويلهث أفرادها وراء لقمة العيش. . كانت الأسرة في الشام، أشبه بالقبيلة، تجمع الجدّ والأب والأولاد والأحفاد، وزوجاتهم وأولادهم، يعيشون في دار واحدة السعد فيها دار والسعادة ترفرف على الجميع، النعيم يشملهم والمحبة تظلّلهم والإيثار يجمعهم، والاحترام المتبادل يربطهم. . الكبير يعطف على الصغير ويؤثره على نفسه، والصغير يحترم الكبير ويُجلّه.

أيام زمان وقبل أن يطلّ علينا المذياع والرائي، ووسائل الإعلام الأخرى المرئية والمسموعة والمقروءة، في عصر فضائيات الديجتال، وكل ما من شأنه أن يمحو ذاكرة الناس ويغسل عقولهم ويقولبهم بقولبة العولمة. . . في تلك الأيام كان الرجال يقضون سهراتهم، بالاختلاف إلى المقهى، للاستماع إلى الحكواتي، أو لمشاهدة بابة من (فصول) خيال الظل (كركوز وعيواظ)، أو تزجية الوقت واللعب بالنرد (الزهر) والورق (الشدّة) والدومينا، أو المنقلة. . ويحتسون القهوة والشاي والزهورات، أو شراب بارد كشراب الليمون والحصرم والجلّاب وتمر الهندي. . ويدخّنون النارجيلة.

وتسهر النسوة، وبخاصة في ليالي الشتاء الطويلة القارسة البرد، في غرفة من غرف المنزل، سواء من أهل البيت، والأقارب، أو من الصحب والمعارف. . يتحلّقن حول منقل نحاسي أصفر، يتقّد في وسطه جمر الدق، فوق رماد يملأ أكثر من نصف ذلك المنقل. ويستضئن بضوء الكاز المعلّق بمسمار مثبّت على جدار الغرفة، أو المدلّى بسلسلة مثّبتة في سقف الغرفة. ويقضين سهرتهن في لعب البرجيس وأبي الفول وكشف البخت بالفنجان، وفي قصّ الحكايا والأحاجي، والتباري بالأمثال والأمتال، والأقوال والموّالات، والتحدث عن الأخريات بما يُعرف بالمقلاية. . وخلال ذلك يحتسين أكواب الشاي وفناجين

القهوة. ويتناولن الفواكه الطازجة، أو المجفّفة فضلاً عن المكسرّات. بالإضافة إلى المأكولات الخفيفة. . التي قلّما تخلو السهرة منها.

ولم تكن سهرات النسوان في تلك الأيام. تخلو من الهرج، لما كان يتخلّلها من مشاهد تأخذ طابع التمثيل، فضلاً عما كان يتخلل السهرة من المشاهد والنوادر والسوالف ممّا شاهدناه وعايشناه في ثلاثينيّات القرن المنصرم (العشرين)، وما انطبع في ذاكرتنا من مشاهد يكاد لا يذكرها إلاّ القلّة القليلة، ممن عاصروها من أبناء جيلنا.

وإذا كانت الشام ريحانة وقرّة عين، وتاريخها الاجتماعي عقد يزين جيدها. فقد عنيت أن يكون هذا الكتاب، محاولة للبحث في الأطر، التي تحكم العلاقة بين الناس، في الفترة التي تمتد خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين، يوم كانت المرأة عبئاً اقتصادياً على الأسرة، وكان عليها أنّ تعاني الأمرّين في صراعها مع أسرة زوجها، فضلاً عن ما قد تلاقيه من الضراير والسلايف، من أجل أن توفّر لحياتها الزوجية الطمأنينة.

وقد جعلت الكتاب في بابين أو قسمين. توقفت في الباب الأول مع أسرة دمشقية مفترضة من عامة الناس عايشت وتعايشت مع الحياة العامة في دمشق، وكانت في خضّم ما كان يعانيه الناس في ذلك الحين من بحث عن لقمة العيش والأمن والأمان من ويلات حرب (في ظل الانتداب)، لم يكن للناس فيها ناقة ولا جمل.

وصور لنا القسم الثاني من الكتاب، ما كانت عليه الحياة في سهرات النساء. من تحابّ الناس وتعاضدهم في أفراحهم ومناسباتهم. . بل ومعاناتهم إزاء صروف الحياة. وفي إطار الحياة الأسرية. وبخاصة ما كان منها متعلقاً بخلفة البنات وإصرار الرجل بل الحماة على إنجاب العقب الذكر، وموقف الزَوجة من ذلك، ومحاولاتها تذليل ذلك، لكسب قلب الرجل بأساليب لا تخلو من مأساوية ومفارقة، بل وفكاهة وطرافة وغرابة، . . بالقياس لمعاييرنا للحياة في هذه الأيام.

يرصد الكتاب من خلال سهرات النساء تعايش المرأة مع أهل زوجها، وضرتها وسلفتها مع ما يرافق ذلك من ممارسات كيديّة. وبالتالي تعايش المرأة مع جاراتها وأقاربها وصديقاتها، ومواجهة ما قد تتعرض الواحدة منهن، من مواقف، وما تعانيه من عنت. وسبل الوصول إلى برّ الأمان. فضلاً عن ذلك، فإن للمرح والمؤانسة والبسمة مكاناً في تلك السهرات وقد تمثل ذلك في سمرهنّ ولهوهنّ ودعاباتهن ومقالبهن وألعابهن الممتعة بالإضافة إلى مآكلهن في تلك السهرات وأغانيهن ومسابقات الأمثال والأمتال والأقوال والأزجال والأحاجي والنّعوت؟ ومسابقات الرقص ونداء الباعة فضلاً عن الحكاية الشعبية، بما تقدمه من نقد وتوجيه بأسلوب مبطّن مباشر وغير مباشر.

ولئن كان أسلوب عرضنا لهذه الأمور في سهرات النساء، لا يتوافق في كثير من الأحوال، مع ما كان يجري عرضه في تلك السهرات، من ناحية تسلسل العرض. فإن مرّد ذلك يعود إلى ضرورات البحث.. الذي هدفنا فيه ترسيخ الأصالة والمحبة والإيثار في علاقات الناس وممارساتهم، التي توافق عليها الوجدان الجمعي، في تلك الفترة من حياتنا، بالموازنة مع ما هو عليه المجتمع المعاصر من علاقات وممارسات وسلوكيات... لنؤكّد أنّ الحياة البسيطة التي كان عليها أسلافنا، كانت جديرة بأن تُعاش، إزاء ما يتوفر للناس من متع الرفاه ووسائل الاتصال مع الآخر.

والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق.

دمشق غرّه ربيع الثاني من سنة ١٤٢٨ للهجرة
الموافق شهر أيار ٢٠٠٧ للميلاد.

المؤلف

الباب الأول

الناس في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين

أولاً:

١ ـ المركب يللي ما فيه شي لله بيغرق.

٢ ـ كل مين همّه طامره.

٣ ـ ماذا عن مسرح خيال الظلّ والراديو.

٤ ـ من فاته الضاني.. عليه بالحمصاني.

٥ ـ الخبز الليّن.. فقر مبيّن.

٦ ـ القاورما.

٧ ـ من شبّ على شيء.. شاب عليه.

٨ ـ محاسن الصدف.

١ ـ المركب يللي ما فيه شي لله بيغرق:

أبو محمود رجّال بحاله، يعيش الحيط الحيط، ويقول يا رب السِّتر، حياته موزّعة بين البيت ودكانه، رأسماله محبّة الناس لـه، وثقتّهم بما يقدم لهم من الفول المدمّس بالزيت، والحمّص المسلوق بالطحينة «المسبّحة» والتساقي بالزيت أو البدوة بالسمن.

زُبُنه يشهدون لـه بنفسه الطيّب. في ما يقدم لهم من مآكل الفول والحمّص، وقد اعتادوا عليه، واعتاد عليهم.. وما من أحد يقصده، إلاَّ ويحصل على كفايته من فول وحمّص، قَلّ ما مع ذلك القاصد من نقود أو كَثُر..

ومرّة أخذ على أبي محمود جاره عمر الحلاق «أبو محمد»، على ذلك الهدر، مع الزُبُن المقلّين.. فبادر أبو محمود إلى إقناعه، بأنّ الله أكرمه، وجبر بخاطره في هذه الدكان. فالمال مال الله، والمركب يلّلي ما فيه شيء لله بيغرق. والدنيا فاضية، وما حدا آخذ منها معه شي..

ويقترب أبو محمود من جاره أبي محمد هامساً:

ـ لك أخي بها الأيام، ما حدا حاطط على راسه خيمة، وسمعانين شو عمّا يصير بها الدنية من ضرب وقتل وغازٍ مخنق.. الدنيا قايمة قاعدة.. هَيّ حرب.

ـ أي والله يا أبو محمود.. الله يكون بعون الجميع.

ـ لك الناس ما لها عم تلاقي أوى، قول الله يآمنّا بأوطاننا يا رجّال.. قول آمين أبو محمد.. قول آمين..

فيطاوع أبو محمد جاره على مضض، محاولاً العودة إلى دكانه،

وكأنّما تداعى إلى خاطره، أشياء من الصعب البوح بها. . فيمسك به أبو محمود قائلاً:

ـ وين رايح أبو محمد؟!. . شو ما عجبك كلامي!!. .

ـ لـه. . يا أبو محمود. . كلامك عالراس والعين. . بس. . خليني روح إتسبّب هلأ. أحسن.

ـ بس شو!؟.

ـ مو شي.

ـ لأ، هيك بزعل منّك، فضفض يا رجل. . فضفض.

ـ لك أخي خليها بالقلب تجرح، ولا تطلع لبرة وتفضح. . خلّيني روح إتسبّب أحسن.

ـ هيك قولك!!؟[1]

٢ ـ كل مين همّه.. طامره:

لكان بدّك يانا، نحمل الدنية على راسنا!!. . أي والله كل واحد منّا، همّه طامره، ويلّلي فيه بيكفيّه. .

انكفأ أبو محمد إلى دكانه، وشرع يرتّبُ أدوات الحلاقة من مقص ومشط والماكينة أمام المرآة، ويعاود لف خيط النتف على الكركر الخاصّ به. . ويمسح قطرميز العلق. . حتى إذا فرغ من ذلك، عمد إلى شحذ «سنّ» موسى الحلاقة على القشاط الجلدي ومن ثم على المشحذ الحجري مع الزيت. . بانتظار ولوج أحد الزُّبن إلى الدكان!!. .

على حين أشاح أبو محمود بوجهه عن أبي محمد، ودلف إلى دكانه يحوقل وهو ينفض كلتا يديه من حديث أبو محمد، الذي أثار حفيظته، ولم يخرط مشطه، على ما كان يكنّ لأبي محمد من محبّة وودّ.

ورغم اعتياد أبو محمود على مواقف أبي محمد السلبيّة تلك، إلاَّ أنه في هذه المرّة جعلته في قلق مما قد يخبئ القدر للناس من مصاعب.

فالناس على لهاثهم وراء لقمة العيش، ومعاناتهم من عنت سلطات الانتداب وظروف الحرب، ورثوا من الحكم العثماني جهالة جهلاء، جعلت غالبيّتهم في أميّة عمياء، وكان من المتعذر أن يجد المرء بين الجوار، من يقرأ له رسالة وردت إليه من عزيز من خارج البلد.. حتى قيل في ذلك: أن البحث على ذلك القارئ صعباً، لو كان بالسراج والفتيل!!.

ولولا دور الخوجة والكتاتيب التي كانت منتشرة في الأحياء لعمّت الأميّة بين الناس!!..[٢]

٣ ـ ماذا عن مسرح الظلّ.. والراديو!!.

ونظراً لندرة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في ذلك الحين، فقد سدّ مسرح الظل جانباً كبيراً من حاجة الناس إلى التعرف إلى ما حولهم وإلى تزجية الوقت بشيء من الترفيه، بما يقدّمه المخايل «الكركوزاتي» للناس من ألوان النقد والتوجيه. فقد كان لخيال الظل في ثلاثينات القرن العشرين تأثيراً كبيراً في توجيه الناس، وتقويم سلوكهم وتعاملهم.. بما كان يُلقيه المخايلون «الكركوزاتية» على ألسن شخوصهم، من المواعظ الأخلاقية، بعبارات انتقادية تؤثر في قلب أشدّ الناس بلادة[٣].

ويذكر العلامة الشيخ محمد أحمد دهمان[٤]: إن الناس كانوا يقصدون

الربوة بدمشق في يومي المحفل من كل أسبوع. حيث يخرج في هذين اليومين الحلقية والمشعبذون والمخايلة والحكوية، حيث أنّ جميع أنواع التسلّي. والتلهّي بهذه الأمور، لم يكن فيه شيء من الفحش والخنا، وإنّما كان مطبوعاً بطابع ديني خلقي.

وقد كان فن الظلّ فنّاً تلقائياً يخاطب الجماهير الشعبية ويعكس وجدانها، حتى لكأنّه مرآة يرى فيها المجتمع عيوبه ونقائصه، فأتت فصوله «باباته» على شكل يوازن بشكلٍ غير مباشر، ما كان وما هو كائن وما ينبغي أن يكون في حياة الناس، فضلاً عن ذلك فقد كان للحكواتي شأن في ثقافة وانتماء جيل تلك الفترة من حياة الشام.

أما المذياع «الراديو» فقد كان قليل الانتشار، والأناس الذين بحوزتهم ذلك الجهاز يُعدّون على الأصابع في الحي. وكان من الناس من ينتقل من حارة إلى حارة أو أكثر لقضاء السهرة بالاستماع إلى المذياع بما يقدمه من أغاني وأخبار وبرامج.. وأذكر على سبيل المثال، أن من الأقارب من كان يقدم من الحارة الجنوبية بزقاق الحكر بحي الشاغور بدمشق، إلى محلّة تحت المادنة ثم إلى زقاق الشيخ لقضاء السهرة بالاستماع إلى الراديو الذي كان بحوزة أبو أحمد عزّو مريش آنذاك.

يومها كانوا يطلون زجاج النوافذ بالنيلة الزرقاء لتضليل الطائرات العدوة عن دمشق.. كما كانوا يضعون على أبواب الغرف الأرضية «المربعات» ستائر «برادي» سميكة مبلّلة بالماء، اعتقاداً منهم أن ذلك يحول دون تسرّب الغاز المخنق الذي قد تلقيه الطائرات العدوّة بالقاظانات على الناس.

٤ ـ من فاته الضاني عليه بالحمصاني:

كان الناس يقبلون على دكان أبي محمود، ليس لأنّ لقمته طيّبة وحسب،

بل لأنّ لا خيار لهم في ذلك!! . . فمن فاته الضاني عليه بالحمصاني كما يقولون، فوجبة الحمص أو الفول المدمّس وجبة غنيّة تقيم أَوَدهم، وتشدّ ركبهم!! . .

أما الخبز، فقد كان خبز السواد الأعظم من الناس، ما يُعرف بخبز الوثيقة. كانوا يحصلون عليه بموجب قسائم تموينية خاصّة، وهو من النوع المنقوش «المَبْعَوَصْ» الأسمر المائل إلى الزرقة. . وطعمه ممجوج مشوب بالمرار. . ومع كل ذلك فإنّ الحصول على ذلك الخبز، كان يستدعي الوقوف أمام الفرن والمدافعة والمزاحمة الوقت الطويل فكيف بالنساء والأطفال!! . .

كان القوم في لهاث دائم وراء الرغيف، وذعر داهم من ويلات الحرب. . كانوا يعتقدون أن: أخو أخته من يستطيع كفاية أسرته ويجيب الرأسين على فرد مخدّة. ويعيش بستر وسلامة. ويا ويله من يفتح فمه بكلمة واحدة. . قال شو!! . . الدنية حرب. والزلمة بيروح ببلاش. . بجرّة قلم!! . . ولو بوشاية مغرضة. فالحياة أصعب من أن تُطاق لشدّة وطأة الظروف المعيشيّة والمعاشية. . في ظل سلطة استعمارية، لا همّ لها إلاّ استلاب الأخضر واليابس من خيرات البلاد، وامتهان كرامة الإنسان. . في إهاب مسّمى للاستعمار أُطلقوا عليه اسم الانتداب!! .

٥ ـ الخبز اللّين فقر مبيّن:

أما خبز القمح الحرّ الكسر «راسه بعبّه» . . فكان للميسورين من أصحاب الأطيان والمالكانات. وجماعة السطوة والحظوة والسلطان. . وندر أن يتوفّر ذلك النوع من الخبز لعامّة الناس. . لما كان لمصلحة الميرة والإنتاج الزراعي من سلطة في حصر أقماح البلاد والمنتوجات الزراعية الأخرى، لصالح سلطات الانتداب ومجهودها الحربي.

وإذا أفلح ربّ أسرة في الحصول على مسحة أو بضعة أمدادٍ من القمح،

فكان عليه أن ينقل ذلك القمح على دفعات صغيرة ليلاً عبر الحارات والأزقّة والدور إلى طاحون الحي، بعيداً عن أعين رجال الميرة.. ومن ثمّ نقل ذلك الطحين إلى داره(٥).

وإمعاناً في إخفاء ذلك الطحين، ونحو ذلك من المواد التموينية، أو الغذائية. المحظور أو المقنّن حيازتها، كان من الناس من يحتفر في غرفة «المربّع» بالطابق الأرضي من داره، حفرة يخبئ فيها تلك المواد عن أعين الناس، ويغطّي تلك الحفرة بدفّ من الخشب، يغطّيه بالحصر والبسط، ويترك الكندوش أو الكوارة(٦) خالية من تلك المواد، وذلك من باب الحيطة على الأقلّ..

أما عملية خبز ذلك الطحين، فتكون منزلية، وعلى الصاج المحمّى على الأغلب، ومرّة كل أسبوع على أبعد تقدير. وقلّ من الناس من يعجن، ويخبز على مرآى من الآخرين، أو يرسل عجينة إلى الفرن لخبزه، لأن مثل هذه الحالات كانت قاصرة على قلّة من الميسورين أو أصحاب الأطيان والمالكانات والزرع والضرع. وجلّ هؤلاء يفضلون خبز التنور على خبز الفرن.. وكان من تلك القلّة من يباهي بذلك وفي ذلك قولهم:

* «الخبز اللين.. فقر مبيّن»

للدلالة على سعة يدهم، ومقدرتهم على الإنفاق.. وبالطبع، فقد عنوا بالخبز الليّن، الخبز السوقيّ.. خبز الأفران..

٦ ـ القاورما:

وإذا كانت الأسرة على شيء من اليسار، فإنها قد تعمد إلى تموين اللحم في ما يعرف «بالقاورما». ويكون ذلك بذبح خروف أو أكثر، وبعد جرم اللحم عن العظم، يعمدون إلى فرم كامل اللحم «رأسه بعبّه» ومن ثمّ رفعه على نار هادئة مع الملح، حتى إذا نضج ذلك اللحم، فإنهمّ يحفظونه في خوابي من الفخّار، لاستهلاكه في أيام الضيق، وبخاصّة أيام الشتاء.

٧ ـ من شبّ على شيء.. شاب عليه:

كان من عادة أبي محمود أن يصلي الفجر بالمسجد الأموي ، حاضراً مع الإمام ، وكان يحرص على أداء هذه الفريضة على ذلك النحو ، من أيام يفاعته ، يومها كان والده يوقظه ، فجر كل يوم ، ويصطحبه إلى الجامع الأموي للصلاة ، وحضور بعض الأذكار والتسابيح . . وأحياناً حضور مجالس الأسباع(٧) التي تعقد في الأموي عقب صلاة الفجر ، وبخاصة في شهر رمضان المبارك . . وقد أصبح هذا السلوك متأصلاً في حياة أبي محمود ، فظلّ عليه دائماً وأبداً . . فمن شبّ على شيء . . شاب عليه . .

ولعل من دواعي ذلك الاستمرار على ذلك النحو ، أنّه كان سبباً من أسباب زواجه من أم محمود . . بل سبباً من أسباب سلوكه وتعامله مع الآخرين . .

٨ ـ محاسن الصدف:

فقد كان من محاسن الصدف ، أن لحظ جارهم عزت الحمصاني ، مواظبة الفتى على أداء فريضة الصبح بصحبة والده . . فأعجب عزّت بذلك الفتى «حسن» وتوسّم فيه خيراً . . وبخاصة بعد أنّ «حسن» هذا ، قد أنهى ختم القرآن الكريم بالكتّاب ، وأنّ والده بصدد البحث له عن حرفة «كار» يشدّ بها عضده في مواجهة أعباء الحياة . فقد كان الفتى في سنّ يسهل فيها تكوينه وتلقينه أصول الحرفة وأخلاقياتها والإخلاص لها ، والوفاء بالتزاماتها ، لدى دخوله معترك الحياة .

وبقدر ما كان الأب راغباً في تعلم ابنه حرفة تقيه غوائل الدهر ، كان جاره عزت الحَمصاني يجدّ في البحث عن أجير يمكن الاعتماد عليه في دكانه . . فوجد في الفتى «حسن» فرصة لمفاتحة والده في ذلك الأمر .

كان عمل الفتى في دكان عزت الحمصاني، أشبه بحجر مقذاف، فقد أراد معلمه أن يجرده، ويجعل منه مطواعاً عمله خدوماً لكاره، ليّن العريكة، وهكذا كان الفتى يمسح ويكنس ويغسل الصحون، ويملئ الإبريق بالماء البارد من صنبور مياه الفيجة، التي عند جامع السروجي.. ويساير الزبن ويلبي طلباتهم بأدب وحشمة. وقد لحظ والده ذلك فأراد أن يفاتح معلمه عزت. لكن المعلم لم يكن متهاوداً في ذلك الأمر، لأنه كان يريد أنّ يجعل من الفتى مثال الصانع، الأمين لكاره «حرفته»، وهكذا لا يكون إلاَّ بكسر العنجهيّة في نفس الأجير، ويجعله يحافظ على كاره، حفاظه على عِرضه وشرفه.. سيّما وأنّه يعمل في مجال إطعام الناس.

كان «حسن» كالعجينة بين يديّ معلّمه، فقد قولبه معلّمه كما يريد.. ولم يكن «حسن» يألُ جهداً للاستجابة إلى كلّ ما يتطلبّه عمله في الدكان.. فضلاً عن تلبية حاجات بيت معلمه من الخضار والفواكه.. وسواها. وكان في ذلك لا يكلّ ولا يملّ.. حتى أنّه كان بإمكانه معرفة ما قد يجول في رأس معلمه من أمور تتعلق بالدكان، فيسارع إلى تلبية ذلك عن طيب خاطر، فاللبيب من الإشارة يفهم.. وهذا جعل معلّمه يثق به ويحبّه، بل يؤثره في كثير من الأمور. وبخاصة بعد أن أصبح «حسن» على درجة كبيرة من الإتقان لأصول الصنعة وحِرَفيّتها في أسلوب التعامل مع الزّبن، وتحضير وتزويق ما يقدم لهم من أنواع الفول المدمّس، والتساقي «الفتّات» بالزيت أو البدوة، والحمّص المدقوق بالطحينة «المسبّحة» مما جعل معلّمه يتنحّى رويداً رويداً عن القيام بأعباء دكانه، ويعتمد اعتماداً كليّاً على صانعه «حسن». ويطلق يده في تصريف أمور الدكان.. بحيث كان «حسن» يأتي مساء كل يوم إلى دار معلمه يطلعه على أحوال الدكان، ويسلّمه الغلّة. ويتلقّى من معلمه التوجيه اللازم لحسن سير العمل في يوم غد.

الهوامش والحواشي:

١- نفسه الطيب: حرصه وعنايته في ما يقدم من طعام. يللي: الذي. شي: شيء. بها الأيام: في هذه الأيام. شو: ماذا. هيّ: هذه. أوى: مأوى. وين: إلى أين. مو شي: لا شيء. هيك: هكذا. هلأ: الآن.

٢- يانا: إيانا. يللي: الذي. الكركر: قطعة من الخشب على شكل دولاب يُلَّف عليها الخيطان. العلق: ديدان تمتص الدم الفاسد من الجسم. لم يخرط مشطه: لم يأت على هواه. السراج والفتيل: كناية أرادوا بها عدم العثور على الشيء حتى في وضح النهار.

٣- انظر كتابنا معجم بابات مسرح الظل ص (٢٩) ط ١٩٩٥ مكتبة لبنان.

٤- جبل قاسيون، محاضرة ألقاها الشيخ دهمان في قاعة المجمع العلمي العربي بدمشق في شباط ١٩٤٣.

٥- من فاته الضاني...: - كناية عن حالة الإملاق السائدة آنذاك. الرأسين على فرد مخدة: أي مخدّة واحدة، والقول كناية عن القدرة في توفير متطلبات الأسرة المعاشية. مصلحة الميرة: السلطة التي كان لها حصر الإنتاج الزراعي لصالح الحكومة. المسحة: تزن نحو (١٠) كغ من الحنطة. والمدّ: يزن (٢٠) كغ من الحنطة. ببلاش: بلا مقابل.

٦- الكندوش أو الكوارة: مكان لحفظ مؤونة البيت من قمح وعدس وبرغل وفاصولياء يابسة «حب»، وما شابه من الحبوب، وهو غير النملية التي حلّ محلها البراد في أيامنا. كما أنه غير الكبك الذي كان يُدلّى به الطعام إلى فناء أرض الديار حتى لا تطاله القطط «الهرر» أو الحشرات الأخرى وقد كان ذلك الكبك واسع الانتشار قبل انتشار النملية الآنفة الذكر. والكندوش أو الكوارة

عموماً من الخشب وبها فتحات علوية للتعبئة، يقابلها فتحات بالأسفل، تفتح عند الرغبة في أخذ المواد منها للاستهلاك . .

٧- مجلس السّبُع، مجلس ينعقد كل يوم إثر صلاة الصبح بالمسجد الأموي وفيه يجتمع الناس لقراءة سُبُع من القرآن الكريم، بحيث يتمّ ختم القرآن مرّة كل أسبوع، انظر كتابنا دمشق ياسمينة التاريخ ط (١) ص (١٥٩).
حجر مقداف: مقذاف، كناية عن قيام الأجير بكل ما يطلب إليه في الدكان. والمقذاف هو المدّاحة أو المقلاع، يُوضع في كفّه قطعة من الحجر، ويقذف المرء ذلك الحجر إلى حيث يريد. يجرده: يجعل منه ملمّاً بكل كبيرة وصغيرة من العمل. لما تتميّز مياه صنبور فيجة جامع السروجي من برودة. قولبه: جعله طيّعاً كما يريد. الغلّة: حصيلة اليوم من النقود للدكّان.

ثانياً:

١ ـ بكر البكرين.

٢ ـ أحلى من السكر.

٣ ـ مين خطب مين؟

٤ ـ القاضي والمفتي والنقيب.

٥ ـ الطيور على أشكالها تقع.

١ ـ بكر البكرين:

لم يكن يدور في خلد المعلم عزّت أن يجعل من أجيره حسن، صهراً له، فابنته زهور، كانت عزيزة على قلبه، أثيرة على نفسه، كان يرى النور في عينيها، والخير في طلّتها، والسعد في بسمتها، وإذا نبست شفتها بغمغمة أو محاكاة، كانت السعادة والحبور يضجّان في جوانحه، والفرح يملأ كيانه.. حتّى لكأنّ كل خليّة وكل سكنّة من كيانه تضرع إلى الله أن يمنّ عليه، ويكشف لـه ما يجول في خاطر الطفلة من أحاسيس، وما كان يصدر عنها من تعبير أو قول!!..

«فزهور» طفولة ترعرت في أحضان الحنان، وعلى كفوف الراحة وكان نموّ كل شبر منها بندر!!.. كان الأب يرى في كل يوم، بل في كل لحظة في ابنته شيئاً جديداً.. يزيدها قرباً منه وحباً.. إنّه يريد أنّ يبثّ فيها من معين ذلك الحب وذلك الحنان اللذان لقياهما في طفولته من أبويه، فقد كان بكر أبويه.. وزوجه بكر أبويها.. فكيف لا يكون «لزهور» ذلك القدر من المحبة وهي بكر البكرين!!.

٢ ـ أحلى من السكّر:

ولم تكن الأمّ أقل من الأب حباً وشغفاً بالبنت، فقد استأثرت «زهور» بمشاعر أبويها.. وذهبت الأمّ في هذا الحب إلى اعتبار ابنتها فريدة عصرها، ودرّة زمانها.. بل أنّى لأندادها مسحة من جمالها وفتنتها.. كانت الأم لا تني تبوح بمشاعرها وحبها لابنتها.. حتى أنّها ذهبت إلى القول بأنّ جميع ما قالته الأمّهات في ذلك الحين من أغاني المهد والطفولة والحبو.. إنّما كان في ابنتها

ولها فقط. «فزهور» الأثيرة على قلبها ليس لها مثيل، وأين منها أندادها، بل أنّى للنساء أن يلدن مثلها، مهما طال بهنّ الصبر، بعد أن أعيتهنّ السّبُل.

إنّها لا تني تردد ما كان يتوارد في خاطرها مما قالته فيها أمّها يوم كانت في سن ابنتها زهور:

مثلك ما جابوا!..

لو انحنوا وشابوا..

لو برطلوا الدايات

ماجابو..

مثلك ما جبنا..

يا قالب الجبنا.

يا خبز بيت السلطان.

أبيض ما بيعجبنا!..

«فزهور» في العين منظرة، وفي القلب سكّرة.. وبشرتها أنصع بياضاً من قالب الجبن، وخديّها أكثر تورّداً من خبز بيت السلطان الشهيّ!!.. بل وحلاوتها أحلى من السكر، وطلّتها قرّة عين.. ولا أحلى ولا أبهى..

ولم تكن الأم لتتردّد في أن تجنّح في تصوّراتها، فتبني «لزهور» قصوراً وعروشاً أين منها قصور الأمراء والسلاطين، وتشطح بها الأفكار، وتحلّق بها الأماني، فترى ابنتها عروساً لابن السلطان.

- هي بنتي يا دلّي..

بدها عريس . . ومنين لي! . .

بــزوّزهــا لابــن الســلـطـان .

بــيـلاعـبــهـــا يـــا دلّي[1]

«فزهور» ترعرعت في أحضان الحنان وفي حنايا القلب وعلى كفوف الراحة . . لقد فتحت عينها على الابتسامة والبهجة . . وهذا كله جعلها تعي أنّ الحياة عطاء لا حدود له ، وإيثار ما بعده إيثار . .

وتحسباً من الأبوين من أن تعصف أعباء الحياة المستقبلية ، براحة أو سعادة ابنتهما ، أو تُنغّص معيشتها . . حَرَصَا على تعليمها كار الخياطة . يومها كان تعليم الخياطة للفتاة ، أمراً محموداً . . مهما كان وضع الأسرة الماديّ . . اعتقاداً منهم أن الخياطة في قادم الأيام للفتاة ، تجعل أو تُسهم في جعل حياة الفتاة أكثر استقراراً وأمناً . . وبخاصة بعد الزواج ، بل وفي حالة عنوسة الفتاة . .

وهم يقولون في ذلك أن الفتاة أو المرأة التي تجيد الخياطة بعد الزواج ، أو في حال العنوسة:

«إن كانت فقيرة ، بتسعد حالها . وإن كانت مسعدة بتدندش خلخالها . . » .

فهي في ذلك لا تُثقل كاهل الأسرة ، ولا تكون عبئاً اقتصادياً ، على الأسرة . . والحصوة بتسند جرّة كما يقولون[2] .

٣ ـ مين.. خطب مين:

كان لذلك النحو من السلوك الذي تميّز به أبو محمود «حسن» ، في القيام بأعباء دكان معلمه «عزّت» والاستجابة لكل ما يتطلّبه العمل من التفاني ، سواء في تصريف الأمور ، أم في حُسن التعامل مع الزبن ، برويّة وحكمة ودراية . .

أن جعل مُعلّمهُ «عزّت» يشعر أن صانعه هذا ، يزداد قرباً إلى قلبه ، يوماً بعد يوم ، حتى غدا وكأنه أحد أفراد الأسرة . .

فلم يجد المعلّم حرجاً من التفكير في أن يخطب صانعه «حسن» لابنته الغالية «زهور» . . وبعد تقليب هذه الرغبة مع زوجه وابنته «زهور» . . فاتح «عزت» صانعه «حسن» في ذلك!! . .

٤ ـ حضر القاضي والمفتي.. والنقيب:

ولعلّ من الطريف أن نشير ، إلى أنّ ذلك جرى بصورة عفوية على غرار ما كُنّا نسمع أيام زمان ، في حكايانا الشعبيّة في مثل هذه المناسبة فكان أن: «ضربوا القضيب ، وحضر القاضي والمفتي والنقيب» ، وكتبوا كتاب ، ابن هالحلال «حسن» على بنت الحلال «زهور» وعاشوا بثبات ونبات ، وخلّفوا بنين وبنات . . طيّب الله عيش السامعين!! . .

٥ ـ إن الطيور على أشكالها تقع:

لئن كان قول: إنّ الطيور على أشكالها تقع . . كان يطلق على سبيل التلميح ، بالتقليل من جدوى ما يسعى إليه المرء في تعايشه مع الآخر . .

فإنّ هذا القول ، يأخذ معنى: الحفر والتنزيل أو المقاربة للمثل القائل:

«طنجرة ولقت غطاها . . .»

«فزهور» بما جبلت عليه من رواسب سلوكية وتربوية ، رضعتها في طفولتها مع حليب أمها ، كانت على مقدرة من التعايش مع زوجها «حسن» والتكامل معه ، سواء في الطباع والتطلعات . . أم في القناعة والرضى . . كانت ليّنة العريكة ، سمحة سموحة من غير ضعف . متماسكة الشخصّية ، كلمتها لا تنزل على الأرض . . ولكن من غير تسلّط أو إسفاف . . تأسرها الكلمة الحلوة والنظرة الحانية ، وتكحّل عينيها النظافة والأطافة والرتابة . .

وقد آلت على نفسها أن تكون رفيقة درب زوجها على الحلوة والمرّة، وفي السّراء والضّراء[3].

* * *

الحواشي والهوامش:

١- ما جابوا: ولدن، انحنوا وشابوا: كناية عن الشيخوخة. برطلوا: قدّمن الرشوة، هيحّ: هذه، يا دليّ: يا للدلال. منين ليّ: من أين لي. بزوزها: أزوجها

٢- كار: حرفة. تستر حالها: تكفي نفسها، فلا تكون عبئاً اقتصادياً على الأسرة، المسعدة: التي تعيش في بحبوحة من العيش واليسار. تدندش. تزيّنه بالأحجار الكريمة، وتضيف إليه تعاليق وسلاسل بها مصوغات ذهبية.

٣ـ الحفر والتنزيل: المطابقة والتوافق بين شيئين أو أمرين. لئت: وجدت. غطاها: غطاءها. . والطنجرة: هي القدر.

ثالثاً:

١ ـ بورك لأمتي في بكورها.

٢ ـ الشوق إلى ضيافة الرحمن.

٣ ـ المفقود.. المولود.

٤ ـ مكابدة الفراق.

١ ـ بورك لأمتي في بكورها:

استيقظ أبو محمود على عادته فجر كل يوم، توضّأ وارتدى «كلابيّته» قفطانه، واعتمر بالطاقية البيضاء الحريرية، التي كان معلمهُ عزت قد جلبها له من الحجاز. ووضع فوق تلك الطاقية، الغَضَاضة «الحطّة» الناصعة البياض، وانتعل الكندرة الكسر، وقبل أن ينطلق، نادى على أم محمود، أن توحّد الله، فقد أوشك المؤذن أن يرفع أذان الصبح . .

أخذ أبو محمود طريقه إلى الأموي عبر زقّاق الخضيرية بالشاغور الجوّاني، فحارة نزلة طاحونة السجن، ثم إلى زقاق الدقاقين، معرّجاً في طريقه إلى إقميم حمام الصفي. . تَفَقَّد في ذلك الإقميم قدر الفول، خوفاً من أن لا يكون الإقميميّ قد أحكم غمر ذلك القدر بالجمر، فلا يدمس الفول بالقدر، ولا يرضى به الزُّبُن. . فإذا اطمأنّ إلى ذلك، طلب إلى الإقميميّ إرسال القدر إلى دكانه بجوار باب الحديد «الصغير» بمدخل الخضيرية[1]. ثم يسارع إلى دكانه فيوقد النار تحت حلّة الحمّص. وبعد أن يغلي الحمص يقشّ الرغوة «الزفرة» عنه. ويهدّئ النار تحت حلّة الحمّص، وينطلق إلى المسجد الأموي لأداء صلاة الفجر مع الإمام.

وأبو محمود في طريقه اليومي هذا فجراً، لا يكاد يشغل فكره، إلاّ وضع ذلك القدر، لما ينجم عن عدم غمره بالجمر من مضّرة له، ومفسدة لزبنه. . . لكنه في هذه الأيام في شغل شاغل عن القدر والزّبن بل والدكان. . شغل أخذ عليه فكره وتفكيره. . فقد عزم الحج إلى بيت الله الحرام. . ولولا اعتياد الزُّبن على لقمته الطيّبة واستساغتهم أكل الفول المدمّس والحمّص المسلوق بأنواعه من مسبّحة وتساقي من تحت يديه. . لأغلق محلّه «دكانه»، وانصرف إلى تهيئة أموره وإنجاز متطلبات سفرته تلك.

٢ ـ الشوق إلى ضيافة الرحمن:

بقدر ما كان أبو محمود، في شوق لأداء هذه الفريضة، والقيام بمناسكها في ضيافة الرحمن. . كان يساوره قلق شديد، وتتنازعه مخاوف تقضّ مضجعه، ممّا قد يتعرض له في طريقه إلى الديار المقدسة، وخلال إيابه منها، من ضنك ومخاوف، وبخاصّة بعد ما ترامى إلى مسامعه الأقاصيص والأقاويل التي يتناقلها الناس، عن ما كان يعتور قافلة الحجيج من مشاقّ، وما كانوا يعانون من وعثاء في تنقلهم بين منازل الحج المعهودة المتعارفة.

كنت تراه يشطح في تفكيره، ويبحر في تصوره أعتاب هذه الديار، يكحّل عيناه بمشاهدها ويعفّر جبهته في جنباتها. . فهو لا ينفكّ في تلهّف وشوق متيمّ إلى زيارة الحرمين الشريفين، في مكة المكرّمة والمدينة المنورة، وإلى السعي بين الصفا والمروة، والطواف حول الكعبة ولثم الحجر الأسود، والوقوف بعرفة. . مع جموع الحجيج الوافدة من مشارق الأرض ومغاربها، على تنوّع نحلهم ومعاشهم ولسانهم. . وقد جمعهم قلب واحد ينشد التوبة والمغفرة على مائدة الرحمن.

٣ ـ المفقود المولود:

وما كاد ينفكّ ويخرج من هذه الحال. . إلاّ ويجد نفسه مأخوذاً برؤى مرعبة تتواثب في مخيلته، فتحمله إلى أجواء تؤرّقه، وتأخذ عليه مجامع قلبه، وتجعله مسلوب الإرادة سلس القيادة، إزاء الأفكار والأقاويل التي وصلت إلى مسامعه من أناس عايشوها أو تناقلوها عن رواة يوم كانت السلطة غائبة والدنيا فلتانة. . وكان بمقدور البدوي أن يأكل على رأس ابن المدينة بالطبق[٢].

وكان من تلك الرّؤى التي أخذت عليه مجامع قلبه، وبلبلت تفكيره ومشاعره، ما كان قد سمعه من جاره أبو سليم على لسان أحمد البديري،

الحلاّق[٣] بدمشق عن تعرّض الأعراب لقافلة الحج الشامي، واستلابهم ما خفّ وزنه وغلا ثمنه من الحجيج... وما آل إليه الحجّاج من ضنك وشدّة ينفطر أمامها القلب ويرقّ لها الحجر.

ولا يكاد، أبو محمود، يستفيق من ذلك الهول، ويهدأ روعه من ذلك الخطب، إلاّ وتتداعى إلى مخيلته حادثة السيل الذي دهم الحجيج في وادي بطن الغول.. ولم يُبْقِ لهم ما يسدّ رمقهم ويقيم أودهم.. فينتفض أبو محمود من ذلك المشهد المأساويّ وقد انكمش على نفسه، وتكوّر جسمه، وجعل يحوقل ويبسمل، متحسّساً ثيابه وجسده من البلل، ولسان حاله يقول: سلاماً قولاً من ربٍّ رحيم!!..

وما كادت ذاكرته تغفو بعض الوقت، حتى لاحت في مخيّلته حكاية الضّباع التي رواها له، العكام أبو خالد.. يوم استفردت ليلاً بجماعة من الحجيج، وكادت لولا لطف الله تقضي عليهم.

أخذت هذه الأفكار والرؤى تتداعى في مخيلّة أبو محمود، وتتواثب أمام ناظريه وكأنها كابوس يجثم على صدره، ويأخذ عليه بمجامع تفكيره، حتّى لكأنّ مقولة: «الذاهب إلى الحج مفقود.. والعائد منه مولود». التي سارت على ألسنة الناس في ذلك الحين، ماثلة أمام ناظريه، وكأنّها خطب لابُدّ من ركوبه.. ولا خيار له في تخطيّه..

لكن أبا محمود، وهو في خضّم هذه التصوّرات والهواجس، كان في قرارة نفسه على يقين، أنّ زمان أوّل تحوّل، وبخاصة بعد تحول اعتماد الحجّ الشاميّ من الجمال، إلى عربات السكّة الحديدية، التي تصل بين دمشق والمدينة المنورة، وتحوّل منازل قافلة الحج إلى محطات للسكة الحديدية، فاختصرت المدّة التي يستغرقها سفر القافلة من ثلاثة أشهر إلى أيام معددة، في الذهاب والإياب..

ومهما يكن الأمر!!! . . فقد عزم أبو محمود أداء هذه الفريضة، إيماناً منه بأنّ الثواب على قدر المشقّة . . والمكتوب ما منّه مهروب»، ولم يبق عليه إلاَّ أنّ «يفرد الكتّان ويسير على كفّ الرحمن»(٤) . . ويتوكل على من عينيه لا تغفل ولا تنام.

٤ ـ مكابدة الفراق:

ما أن انطلق أبو محمود فجر ذلك اليوم إلى المسجد الأموي . . حتى كانت زوجه نهباً لأفكار وتصوّرات، لا أوّل لها ولا آخر . . فقد أخذت تدور في رأسها، رؤى وتصوّرات وهواجس، جعلت أوصالها في حالة من التوتّر والقلق حيناً، والشرود أحياناً أخرى، وهي في ذلك كلّه كانت تتهيّب أن تبوح بما تنوء به أحاسيسها من مخاوف ترسّبت في ذاكرة الناس من حولها، عن ما كان يعانيه الحاج من وعثاء، وما كان يكابده من مصاعب لم تكن بالحسبان . . في حين أنها لم تكن تتقبّل أن تعيش لحظة بعيدة عن دفء زوجها وبرّه وحنوّه وأنسه وسكِنه . .

وهي في هذا كلّه، كانت في قرارة نفسها على يقين أنّ المكتوب ما منّه مهروب» فما كان لها إلاَّ أن تتوجّه إلى الله تعالى، تسأله لطف المقادير، إيماناً منها. أنّ الإنسان مهما بلغ به التفكير . . فإنّ مدبّر الكون جلّ شأنه لا ينساه. ونِعم بالله أن يكون لها ملاذاً تستودعه هذا الزوج، راجية أن يكلؤه بعنايته ويشمله بحمايته، ويحفظه من كل مكروه . .

ولم يُخْرِج أم محمود ذلك التوجّه، إلاَّ صوت صرير باب غرفتها، يُؤذِن بأوب زوجها فابتدرته:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم! . نأزّتني يا ابن الحلال!! . . شو ايمتي إجيت؟ .

ـ هي فوتتي.

وتنهض إليه وهي تُقوّم من هندامه وتُصلح من وضع الطاقيّة والغضاضة على رأسه وكتفيه، معاتبة:

ـ طوّلت يا رجال، انشغل بالي عليك. . مالك بالعادة!!.

ـ الله لا يشغل لكّ بال. . والله اليوم يا بنت الحلال، علمونا بالأموي شلون بيكون السعي بين الصفا والمروة عالأصول. . وهيك إن شاء الله، صار كل شي تمام.

أجابته والغصّة تملأ فمها: الله يقدم ما فيه الخير.

فما كان من أبي محمود إلا أن مسح برفق على رأس زوجه ملاطفاً.

ـ شبنا أم محمود!. إنت عالحساب مؤمنة بالله.

أجابته بشهقة غلبت صوتها:

ـ شو بدّي قول لّك يا ابن الحلال غصب من عنّي. . إه. . الحمد لله على كل حال. . إبن عمّي. . انت بتعرف غلاوتك، الله يخّلي لنا ياك إنت جسر البيت، ونحنا بلاك ما منسوى شي.

أجابها ملاطفاً:

ـ انت البركة يا بنت الأصول(٥).

فسألته متشاغلة عن ما يبثّها من لطف:

ـ بيّن معك، ابن عمي، إيمتى لحا تتيسّروا؟.

ـ إن شاء الله، بعد شيء ثلاثة أربع أيام. . واليوم إن شاء الله لحا روح ودّع أولاد عمي وأخوالي، وإذا ما لحقّت بكرة بكمّل. . وبَخلّي آخر يوم لإخواتي. .

ـ إي والله زينة العقل.

ـ وبعد بكرة بدهن يجوا لعنا الجيران والصّحاب بمعيّة إمام الجامع.

ـ ميت أهلاً وسهلاً. البيت بيتهن، صدر البيت إلهن والعتبة إلنا.

ـ لك ما إلت لّك الله يخلّي لنا ياكي.

ـ بزعل منّك ابن عمي!!..

ـ لأ لأ.. خلص.. مثل ما بدّك.. ليش أنا بقدر على زعلك.

ـ لكان لروح إغلي لك الأهوة..

ـ لأ الله يرضى عليك، اليومة سماح، ناوليني هالعِري وخلّيني اتيسّر على بكّير، لأنه قبل الصلاة علّئت عالحمصّات، وبدي أمرق عالحمام لحتي حاسب الأمّيمي بإجرة سلق الفول وحضّر حالي، حاكم الزبونات بيجوا من بكّير.

فتناوله أمّ محمود الشروال ثم الميتان، فيسرع بارتدائها، وتساعده على لفّ الشملة على خصره وينطلق خارجاً، وهو يسأل زوجه:

ـ يا لله. السلام عليكم بدّكنّ شي، ابعت لكنّ شي.. ادعي لي..

ـ الله معك، ما بدنا غير سلامتك(٦)

الهوامش والحواشي:

١ـ الطاقية: القلنسوة، وتعرف بالعرقية. الكندرة الكسر: حذاء رجّالي شعبي تثنى مؤخرته «تكسر» بحيث يسهل انتعاله. إقميم الحمام: موقد تسخين مياه الاستحمام بحمام السوق. الفول المدمّس: فول مغمور قدره بالجمر لساعات عديدة.. يوم كان يوقد في الإقميم المواد القابلة للاشتعال

وبخاصة روث الحيوانات. . وكانوا يطلقون على رماد ذلك الجمر اسم القصرملّ، الذي كان يستعمل كملاط جيّد في البناء، قبل معرفة الإسمنت.

٢- كناية عن ضعف السلطة الحاكمة، وانقلاب الموازين في علاقات الناس لدرجة يستطيع فيها ابن البادية أن يخضع ابن المدينة المتحضر، ويمعن فيه إذلالاً . . .

٣- أحمد البديري: حلاق بدمشق عني بتدوين الأحداث التي عاشتها دمشق يوماً بيوم، وبخاصة الأحداث التي عاصرت زمن ولاية أسعد باشا العظم وخلفه على مدينة دمشق.

٤- بطن الغول: موقع على طريق الحج الشامي، يحوقل ويبسمل: يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وبسم الله الرحمن الرحيم، شي: شيء. فرد الكّتان. . . : مقولة شعبية يراد بها التوكل على الله عند الشروع بالسفر.

٥ - نأزتني: فاجأتني. شو إيمتى إجيت: متى جئت. هي: هذه. الطاقية: القلنسوة. الغضاضة: غطاء للرأس، يمكن أن يتزيّن به على كتفيّ الرجل. شلون: كيف. هيك: هكذا. شبنا: ما بنا، عبارة تساؤل. شو بدي قول: ماذا أقول، ابن عمي: مقولة تطلق على الزوج. نحنا: نحن. شي: شيء.

٦- إيمتى: متى. لحا: سوف. بكرة: غداً. العئل: العقل. بدهن: يرغبون. العتبة: المدخل. ما إلت: ألم أقل. ياكي: إياك. ليش: كناية عن التساؤل، الأهوة: القهوة. العري: ملابس الشغل. علئت: أوقدت النار تحت. الأميمي: الإقميمي، من يقوم بإيقاد النار لتسخين ماء الاستحمام. الشروال: السروال، الميتان: لباس الصدر للرجل، الشملة: ما يتمنطق به الرجال فوق السروال. بدكن شي: هل يلزمكم شيء.

رابعاً:

١ ـ صباح السلايف:

٢ ـ مزاحنة السلايف مع قهوة الصباح.

٣ ـ نظفي بيتك ما بتعرفي مين بيدوسه.

١ ـ صباح السلايف:

ما إن غادر أبو محمود باب المنزل، حتى عمدت أم محمود، إلى رفع ستائر غرفتها وفتح نوافذها. ومن ثم خرجت إلى المشرقة تسقي أصص الزريعة التي بها. من فلّ ومنتور وريحان.. وتجمع ما تساقط من أزهار الياسمين، فتضمّها وهي تشمّها قائلة:

اللهم صل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) سبحان الخلاّق فيما خلق. ثم تعكف على إصلاح وضع هذه النباتات، فتنزع عنها ما اصفرّ أو ذبل وتساقط من أوراقها. وتُصلح وضع ما يحتاج إلى تقويم.. ومن ثم تتوجه إلى الدرج، فتجول بنظرها على أرض الديار، وتلحظ كنّتها إسعاف تقوم بترتيب الكراسي داير البحرة الدافقة بالمياه، وتصفّ أُصص الريحان والهوى الخشن على حافّة تلك البحرة..

ومع أوّل خطوة لأم محمود على الدرج، تشعر بها كنّتها إسعاف، فتترك ما كان بيدها، وتسارع إلى حماتها قائلة:

ـ الله يصبّحك بالخير مرت عمي.. والله هلاّ كنت لحا أطلع لعندك، بسّ إلت لحالي، خلّيني ركّز لك الأعدة أبل كل شي.

ـ الله يسّلم هالديات.

وما أن تصل إسعاف إلى حماتها تقبّل يدها، قائلة:

ـ هاتي إيدك مرت عمي.. ثم تمسك بيد حماتها تساعدها بالنزول على الدرج قائلة:

ـ اتْرُكّي عليّ مرت عمي. اتْرَكّي..

فتلحَظها سلفتها هيام من المطبخ. فتصرخ بها وهي تتخصور لها:

- لك محوراْة. . استهدي بألله من على بكرة الصبح. بكّير عالبهللة، مرت عمك بتعرف تنزل عالدرج. . بس إنت حلّي عن يائتها. . ولي عليكِ شو مدهلزة!!. .

ثم تلتفت إلى حماتها مصبحة وهي تقول:

- شايفة مرت عميّ شايفة. . ولي عليها شو مكولكة. .

- الله يعينني عليكن انتو التنتين. طول النهار على صدّ وردّ.

ثم تسأل كنتها هيام: - تيَسرّ زوزك على شغله؟

- إي مرت عمي إي. . تيسّر من بكير، اليومة عنده سفرة على دير آنون.

- الله يرضى عليه هوّ وإخواته.

ثم تلتفت إلى كنّتها إسعاف.

- وإنت خانم لسّاته سبع البرمبو نايم؟!

- لآ، مرت عمّي. . راح من بكير. . أبل سلفي.

- الله يهوّن لهم ويكللهن بالرضى(١).

وتستغل هيام مشاحنة حماتها مع سلفتها سعاد، وتنسّل إلى المطبخ وتأتي بالقهوة.

٢ ـ مزاحنة السلايف مع قهوة الصباح:

هيام: مرت عمّي اليومة غليت لّك فنجان أهوه، من يلّلي بتحبيّها. إلت لحالي، عمي راح من بكّير وما لحيء يشرب الأهوة. . منشربها معك.

أم محمود: وأنت شو عرفْك إنّه عمّك ماشرب الأهوة اليومه؟!. . لك آخ منّك. . الله يعينني عليك، وعلى سلفتك.

هيام: لآ مرت عمي لآ. . أنا سألت عمي وهوّ طالع إذا بيشرب فنجان أهوة، آم قال ليّ: خلّيها لغير مرّة، لأنّه مستعجل على شغله.

وتناول هيام حماتها فنجان القهوة متباهية على سلفتها، مع نظرة لا تخلو من التشفّي والاستعلاء. . ومن ثمّ تعمد إلى تغطية فنجان آخر من الفناجين التي في الصينية، تخص بها بنت حماها وداد، قائلة:

هيام: وهادا الفنجان أبو القشطاية لبنت عمي وداد، وهيّ غطيت لّها إياه. عمّ بين ما تغسّل وشّها، لحتى ما يبرد.

ثم تلتفت إلى سلفتها سعاد، شو أمّ السعود ما تمدّي إيدك، لحا تبرد الأهوة.

وفي هذه الأثناء تكون وداد قد جلست، فتتناول فنجانها موجهة كلامها إلى هيام:

وداد: أنت ما يدوّئك لغير كل مشتهي. .

ثم تخاطب وداد أمها، صباح الخير يامو. . هاتي إيدك.

أم محمود: الله يرضى عليك.

هيام: ليش بنت عمي، يعني فوء ما. . .

فتقاطعها وداد:

وداد: لك إنت زوزك وراح على شغله من بكّير، وشو أعدّك أبل الشحّادة وبنتها!!. . يعني إذا ما بدّك تنامي، ما لازم حدا غيرك ينام؟!. .

إسعاف: متل البأ بنت عمي، متل البأ. لا بتنام ولا بتخلّي حدا ينام. فتنهرها حماتها لائمة.

أم محمود: إسعاف!!..

إسعاف: إي مرت عمي إي.. خلص وهَيّ سكّرت تمّي.. مثل ما بدّك.. لا تآخديني همهومة(٢).

أم محمود: يعني صافي يا لبن!!

السلفتان: إي مرت عمّي مثل ما بدك.. حبايب.

٣ ـ نظّفي بيتك ما بتعرفي مين بيدوسه:

أم محمود: شوفي إسعاف.. وإنتي هيام. أنا اليوم بدّي أنزل عالسوء اشتري مناشف وسُلك وكَمَرْ.. وشويّة إغراض لعمّكم منشان الحج.

وداد: ليش أميّ بيّن إيمتى لحا يسافر.

أم محمود: والله ما لي عارفة.. آل بعد شي ثلاث أربع أيام.

وداد: يا الله.. هيك أوام؟!.

إسعاف: عقبال عندك مرت عمّي.

هيام: (مكايدة) وفرحتنا بإختي وداد بعريس كمان.

إسعاف: هيام!!.. زوئي بآ.

أم محمود: رجعنا للنائر دي.

إسعاف: مرت عمّي والله ما أصدي..

هيام: امبلى مرت عمي امبلى . . حاطّة عليّ ، وعم تستنّاني على وحدة ، مو بايدها . . أنا والله ما أصدي شيء ، بس هيّة بتطالع من تحت اضافيرها الشرّ لحتى تلبّسني ياه .

إسعاف: أنا يا هيام . . شو عليه!! . إه الإيام بيناتنا . .

هيام: يُو . . العين السقّاءة . . ما بآ علينا غير . .

تقاطعها إسعاف:

إسعاف: هيك لكان . . أنا بورجيكي . . بكره بيدوب التلج وبيبان المرج . .

أم محمود: لك تضربي منّك إلها . . وجّعتوا لي راسي .

هيام: عجبك . . خانم!! . . هيك أحسن؟

أم محمود: هلاّ شو إلت لكن ، إنت ويّاها ، وإنت كمان وداد تقبريني ، بدّي ياكن تعملوا لي همّة على هالبيت ، فوآني تحتاني .

الجميع: ليش شبُه البيت؟! ما أحلاه . . دئي لـه بيرؤص . . مو عالعيد عزلنا ونفّضنا وغسلنا . .

أم محمود: لك بنتي عنّا لازمة . . الناس لحا تْدوس بساطنا . . وانتو تلت صبايا بالبيت ، مو حلوة الناس تجيب معدلنا بشي . . بعدين ، يعني ضروري يكون عنا لازمة لحتى نعمل تنفيضة للبيت . . لك بنتي غسّلي وشّك ما بتعرفي مين بيبوسه . . ونضّفي بيتك ما بتعرفي مين بيدوسه .

الجميع: أي والله . . يسلم هالتمّ .

وداد: لعند عشيّة إن شا الله لحا تلائي البيت عم يآضي مآضاه ويلالي ملالاه[٣] .

الهوامش والحواشي:

١– أرض الديار: باحتها. هلاّ: الآن. إلت: قلت. لحالي: لنفسي. ألأعدة: القعدة، مكان الجلوس. أبل: قبل. اتْرَكّي: اتكئي. تتخصور: تضع كلتا كفيّها على خصرها، على سبيل الاستهجان والاستنكار. محوراًة: محورقة: كناية عن الخبث، البهللة: التملّق. حلّي عن يائتها: ياقتها: دعيها وشأنها. مدهلزة: لا تعدم حيلة للوصول إلى مبتغاها. وُلي: ندبة. مكولكة: تتدخل في ما يعنيها. انتوا: أنتما. التنتين: الاثنتين. صدّ وردّ: القيل والقال بلا طائل. زوزك: زوجك. دير آنون: دير قانون، من بلدات ريف دمشق. سبع البرمبو: تعبير يطلق للخائب على سبيل التحقير. لسّاته: ألا يزال.

٢– اليومة: اليوم. القشطاية: رغوة البّن المغلي. وشّها: وجهها. ما يدوّئك: لا يُسلّطك. هاتي إيدك: كناية عن الرغبة في تقبيل اليد احتراماً. فوء ما: فوق. . زيادة. سكّرت تميّ: أغلقت فمي، كناية عن التوقف عن الكلام. همهومة: اسم دلع هيام. آبل الشحّادة وبنتها: كناية عن الاستيقاظ باكراً، على عادة المتسوّلين.

٣ – بدّي: أرغب. السوء: السوق. سُلُك: لفحة غطاء للرأس. كَمَرْ: نطاق. شوية: بعض. ايمتى: متى. لحا: سوف. أوام: بسرعة. كمان: أيضاً. زوئي: ذوقي. النائردي: المشاحنة. ما أصدي: لا أقصد. امبلى: بلى. مو: ليس. أضافيرها: أظافرها. يُو: هنا للتحقير. السفّاءة: الصفاقة المصيبة بمكروه. ما بآ: لم يبق. هيك لكان: هكذا إذن. بيدوب الثلج. . يذوب الثلج، والمقولة يرادُ بها: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً. فوآني: فوقاني، علوي. تحتاني: الطابق السفلي. شُبُه: ما به، دئي: اعزفي، دقّي. بيرؤص: يرقص لازمة: مناسبة للزيارة. لحا تدوس بساطنا: تزورنا. تنفيضة: تعزيل، تنظيف، وشّك: وجهك. يآضي مآضاه: المقولة هنا كناية عن النظافة والترتيب البالغَين.

خامساً:

١ ـ عند الحمصاني.

٢ ـ موكل مين صفّ الصواني.. قال أنا حلواني.

٣ ـ لسان حلو. وإيد سخّية.

١ ـ عند الحمصاني:

كان أبو محمود شديد الحرص، في تلبية رغبات ومتطلبات زبنه، من الحمّص المدقوق مع الطحينة (المسبّحة) والتساقي بالحمص والزيت أو مع الحمض والطحينة.. كنت تعجب من رشاقة يده، وهو يخرج الفول من القدر، ويَسكُبُه في وعاء الزبون. والأمر أكثر دهشة، سحبه للحمّص المسلوق من الحلّة بالكفكير. ورشق ذلك الحمص فوق وعاء الخبز المفتوت والمبلل بمرق الحمصّ، فيخلطه ويسوّيه، ثم يفرش الطبقة الثانية من ذلك الحمص يجلّل به ذلك الخليط، حتى لكأن كل حمّصة قد نضدّت مع الأخريات تنضيداً محكماً.. ومن ثم يضيف الزيت المفقوس بالقلي.

وهو في كل ما يُعدُّ، يضيف إلى ما يحتاج إليه الطلب من حمض أو زيت وبقدونس أو كموّن وتوم ومخللاّت. بكل سماحة ونفس رضية. فضلاً عن بشاشة الملقى، والصدر الرحب، وابتسامة الرضى التي ينطبع بها محيّاه ويلقى بها زبنه!!. فهو قنوع كل القناعة، وتكفيه البركة ربحاً، في سبيل كسب رضى زبنه، بما يقدم لهم من مآكل الفول المدمّس، وبما يقدم لهم من الحمّص المدقوق بالطحينة (المسبحة) والحمض والزيت أو السمنة، وبما يعدّه من أنواع فتّات الحمّص (التساقي) بالزيت أو بالحمّص المدقوق بالطحينة المكسور (المميّع) بالحمض (البدوة) للتسقية بالبدوة والسمنة.

٢ ـ موكل من صفّ الصواني.. قال أنا حلواني:

وهو في هذا كلّه، كنت تراه كاللّولب، يتقدم ويتأخر وينحني ويعتدل ويميل يمنة أو يسرة وراء منصّته، بلا كلل أو تبرّم، ويقدم لكل زبون طلبه من أنواع الفول والحمص، ويُعطي كل طلب ما ينبغي من حمض وملح وثوم وزيت

أو سمن ، بلا زيادة أو نقصان ، حتى لكأن يده ميزان أو أنها مزوّدة بلسان يتذوق ما يقدمه لزبنه . . وما هي إلاّ لحظات ، إلاّ والطلب في متناول الزبون . مزيّن بما يسيل اللعاب ويؤجّج الرّغبة في الأكل . فالمعلّمية لها حق ، وليس لكلّ من صف الصواني ، أن يقول أنا حلواني . .

وإذا كان لك ، أن تقف إلى جانب أبي محمود ، وهو وراء منصته ، يُعدّ طلبات زُبُنه ، تَحار أمام تلك الأواني المصفوفة أمامه ، والمملوءة بما تتطّلبه ماكل الحمص والفول المدمس والتساقي . فهذه الآنية للكمّون ، وهذه للحمض ، وهذه للفليفلة الحمراءالمطحونة ، وتلك للملح ، ثم أخرى للثوم المدقوق المميّع بالماء وإلى جانبها آنية (القلّي) المذاب بالماء لزوم فقس زيت الزيتون إلى سائل كيموسي أبيض ، من أجل عمل التساقي بالحمّص والزيت . . فضلاً عن إبريق الطحينة وإبريق الزيت . . وأبو محمود في هذا كلّه يعمل بكل أناة وذوق ، ولسانه لا يكاد يفتر في حَلْقِه عن طليّ الحديث وأنسه مع كل زبون . والاستجابة لـه بكل ما يرضيه ويطيّب خاطره ، بما يُزيده على الطلب ، من حمّص أو فول ، على شكل بحبوحة سماح . .

في الصباح الباكر ، يتزاحم زُبُن أبي محمود أمام دكانه . . صغاراً وكباراً . . كلٌّ يريد أن يأخذ دوراً للحصول على مبتغاه من مآكل الفول المدمّس والحّمص المسلوق بالطحينة (المسبّحة) أو فتّات الحمّص بالزيت أو السمنة . . فهذا يحمل طشتاً به قطع من الخبز مغروساً فيها كأس شاي مملوءاً بزيت الزيتون ، يريد تسقيّة بالزيت ، وآخر يريد التسقيّة بالسمنة مع الحمّص المدقوق بالطحينة ، غبّ تمييعه بالحمض (البدوة) . . وثمّة فتى بيده صحن ، وبيده الأخرى كأس شاي مملوء بالطحينة يريد أن يملأ لـه أبو محمود الصحن بالمسبّحة ، بعد دق الحمّص بما أحضرَه من الطحينة . . وكلٌ منهم ينادي أبا محمود ، عساه يلحظه ويأخذ الصحن أو الطشت من يده ليحصل على مبتغاه . .

٣ ـ لسان حلو. ويد سخيّة...

وأبو محمود في هذا كلّه مُنْصَرف الانصراف كلّه، عن تلك الضوضاء، فلا تتغيّر وتيرة يداه في تلبية كل طلب، حسب رغبة صاحبه، وذوقه، ولسانه لا يفتر عن مسايرة وملاطفة زُبنه، مع شيء من الدُّعابة المحبّبة المهضومة، فهذا يقول له: على عيني، وآخر: على رأسي.. وتكرم.. وإن لجّ عليه أحدهم يطلب إليه التريُّث بعض الوقت قائلاً:

بدّك تصلّي عالنبي (صلى الله عليه وسلم).. خير الله كثير، ويلّلي بيصبر بياكل طيب.

ويُلِّح على أبي محمود فتى صغيراً يحمل (طشتاً) مملوءاً بِفُتَات الخبز، في وسطها كأس مملوء بالزيت.

الفتى: الله يخلّيك عمي أبو محمود، تأخرت.

أبو محمود: أي مو تكرم.. ابن مين أنت؟

الفتى: أنا ابن أبو حسن التنّوري عمي..

أبو محمود: أبو حسن التنوّري ما غيره؟ أي والله والسبع تنعام.. هات لشوف.. شو تسقية بزيت؟.

الفتى: أي عمي أبو محمود تسقية بزيت، وبيسلّم عليك أبي وآل إذا ما فئسوا الزيتات، حِطّ من عندك زيت بدالهن.. وأبي بيحاسبك..

أبو محمود: يعني شلون ما بدهن يفئسوا.. أنا أبو محمود ما في شي عندي ما بيفئس.. وهه.. شوف.. شوف.

فيضيف أبو محمود بعضاً من محلول (القلي) بالماء إلى الزيت ويشرّع المزيج فيسكبه في الطاسة من أعلى ثم يتابع قوله:

أبو محمود: اي والله عند بيّاع الحليب، ما في متل ها لمأكل . .

ويعاود أبو محمود تشريع الفقسة ثانية وثالثة، ثم يعمد إلى إضافة مرق الحمّص المسلوق إلى الخبز المفتوت بالطشت، ويضيف إليه كميّة من الحمّص المسلوق مع بعض الملح . . وبعد أن يخلط ما في الطشت، يصفّي ما فاض من المرق، عن حاجة الخبز، ويسوّي وضع الخليط في الطشت . ثم يفرش على السطح الحمص . ويشرّع الفقسة مرّة أو مرتين . ثم يسقّي بها الفتّة . ويسأل الفتى:

أبو محمود: بدك كمّون عمي؟ .

الفتى: اي عمي .

الفتى: وهيّ التسقية بالزيت لها الشوارب، وهيّ كاسة الزيت تبعك، عبّيت لكّ ياها فقسة، منيح هيك . . خود عمي خود . . سلم . . إن شاء الله عوافي . . قول لأبوك سجلّ لك يا هن على لوح البوظ . .

الفتى: الله يسلم هالديات .

ثم يلتفت أبو محمود إلى زبنه، فيلحظ جاره أبو عزات . . فيبادره . .

أبو محمود: أهلين أبو العز، شو من أيمتى أنت هون . . والله ما انتبهت . . إإمور أخي أبو العز إإمور . أهلين بجار الخير والبركة .

أبو العزّ: لأ، معليش شوف الجماعة . . على مهل .

أبو محمود: أخي أبو العز . . ما في حدا غريب . . كل هالناس حبايب، بس إنت جاري والنبي (صلى الله عليه وسلم) وصّى لسابع حار مو هيك يا جماعة . سماح . .

الجميع: سماح أبو محمود سماح .

أبو العز: اي سيدي بدي تسقية ببدوة من تحت دياتك ، عندي ضيوف من برّات البلد ، وما بيعرفوها ، وحابب بيضّ وشي معهم .

أبو محمود: وشك أبيض جار ، وإلك مني نئف الدين تسقية ببدوة تخليهن ياكلوا أصابيعهم وراها .

أبو العز: الله يديمك .

أبو محمود: اي سيدي وين الواعة .

أبو العزّ: ما لي جايب معي شي . . حط من عندك ، بس السمنات من البيت

ويسارع أبو محمود بتناول طشتاً من على الرف ، فيشطفه ويضع فيه الخبز المفتوت ، ويشرع بدقّ الحمّص والطحينة بالمدقة الخشبية ويدعك المزيج ، ويكسره بالحمض بحيث يجعله كثيف القوام ، وبعد أن يضيف إليه بعض الملح ، تكون البدوة جاهزة .

فيضيف إلى الخبز المفتوت الحمص والمرق وبعض البدوة ، فيخلطها ويسوّي سطحها ثم يجلّل ذلك السطح ، بطبقة من الحمّص المسلوق . ومن ثمّ يغطّي كامل ما بالطشت بالبدوة ، وبعد أن يزينها بمسحوق الفليفلة الحمراء وبعض حبّات الفول المدمس ، يناولها لأبي العز .

أبو محمود: إن شاء الله صحتين وهنا .

أبو العز: إمور جار ، شو طلع لك معنا .

أبو محمود: كمان بدنا مصاري .

أبو العز: خيرك سابق أخي أبو محمود ، بس هون باب رزق ، وصاحب مخسّر عدوّ مبين .

أبو محمود: واحد أخي أبو العز . . واحد . .

أبو العزّ:يعني ما بدك ياني عيدها.

أبو محمود: استغفر الله يا رجل، شو ها لحكي، المحل محلّك.

أبو العزّ: بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، شو أمرت أخي أبو محمود.

أبو محمود: اللهم صلّ على النبي (صلى الله عليه وسلم)، لك أخي ما لها فارقة من الجيب للعبّ. . الله والبركة.

وما كاد أبو محمود يُرتب المنصة التي أمامه، ويزيل ما عليها من بقايا التسقية بالبدوة، حتى يمد لـه أحد الزبائن طشتاً.

الزبون: الله يطعمك زيارة النبي (صلى الله عليه وسلم)، انا مستعجل.

أبو محمود: روحي فدا النبي (صلى الله عليه وسلم)، إإمور.

الزبون: بدّي من تحت ديّاتك لئمة فول مدمّس.

أبو محمود: بتاكل هون، يمّا بدّك تاخدهن معك؟.

الزبون: لأ أخي أبو محمود، العيال عمّ يستنّوني.

أبو محمود: الله يسامحك ما تئول من أول!! الحاصل له. . بأدّيش بدّك. . ؟

الزبون: بشي تلت، أربع فرنكات. . هيك شي. .

أبو محمود: الزيت من عندي؟.

الزبون: لأ أخي أبو محمود. الزيت والحمض والثوم من البيت.

ويشرع أبو محمود باستخراج الفول من القدر بالكبجاية إلى الطشت وهو يعدّ:

الشماتة عالبيعة. وهيّ الرابعة بحب الله. . وهي كمان فوقهن حمض. .
وإن شاء الله مجاري الهنا. . . [(١)]

ويظل أبو محمود على هذه الحال مع زبنه حتى ينفد ما لديه من الفول المدمس والحمص المسلوق، ومن ثم يشرع بنقع الفول والحمّص لليوم التالي.

* * *

الهوامش والحواشي:

١- بدّك: يلزمك. الطشت: إناء واسع. السبع تنعام: مقولة شعبية، أرادوا بها في هذا السياق المديح. التسقية: فتات من الخبز، تُسقى بمرق الحمّص المسلوق الساخن مع كميّة من ذلك الحمّص. وقد تكون بزيت الزيتون أو بالسمن. آل: قال. شلون: كيف. يشرّع: يسكب في إناء آخر من أعلى. سجّل على لوح من بوظ: البوظ: ماء مجمّد، والمقولة هنا كناية عن المسامحة. من إيمتى: منذ متى. معليش: لا بأس. من برّات البلد: غرباء عن البلد. وشّي: وجهي. وبيضّ وجهه: جعله يفاخر. نئف: نقف، وتقف الدين: شي ناهي، يأكلوا أصابيعهم: كناية عن لذة المذاق. الواعة: الوعاء. كمان: أيضاً. يمّا: وإمّا. الكبجاية: المغرفة.

سادساً:

١ ـ قوم تعاونوا ما غلبوا.

٢ ـ انتلت الخواصر.. وارتخت المفاصل.

٣ ـ يا بيتي.. يا بويتاتي.

٤ ـ مكاشفات.

٥ ـ التآم الشمل.

٦ ـ يا رايح عالجبل.. جيب لك حجر.

٧ ـ اليوم الطويل.

٨ ـ شام شريف.

٩ ـ مواكب الحج الشامي.

١ ـ قوم تعاونوا.. ما غلبوا..

ما إن غادرت أمّ محمود الدار لشراء بعض احتياجات الحج لزوجها. . حتى كان الباب يطرق، حسبت وداد، أنّ أمها قد نسيت شيئاً، وقد عادت لتأخذه، لكن طرقات الباب لم تكن كتلك الطرقات التي اعتادوا سماعها من أم محمود. فهذه الطرقات وئيدة، وطرقات أم محمود منترزة.

كان بالباب أجير الدكان، يحمل طشتاً من الفول المدمّس بالحمض والثوم والزيت والبندورة والبقدونس المفروم، مع بضعة أرغفة من الخبز التنوري المشروح المقمّر، لتناول الفطور. . سُرّت وداد من استفقادة أبيها، لما في ذلك من توفير للوقت في إعداد طعام الفطور. . لأنّ عملية تعزيل البيت وتنظيفه بما في ذلك غرفة الضيوف وأرض الديار، تحتاج إلى وقت وهزّ كتاف، كما يقولون. . وهنّ يرغبن إنجاز ذلك قبل عودة أم محمود من السوق. . تناولن لقيمات على عجل بما يُقيم أودهِنّ. فالفول المدمس، في اعتقاد الناس يبعث في الجسم طاقة متجدّدة، فهو مسامير الركب كما يقولون، لأنّه يشدّ الجسم ويجعله أكثر لياقة في التعاطي مع الجهد.

سارعت وداد وزوجتي أخويها إلى توازع العمل، أخذت إسعاف على عاتقها تنظيف البلور والأبواب، وتناولت هيام، ما خصّ بغرفة الضيوف، من مسح وكنس وتنظيف وترتيب، وانفردت وداد بغرفة أبويها والمشرقة التي عندها، بما فيها من زريعة، وحتى الدرج المؤدي إلى أرض الديار. وتعاون الجميع على أعمال أرض الديار من سقي للزريعة ورشّها بالماء وتنظيف البحرة ومن ثم شطف أرض الديار وتنشيفها، وترتيب الكراسي حول البحرة، ووضع الزرايع على حافّتها. . .

ما كدن ينتهين من ذلك، حتّى كانت طرقات أم محمود بجرسها الخاصّ تصافح أسماعهم مع صوت الله أكبر للعصر. تنفّسن الصعداء، وصاحت وداد جزلة:

وداد: هي أمي!!.

إسعاف: يا الله شو بنت حلال.

هيام: اي والله.

سارعت وداد، لفتح الباب، وتسابقت لاستقبالها إسعاف وهيام، تناولت هيام من حماتها بقجة كانت تحملها، وعمدت وداد إلى مسك يد أمّها وهي تدخل إلى الدار. في حين كانت إسعاف تجلب لها كرسياً لتجلس عليه قرب البحرة. فأخذت وداد من على رأس أمها فجّة ملائتها وشرعت تهوّي لها بالمروحة، ريثما تستردّ أنفاسها، وترتاح بعض الشيء..

كانت أمّ محمود منهكة القوى، بعد نهار طويل من الجهد، وما أن ارتد إليها نفسها، وجالت بنظرها في أرجاء البيت.. بدت على أساريرها علامات الارتياح، حتى قالت:

أم محمود: الله يرضى عليكم.. الله يكلّلكم بآيات الرضى وتسلم دياتكم!!.

ولما حاولت وداد أن تعرف من أمها ما إذا كان قد أعجبها وضع البيت. سارعت أم محمود إلى القول:

-الله يسلم ديّاتكم، كلّ هالشيّ وما بدّه يعجبني، لك الله يشدّكم بتوب العافية. صحيح مثل ما قالوا:

«قوم تعاونوا.. ما غِلُبوا.»

الجميع: الله يخلّي لنا ياكي.. بس إنتي ارضي علينا.

وداد: ايْ أمّي . . طولت ماهيك؟ . . انشغل بالنا عليك .

أم محمود: أي والله . . إلت لحالي خليّكنّ على راحتكنّ .

إسعاف: بتصدئي مرت عمّي . . ما منعرف شلون هيك الله يسرّها . . وما حسيّنا بالتعب .

هيام: اي والله يا مرت عمي . . الشغلة صارت مثل الصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وسلم) . . وما حسّينا بالتّعب .

أم محمود:لك بنتي الصبيّة إذا آلت أنا جوعانة صدّقوها . . وإذا آلت أنا تعبانة ، بتكون عم بتدلّع . لا تصدقوها .

وداد: إن شاء الله اشتريت الغراض لأبي .

أم محمود: أي والله . . والحمد لله ألله يسّرها .

السلفتان: إن شاء الله عقبال ما تشتري غراض حِجّك .

وداد: لكان لأقوم حط الغدا .

أم محمود: ليش ما تغديتوا لهلأ؟! .

السلفتان: لآ . . عمي بعت لنا صفيحة وقلنا لحالنا ، منكمّل شغلنا ، عم بين ما تجي مرت عمي ومنتغدّى سوا .

أم محمود: كلوا انتو ، أنا تغديت عند أختي أم ياسين .

وداد: لأ إمي ، مو حلوة ، منشان نسوان إخواتي . . بعدين بيزعلوا .

إسعاف: الله يخلّيك مرت عمي ، نحنا عم نستنّى لناكل سوا .

هيام: أي مرت عمي الله يخليّك منئبل سوا ، الصفيحة لسّاتها سخنة .

وداد: أمي . . أبي لِمَن عرف إنه عمّا نعزّل ، آم وصّى لنا عالصفيحة ، وبعت لنا ياها لنتغدّى سوا . وما بدّك تدوئيها .

أم محمود: الله يعوض عليه . . طول عمره ألبه علينا .

ثم التفت إلى ابنتها وداد ، وطلبت إليها أن تحضر لها سجادة الصلاة ، لأداء فريضة العصر ، على اعتبار أنّها لا تزال تحتفظ بوضوئها ، من حين كانت عند أختها أم ياسين .

واغتنمت السلفتان هذه الفرصة وسارعتا إلى إعداد السلطة ، وانفردت وداد ، بعد أن أعدت لأمها مكان الصلاة ، إلى مدّ السفرة بالليوان ، ووضع إبريق الشاي على النار . فالصفيحة سهلة التناول ، ولا تحتاج مائدتها كركبة من صحون وملاعق وما شابه . . وهي أكلة هنيّة تفتح القابلية ، وبخاصة إذا كان الذين يتناولونها في حال من الوفاق والمحبة والإيثار ، حتى ولو كان منهم من لم يمض على تناوله الطعام فترة من الزمان . . فاليدين في مثل هذه الحال مفاتيح الفم . . وعيار الشبعان أربعين لقمة كما يقولون ، وإن شاء الله مجاري الصحة والهناء . ومطرح ما يسري يمري ، ومطرح ما يؤسس يبني!! . . (1)

٢ ـ انتلت الخواصر.. وارتخت المفاصل:

صحيح إنّ الصفيحة أكلّة مليّئة ، ولا تقاوم . . فإنّ المرء إذا تناولها ، بعد نهار طويل من الجهد ، وعلى حالة من المعدة الخاوية ، بل ومع مجموعة من الصحب والأحبّة . . فإنّه يكاد لا يشعر ، بل لا يعير انتباهاً لما أكل . لكنّه لا يلبث أن يشعر بالميل . . إلى التكاسل والارتخاء ، وعدم الرغبة في الإتيان بأي عمل ، أو بذل أي جهد . .

والأمر نفسه حصل لأمّ محمود وابنتها وكنّتيها ، فهذه الجمعة على المحبّة والتوادّ جعلتهنّ لا يشعرن بل لا ينتبهن لما أكلن ، فما هي إلاّ لحظات . . ولم يبق من الصفيحة التي أمامهن المخبّر . . حتى السلطة . . لم يبق لها أثر . .

وما إن فرغن من طعامهن واحتسين الشاي، إلاّ والارتخاء والتكاسل أخذ يتسلل إلى أجسامهن، حتى لكأنّهن في حالة من الخدر، وصارت الواحدة منهن، تتمنى لو كان هناك، من يقوم برفع المائدة من أمامهنّ.. فالخواصر كانت قد امتلأت، والمفاصل قد تراخت. ولم يُسعفهنّ من هذه الحال، إلاّ أوبة أبي محمود فكان أن تسارعن للترحيب به، وأخذ ما حمل من السوق من حاجيات[٢].

٣ ـ يا بيتي يا بويتاتي:

كانت أم محمود قد صعدت إلى غرفتها قبل أوبة زوجها، وكالعادة كان لابُدّ لها من أن تستفقد زريعتها في المشرقة، تحنو عليها ببعضٍ من لمساتها، تنزع ما اصفر أو ذبل من أوراقها وتقوّم ما اعوّج من سوقها، وتلملم ما تساقط من أزهار الياسمين تشمّها وتضمّها، ومن ثم تضعها برفق في صحن على طربيزة بجوار مجلس زوجها، في هذه المشرقة، توارد إلى ذاكرتها ما عانته في هذا اليوم في السوق، وهي تشتري أغراض الحج لزوجها.. فتنفست الصعداء، وأخذت تتأمل في أركان البيت، وتستذكر كل ركن منه، فتحمد الله الذي أنعم عليهم به، ولسان حالها يقول:

البيت نعمة من رب العالمين، وما في أحلى منه، وبيت الواحدة أستر لها وأرْيح. الله يرحم أهل أول لمَّنْ قالوا:

يا بيتـي يا بويتـاتي	يا مسترّ لي عويباتي.
فيك بنام وفيك بقوم	وفيك بأضّي حياتي

٤ ـ مكاشفات:

لم يُخرِج أم محمود، من هذه الحال، إلاّ ما أحدثته عودة أبي محمود من

جلبة؛ ومسارعة وداد لاستقباله، وتسابق إسعاف وهيام، إلى لقائه وتقبيل يده، وتناول ما حمل إليهم، في صِّرة محرمته من فواكه ومآكل.

فلّما علم بوجود زوجه بالمشرقة، طلب إلى ابنته وداد غسل بعض العنب والخيار، ومطالعتهم إلى المشرقة.

أصلحت أم محمود من بعض شأنها، وتوجهت إلى الدرج لملاقاة زوجها لكنّه كان قد صعد إلى المشرقة، فلاقته بإشراقة وهي تقول: الله يعطيك العافية، ومن ثم تسارع إلى الغرفة تناوله كلابيّته وتنثر عليه بعض العطر وتضّمخ طاقيته أيضاً، ببعض ذلك العطر. فقابلها بمسحة حنوّة على رأسها وبإيماءة باسمة، تغني عن كثير من عبارات الشكر والامتنان.

كانت لفتة أم محمود العاطرة، مبعث شعور بالمحبّة والوفاء، مسح عن أبي محمود الجهد والعناء والتعب طوال يومه، وقد عبّرت إيماءة أبي محمود لزوجه، عن مصداقيّة حبّه وإكباره لها.

لم يكن من عادة أبي محمود، أن يشغل بال أسرته بهموم الشغل، سواء مع زبنه أو مع كل ما يواجههُ طوال يومه، لكنه في هذا اليوم كانت ترتسم على وجهه إمارات تنطق بما واجه أبو محمود من أمور، يكاد يندى بها لسانه. وقد لحظت زوجه ذلك على وجهه، فكان لابدّ من البوح بما أمكن، عسى يخفّف عنه من عبئها. فلم يكد يستريح على الأريكة التي بالمشرقة، حتّى بادرته زوجه بالسؤال وهي تقدم لـه خصلة من العنب:

أم محمود: الله يعطيك العافية، تعبت اليومة مو هيك!!..

أبو محمود: شو بدّه يساوي الواحد.. الضروري ضروري، والواجب واجب.

أم محمود: ما إلت لي ابن عمي.. لوين رحت اليوم.

أبو محمود: والله يا بنت الحلال أضيت مشاوير كتيرة، رحت لعند أخوالي كلهم، وربك حميد لقيت ولاد عمي فؤاد معزومين عند ابن عمي تحسين عالغدا، قمت تغدّيت معهن وودّعتهم. بس هالنسوان، إلهن كل نهفة، إلها أول وما إلها آخر، وما بتنزل لا بميزان ولا بقبّان.

قصّ أبو محمود على زوجه، كيف أن ابنة خالته فاطمة طلبت منه أن يكوّم لها في عرفات بعض الرمل، وهو يقول: يا صاحبين الكوم تعوا لهون.

عسى أن يكتب لها رب العالمين أداء فريضة الحج فتلبّي ذلك النداء. . . كما قصّ لها، طلب أختها أم ياسين بحمل كمية من القمح إلى طيور المسجد النبوي. لكنّ الذي لم يدركه، وزاد في الطنبور نغماً، طلب خالته فهميّة بأن يأخذ لها معه دبيّة ماورد.

أم محمود: يُه. ولايش الماورد؟!. .

أبو محمود: آل شو!!. . هيك كانوا أهل أوّل. كانوا ياخدو الماورد من المزّة، ويبعتوه مع المحمل الشامي لتعطير الكعبة ومسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة.

أم محمود: أي والله يا ابن عمي، هيك بيئولوا، وكمان كانت كفرسوسة تبعث لهم الزيت، وأكابر الشام كانوا يبعتوا الشمع ملفوف بالكشمير لحتّى ينوّروا الكعبة ومسجد النبي (صلى الله عليه وسلم). حتى الملبس والسكاكر ما كانوا ينسوا يبعتوها، لحتى يعايدوا الناس بالعيد. .

أبو محمود: كلّ هالشي على عيني وراسي، وما حدا ما بيعرفه، بس يا بنت الحلال، زمان أوّل تحوّل، هلاّ بها الأيام صار في حكومة هنيك هيّة عمّ تئوم بها الشي وأوزود. وهيّة عم تعطّر الكعبة ومسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) بالعنبر كمان. .[٣]

٥ ـ التئام الشمل:

قطع صعود وداد إلى المشرقة الحديث بين أبويها، كانت محرجة في ذلك. فزوجتا أخويها أصرّتا على صعودها، واقتحام مجلس أبويها ومع ذلك فهي لم تجرؤ على البوح بما صعدت من أجله. . اقتربت من أذن أمها هامسة، عن رغبة زوجتي أخويها في شرب الشاي مع عمّهما، إذا لم يكن هناك ثمّة مانع. انتفضت أمّ محمود، من كلام ابنتها، مستنكرة مشاعر كنّتيها هذه، وقالت بملء فيها:

لك بنتي، شو هالحكي؟ ومن إيمتى كنا. . هدول بناتنا، والله يشهد عليّ سبر كلّ وحده منهن بسبرك. . برضاي عليك، نادي لهن. أوام.

صعدت سعاد بكاسات الشاي والسكر، وتبعتها هيام بالإبريق فابتدرتهما أم محمود عاتبة.

أم محمود: لك بنتي، من إيمتي كنا عاملين عليكنّ حارس وبواب؟!. . عالحساب نحنا أهل، يمّا محسبّين حالكن إنّكن غربا. . بزعل منكن والله. . وانتوا بتعرفوا أدّيش أنا وعمكمّ منحبّكن!.

هيام: أي مرت عمي، أي منعرف، بس إلنا لحالنا بركي عم تحكي شي انت وعمّي.

إسعاف: وإلنا لحالنا يا ريت نئدر نئعد مع عمّي شوي، من غير شَرّ أبل ما يسافر ويوحشنا.

هيام: الله يردّ لنا ياك يا عمي بالسلامة(٤).

٦ ـ يا رايح عالجبل.. هات لك حجر:

لم تُجد محاولات كنتيّ أبو محمود، في إخفاء بغيتهما من تناول الشاي

مع عمهما، فكلّ إنسان شيطانه تحت باطه، لكنّ مثل هذه الأمور، لم تكن خافية على سيدة مثل أم محمود، فقد مرّ على رأس أم محمود الكثير من أمثال هذه المواقف. فمن أول لحظة أدركت بوجود شيء مّا وراء ذلك. . كان في فم كلّ من كنّتيها كلام، وكانت حركاتهما ونظراتهما إلى بعض، توحيان بذلك، فأومأت إلى ابنتها وداد، بأن تُعطي كف مغيب، كي لا تحرجهما مما هما من ارتباك، ثم التفتت إلى كنتيها متسائلة:

أم محمود: شوما بدكنّ توصّوا عمكنّ يجيب لكنّ شي من الحج؟! يمّا تاركينه على ذووؤه؟.

الكنّتان: لا والله يا مرت عمي، ما بدنا غير سلامته، الله يردّ لنّا ياه بالسلامة، ويديمك انت ويّاه فوء راسنا.

أم محمود: أي لآ يُه، بيصير!!. والله انتوا بتستاهلوا، وما عنده عمكنّ أغلى منكّن. . يمّا بدكنّ يانا يئولوا عنا: يا جاية بلا هديّة. . . بالله مو هيك أبو محمود. .

أبو محمود: لكان. . لكان. . لك انتوا بنات الغوالي، بسّ اطلبوا وتمنّوا. . وما في شي بيغلى عليكن، ولو كان هاون الهند، وبساط السند.

هيام: صعي عمي!!. .

إسعاف: انت التانية شو صعي معي، ما بدّنا نعرف شو إصّة هالهاون والبساط.

هيام: اي اي مرت عمي شو اصتهنّ؟

أم محمود: لك بنتي لا حكاية ولا إصّة، عمكن عم يمزح، وهالهاون والبساط بيحكوا عنهن بحكاية عرء المراسي، لمّن الملك حب يروح عالحج، آمت بنت من بناته طلبت منه يجيب لها هالهاون اللّي إذا دقّت عليه بالهند بيسمع

بالسند. وطلبت منّه بنته التانية يجيب لها بساط السند يلّلي إذا فرده، بيسع الملك وجيشه، وإذا طواه بيسعه قمع قلب حبة الفستق.. بآ شو أولكن؟

الكنّتان: لآ.. يُه.. كش برّ وبعيد.. كش برّه وبعيد.. خلّي جلودنا علينا... أستر..(٥)

٧ ـ اليوم الطويل:

كان اليوم الذي سبق سفر أبو محمود، لأداء فريضة الحج يوماً ثقيلاً على الأسرة. فقد كانت أم محمود تحسب لهذا اليوم ألف حساب، وتحرص كل الحرص في أن يكون بيتها، وهي ست البيت، في أكمل وجه. وأي هفوة أو تقصير يسيء بمعدّل الأسرة، ويخدش من مكانتها بين المعارف، ويجعل منها مضغة على كلّ لسان.

فضيوف هذا المساء من محبيّ أبي محمود، من صحبة المسجد والسوق والجيران. ومنهم من كانت زيارته الأولى لهم، وهذا أمر جدير بالاعتبار.. فمنذ الصباح الباكر، دبّت الحركة في أركان وأوصال البيت، بدأً من المطبخ فأرض الديار.. وانتهاء بالبراني، وإذا كان يوم أمس يوم نظافة للبيت، فإن هذا اليوم كان من شأنه الاهتمام بترتيب كلّ شيء، وإعداد ما يلزم للضيوف..

وهكذا كان لابدّ من إعداد القهوة المرّة (العربية) ومصابّها وفناجينها، وكذلك سماور الشاي وإبريق الخمير والكاسات.. وكذلك غلي الحليب بالسحلب وتوفير الكعك اللازم لذلك، وأم محمود في هذا كله كالديدبان، لا تغفل عن شاردة أو واردة، ولا كبيرة أو صغيرة.. حتى ملابس أبي محمود.

كان طابع هذا اللقاء روحانياً، بدأ بتلاوة مدارسة للقرآن الكريم، ختمها إمام المسجد بخواتيم سورة البقرة والدعاء لأبي محمود بالتوفيق وسلامة العودة، وأن يبارك الله له في حجّه، ويجعله مبروراً.

كما تطرق الحديث إلى ما كان يعانيه الحاج من وعثاء وعَنَتْ، وما كان يتعرض لـه من تعديات الطبيعة والإنسان. . ودور سكة القطار التي وصلت بين دمشق والمدينة المنورة من التخفيف على الحاج من هذه المعاناة.

٨ ـ شام شريف:

تداعت إلى الذاكرة ما كانت عليه دمشق، يوم كانت تلتقي فيها وفود الحجيج من بلاد الترك والعجم والأناضول والبلقان، فضلاً عن حجيج الشام وحلب والجزيرة. . للانطلاق مع قافلة الحج الشامي. . كانت دمشق أشبه بخليّة نحل تعمل فيها طوائف الحرفيين ليل نهار من أجل تحضير متطلبّات هؤلاء القادمين، من مأكل ومشرب وإقامة. . . بانتظار انطلاق القافلة.

وقد أطلق هؤلاء القادمين من أقاصي البلاد على دمشق اسم شام شريف لما كانت توفّره لهم، من أمن وأمان، ويسر تناول للمتطلبات، فضلاً عن مواكبتهم لقافلة الحج إلى الحجاز، والسير في ركابها إلى الحرمين الشريفين.

وتواردت إلى خواطر المودّعين لأبي محمود في هذه الليلة، ما كانت عليه دمشق من احتفالات، ومواكب. سبقت انطلاق القافلة، بدأً من نصب السنجق تحت قبّة النسر بالجامع الأموي، للإعلام بانطلاق القافلة في ذلك العام. . ثمّ ما تَبِعَ ذلك من استعدادات تطلبتها القافلة، شملت الجمال والخيول والطعام، وإعداد الجند المرافقين للحماية والدفاع. .

وجهود البقسمادية والمحايريّة، في توفير طعام ومركوب الحجّاج، ومن ثَمّ استعدادت الخيّمية والمقوّمين والعكّامة والمهاترة والمشاعِلْجيّة والسقائين من أجل ضمان أكبر قدر من الراحة والاطمئنان للحجيج، في ذهابهم وإيابهم، وإقامتهم وترحالهم.

٩ ـ مواكب الحج الشامي:

كان أمتع ما تحدث به إمام الجامع، إلى ضيوف أبي محمود، ما كان من أمر الاحتفالات والمواكب، التي كانت تشهدها دمشق قبل انطلاق قافلة الحجّ. . ومنها الاحتفال الكبير، في ثاني أيام عيد الفطر، بنقل الزيت اللازم لإنارة الحرمين الشريفين، في ضروف من الجلد على ظهور الجمال، من كفرسوسة إلى السنجقدار عبر باب السريجة وباب الجابية، في موكب كبير، بمشاركة العلماء والمشايخ والكبارية والعراضات وألعاب السيف والترس.

وكذلك الاحتفال في اليوم الثالث من العيد، بنقل شمع الحرمين الشريفين ملفوفاً بالكشمير ومحمولاً على أكتاف الرجال، بعد أن يُعدّ على نفقة وجهاء دمشق.

والأمر نفسه في الاحتفال بنقل ماء الزهر والورد من المزّة «التي كانت تشتهر بوردها وأزاهيرها» لتعطير الحرمين الشريفين في احتفال لا يقل روعة عن الاحتفال بيوم الزيت.

وكان يوم خروج السنجق من القلعة، ويوم دورة المحمل والصنجق، حول سور مدينة دمشق، من الأيام المشهودة في دمشق، وبخاصّة يوم الدورة، ذلك أنّ دمشق كانت تخرج عن بكرة أبيها للمشاركة أو المشاهدة، كما وإنّ أهالي القرى المجاورة كانوا لا يحرمون أنفسهم من هذه المشاركة أو الفرجة. . يستوي من ذلك الرجال والشباب من سائر الشرائح الاجتماعية والأعمار، وكانت الأسطح والحارات تغصّ بالنساء من المتفرجات من جميع الأعمار أيضاً. . وأصحاب المحالّ يتسابقون بنثر ماء الزهر على الجماهير المشاركة وتحيّتهم بالتهليل والتكبير.

الهوامش والحواشي:

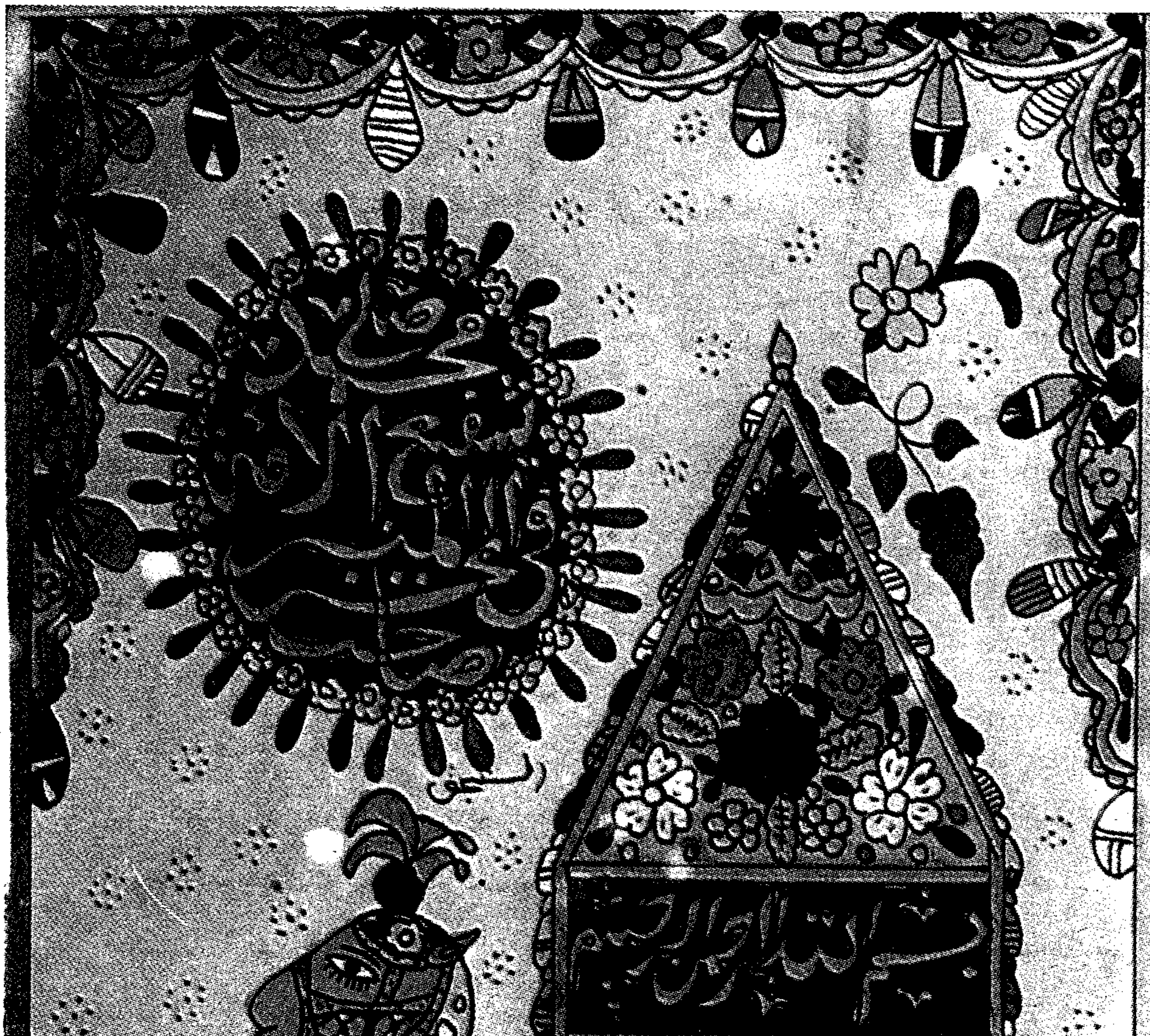
١- منئرزة: لها جَرْس خاص. هزّ كتاف: كناية عن الجهد الجهيد. بقجة: صرّة. فجّة ملائتها: غطاء رأس المرأة. بتصدئي: هل تصدّقين. إلت لحالي: قلت لنفسي. شلون: كيف. هيك: هكذا. الغراض: الأغراض، الحاجيات. الصفيحة: لحم مفروم مع التوابل والصنوبر واللبن ودبس الرّمان، يفرد على عجين ثم يخبز. سوا: معيّة. إنتو: أنتم. مو: ليست. منشان: كرمال. . منئبل: نكون أكثر شهية. لسّاتها: لا تزال، تدوئيها: تذوقينها، ألبه: قلبه. السفرة: المائدة، مكان الطعام، كركبة: حاجيات المائدة. مقولة مطرح ما يسري. . يراد بها هنيئاً مريئاً.

٢- لم يبق المخبّر: كناية عن نفاد الشي.

٣- المحرمة: قطعة قماش مربعة الشكل، يوضع فيها ما يشتريه المرء من السوق، قبل انتشار الأكياس المعروفة. خصلة: بضع حبّات من العنب. اليومة: هذا اليوم. موهيك: أليس كذلك. ما إلت: لم تقلِ. لوين: إلى أين. أضيت: قضيت. نهفة: سالفة. زاد في الطنبور نغماً: كناية عن الاستهجان. يبعتوه. يرسلونه. كمان: أيضاً. هلّا: الآن. هنيك: هناك. هيّة: هي. تئوم: تقوم. بها الشي: بهذا الشيء، الأمر.

٤- شوها الحكي: ما هذا الكلام، من إيمتى: منذ متي، هدول: هؤلاء، سبر: معزّة، مكانة. أوام: بسرعة. يمّا: أو، حالكن: أنفسكنّ. أديش: مقدار. بركي: ربما. نئدر: نقدر، نئعد: نقعد. شوي: قليلاً، أبل: قبل.

٥- كل إنسان شيطانه تحت باطه: كناية عن معرفة الإنسان لما يريد، تعطي كف مغيب: تخلي المكان وتفسح المجال للآخرين، شو ما بدكنّ: ألا تريدان. ذوؤه: ذوقه، لآ يُهْ: استنكارية، إنتوا: انتما. يما: أو، يئولوا: يقولون. موهيك: أليس كذلك. هاون الهند وبساط السند. انظر كتابنا حكايات دِمشقية ص(١١١). صعي: صحيح. إصّة: قصة. اللّي: التي. كش برّة وبعيد: كناية عن رجاء إبعاد الأذى. خلّي جلودنا علينا: مقولة تعني القناعة. أولكن: قولكنّ.



المحمل: رسم على الزجاج للرسام الشعبي أبو صبحي التيناوي

سابعاً:

١ ـ المرأة أيام زمان.

٢ ـ تسلاية النسوان.

٣ ـ مثل ماودّعتوا تلاقوا.

٤ ـ لا ناقد ولا منقود.

٥ ـ بال فاضي.. وعيش راضي.

٦ ـ عراضة النسوان.

٧ ـ الهدايا لمين.

٨ ـ في محطة الحجاز.

٩ ـ السهرة فين؟

١ ـ المرأة أيام زمان:

قبل أن تأخذ المرأة دورها في الحياة، وتضطلع بمهام وأعمال شاركت فيها الرجل، على كافة الأصعدة. كانت المرأة محكومة بتقاليد تجعلها حبيسة جدران المنزل، ولا حول لها ولا طول في أمور الحياة، الخارجة عن هذا النطاق. بل إنها في كثير من الحالات، كانت في صراع حول السيادة في هذا البيت، سواء مع أم زوجها (حماتها) أم بنات حميها، وسلايفها بل مع ضرّتها أيضاً، في أحيان كثيرة.. بدلالة ما صوّرته لنا الأمثال التي سارت في ذلك الحين، عن ذلك الصراع وسُبُل التعايش مع تلك الأجواء.

وإذا لم نكن في هذا البحث، بصدد بيان الحالة الثقافية، التي كانت عليها المرأة، ودورها الاقتصادي في بناء الأسرة آنئذ.. فإنّ من الممكن القول بأن المرأة في تلك الأيام، قد تعايشت مع ذلك الوضع وأطره الاجتماعية، وأوجدت لنفسها في ذلك المحيط، حالة من التعايش جعلت حياتها تضجّ بالحيوية، والصبا والأنوثة، والأمومة، بل والعواطف. وعلى ما كانت تواجهه من مُنَغِصّات.. فإنها أيضاً أخذت الجانب المشرق من الحياة تأسيّاً بالمثل القائل:

«الغَمّ بالدرهم، والفرح بالقنطار.. شو إلك من الدرهم، خود من القنطار»[1].

٢ ـ تسلاية النسوان:

كان لوداع جيران أبي محمود وصحبه، بمعيّة إمام المسجد، صدىً كبيراً عند جارات أم محمود. وقد جعلن منه أحدوثة صاغتها كلّ منهنّ على طريقتها،

وذهبن في ذلك مذاهب شتى . . على الرغم من أنّ ذلك الوداع ، لم يخرج عن نطاق ، مجلس للصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وختم للقرآن الكريم ، والدعاء لأبي محمود بحجّ مبرور وسعي مشكور ، وعَود بالسلامة .

فمن هذه الجارات من أفاضت في الحديث عن الضيافة ، وقيام ولدي أبي محمود بتقديمها ، ومنهنّ من انتقدت ذلك ، وقالت بأنّه لو قام بذلك قهوجي . لكان أرتب وأوجه . . ومنهنّ من تفرّدت بالذوق والترتيب والنظافة والأطافة الذي كان عليه البراني ، وملاءمته لمناسبة كهذه ، لاستقبال الضيوف .

وأخرى تناولت ما كان عليه أبو محمود ، من أكابرليّة وزهوّ ، بكلابيّته الحريرية البيضاء . والغضاضة البيضاء المسدلة من على كتفيه إلى صدره . . وإن أخذت عليه تصنّع الوقار . . وهكذا فقد تناولن كل صغيرة وكبيرة ، يمكن أن يقع عليها النظر . . حتى سماور الشاي . وطريقة تقديم الشاي والقهوة ، لم تسلم من حديثهن سلباً أو إيجاباً . .

كان ذلك في صباح اليوم التالي ، من لقاء أبي محمود بضيوفه ، ووداعهم له . من خلال اجتماعهن الصباحي الدوري ، الذي عقدنه ، ذلك الصباح عند أم أكرم ، فبعد تسقّط أخبار الجميع حاضرات وغائبات ، وتناول ذلك بالتفنيد والتأويل . . انصرفن إلى الحديث عن انطباعهنّ عن ما كانت عليه ليلة أمس عند أم محمود ، على نحو ما ذكرنا . (٢)

٣ ـ متل ما ودعتوا... تلاقوا:

كان اتفاق جارات أم محمود ، في تلك الصَبَاحِيّة عند أم أكرم ، بالإجماع . يقضي قيامهنّ بزيارة لأمّ محمود ، كانت البادرة من أم أكرم ، وقد تناولن الفكرة على النحو التالي:

أم أكرم: يا جماعة مو حلوة، أم محمود عزيزة علينا، خلّينا نعمل لها زيارة، منشرب عندها فنجان أهوة، ومنؤول لها، متل ما ودعتي تلائي، أحسن ما تعتب علينا.

سعاد: اي والله، بس مو نعملها هيك دِجنّي دجّتك العافية، لازم نبعت لها خبر. بركي المخلوءة، ما لها أدرانة، أو عندها حدا من أهليّة زوزها.

أم أكرم: إي لآ تشكلي آسي، هيّ اتركيها عليّ. أنا بربطها مع أم غسان، خليها تمرؤ على أم محمود، وتربطها معها.

ناجية: بسّ أنا بدكن تعذروني، هالمرّة.

أم أكرم: ليش بعدي.. مو أنت حبيبة ألبها لإمّ محمود!!..

ناجية: اي والله مالي عين، حطّ عيني بعينها، وأول لها متل ما ودعتي تلائي. وزوزي ما راح ودّع زوها، متل هالناس ما عملت.. بآ بالله، بتلاؤوها ظريفة، روحتي معكنّ؟!..

أم أكرم: شوفي ناجية خانم، إنت ست العارفين، إنّه زوزك ما راح ودّع زوز إم محمود، كان معه حُما، أمه كان ما عندها كيف، وما بِتِنْترك، عالحساب إنت بتفصّلي لبلد!!..

سعاد: اي والله ناجيّة ما فيها شي.. بتلائيها أم محمود منّك أد الدنية.

أم أكرم: شو إلتو يا جماعة؟. استبينا؟.

سعاد: بس ما بدنا نفوت لعند المخلوءة سرسبة، وكل واحدة لحالها. خلينا نفوت سوا، طجأة واحدة.

أم أكرم: اي والله، هيك أوجه(٣).

٤ ـ لا ناقد.. ولا منقود:

كان يوم وداع أخوة وأخوات أبي محمود، اليوم الذي سبق يوم سفره. وكان أمر الحفاوة بهم أقلّ عناء، فالبيت بيت أخيهم، ولا حاجة للظهور بمظهر الأبّهة والتفاخر، فهم أهل البيت، ويعرفون البير وغطاه.

لكن أم محمود حرصت، أن يكون ذلك اليوم، مناسبة للتأكيد، أمام أهل زوجها، بأنها سيدة البيت، وأن بيدها المبادرة والحل والربط.. وبخاصّة وأنّ زوجها على وفاق معها في ذلك.. رغبت أم محمود أن تقوم بواجب ضيوفها، وتعدّ لهم طعام الغداء من المشاوي أو الكبب أو المحاشي.. لكن أبو محمود آثر أنّ يكون طعام الغداء جاهزاً، ومن السوق.. حتى لا تنشغل أم محمود وابنتها وكنّتيها ذلك اليوم بالمطبخ.

ولئن كان الحبور بالتآم الشمل بادياً، فقد انعكس ذلك في التباسط ورفع الكلفة بين الجميع بلا ناقد أو منقود، حتى لكأنّ الوقت يهرب منهم، وما شعروا إلاّ والمساء قد حلّ.

٥ ـ بال فاضي.. وعيش راضي:

كانت اللحظة التي صعد فيها أبو محمود، إلى عربة القطار، مشبوبة بالأمل عند أبي محمود.. وما أن شرعت عجلات تلك العربة بالحركة، حتى شعرت أم محمود وكأن قلبها قد سقط من بين جنبيها، وكاد يغيب عنها مع طيّ تلك العجلات الأرض من تحتها. عاد الجميع من محطة الحجاز، وقلب أمّ محمود معلّق بتلك العجلات وعيناها تغصّ بدمعة حارة تكاد تحرق مآقيها، ولسانها لا يفتُر عن التوسّل والدعاء.. قضت أمّ محمود ليلتها ولم يغمض لها جفن ولم تعرف للنوم طعماً.. على حين استغرق الجميع بنوم عميق.

في الصباح كانت إسعاف على عادتها، بعد مضي زوجها إلى عمله،

تقوم بكنس وشطف أرض الديار وسقي الزريعة، وهي تدندن، ما يأتي على لسانها، وما يعنّ على بالها من أغاني. أمّا سلفتها هيام، فقد تفرّدت بالمطبخ، وما به من أمور، ومن ثمّ إعداد القهوة، وقد راق لها ما كانت تغنّيه سلفتها، فتجاوبت معها تغني:

- عاليادي اليادي.

- يا بو العبيديّا.

أحست بهما وداد، فابتدرتهما قائلة:

وداد: يا فتاح يا عليم.. يا فتاح يا عليم.. ويا رزّاق يا كريم إنت ويّاها..

السلفتان: صباح الخير بنت عمي.. مثل ما ودعتي تلائي.. إن شاء الله عئبال عندك بعريس بنت عمي.

وداد: لك وَحْدِهْ.. وَحْدِه.. أبل كل شي.. صباح الخيرات، وبعدها تلاءوا الخير، والثالثة وئت بيجي الصبي منصلي على النبي. الله يعيني عليكن.

إسعاف: الله يردّ لنا ياه بالسلامة.. إن شاء الله.

هيام: وهديّة حرزانة بنت عمي.

وداد: الدم يشويكن.. هادا يلّلي آخد عئلكن.

هيام: وشوفيها بنت عمي.. والله الهدية حلوة.. يُهْ.. النبي (صلى الله عليه وسلم) إبل الهدية خوش أنا هديتي بعرفها، إلت لعمّي شو بدّي، وآل ليّ على عيني.. الله يخلّي لي ياه.

إسعاف: مو بسّ إنتِ همهومتي!!. وأنا كمان آل لي عمّي هيك، وآل ليّ كمان إنّه ما لحا يجيب لحدا متلي.. لأنها خصّ نصّ إلي.

وداد: الله يخلي لكن هالعم.

السلفتان: إي والله.. الله يديمه فوء راسنا.. والله والله، وبكسر الهاء..
لولاه.. ما منسوى شي.

وداد: لكان لأطلع استفئد أمي..

إسعاف: خلّي عنّك بنت عمي، خلّي عنّك، أنا لحا إطلع.

هيام: إي لآ تئبريني لآ، بلا كترة غلبة، إنت كملّي أرض الديار تبعك، وأنا
بِطْلَع لعندها.

إسعاف: ليش بعدي، شو صبّوا لك بالزايد رزّة!!..

فتطلّ عليهنّ أمّ محمود، من أعلى الدرج وتقطع هذه المساجلة بين السلفتين. فيسارعن للقائها، وهي تشير لهن بأنها نازلة إليهن. وتقرّب لها وداد الطربيزة، لوضع القهوة عليها، وتكون هيام قد قدِمَتْ بالقهوة قائلة:

هيام: إن شاء الله ما نعدم هالطلّة مرت عمي، الله يخلّي لنا ياك، ولا يحرمنا
منّك يا حأ..

وداد: إن شاء الله نمت منيح الليلة.؟!.

أم محمود: منين يا حسرة، والله عيني ما شافت النوم لوشّ الصبح،، أبو
محمود إله وحشة.. الله بيعلم وين صارت أراضيه.. الله يكتب لـه بكل
خطوة سلامة.. الفرءة صعبة يا بنتي.

هيام: اي مرت عميّ طوّلي بالك، بسم الله وما شاء الله حولك وحواليك،
حندق بندق عين تشوفك وما تصلّي عالنبي تطقّ وتنبق. والله وشّك
مأنور!!.

إسعاف: يأمعوكِ على هاللسان يلّلي متل الشختة، شلون ما درتيه بيندار معك . .

هيام: وإنت يوّه . . العين ما تصيبك . على هالدّرر .

فتجزرهما أم محمود، ويشرعن في تناول قهوتهن، لكن هيام تكون الأسرع بينهنّ . وكانت تعمد إثر كل رشفة من فنجانها إلى تحريك (تلويح) فنجانها، فتلحظ ذلك سلفتها فتنهرها قائلة:

إسعاف: لك شو صاير عليكِ هيام . . على مهلك . . من الغَلْوةْ للكِلْوة؟! . .

هيام: مو صاير عليّ شي . يعني شوفيها، أنا بحب ابن عمي، وهوّ بيحبني، وهيّ طبّيت فنجاني لحتّى تصدئي . . عالمكشوف يامو!! . .

إسعاف: وإن شاء الله بدك ياني شوف لك الفنجان من على بكرة الصبح؟! .

هيام: إسعاف . . بزعل منّك!!! . يعني في غيرك؟! الله لا يحرمني منّك(٤)!! .

٦ ـ عراضة النسوان:

قطع طرق باب الزقاق، ما كان بين هيام وسلفتها، بشأن فتح فنجان قهوة هيام لقراءة ما فيه . . كانت بالباب أم غسان، جارة أمّ محمود، وبيدها ركوة من القهوة ناولتها لوداد بقولها:

ـ تئبريني أهوتنا اليومة من تحت ديّاتك، وداد خانم . .

تناولت وداد ركوة القهوة، من يد أمّ غسان وأعلمت أمها ثم قالت:

ـ ليش ملبّكة حالك خالتي أم غسان .

ـ ما في لبكة، بسلامة خيركن، بس هدول البنّات تازة حمّصتهن من بكير وطحنت تلئيمة، إه . . إلت لحالي منشربها مع الوالدة .

ما إن علمت أم محمود، بقدوم جارتها أمّ غسان حتى نهضت للترحيب بها بقولها:

أم محمود: مين!!. خيرية خانم، يا ميت أهلاً وسهلاً، عم أول لحالي البيت اليومة منوّر!!.

أم غسان: منور بصحابه تقبريني.

أم محمود: تسلمي. هادا من ذوقك.

أم غسان: والله يا أم محمود ما بخبّي عليكِ، امبارح كنا بالسهرة منشتهيكِ، وصار الحكي نتشرف لعندك نعمل صبحية، ونقول لك: متل ما ودعتي تلاقي.

أم محمود: تلاقي الخير، ويا ميت أهلاً بالحبايب، البيت بيتكن.. والله أنتو من طول عمر كنّ صحاب وأحب.

أم غسان: أنتِ الأصل، اختي أم محمود، يا عيب الشوم منّك.

قطع طرق الباب الحديث بين أم محمود وأم غسان، سارعت إسعاف لفتح الباب كان بالباب رجل بيده خيزرانة، يسأل:

الرجل: هون بيت الحجّي.

إسعاف: أنو حجّي!.

الرجل: أي بعدي هالناح، لتوئعي وتنفجّي.

إسعاف: تتراجع إسعاف، فإذا بالرجل، هو جارتهن إسعاف، وقد ارتدت السروال والميتان وتزنّرت بالشملة، ولبست الكندرة الكسر، وهي تلوّح بالخيزرانة، ودخلت من ورائها الجارات بالملابس النسائية (الملاية) وقد شكلن عراضة تقودها سعاد، وجميعهن يردّدن من ورائها.

نهضت أم محمود مندهشة، وكذلك وداد وإسعاف وهيام، وقفن مشدوهات أمام هذا المشهد، وقد حُملت سعاد على الأكتاف، وهي تلوّح بالخيزرانة وتقول:

سعاد: أبْلِهْ سلام عليك. (قبل كل شي).

الجميع: أبْلِهْ سلام عليكن.

سعاد: أبْلِة سلام عليكم.

ثم تعدّد سعاد والجميع يردّدن وراءها ما تقول بحماس أشبه بحماس عراضة الرجال:

سعاد: يا إلهي توبتك.

فرجك وأوبتك.

توبتك عالشيخ رسلان.

شيخ رسلان يا شيخ رسلان.

يا حامي البرّ والشام.

سعاد: الله الله يا مفرّج المصايب.

واضرب رصاص خلّي رصاصك صايب.

وهنا تشهر إحداهن مسدّس فلّين تطلق منه عدداً من الطلقات.

سعاد: روّح لِنْرَوّح.

الجميع: طيبة (المدينة المنورة).

سعاد: لنزور النبي (صلى الله عليه وسلم).

الجميع: طيبة .

سعاد: طيبة على طيبة .

الجميع: طيبة .

ومن ثم تشرع سعاد بتحية الحاضرات بقولها:

سعاد: أم محمود .

الجميع: طيبة .

سعاد: أم غسّان .

الجميع: طيبة .

سعاد: أم بسام .

الجميع: طيبة .

سعاد: وأم أكرم .

الجميع: طيبة .

سعاد: وأنا وأنتو .

الجميع: طيبة .

سعاد: وكمان البّوبّو .

الجميع: طيبة .

ثم تنزل سعاد من على الأكتاف. وتشارك إلفت بالترديد مع الأخريات .

إلفت: رحنا لندير الميّ ، لئينا الميّ محمية .

الجميع: رحنا لندير الميّ ، لئينا الميّ محمية .

إلفت: حاميها أبو محمود ، يا بو الراية المجليّة .

الجميع: حاميها أبو محمود ، يا بو الراية المجليّة .

ثم يزغردن: لي لي . . ليش . مع التصفيق . ويجلسن على الكراسي حول البحرة . فتدور مشاحنة بين أمّ غسان وسعاد بشأن هذه العراضة .

أم غسان: يفكحك يا سعاد ، على هالعَمْلِة . . لكِ شو إجا ببالك . .

سعاد: لكان حبيبتي ، انت تسبئي ، وتئولي لأمّ محمود ، متل ما ودعتي تلائي ، وتاخدي الهدية والزبديّة؟ .

الجميع: متل ما ودعتي تلائي أختي أم محمود .

أم محمود: تلاؤوا الخير . . إن شاء الله عئبال عندكنّ(٥) .

٧ ـ الهدايا لمين:

سعاد: شوفي أختي أم محمود ، يلّلي أولّته شرط آخرته سلامة ، وشرط بالحالة ولا خناءة عالبيدر .

أم محمود: خير إن شاء الله . . شو أصدك؟ .

سعاد: يعني من أوّلها ، الغايب إلك ، والهديّة إلنا!! .

أم غسان: سعاد زوئي ، لسّا الرجّال ما وصل ، ولبجي الصبي منصلّي عالنبي (صلى الله عليه وسلم) .

سعاد: وأنت شو نططك متل حمصّة الكي ، ستي أم غسّان ، شوفي أختي أمّ

محمود أنا ما بعرف ، بدّي نجاصة النبي (صلى الله عليه وسلم) بدّي إياها منّك من راس العرمة . .

أم ياسين: وشو بدّك بنجاصة النبي (صلى الله عليه وسلم) .

أم غسان: لأنّه نائصها شويّة فهم ، بدّها تلحسها ، بلكي بتصير فهميّة خانم!! . وهيك بتئدر تشتغل فينا أكتر!! . .

أم ياسين: لآ دخلك ، نحنا هيك ما لنا مخلصين معها إختي أم محمود .

أم محمود: لا يكون لك فِكْرِه ، سعاد خانم . . النجاصة إلك .

أم بسام: وأنا بدّي طاسة الرعبة .

أم أكرم: يُو . . العين الطرّاءة!! . شو بدّك بطاسة الرعبة!! .

إلفت: وأنا إلي الحنّة السودة . .

أم فؤاد: وأنا خلّي لي الطاسة المكاوية . . لحتّى ادعي لك بالحمام!! .

أم غسان: وأنا أختي أم محمود . . ما بدّي غير سلامتك . . بسّ طوء عئيئ . .

سعاد: باس . ولي عليكِ شو أويّة .

أم غسان: أي بس . . يّما مستكترتيه عليّ!!

سعاد: لآ . . يه . . يا ضربتي من غير كيسي . .

أم محمود: على راسي كلّكنّ . . ما في شي من واجبكن . . بس ناجيّة خانم ، في شي!! . . ما لك على بعضك؟ .

سعاد: لآ بَعْدِي لآ . . ما بَها شي!! . بس لسانها آكله الأطّ .

أم محمود: شو ست ناجية . . في شي؟! . زعلانة مني شي . .

سعاد: يأمْعُوكِ لحا ئتلبيها مَحْزَنة. . افرطيها بآ. .

أم محمود: لك شِبك إنت ويّاها، عَمّ تِتْوَتْوَتُو!!. في شي؟!.

سعاد: لآ أمّ محمود، ما في شي. . بسّ ناجيّة خجلانة مِنّكْ. .

أم محمود: خير. . خير!!. من شو؟! والله وغْوَشْتِينْي!!. .

أم غسان: لآ اختي أم محمود، لا ينشغل بالك، بس ناجيّة خجلانةمنّك، لأنّه. . شو ناجية إحكي أنا. . يمّا. . .

ناجيّة: والله يا أختي أم محمود، أنا خجلانة منّك، لأنّه ابن عمي، ما إدر يجيّ يودّع أخي أبو محمود أبل ما يسافر، لأنّه مَرت عمّي كانت ما عندها كيف، كانت ليلتها مْخَسْتِكة شوي. ما هِيك سعاد خانم؟. .

أم محمود: إن شاء الله ما على ألبها شرّ.

ناجيّة: ما تشوفي شرّ إختي أم محمود. . بآ الله يخلّيكِ ما تآخذيني.

أم محمود: لك اختي نحنا إخوات، ووالله والله، زوزك إمبارح فضّل على هالسوالف، لمّن إجا وهالعربجيّة وأخذنا لمحطّة الحجاز.

سعاد: انبسطتّي ستّ الحسن، يّما لساتك مستحيّة.

أم غسان: اي والله زوزك ما بيئصّر، طول عمره بيعرف حأ الجيرة(٦)

أم أكرم: ايمتى تيسّر من غير شر.

أم محمود: وشّ الصبح، صلّوا حجاج الحارة بالجامع، ولسّا ما طلعوا من الجامع لحتى كان أبو محمد زوز ناجية خانم عن يطنطن بجرس العربية. . عملوا لـه تفتيلة بالحارة، وبعدين ركبنا معه، ودوز دغرى على محطة الحجاز.

صبحية: والله يا أم محمود، أنا ما بئدر عالوداع. . الفرأة صعبة، الاستئبال أحلى.

أم محمود: هوّة، صعي الفرأة صعبة، بس والله، يلّلي بيشوف محطة الحجاز وهِيّة مزينة بالإضوية والورد والرياحين، وهالبيارئ وهالمزّيكة وهالزينة، الدنية كأنّه نهار، والوحدة بتنسى مين عمّ تودّع!!.

الجميع: والله شي حلو.

أم محمود: وهادا كلّه كوم، والبَبّور كوم. من كتر ما لهم مُزّينينه بها البيارئ والورد وعينك تشوف الكباريّة والأفندية والمشايخ وهنّن عم يعائئوا الحجاج ويُبوّسوهم، وعلى أولة ادعي لنا يا حجّي. والمولويّة عم تفتل إدّامهم. . والناس يلّلي جاية للفرجة. أُولي حشر. . يا لطيف. . لو كانوا عمّ ينبعوا موهيك. . لِكْ ما لـه ضالِلّ حدا ببيته(٧).

٩ ـ السهرة فين:

ما كادت أم محمود تنهي كلامها عن محطّة الحجاز، حتى فاتحتها أم غسان بالسهرة التي تجمعهنّ، في الفترة التي يقضيها أزواجهن في المقهى من بعد صلاة العشاء. كنّ يلتقين بعد العشاء، عند إحداهن، ممن تسمح لها ظروف المكان لقضاء تلك السهرة في جوّ من الإلفة والسمر والمتعة. .

تخوّفت أم محمود في بادئ الأمر، تحسبّاً لِما قد ينجم عن ذلك من مضاعفات، أو مضايقات، فضلاً عن أن أبي محمود لم يكن على علم بذلك. .

لكن أم غسان ما لبثت أن بدّدت تلك المخاوف، بأنّ جمعتهنّ جمعة أهليّة بمحليّة.

وكل ما يجري في السهرة وما يدور من أمور لا يخرج من مكان انعقاد السهرة، على مبدأ هُنا حفرنا، وهُنا طمرنا.. ويا دار ما دخلك شرّ!!..

ولما بدا على أمّ محمود بعض التردد في المشاركة بالسهرة، سارعت أختها أم ياسين إلى تبديد مخاوف أم محمود، وإقناعها بأن مشاركتها في السهرة سيساعد على إخراجها من عزلتها ويخفف من الشعور بالفرقة والوحدة.

اشترطت أم محمود أن تكون السهرة عندها في منزول الرجال بالبراني، لكن أختها أم ياسين أقنعتها بالتخلّي عن ذلك، لأنّ أولاد أم محمود تعيّبة، وبدهم يصحوا من بكير إلى عملهم، ونسوانهم يا دوبهن لرجالهن.. وبخاصّة وإن بيت أم ياسين سيّاح نياح، وما فيه أحد يأسر أحد، بعد أن أصبح عمل ابو ياسين في واردية الليل(٨)..

* * *

الهوامش والحواشي:

١- للمزيد، يمكن الرجوع إلى كتابنا: المرأة في المثل الشعبي الشامي.

شو: ماذا، خود: خذ، والمثل في هذا السياق على مبدأ: من رضي عاش

٢ - الأطافة: الأناقة في الترتيب. أكابرلية: المظهر البهيّ. الكلابية: قفطان للرجل. الغضاضة: قطعة قماش بيضاء رباعية الشكل مشغول أطرافها على شكل بيش أو طرّة، ويضعها الرجل على رأسه فوق القلنسوة، أو يجعلها على كتفيه على سبيل الزهو. السماور: ما يُعدّ به الشاي.

٣ - مو حلوة: من غير اللائق. أهوة: قهوة. منؤول: نقول. تلائي: تلاقين. دجني دجتك العافية: مقولة شعبيّة، يُراد بها هنا: بدون تمهيد. نبعت: نبعث، نرسل، بركي: ربّما. المخلوءة: المخلوقة. زوزها: زوجها. الأس: أغصان نبات الحبلاس، كنّ يضعنها على القبور، والمقولة هنا على سبيل التحبّب. أنا بربطها: أنسّق وأمهّد. تمرؤ: تمرّ. هالمرّة: هذه المرّة. ليش: لماذا. ليش بعدي: استذكارية. ما عندها كيف: مريضة. بتفصّلي

لبلد: تعرفين الأصول. أدّ: قدر، وأد الدنية: الشيء الكثير. استبينا: اتفقنا. سرسبة: بمعنى كل مين لوحده. طجاة: مجموعة، سوية.

٤ – الدم يشويكن: مقولة تطلق على سبيل الدعابة والمزاح. يلّلي: الذي. عئلكنّ: عقلكنّ. يُهْ: أداة تعجّب. أبل: قبل. خوش: بالأساس، إلت: قلت، شو: ماذا. كمان: أيضاً. لحدا: لأحد. خص نص: خاصّة. فوء: فوق. بكسر الهاء: مقولة يُراد بها تأكيد القسم. عئبال: عقبال. تلائي: تلاقين. وئت: عندما. استفئد: اتفقد. لحا: سوف. صبوا لك بالزايدة رزّة: ما الذي فضّلك علينا، الطربيزة: منضدة صغيرة واطئة. ياحأ: يا حق، يا الله. وش: وجه. الفرءة: الفراق. حندق بندق عين...: مقولة أو تميمة لصدّ عين الحاسد. يأمعوك: دعوة تحبّب. الشخّتة: سقط اللحم. ولسان مثل الشختة: لسان طيّع في فم صاحبه، على سبيل القدح. شلون: كيفما. من الغلوة للكلوة: مقولة للدلالة على الإسراع في تناول المآكل أو المشروب الساخن. تصدّئي: تصدقين.

٥ – فتح فنجان: التبصير، التنجيم. ركوة: إناء غليّ البن لإعداد القهوة. تئبريني: تقبريني. عبارة تحبّب. اليومة: هذا اليوم. ملبّكة: معذّبة. حالك: نفسك. هدول: هؤلاء. تلئيمة: تلقيمة، كميّة. إلت: قلت. هادا: هذا. الشوم: الشؤم. توئعي: تقعي. إبله: قبل كل شيء، البّوبّو: الطفل الصغير. لئينا: وجدنا. يفكحك: تصحيف: يفضحك. وهي هنا على سبيل المزاح. تئولي: تقولي. تلاؤوا: تلاقون. عئبال: عقبال.

٦ – يللي: الذي. أولته: بدايته. الحالة: الحقلة. خناءة: خناقة، خلاف. زوئي: استحي. نطّطك: حشرك، مثل حمصّة الكي: حبّة الحمّص توضع مكان الكيّ بالجسم، لتسحيب ما بالجسم من غش أو وعك، فيكون ذلك بشكل قيح. فإذا فُكّ رباط الكي اندفعت الحمصّة إلى خارج مكان الكيّ، وتبعها القيح. شبّهوا من يتدخل في ما لا يعنيه، بتلك الحمّصة. نجاصة النبي (صلى الله عليه وسلم): كمية من تراب المدينة المنورة مجبولة ومكوّنة على شكل ثمرة الاجاص ومغّلفة بالقصب الملون وفي رأسها

أنشوطة للتعليق، كانوا يحسبن أن لحسها من قبل الطفل يساعد على إيقاد الذكاء عند الطفل. تئدر: تقدر. طاسة الرعبة آنية من نحاس منقوش باطنها بالبسملة، والأدعية والنقوش. يحسبون أن شرب الماء عن تلك النقوش، يقلّل من روع المرعوب، فلا يُصبُه أذى، الطرّاءة: الطرّاقة، المصيبة. الطاسة المكّاوية: طاسة من نحاس مطليّة بالقصدير أو نحوه، ومنقوش ظاهرها بنقوش نباتية وبعض الكتابات وتنسب إلى مكة المكرمة، وكانت النساء يسكبن فيها مياه الاستحمام في الحمامات العامة. طوء: طوق، عقد. عيئيء: عقيق. أوية: قوية. يا ضربتي من غير كيسي: مقولة شعبية، تعني: على نفقة غيري، شي: شيء، مالك على بعضك: ليست على ما يُرام. لسانها آكلة الإط الإط: الهرّ، والمقولة، كناية أن المرء قليل الكلام. يأمعوك: دعاء تحبّب. تئلبيها: تقلبيها، تجعلينها. افرطيها: تجاوزي عن الأمر. الوتْوَتَة: الحديث الجانبي الخافت بحيث لا يسمعه الآخرون. توغَوْش: انشغل فكره، يمّا: وإما. ما إدر: لم يقدر. أبل: قبل. مختسكة: من الخستكانة، وهي المشفى، والكلمة تعني المرض ماهيك: أليس كذلك. ما على ألبها شر: ألبها: قلبها، والقولة: يُراد بها أن: عافاها الله. زوزك: زوجك. لمّن: عندما. ما بيئصّر، لا يقصّر، لا يتوانى. حأ: حق.

٧- إيمتى: متى. وش الصبح: الفجر. تفتيلة: دورة. دوز دوغري: مباشرة، دونما تأخّر. ما بئدر: لا أقدر. الفرأة: الفراق. الاستئبال: الاستقبال، البياري: البيارق، الأعلام. كومة: بكفة ميزان، في ناحية. الببّور: القطار. هنّن: هم. ضاللّ: باق.

٨ - منزول الرجال: المضافة، غرفة الضيوف، بدهم: عليهم أن. شغلهم: إشغالهم. يا دوبهن: وقتهنّ لا يسمح بأكثر من التفرّغ لرجالهنّ. سيّاح نيّاح. كناية عن الاتساع والقدرة على الاستقبال دونما عائق من أحد. يأسر: يحدّ من حريّة. واردية: فترة عمل.

الباب الثاني

من سهرات النسوان في الشام أيام زمان

أولاً:

١ ـ التنل صنعة!!.

٢ ـ العفريت راكب الضوّ.

٣ ـ منشان الورد، بيشرب العلّيء.

٤ ـ من نشوة الماضي.

٥ ـ ساعة لقلبك وساعة لبطنك!!.

٦ ـ ديبو الفزكان..

* ديبو في حمام النسوان.

* ديبو بدّه موزة.

١ ـ التثل صنعة:

كان الاتفاق على عقد السهرة في بيت أم ياسين اختياراً موفقاً، فأم ياسين هذه، ما كان على قلبها همّ، وليس ثمة قيود، أو موانع في منزلها، تحدّ من حرية حركة الساهرات أوّ تصرّفاتهن. . وزوجها في شغله الليلي الجديد جعلها وابنتها عزيزة، تنام باكراً مثل الدجاج. . وعقد السهرة عندها امر سيؤنس وحدتها مع ابنتها. ويبدد من حياتها ذلك الفراغ المخيّم عليهما. . فضلاً عن ذلك فإن أبو ياسين أصبح أكثر اطمئناناً على زوجه وابنته، خلال غيابه الليلي، فلا ينشغل فكره عليهما، ولا تزداد وساوسه بشأنهما.

منذ الصباح الباكر عمدت أم ياسين وابنتها عزيزة إلى ترتيب مكان السهرة بما فيه من حشيات لطراريح، ومساند، وأعدت المنقل، وهيأت الشاي، وفناجين القهوة، كما أعدت كل ما قد يلزمها من أمر الضيافة، حتى الصحون والملاعق. ولما أبدت ابنتها استغرابها من عدم عقد السهرة في البراني من المنزل، أجابتها أمها:

ـ لك أميّ صعي البرّاني أوجه للضيوف، وبِيْبَيّض الوشّ، بس خليه للعازه أحسن، بركي إجا ضيوف لأبوك على غفلة. بعدين شو به المربع؟. محنداً!! إي والله أحسن. الدفا فيه بيكمكر كمكرة. . وبعدين المربع، سئط لئط عالمطبخ، كل شي أريب من إيدنا. . يمّا يعني، ضروري طول السهرة نخفّئ من البراني للمطبخ، ومن المطبخ للبرّاني!!. إي والله شي بيهدّ الحيل، موهيك؟

ردّت الإبنة بالإيجاب، ثم أردفت الأم هامسة في إذن ابنتها:

ـ بعدين بيني وبينك، إذا إجا على بالهن إنك ترئصي الليلة، تألي حالك، !

إتألي، تمعزي لكِ شويّ، موهيك ياالله أوام تئومي تهزي بخصرك، عالهدى . . بعدين بتضيعي وبيطوش حجرك . . فهمت؟!! . . التئل صنعة!!

لم تكد أم ياسين تنهي تلقين ابنتها اسلوب سلوكها في الرقص، من هزّ وقصع، وتمايل وغنج وغمز وتنهّد . . حتى قالت لإبنتها:

ـ وهلاّ أومي البسي لك شي تفصيلة، ومشطي شعرك، وحطّي لك شي بخة حمرة ورشي لك رشة بودرة على خدودك، عم بين أنا ما إلبس . . أوام قربوا يجوا[1].

٢ ـ العفريت.. راكب الضّو:

أبعد طرق باب الزقاق عزيزة عن المرآة، سارعت إلى وراء الباب تسأل:

عزيزة: مين؟

الطارق: هون بيت أتّال حأله؟.

عزيزة: لآ خالتي . . غلطانة.

فتمد سعاد رأسها، من خارج الباب قائلة:

سعاد: لكان هون بيت جرّ لحافُه؟!.

عزيزة: يي . . يي أهلاً وسهلاً خالتي . . أهلاً وسهلاً، تفضلوا والله ماعرفتكن.

تدخل سعاد وناجيّة فتلحظهما أم ياسين فيبادرنها بالقول: الشحادة وبنتها.

أم ياسين: (مرحبة) يا ميت أهلاً وسهلاً . . أهلين وسهلين بالحبايب.

وبعد السلام والقبل ، تأخذ عزيزة عن رأسيهما الملاءة ، وهما بعتبة المربّع . فتعلقهما بالمشجب في العتبة .

سعاد: إلنا لحالنا منجي على بكير ، لتكوني عاوزة معاونة .

أم ياسين: تعينكنّ العافية ، ما بدنا غير سلامتكن . .

تلحظ سعاد ستارة في صدر المربع ، فتقترب منها ، تجد خلفها فرشاً ولحفاً فتقول: شو ها الليوك ما أوسعه ، الله يهنيكن فيه . بيسع حمال حج .

ثم تلتفت إلى أم ياسين ، وتطلب منها أن تناولها ، المرسة الخاصة بضوء كاز الغرفة المعلق بالسقف . ولما سألتها عن السبب أجابتها:

سعاد: إنت بس ناوليني المرسة تبع الضوّ ، وأنا لحا اتخبئ باليوك ، واتركي البائي عليّ . . إلحئيني ناجيّة .

صعدت سعاد إلى اليوك ولحقت بها ناجية وأسدلتا الستائر عليهما . .

ناجية: لك محوراة شو لحا تعملي . .

سعاد: ما عليك ، إنت بسّ كنيّ جنبي ، ومثل ما بئول لك إعملي .

ناجية: أنا ما دخلت . . هه .

سعاد: تدخلي عالموأدة . . على نصتك . . كني بآ . . يمكن إجوا . . مين آل إلك دخل . هالدّاة المنأرزة لأم غسان أنا بعرفها . .

خلدت سعاد وناجية إلى السكون وراء ستائر اليوك ، في حين أخذ الجميع يتوافدن إلى المربع مكان السهرة . وأم ياسين تؤهل بهنّ وتسهل ، وابنتها عزيزة تتناول من كل واحدة منهن ملاءتها وتعلقها بعناية في مشجب عتبة المربع وما كاد يستقر بهن المقام حتى تساءلت أم غسان . .

أم غسان: شو ما إجت سعاد خانم؟!. . مرأنا لعندها ما لقيناها!.

أم ياسين: مابآ لتجي. . ما بتتأخر.

أم بسام: وكمان ناجية خانم مالها مبيّنة!!. والله يا جماعة غيبة سعاد هية وناجية. . وراها شي.

أم فؤاد: ليكون ناويين لنا على شي فصل من فصولهن!!.

أم ياسين: إي لآ أم فؤاد، طوّلي بالك. . الغايب عذره معه. .

أم بسام: والله يا أم ياسين أنا ألبي نائزني من هالغيبة.

أم أكرم: يعني كل هالأدّ مشغول بالكن عليهن!!. بيحجّ الحجّ بلا أبو حلاوة. . خليها إدنّا ترتاح منهن شويّ. . لاحئين.

صبحية: خزيت العين شو ملائكتهن ورشة.

تأتي عزيزة بصحون مخلوطة موالح البزر والقضامة والفستق والبندق واللوز. . وبينا يتسلّين بتناول تلك الموالح، تعمد سعاد من وراء ستارة اليوك إلى حلّ مرسة الضوء، فتجعله يهبط قليلاً قليلاً، فيفاجأن بتلك الحركة، فتسأل أم محمود أختها أم ياسين. .

أم محمود: لك أختي شو مالك رافعة الضوّ منيح.

أم ياسين: لآ. . يُه. . أنا بإيدي عبيته زيت كاز اليوم ورفعته.

أم محمود: كأنه مالك ممكنتيه منيح. .

وتنهض أم ياسين باتجاه الضوء فيرتفع، وتعود فينزل. . ثم يرتفع وينزل بشكل مضطرب. . فيرتعد الجميع ويصيبهن هلع شديد، وتجحظ عيونهن في محاجرها، وتتخشّب أجسامهن، إلاّ من متابعة حركة الضوء هابطا صاعداً،

فلا ينبسن إلاّ بالبسملة والحوقلة، والمعوذات والدعاء، وقد تجمعنّ إلى بعضهن كتلة لا حراك بها. . إلى أن قالت أم غسان مخاطبة أم ياسين. .

أم غسان: لك أختي أولي بيتك مسكون، والضوّ تبع المربع بيركبه عفريت. . هه. . هه. . شوفو. . شوفو، العفريت صار باليوك.

أم ياسين: سم الله وفضايلها. . شبك أختي أم غسان؟!. شو عفريت ما عفريت. . شوها الحكي. . والله بيتي ما فيه أونس منه. ومتل الصلاة عالنبي.

وتتسارع حركة ستائر اليوك، فتتسمرّ أنظارهن باليوك، ولا تلبث فرش ولحف اليوك أن تنهال عليهن، وإذا بسعاد وناجية تخرجان من اليوك.

أم غسان: هادا إنتو يا مأصوفات الرأبة، شوعما تساووا باليوك.

أم فؤاد: نحنا مشغول بالنا عليكن وإنتو ناويينها وما لكنّ مسميينّ.

أم أكرم: لك إنتي ويّاها يا بتتفئوا على ضلال، يا بتتناءروا متل الجاجة والديك!!

ثم تعمد أم أكرم إلى مسك ناجية من شعرها وتأخذ بضربها بقبضة يدها على ظهرها. . نشّفت دمنا، إنت وإياها. فتحاول ناجية الإفلات من يدي أم محمود وهي تقول.

ناجية: أي أي خلص خلص، والله مو أنا. . هي سعاد عملت هيك. كلّه منك، أنا ما إلت لك أنا ما دخلت؟!. . (٢)

٣ ـ منشان الورد.. بيشرب العلّيء:

تدخل عزيزة بالقهوة، فتغمزها أم ياسين بالبدء من على يمينها في تقديم القهوة قائلة تفضلوا. . تفضلوا هي أهوة أهلاً وسهلاً، ولحا تبدأ عزوزتي من عاليمين. . لأنه الرجال بيؤولوا إبدأ من على اليمين، ولو كان أبو زيد الهلالي على شمالك.

أم أكرم: إي والله من إيد ما نعدمها، بدّك الحئيئة إختي أم ياسين إنت طول عمرك متأنة ومزوءة، بس بيني وبينك، الرجال شي.. والنسوان شي.. بالإذن منك ومن إختي أم محمود.

أم محمود: يا ميت أهلاً وسهلاً، هادا من لطفك..

أم بسام: بتعرفي يا أم أكرم.

أم أكرم: خير.

أم بسام: يمكن ما بتصدئي. أديش أنا جاية على بالي شي سهرة من سهرات أهل أول.

أم أكرم: ليكها ناجية إدّامك، بتاكل عليها بالدين..

ناجية: شبها ناجية بغدي، دحيتيني كم دحة، وإلت ما عليش، خير إن شاء الله، في شي غيره!!..

أم أكرم: تكفنيني، بدنا ياكِ شي مرة ترجعينا لسهرات أهل أول، يعني تحكي لنا شلون كان نسوان أَهل أول يسهروا.

أم بسام: إي والله، وأنا ناطف ألبي على هيك سهرة..

ناجية: إي العين الطرّاءة انت وياها، شو آلو لك عني إهرمانية شي، يما حضرانة حرب السفر برلك، يما تئبريني هازرتلّك بمرجوحتك إنت وياها، ومالي دريانه.. آ.. بعدي

أم بسام: الله يخليك ناجية خانم. لا تأخذيني، والله أنا ما أصدت هيك!!.

أم أكرم: هلأ شو بدنا بها الحكي، شو إلتِ ناجية خانم، جاية على بالك تسمعينا شي من يللي سمعتيه من ستك.. من حماتك يعني شي من أريبه، يما لأ؟

ناجية: شيت إنه جاية على بالي ، كرمالكن مالى لحا أول لأ ، بسّ بدّك ما تآخذيني أختي أم بسام . . حسبت!! .

سعاد: أي العين تطرئك ، لحا تعملي إلها إيدين وإجرين ، المخلوءة استسمحت منك ومشي الحال . بآ لا تحسبي تشكلي آسي ، أنا فهمانة عليك . . بعدين مين آل إنك إهرمانية!! . إنت لساكِ بعزّ صباكِ . لآ يه ، لسّا ما طبأت العشرين . . إنت بتشرين بتحطي بالعشرين . . اسم الله عليك .

ناجية: هلاً إنت ، منين ، طلعتِ لي سنجأ عرض؟! . حدا حاكاكي شي؟! . حدا آل لك ، يا محلا الكحل بعينك؟!! آ بعدي؟

سعاد: لكان أومي اعملي لهالمخلوءة شي كفّين . . مو أحسن!! .

صبحية: أختي سعاد . . اتركيها . . اتركيها أبصر بِوشّ مين متصبحة . . أكيد حماتها .

ناجية: الواه الواه عليك بتتشبهي إلها .

أم محمود: إي والله ، ناجية عندها حماية بتنشرب مع الميّ العكرة .

سعاد: طولي بالك أختي أم محمود ، حماة ناجية بيخلى لها سبع بلاد ، وعليها لسان ما بيفوت لحلئها . . لك أولي بالعة راديو . . أكتر . الدم يهريها شو بتكري .

ناجية: إي إي . . وأكثر من هيك ، من جكر كن . .

وتقطع أم غسان هذا الجدل بين ناجية وسعاد بقولها:

أم غسان : لك تتحورئي إنت وياها ، حاجة بآ ، لسّا أول لي لا أول لك ، كان نائصنا ، أي والله إدرة ولئت غطاها . .

ناجية: كمان إنت إم غسان . . إه شو عليه؟

أم غسان: لك إختي موهيك ، نحنا فين!! . . وصرت إنت وياها فين؟! .

أم أكرم: هلاً يا جماعة سمعونا لنسمع . . إي ناجية خانم . . شو إلتي؟ .

ناجية: بإيش تئبريني .

أم فؤاد: شبنا ست ناجية لحا نرجع من الأول . متل حكاية الدبّانة!! . .

ناجية: شو بتئصدي أم فؤاد؟!! .

فما كان من أمّ غسان إلاّ إن عاودت قطع هذا الجدل مع ناجيّة وختمت قولها موجهة كلامها إلى ناجية .

أم غسان: يعني ضروري ناجية خانم ، يِنْشَفْ دمنا لحتى نسمع منك كلمتين .

ناجية: لآ . . يُه . . ما عاش يللّيّ بده ينشّف دمكن .

أم محمود: لكان ليش عم تتمعززي وتتدللي علينا. عالحساب نحنا حبايب؟!! . .

ناجية: لك إختي الإصة مو إصة دلال . .

أم محمود: لكان شو؟!

ناجية: الإصّة وما فيها ، إنه اهل اول ، لمن كانوا يسهروا ، يطلع معهن شغلات ما بتئدر الوحدة منّا ، أدّ ما كانت محربأة وحكّاية ، إنها تعطينا الشي يللي كانوا عايشينه وهن عمّ يسمعوا الشي يللي عم ينآل إدامهمن . . كل شي عندهن كان غير شكل .

أم ياسين: أولك ناجية ، خانم . منشان هيك كانت إيامهن وسهراتهن حلوة .

ناجية: أي . . وحياة هالمآصيص .

أم أكرم: ناجية خانم، هلاً، خدعتك بالله إنت شلون هيك فيكي تحكي لنا عن هديك الأيام.

ناجية: ما إلت لْكُنّ، أنا مو شي إدّام أهل أول.

أم أكرم: دخلك ناجية خانم، ومن مين لئطت كلّ هالشي.

ناجية: هادا يا مرحومة إلبَيّ، حماتي وستي بدك تئولي كانوا أصحاب من زغرهن، يعني حبايب، ومنشان هالصحبة، حماتي خطبتني لابنها.. آل شو!! لحتى يصيروا أهل.

إلفت: هاها.. عم أول لحالي ليش حماتك منيحة معك.

صبحية: إي لكان يامو. لكان، منشان الورد.. بيشرب العلّيء.

ناجية: يا معوكِ وليه، شو بتئصدي؟!!.

صبحية: يعني ما بتعرفي شو فيه بيناتهن موهيك؟!!. الله أكبر عليك..

ناجية: ما فهمت.

سعاد: لسّا بتؤول ما فهمت.. شوفي ناجية، حطي عينك بعيني.. الشيخ زنكي دافنينه سوا.. يا لطيف يا لطيف شو صاير هل بيرك؟ غميء!!.

أم محمود: هلاً شو بدنا بها لحكي.. سمعينا ناجية خانم سمعينا.

أم أكرم: إي ناجية خانم إي.. خلينا نعيش ويّاكي شوية بهديك الأيام.. ونعرف أدّيش هالصبايا كانوا مبسوطين، وعايشين مع بعضهن مثل السمن والعسل[٣].

٤ ـ من نشوه الماضي:

كانت ناجية في قرارة نفسها، تتوق إلى التفرد عن بنات ونساء جيلها، بما تلقنته من حماتها وجدتها، لكنها كانت تتمعزز على الساهرات، لتعطي ما تقوله، قيمه ووزناً، تمييزاً عن أي كلام لا طائل منه ولا معنى.

صحيح أنها كانت في شبه حالة مستديمة من المشاحنة والملاسنة مع سعاد طوال السهرة وكأنّهما روسية.. لكنها عندما يطلب إليها أن تروي شيئاً مما تفردت به، إنما تريد أن يصغي إليها الجميع، ويطربون لما ترويه..

هذا ما عنته، عندما أجابت أم أكرم على طلبها بقولها:

ناجية: أي والله هالشي على ألبي أحلى من السكر.. بسّ..

الجميع: إي لآ ناجية خانم ما بدها بسبسة!!.

ناجية: أصدي.. إذا بدي أول شلون كانت نسوان أهل أول بيتنادموا.. دفتر النسوان كبير.. وما لـه أول من آخر.

أم أكرم: شيت إنّه دفتر النسوان كبير، وما لـه اول من آخر، هالكلام مزبوط.. بسّ كلامهن عن الحب والهيام غير شكل.. أي والله بيخلي الوحدة، تدوب دوبان.. لكان تئبريني حب هديك الأيام غير طعمة!!..

أم ياسين: الله الله يا دنيا ما أحلى هديك الأيام، موهيك.. ناجية خانم!!.. يالله بآ.

ناجية: بس أختي أم ياسين مين بدّها تئول معي؟.

وسرعان ما تتجه الأنظار نحو إلفت. فتحاول إلفت التداري عن أنظارهن وتجاهل ما قد يطلب إليها، بشأن المشاركة مع ناجية فيما ترويه. لكن أم أكرم تكون قد أمسكت يد إلفت ورفعتها إلى أعلى وهي تقول:

أم أكرم: ومن عنا إلفت خانم يا يا ياه. .

فيرد الجميع: وهيه. مع التصفيق على نقرات الرقّ والدرنبكّة. . فكان لابُدّ لإلفت إن تقبل بعد ممانعة ودلال. .

ناجية: يا جماعة بها السهرة لحا أول أنا وإلفت أفلة وردّة، وبسهرة جاية لحا نئول أحلى وأحلى. . لأنه؛ لا أنا ولا إلفت محضرين حالنا هالسهرة.

ناجية: يسعد صباحك يا تفاح مليسّي.

يللي أطفتك من الربوه على كيسي.

وإن أدّر الله وجلست مجاليسي.

لاكتب كتابك وادفع النئد من كيسي.

فترد عليها إلفت:

مشمش مشامش تمشينا لحارتكن.

عيوني تئطر دمع من طول غيبتكن

وإن إجا المبشر يبشرني بسلامتكن

لأعطيه روحي. . وفرّيء من هديتكن.

فترد عليها إلفت:

أم أكرم: الله يسلم هالتم. . تعيشوا وتئولوا. .

أم غسان: إي والله يا ناجيّة خانم ذكرتيني بليلة عرسي على ابن عمي أبو غسان.

أم محمود: لكان من هالشي، يا جماعة أم غسان مشئرأة. .

أم غسان: أي والله، الحلو ما بيخبي حاله.

ناجية: وهيّ منشانك إختي أم غسان:

حبي آعد إبالي سناسل مهجتي فكّك.

يا عرء ياسمين كل ما هبّ الهوى فكّك.

والندّ من شاربك والمسك من خدّك.

وحظ من عانأك لبعد الصبح ما فكك.

أم غسان: الله.. الله يسلّم هالتم، وينوّلك بجاه ديلي هالمستور وخاطري هالمكسور يللّي ببالك.. ويعطيك ليرضيك.

ناجية: يو.. الله يجبر بخاطرك.

أم محمود: وإنت إلفت خانم شو صار معنا؟ ما حلّه يدرك شهرزاد الصباح، وتسكت عن الكلام المباح. لسّا السهرة بأولها..

فتسارع أم ياسين إلى حضّ إلفت على إتحاف الساهرات بالمزيد المزيد.. وبخاصّة إنّ توقف إلفت عن الرد على ما قدمته ناجية، كرامة لأم غسان، غير جائز عرفا، فلا بدّ والحال هذه، من أن تقدم إلفت ردّة أو قفلة، لقول ناجية، في تبييض فأل أم غسان.

ويؤيد ما ذهبنا إليه، ما اعلمتني به سيدة من حي مئذنة الشحم من العقد الخامس من القرن المنصرم (العشرين) من أنّ هذه الأقوال في أساسها، كانت مما تعلمّه الأم إلى ابنتها، ليلة زفّها إلى عرسها، لتجاذب أطراف الحديث بينهما في تلك الليلة!!. ومن هذا المنطلق كانت ألفت على قناعة بتقديم، ردّة أو قفلة لآخر ما قدمته ناجية. فكان توجهت أم ياسين إلى ألفت بالتحية بقولها:

أم ياسين: ومن عنا إلفت خانم يايا . . ياه .

فيرد الجميع: وهيه . . مع التصفيق كالمعتاد . .

لكن ألفت برّرت موقفها بعدم الردّ على ناجية في ما قدمته إلى أم غسان ، كان من الجمال والربط والأداء . . في غنى عن الردّ . ويجوز لشهرزاد في مثل هذا الموقف أن تسكت عن الكلام المباح . لكن إصرار الساهرات على إلفت ، جعلها تستسمح من ناجية بالرد ، فتصفق ناجية لألفت محييّة نزولاً عند رغبة الساهرات .

إلفت: سبحان يا زين من أنبت الجوري على وجناك .

بدعاك تلبس الكطن بدعاك .

وبخاف يا زين حط وجنتي على وجناك .

وقبّل الخدّ اللّيّ تفوح منه روايح المساك .

وأعقب ذلك التصفيق والزغاريد ، إلى أن قامت ناجية بالرد على هذه التحية بقولها:

ناجية: يا جماعة بدكن ما تؤاخذونا ، إن شاء الله مرة ثانية بنكون أنا وألفت حضرنا حالنا ، ومنسمّعكن شي تنبسطوا منه(٤) .

٥ ـ ساعة لقلبك.. وساعة لبطنك:

كان بودّ أم غسان ، أن تحكي أم محمود للساهرات حكاية ابن جيرانهم ديبو ، الفزكان ، الذي أفسده والداه بدلالهم ، وتلبية كلّ ما يطلب حتى ولو كان لبن العصفور . .

لكن دخول عزيزة ابنة أم ياسين بالوظة البرتقال على الحليب المزينة

بالقشدة، أفسد على أم غسان هذه الرغبة. . فعند البطون تذهب العقول، وأكلة من هذا النوع، لابد وأن يسيل لها اللعاب.

هذه المرة حرصت عزيزة، أن لا تقع في حرج، عند تقديم البالوظة، عمدت إلى وضع الصدر الذي تحمل فيه زبادي البالوظة على طربيزة كانت وضعتها أمام الساهرات، ومن ثم دعت أم ياسين ضيوفها، إلى مدّ إيديهن، لتناول البالوظة بقولها:

ـ تفضلوا يا جماعة حلو ضرسكن. . ما في شي من واجبكن. . وبينا كنّ يتناولن زبادي البالوظة لحظت إلفت إن زبدية تتوسط الزبادي التي بالصدر، أكبر من غيرها، والقشدة التي تزينها أيضاً مميزة، فحامت بنظرها على تلك الزبدية. . ثم انقضت عليها وهي تقول:

ـ وها اليتيمة ما حدا بده يجبر بخاطرها!! إه، أنا بأخدها، بينولني ثوابها من الله.

فتهزها سعاد، وهي تضربها على يدها قائلة:

ـ ينتفوكي، عيب استحي، المخلوءة أول مرة دايسين بساطها. . وين حطيت إيدك على عين أم صالح. أم عين جوعانه.

إلفت: أنا أم عين جوعانة، يمّا إنت يا أم بطن كبير!! . . خوش أنا مو جاية على بالي البالوظة. . شبعانه بالوظة. . بس منشان البّبو، يئبر ألبي هوّه بيحب البالوظة.

ثم تتابع قولها متوجهة إلى الأخريات وهي تمسح على خدها ثم جبينها.

ـ بالله مو أحسن ما تطلع البالوظة بخدّه. . يمّا بجبينه حرام. . والله حرام، موهيك.

سعاد: يحرم جلدك عن عضمك، ما إجا وحامك غير عالبالوظة لك فجعانه . .

إلفت: من جكرك . . من جكرك .

ثم تلتفت إلفت إلى صبحية وتلاحظ إنها لا تزال في بداية تناول زبديتها، فتقول لها:

إلفت: حبوبتي صبوّحة إذا مالك آدرة تأكليها(٥) هاتيها، مو حلوة تتركيها، أنا باكلها عنك، منشان الببوّ. صبوحتي .

فيسود الضحك والهرج . . ولا ينهي هذا المشهد إلا قول أم غسان:

أم غسان: وهلأ يا جماعة، خلينا نسمع من أختي أم محمود، حكاية ديبو الفزكان فتقف أم ياسين وتحييّ أختها أم محمود .

ومن عنّا أختي أم محمود، يايا . . ياه .

فيرد الجميع مع التصفيق، وهيه . .

٦ ـ ديبو الفزكان:

حكاية ديبو هذه، ليست من حكايا التراث الشعبي، التي كانت تتواتر على لسان الرواة، من النساء، في سهراتهن، أو في مناسبات أخرى . . وإنّما كانت من الحكايات المعاشة التي تناقلتها النساء على سبيل السخرية أو التفكه المبطن بالإستنكار، لسلوك أو تعامل بين أناس على تواصل أسري، نجم عنه ممارسات لم تنسجم مع ما تواضع عليه الوجدان الجمعي، من ضوابط أو نواظم في السلوك والممارسة . . وأم غسان في طلبها إلى أم محمود، أن تقصّ على الساهرات حكاية ديبو هذا، كانت محقة في ذلك، لأنّها كانت على علم بمعرفة أم محمود بحيثيّات حكاية ديبو، وما نجم عنها من سلوك أو ممارسات

أوقعت والدي ديبو في حرج ما بعده حرج، وجعلتهم يعضون أصابع الندامة على ما اقترفوه بحق ولدهم الوحيد في إمعانهم بدلاله وتلبية كلّ ما من شأنه إشباع رغباته، إن لم نقل نزواته. .

لكن أم محمود، إمعاناً منها في إثارة فضول الساهرات، عملت من نفسها، وكأنها ليست على معرفة لحكاية من هذا القبيل، فسألت أم غسان، بأسلوب من تجاهل العارف بقولها:

أم محمود: دخلك أم غسان، عن مين عم تحكي؟!!. إنو ديبو بتئصدي؟.

أم غسان: يُه. . يفكحك، عم تحكي جدّ!!. شبنا أم محمود. . لك هادا ديبو ابن جيرانكن!!.

أم محمود: إي إي. . تذكرته. . تذكرته، بس الله يخليك أم غسان إيمينا من سيرته. . والله ألبي من الحامض لاوي. . ومن غير دف عم إرؤص!!.

فتتدخل أم ياسين أخت أم محمود بقولها:

أم ياسين: لآ أختي أم محمود، مو حلوة الجماعة دايسين بساطنا. بحياة الغوالي عندك.

ويصفقن لها، فتذعن أم محمود، لرغبة الجميع، وهي تقول لأختها:

أم محمود: يعني غير مازحلأتيني. . . الله يسامحك. . مو بإيدي غلبتيني. شكيتك لعينك. . ثم تتابع قولها:

- هادا يا ستي ما إنت وسيدي وسيدك الله، بعدي اسمه. . الإصة وما فيها. . هالولد مدلّل على أمه وأبوه، ما لهن غيره على سبع بنات وشايفين أبرص من دنبه، ومنشان هيك مكعّي أمه وأبوه بدلاله.

أم بسام: الله يخلي لهن ياه. . ويردّ عنّه العين. . وعن كل ما خلأ ربي.

أم محمود: وها الولد، وين ما راحت أمّه، فين ما راح أبوه. . وين ما إجوا. بياخدوه معهن.

أم أكرم: يعني سنادة خاصرة!!.

أم محمود: هيك شي. . بس إذا بدي إحكي لكن فصول هالولد، ما لحا نخلص. . منشان هيك، يعني بدّي أول لكنْ. . شي منه ولا كلّه؟!. . (٦).

وأوّل باشتان لحا احكي لكن شو صار مع أمّه لمّن اخدته معها عالحمام. وبعدين حكايته مع الموزة.

ديبو في حمام النسوان:

كان إصرار الصبي على الذهاب مع أمه إلى حمام النسوان من الأمور التي لا تنسى. وقد غدت من أدبيات حمام السوق، التي تناولها عدد من الكتاب. لكن ما ستروبه أم محمود عن هذه الحادثة، مشفوعاً بشهود عيان وقفوا على دقائق ما حدث. . يؤكد إن القصة ليست من نسج خيال كاتب!!. .

أم محمود: مرّه أم هالولد بدها تروح على حمام السوق. . آم هالولد راسه وفرناسه غير ما يروح مع أمه عالحمام. آلت لـه أمه: لك إبني ما بيصير. . عيب. . حرام صرت كبير. . وهو لا تغلب. ضلّ محنتر وعلى أولة: ما. . ما. . بدي روح. . بدي روح. .

سعاد: الله يسود وشّه على هالعملة، والله انسلأ بدنا منّه. كش برّه وبعيد، كش بره وبعيد. .

إلفت: وشلون هيك إدرت أمّه تفوته عالجواني إي والله معلّمة الحمام أم فخري، ما بيزبؤ من بين إيديها صوص ابن يومين. . شلون ما شافته؟!!.

أم محمود: هادا يا ستي، أم هالولد، مربيتله شعره شاليش.

إلفت: وليش بآ شاليش الصبي؟!.

أم محمود: يئبر أمه مندور، وخايفه عليه أمه من العين.

إلفت: إه آمت حسبته المعلمة أم فخري بنت.. وهيك زبأ هالولد عالجواني..

أم محمود: عليكِ نور..

أم ياسين: إي أختي.. وبعدين.. بعدين شوصار؟.

أم محمود: يعني شو بدو يصير.. بسلامة عرفكن..

صبحية: أنا بحكي لكن إختي أم ياسين..

وهنا غلب على أم فؤاد ضحك لم تستطع مغالبته، فانفجر الجميع معها بالضحك دونما سبب، فلما استفسرت أم محمود عن ذلك الضحك إكتفت أم فؤاد بالنفي قائلة:

أم فؤاد: لآ إختي أم محمود ما في شي.. سلامتك.

فاعترضت صبحية على جواب أم فؤاد قائلة:

صبحية: يعني شلون ما فيه شي؟، ما كنا يوميتها سوا عالجرن!!. وكانت معنا أم أكرم وسعاد وناجية خانم ليكها، ! حكي لنا ناجية خانم، إحكي يوميتها شو صار عالجرن..

ناجية: إه.. شو عليه. هادا يا ستي لسّا أم ديبو ما سكبت أول طاسة. لحتى هالولد صار يبكي.. آل شو نسي هالملأ صنوف الرأبة يجيب معه النئيفة عالحمام.

أم ياسين: ولأيش النئيفة كمان؟!!..

ناجية: آل منشان يصطاد العصافير يللي بالحمام!!..

أم ياسين: شوفي هالعفريت شوفي . . لهون!! . .

ناجية: أختي أم ياسين ، جيل هالإيام صاير بيخوف ، يالطيف مفسّد من الإماط . .

أم ياسين: وشلون عرفتوه إنه صبي؟ .

ناجية: بدكن الحئيئة يا جماعة . . نحنا بالأول ما كنا عارفينه صبيّ ، بس لمن صار يبكي ، وصارت أمه تدحّه وتئروصه ، وتدعي عليه . . عرفناه إنه صبي .

صبحية: ونحنا عرفناه صبي من هون ، ولاّ ناجية بأعت لكِ من هون بصوت جمعت لك نسوان الجواني علينا .

ناجية: شو هاد يا جماعة ، والله حرام لمين هالولد . . وين أمه؟

فترد عليها أم ديبو .

أم ديبو: شو بتئمري حبيبتي؟ .

ناجية: المحروس ابنك؟ .

أم ديبو: أي والله .

ناجية : اسم الله عليه .

أم ديبو: الله يخلي لك ، ويسلمك .

ناجية: البركة . . أديش عمره .

أم ديبو: والله يا عيوني ، لسّاتُه زغير . . أول مشيه .

ناجية: لكان ليش ما بتجيبي أبوه تغسليه معه .

أم ديبو: يه . . تئبروني على هالسمعة . . أبوه كبير . .

أم ياسين: وبعدين شو صار؟!.

ناجية: يعني شو بدّك يصير . . إمت لِكْ أنا وصبحية وأم فؤاد، ونزلنا لك بإم ديبو نثف الدين أتلهْ . . حشك ولبك، على عض وشد شعر وأرص ودحّ . . وعلى أولة وين بيوجعك . . ما خلّصوها من بين إيدينا إلا منهنهة وما فيها عرء صاغ، وعلى أولة: آه يا فاعلة يا تاركة جايبتيه لهون لحتى يعرف المنيحة من الردية . . إن شاء الله بتصيري فرجة. (٧).

ديبو بدّه موزه:

ما إن انتهت حكاية ديبو في الحمام، بتلك الخاتمة المأسوية مع أمه. حتى سارعت أم غسان إلى سؤال أم محمود، عن فحوى حكاية ديبو هذا مع الموز . . وقد حاولت أم محمود التملص من الخوض، في هذا الموضوع، حتى لا تتحول السهرة إلى سهرة عن ديبو ونزواته . .

لكن إصرار الساهرات على معرفة هذه الحكاية، جعل أم محمود، على قدر من القبول، في رواية حكاية ديبو مع الموز، فقط على سبيل بيان العظة من مساوئ الإفراط في دلال الوالدين لأولادهما . . وبخاصة وإن أم محمود كانت الوحيدة بين الساهرات ممن يعرفن وقائع هذه الحكاية.

فقد حدث إن والد ديبو، اضطر إلى اصطحاب ديبو معه إلى السوق، فصادفا بطريقها بائع موز . . أصرّ ديبو على رغبته بالحصول على موزة، فاشترى الأب لابنه قرطاً من الموز، لكن الولد أراد أخذ جميع ما لدى البائع من الموز. وفي البيت، قال ديبو لأبيه: بدي موزة فأعطاه الأب موزة. مسك هالولد الموزة، وقعد يصفن فيها . . ثم ما لبث أن أخذ بالبكاء. ولما سأله والده عن سبب بكائه. طلب ملحاً، فأتوه بالملح.

مسك ديبو هالموزة، وقشرها، ولكْها بالملح، وعضّ منها عضّة، ثم رمى الموزة على الأرض وصار يبكي.

سألته أمه عن ما به، فقال بدي موزة. .

أعطته أمه موزة، آم هالولد، مسك هالموزة وأشّرها هيك وهيك وهيك وهيك (وهي تشير إلى يمين ويسار وأمام ونحو صدرالصبي) ولكّها بالملح، وعض منها عضة. . آم بزأها وكبها عالأرض وصار يبكي يبكي.

سمعته ستّه، آلت له: شبك تئبرني. آل لها بدي موزة.

أعطته سته موزة، وكمان أشرها، هيك وهيك، وهيك وهيك، ولكّها بالملح، وعض منها عضة. . وكبها عالأرض وصار يبكي يبكي، وما عاد يسكت.

إجوا إخواته، إجوا عماته، خالاته، وكلّ مين يعطيه موزة، يرد يأشرها، ويلكّها بالملح ويعضها، ثم يبزئها، ويرجع يبكي يبكي وما كان يسكت، كعيوا فيه، لا تغلب، ضل. يبكي احتاروا شو بدهن يساووا له، وهوّه عم يبكي.

وهنا ضجت الساهرات، والجميع يتساءل عن سبب بكاء ديبو. إلى أن سألت أم ياسين أختها أم محمود:

أم ياسين: لك أختي ما عرفتي ليش كان عم يبكي!!.

أم محمود: امبلى.

أم ياسين: ليش؟.

أم محمود: لأنّه ما بيحب الموز بالملح!!.

أم فؤاد: يي يي شكيتك لعينك نشفتي دمنا.
أم محمود: يعني شو بديّ ساوي لكنّ، الولد مدلل يئبر أمه.

* * *

الهوامش والحواشي:

١ ـ ما كان على قلبها هم: غير مشغولة صعي: صحيح. الوش: الوجه. بس: لكن. بركي: ربما، إجا: جاء. شو به: ما به، ما علّته. المربع: غرفة في الطابق الأرضي من المنزل التقليدي الدمشقي. محنداً: مللّم، لا عيب فيه. بيكمركر: دافئ. سئط لئط: كناية عن قرب المكان. أريب: قريب. يمّا: وإمّا. تخفّئ: كثرة الحركة بلا طائل. البراني: جناح المضافة للرجال من المنزل. ترئصي: ترقصين. تألي حالك: كوني رزينة. تمعززي: من العزّ. شوي: قليلاً. تئومي: تقومين. بيطوش حجرك: تضيعين، ويختل توازنك. التئل: الرزانة. أومي: قومي. شي: شيء. بخة: قليلاً. أوام: اسرعي.

٢ ـ أتّسال: قتّال. الشحادة وبنتها: كناية عن الإبكار في القدوم. . العتبة: المكان الذي يكون في مقدمة أو عند مدخل الغرفة، حيث يخلعون أحذيتهم، ونحو ذلك. منجي: نأتي. المرسة: حبل رفيع. لحا: سوف. البائي: الباقي. الحئيني: الحقي بي. محوراأة: مقولة دعاء على سبيل الدعابة. كنيّ: إهدئي. بئول: أقول. الموأدة: الموقدة. هالدّأة: دقّة الباب هذه. منأرزه: لها إيقاع. مرأنا: مررنا. لئيناها: وجدناها.

ما بآلتجي: لم يبق لمجيئها إلا القليل. وكمان: وأيضاً: هيّة: هي. ألبي: قلبي. نائزني: غير مطمئن. هالأد: هذا القدر. بيحجّ الحج بلا أبو حلاوة: كناية عن إمكان الاستغناء عنهن. . أدانّا: أذنانا. شوي: قليلاً. لاحئين: على مهل. ورشة: ضائجة. منيح: جيد. أولي: قولي. إنتو: إنتما. ويّاها: وإياها. ما بتتفئوا: لا تتفقون. . بتتناءروا: تتخاصمن. ما إلت لك: ألم أقل لك.

٣ ـ لحا: سوف. بيؤلوا: يقولون. الحئيئة: الحقيقة. متانة: راتبة. مزوءة: من الذوق. هادا: هذا. ما بتصدئي: لا تصدقين. أديش: كم. أدّامك: قدامك. بتاكل عليها بالدّين: تتمنى. شبها: ما علّتها. دحّة: الضرب بقبضة اليد على الظهر. ما عليش: لا بأس. تكفنيني: من الكفن، وتطلق على سبيل الدعاء للتحبب. ناطف ألبي: ناطف من صنع الناطف وهو ما يؤكل مع أقراص حلويات المعمول بالجوز. وكان صنعه يستغرق الوقت الطويل، مما يعيل الصبر. والألب: القلب، وينطف القلب مقولة يراد بها صعوبة الحصول على الشيء بسرعة. الطرّاءة: الطرّاقة: المصيبة. إهرمانيّة مسنّة داهية. هازرتلك: هززت لك. ما أأصد: لم أقصد. هيك.. هكذا. أريبة: قريبة، ما يمكن تناوله. شيت إنه: إذا قلنا. تطرقك: تصيبك. المخلوءة: المخلوقة. تشكلي آسي: الآس أغصان توضع على القبور. والمقولة على سبيل التحبب. مين آل: من قال: لسّاك: لا تزالين. طبأ: أطبق. أتم: أكمل. منين: من أين. سنجأ عرض: سنجأ: علم. والمقولة يراد بها الشيء الذي يعترض المرء. بوشّ مين: بوجه من. الواه الواه: خسئت. بتنشرب مع المي العكرة: كناية عن حسن معاملتها. بيخلى لها سبع بلاد: من الصعب مجاراتها. حلئها: حلقها. أولي: قولي. بالعة راديو: مذياع كناية عن كثرة الثرثرة. بتكري: تحكي. تثرثر. نائصنا: ينقصنا. إدرة: قدرة. لئت: وجدت. والمقولة كناية عن التكامل بين أمرين أو شخصين. فين: أين. ما بتئدر: لا تقدر. الشيخ زنكي دافنينه سوا: مقولة يراد بها عدم جدوى أخفاء الشيء عن الآخر. حِبرك غميء: داهية. أغواره سحيقة.

٤ ـ بس: لكن. هديك: تلك. أطفتك: قطفتك. أدّر: قدّر. النئد: الصداق، المهر. تئطر: تقطر. فرّيء: فرّق، وزّع. مشئرءه: مفرفحة. آعد: قاعد. إبالي: في مقابلتي. يا عرء: يا عرق. عانأك: عانقك. ما حله: لم يئن بعد. بدعاك: أدعوك.

٥ ـ الصدر: الصينية: طربيزة: منضدة صغيرة واطئة. المخلوءة: المخلوقة، يعني

صاحبة الدعوة. دايسين بساطها: زائرين لها. عين أم صالح: كناية عن الشيء المميز في ما يقدم للضيافة. أم عين جوعانة: دنيئة النفس. أم بطن كبير: فجعانة. خوش: كناية عن إبداء عدم الرغبة في نوال الشيء. الببّو: الجنين بعد ولادته. آدرة: قادرة.

٦ - يفكحك: دعاء تحبب. شبنا: ما حلّ بنا. ألبي: قلبي. من الحامض لاوي: مقولة يراد بها: الملل وعدم الرغبة بالكلام. من غير دف عم أرؤص: أرؤص من الرقص. والمقولة مرادفة في مضمونها للمقولة السابقة أو إن قائلها، أصبح غير قادر على الاحتمال. زحلأ: ورّط. الأصة: القصة. أبرص: قبرص. مكعّي: جعلهم غير قادرين على إرضائه. خلأ: خلق. وين: أين. فين: أيضاً. سنادة خاصرة: يقال للفتى أو الفتاة: التي ترافق أبويها، وتجالس الكبار، في مناسبات لا تليق بأمثالهم. شي منّه ولا كلّه: مقولة تعني: بعض الشيء مما تعرف.

٧ - فرناسه: كل ما يملك من بأس أو عناد. محنتر: مصرّ. أولة: قول. انسلأ: انسلق بمعنى: سبب حرجاً كبيراً. كشّ برّة وبعيد: أبعد الله عنا امثال ذلك. ما بيزبؤ: لا يزبق. أي حرصها لا يسمح بدخول. شاليش: شعر الفتيات. سوا: سوية. ليكها: ها هي. يوميتها: ذلك اليوم. معليش: لا بأس. الرأبة: الرقبة. المأصوف: المقصوف. والمقولة: كناية عن الدعاء بأن يكسر الله رقبته. النئيفة: النقيفة، وهي ما ينقف به الأطفال الحصى الصغيرة لاستهداف ما يريدون من عصافير ونحو ذلك. الإماط: القماط، لفّة الوليد. الحئيئة: الحقيقة. بأعت: صاحت بأعلى صوتها. بتئمري: من الأمر، بمعنى ماذا تريدين. أديش: قدر أي شيء. أي: كم. زغير: صغير. لبك: لبط. حشك ولبك: كيفما اتفق. منهنهة: غير قادرة علي الحراك. عرء: عرق. وعرء صاغ: مكان لم ينال نصيبه من الأذية والألم:

٨ - يصفن: يتأمل. هيك: هكذا. بزأ: بصق. كبّ: ألقى. ستّه: جدته. يؤشرها: يقشرها.

ثانياً:

١ ـ حكي الوشّ قوّة.. وحكي الأفا، مروّة.

٢ ـ التحدي بالبرسيس.

٣ ـ الحكمُ.. والرضى.

٤ ـ مو رمّانه.. ألوب مليانة.

٥ ـ العتاب.. صابونة الألوب.

٦ ـ إشكالية السمار والبياض.

٧ ـ التثل صنعة!..

١ ـ حكي الوشّ قوّة.. وحكي الأفا مروّة:

التأم شمل الساهرات هذه الليلة، إلا من أم محمود، فقد أعلمت أختها بتأخرها، لارتباطها بزيارة ضيوف من طرف زوجها، وستعمل جاهدة على عدم التاخر حال انصرافهم من عندها. . وقد مسك لها الساهرات خاطراً. بعدم البدء بالسهرة، وقضاء بعض الوقت في أحاديث جانبية وتناول الموالح.

ولما طال تأخر أم محمود بدأ التململ يتسرب إليهن، فاقترحت أم ياسين، صرف النظر عن إمكان حضور أم محمود، فالغايب عذره معه، وفي الغد سوف تطمئن عليها. . فكان أن تحركت نوازع التشفيّ بين أم فؤاد وأم أكرم، بسبب ما ترامى إلى مسامع أم فؤاد، من قول أم أكرم، إنّ أم فؤاد يلزمها فتّ خبز لحتى تكون قادرة على الجلوس معها أمام شيرة البرسيس، لأن مثل أم فؤاد متايل لم يستطعن الوقوف أمام زهرها، وعياءتها في اللعب، وتصفية أحجار من يلعب معها. . وجدت أم فؤاد أن الوقت مناسباً، للإقتصاص من أم أكرم، وجعلها تستحي على حالها عندما تتحدث عن غيرها في غيابهن، فحكي الوش أوة، وحكي الأفا مروة. كما يقولون.

تناولت أم فؤاد البرسيس، ووقفت، ثم نفضته عدداً من المرات في وجه الساهرات، وهي تقول:

ـ شمر شمرَ على يللي ماله أدّ حكيه. . آل جيران آل، والنبي صلى الله عليه وسلم وصى على سابع جار. أي والله كوم حجار ولا هيك جار(١).

٢ ـ التحدي بالبرسيس:

شعرت أم أكرم أنها المقصودة بالكلام . . اعترضت على كلام أم فؤاد وبادرتها بالقول:

ـ شوفي يا أم فؤاد ، مو أنا يلّلي بحكي بالأفا طالع نازل ، والكلام يللي سمعانتيه على لساني غلط . أنا أذا بدي إحكي بحكي بالوشّ ، وبئول للأعور أعور بعينه . بعدين من إيمتى أنت صرتي تعرفي تلعبي برسيس ، لسا إمبارح أمسكتي الزهر ، وإذا اربحتي لك شي دأ دأين ، مو معناتا ملكتي الألعة .

أم فؤاد: بالظاهر بدنك عم يا كلك ، على شي غلب .

أم أكرم: لك حاجة تعلي وتوطي ، وتنفشي حالك متل الديك عالمزبلة . .

أم فؤاد: الواه الواه عليك . . عازك وعوّ ازك .

أم أكرم: سمعانين يا جماعة شو عم تحكي . . أنا هلأ بدي خليها تعرف إيمتها . . وخلّي يدوب التلج ، ويبان المرج . . ثم تقول لأم فؤاد:

ـ مدي هالبرسيس هون وعدي لشوف . . والمي بتكذب الغطاس!! . .

فيصفق لهما الحضور وقد تجمعن حولها ، جلوساً ووقوفاً .

أم فؤاد: بس على شرط .

أم أكرم: اشرطي يللي بدك ياه . . ولمّن بتغلبي إبئي إحكي واتشارطي . .

فيصيح الجميع: عالحكم والرضا . . عالحكم والرضا . في هذه الأثناء ، تكون أم محمود قد وصلت ، فترى ما كانت عليه الساهرات من لغط وهرج ، حتى لكأنهّن في حمام نساء مقطوع عنه الماء . . ولولا أن لحظتها أختها أم ياسين ، لما شعر بوصولها أحد .

رحبّت أم ياسين بام محمود مستفسرة عن سبب ذلك التأخر. لكن أم محمود أثرت الاستفسار عن ذلك التصايح الذي وصل صداه إلى الزقاق. إجابتها أم ياسين:

أم ياسين: إي لكان تعي عدي وشوفي هالشوفة، اللعبة حميانة بين أم أكرم وأم فؤاد.

أم محمود: على إيش اللعبة.

أم ياسين: مو على شي.

أم محمود: لكان على إيش كلكن محموئين كل هالأد. وأصواتكن واصلة لراس الحارة؟!!. فانتبهت لحضورها أم فؤاد. فقالت لها.

أم فؤاد: لآ أختي أم محمود: مو مو على شي، بنوب بنوب، يعني عالحكم والرضا..

أم محمود:إذا كان هيك اللعبة حرزانة، وهي أعدة.

أم فؤاد: وانتِ أختي أم محمود احكمي بيللي بدك ياه. ثم تلقي بالزهر، مخاطبة أم أكرم: وأنت أم كرومة خدي هيّ استفتاحة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي: دست، شو!!..

أم أكرم: دست.

ثم تخض أم فؤاد الزهر وترميه قائلة: وهاد. فتجيبها أم أكرم هازئة: دواء بعدي.

أم فؤاد: نعمة من الله، الحجرّ يللي ما يعجبك بيفجك. تعمد أم فؤاد إلى نقل أحجارها بالدست والدواء: وهي تقول:

ـ شوفي بعد إمّك ، هيّ الدست بالعشرة ، فتقتل لأم أكرم حجراً ، وترميه في حضن أم أكرم قائلة:

خيه ، هادا الأفندي خليه يحضنك ، خطيّ برد عليه ، عطيه بزّه . . وهي الخال والدواء.

أم أكرم: أي لأوي أم فؤاد ، لأوي . هادا الحجر يللي تآويتي عليه ، يا دوبه خال مشطف . . الآخرة يا فاخرة خانم!! . لسّاتك بالرأراء بعدي .

تتناول أم أكرم الزهر ، فتخضّه ، وتهمس له ثم تقبّله وترميه قائلة:

أم أكرم: وهاد شو؟! . .

أم فؤاد: دست .

ثم ترمي أم أكرم الزهر قائلة:

أم أكرم: وهي بنج ، وهي شكة وراها فكة ، وهي دست تاني . . وهي ثلاثة الله يجيرنا من الشماتة . . أديش صاروا .

أم فؤاد: أريضة وماحية .

أم أكرم: صاروا دستين وبنج وشكة وثلاثة موهيك؟ . !! . ولسّا ما شفتي شي ، هادا الزهر تبعي ، أنا بطعميه لوز وسكر . . مو متل زهرك المعصمص ، المأدإد من إلّة الموت .

أم فؤاد: أي بس . . بس بلا لعي .

تشرع أم أكرم بنقل أحجارها ، وفقا لما أتى به الزهر قائلة:

أم أكرم: هي الدست الأولاني بالعشرة وهي الخال ، وهادا الحجر تبعك يللي تآوا

علي حجري المشطف، خديه. وهادا الحجر التاني بالدست بالعشرة، كمان خديه حطيه مع أخوه بحضنك، خطية عطيه بزه. خليه يتونس معه.

إه شو بئي معنا يا مرحومة البيّ؟!. بني معنا البنج وخال الدست والشكة والثلاثة. شوفي هي البنج بتمانيته وهي الثلاثة، وهادا (الحجر) الآغا يللّي على باب المطبخ كمان خديه، خشخشي فيه مع إخواته.

أم فؤاد: يي يي شكيتك لعينك على هالعملة، لك ما صفى إلي غير حجر واحد، بإيش بدي إلعب.

أم أكرم: معليش أختي أم فؤاد معليش، بتصير بأكبر العائلات.. بعدين شوفي، أم فؤاد بلا مستحى منك. آل: من حب حبابه، كل شي بحسابه، الحساب بالدرهم والبخشيش بالأنطار.. بائي لي لسّا، الشكة وخال الدست وخال البنج.. إنت مشي لي ياهن بها الحجر، لا تئولي أصفت لك عمر الحجر الرابع. أنا جاية على بالي كمل الدأ على نضافة، بدي اتفتل بحجاري لحالي.

ويستمر اللعب بين أم أكرم وأم فؤاد، أم أكرم تأتي بالدست والبنج والزهر الثقيل وأم فؤاد يادوبها الدواء والثلاثة والشكة والبارة.. فما كادت أم أكرم تدخل آخر أحجارها إلى المطبخ، حتّى خربت أم فؤاد البرسيس وألقت به بعيداً قائلة:

أم فؤاد: أنا مع مين عم إلعب؟!.. أي تضربي أنت وهالزهر، حلّي عني ياه.. (٢).

٣ ـ الحكم.. والرضى:

اعترضت الساهرات على ما قامت به أم فؤاد، من تخريب لشيرة البرسيس ورميها بعيداً، وتصايحن عليها بقولهن: ما بيصير هيك أم فؤاد.. ما بيصير..

ولما كانت أم محمود قد قبلت أن تكون، حكم هذه اللعبة بين أم فؤاد وأم أكرم قالت:

أم محمود: بس بس يا جماعة بس. خلينا نعرف.. اسمعوا إذا بتئمروا.

فسكتن فقالت أم محمود:

ـ أنا بدّي أسأل أم فؤاد ليش نترت البرسيس هيك؟

أم فؤاد: لكان شو بدكن ياني ساوي.. ضلّ جيب: دواء وتلاته وأربعة، وشكة وباره، وهيه تجيب دسوت وبنوج، وتضل تتمألس عليّ على كيفها. آ..

أم محمود: مالك حأ أم فؤاد.. أنت بتعرفي هادا الزهر وشه عضم.. وياما دأ البرسيس بيئلب على دودبة، وبيصير الغالب مغلوب.. موهيك يا جماعة.

أم فؤاد: يعني ما شفتي، أديش مجاوب معها الزهر؟!!. أي والله ما عاد إجاني صبر وما شفت حالي إلا ناترة البرسيس.

أم محمود: وهيك صار عليك الحأ..

أم فؤاد: وأنا تحت أمرك. ثم تتوجه إلى الساهرات قائلة: وأمركن.

تعمد أم محمود إلى غمز سعاد لربط خصر أم فؤاد. وتناول العود لأم أكرم وتعطي الدرنبكّة لأم بسام. وتضع الفئيشات في أصابع أم فؤاد. ثم تخاطب أم فؤاد:

أم محمود: وهلاً يا أم فؤاد، هزي لنا خصرك شوي وأرجينا رأص الحموات.. ما بدنا منك غير رأصة ستي. يا أم فؤاد.. يا الله.. هاتي لنشوف.

أم فؤاد: الله يصطفل فيك يا أم محمود. . والله ما رأصت من عرس ابني. .

أم محمود: وهلاً إرئصي إدّامنا. . يمّا نحنا مو أدّ. .

تقاطع أم فؤاد أم محمود قائلة:

أم فؤاد: كلكن عالعين والراس. . وكل شي إلا خاطركن. . (٣).

٤ ـ مو رمانة.. ألوب مليانه:

كانت إلفت وناجية في هذه السهرة وكأنهما مجبولتان من طينة خاصّة!!. إن راقت نفسيتهما، شاعت فيهما البهجة والحبور، وغدا كل شيء يرفل بالمودّة والمسرّة. وإن كان الجوّ متكهرباً بينهما، انعكس على وجهيهما عبوساً قمطريرا حتى لكأن الشر يتطاير من محجري عينيهما. فلا وسط هذه الليلة بينهما، إمّا جنّة أو ناراً.

فبينما الساهرات يُسَلْطِنَّ مع أم فؤاد، في رقصة ستي، همست سعاد في أذن أم ياسين وهي تنهر بها.

سعاد: أم ياسين. . أم ياسين. . لك أم ياسين.

أم ياسين: أي. . أي شبك. . شو فيه؟!!. .

سعاد: شايفة متل ما أنا شايفة؟!.

أم ياسين: شو؟

سعاد: إلفت.

أم ياسين: شوبها؟

سعاد: شوفي شلون بارمة بوزها، وراكب وشها بالمألوب.

أم ياسين: يفكحك . . إي والله . . لك شوفي كمان شلون ناجية مبرطمة ، وعمّ تتزوّر إلفت وتتأوّرها . . باينتها معباية من إلفت . . أبصر شو بهن .

سعاد: أولك متخانئين مع بعض .

أم ياسين: يا إما في حدا موتوت بيناتن .

تتدخل في الحديث أم شكري . . فتقول لأم ياسين:

أم شكري: شو ها الحكي إختي أم ياسين ، إي والله إلفت ألبها أبيض ، وبتنشرب مع المية العكرة . وعندها ناجية بالدنية . كش برّة وبعيد كش برّة وبعيد .

سعاد: وكمان ناجية ألبها أبيض وعندها إلفت بالدنية

أم ياسين: ويللي بيزعِل أكتر إنهن جيران الحيط بالحيط ، واللقمة يللي بتم الوحدة منهن للتانية . . إي والله متل الإخوات .

أم شكري: شو ها الدنية يا جماعة . ماعاد فيها أمان . ليش هيك عم يصير معنا؟

سعاد: لأنه ولاد الحرام ما خلوا لولاد الحلال شي .

مع انتهاء رقصة ستي ، يبدأ التصفيق وتقطع أم محمود الحديث عن ناجية وإلفت قائلة:

أم محمود: ـ لك شبكن . . خليكن معنا . . سلأتوا بدننا ثم تلتفت إلى أم فؤاد:

الله يعطيكي العافية . ريته ما يبلى خصر الملبن . . والله شي حلو . .

أم فؤاد:تسلمي ، هادا من لطفك . . الله يحليّ أيّامك .

أم محمود: عم أول لحالي منين لها كنّتك هالرأصات الحلوين . . تاريه من العتائي .

سعاد: إه نياله . . عالسمك بلا حسك .

أم محمود: مين لك مضروبة؟

سعاد: صاحب المال تشكلي آسي . . سبع البرمبو!! . بعد عمري . .

أم محمود : زوئي بآ . . حاج .

سعاد: وشو فيها . . أم محمود ، الله يخلي لكل مين يللي إله . !! .

أم فؤاد: كله منك يا أم محمود . يعني بتلائيها حلوه ، إدّام كنتي ، أوم أروًص بعد هالعمر(٤) .

٥ ـ العتاب صابونة القلوب:

تقطع سعاد هذا الحديث مستأذنة من أم ياسين ، بقولها:

وهلاً يا جماعة خلينا نعرف ، شو ضريب هالمنظومة ناجية ، مع جارتها إلفت ، حاكم كأنهن معبايين من بعضهن ، ومسدودين بأشة ، اللهم عافينا . وكل وحدة ، ضاربة بوز شبر . .

ثم تخاطب ناجية عالحساب بعدي وعدتينا إنت وياها ، بدكن تئولوا لنا شي حلو الليلة . . هادا يللي طلع معكن؟ إي تضربي منك إلها . لك إمبارح تركناكن ، متل السمنة والعسل!! . . شو حدا لبدا؟!! . ناجية خانم .

ناجية: إسألوا ست الحسن شو طالع برأسها اليوم . أنا بعجبك ، وأنت والحاضرين على راسي . . بس إلفت معصلجة ، ومو رايئة الحشيشة معها .

سعاد: شو إلفت ، صاير إلك دوالج ، وعم تزعلي لنا حبيبة ألبك ناجية .

إلفت: أنا ما دخلت ، هيّة آخذه على خاطرها مني . بعدين شو . عملت عملتها ، وجاية ترمي الحأ عليّ . آل ضربني وبكى وسبأني واشتكى يا لطيف شو أويّة . .

ناجية: أنا يا منظومة!!.

إلفت: لكان أنا؟!! . . أنا يللي سكبت معاليء لجارتي وعرفانتك عم تتوحمي . . إي والله استحوا الغربا.

ناجية: أنو غِرَبا.

إلفت: يعني عاملة حالك ما عندك خبر . . نسيتي لما كنت أنا وياكِ ، بباب البريد ، لمن لحئني الرجال يللي حامل صينية كباب هندي ، وحلف وتتالف غير مادوئها ، لأني حبلة.

ناجية: يفدح حريشك ، أنا ما كنت عرفانتك هيك . لك إلفت إنت متأكدة إني سكبت لجارتك المعاليء؟.

إلفت: إي لكان ، وهيّة عزمتني عليهن.

ناجية: أبل كل شي أنا ما بعتت لجارتك معاليء ، بعتهن إلك ، وإذا هية حسبتهن إلها أنا شو دخلني يا جماعة . . بالله عليكن!! . .

إلفت: هيك لكان.

وما لبثت ناجية أن أمسكت على سوالفها وأقسمت:

ناجية: إي وحياة هالمآصيص . بعدين هيك ، من غير ما تعرفي شو الإصة ، طم غم ، بترجعي لي الخاتم . يللي اشتريت لك إياه ، مع ابن الجيران ، وإلت له يئول لي كلام ، كل كلمة منه ، بتهر اللئمة من التم . يا عيب الشوم.

أم ياسين: يا جماعة . . . يا جماعة ، هلّأ شو بدنا بها الحكي ، ضاعت ولئيناها ، وانتو التنتين ، من عمركن حبايب . وإذا في شي خلينا نصالحكن وصافي يالبن.

أم محمود: وإلكن عليّ وعلى جميع الحاضرين إنكن بكرة غداكن عندي بالبيت معاليء . . انبسطتوا . .

إلفت :أختي أم محمود إنت عالعين والراس ، بسّ كل شي لحاله . أنا لسّاته ألبي تألان على ناجية . .

أم ياسين: يا جماعة ، أنا بئول لكن . إلفت لو ما كانت بتحب ناجية ، ما كانت عتبت عليها .

أم أكرم: وكمان ناجية لو ما كانت بتحب إلفت ما كانت أخدت على خاطرها منها . .

أم غسان: لكان طلعوا خلاص .

أم فؤاد: لآ أختي أم غسان ، خليهن يفشوا خلئهن ، ويتعاتبوا . . العتاب صابونه الألوب موهيك إلفت خانم . . شو ناجية خانم .

إلفت: إي بس أنا لساتني حاملة منها . .

أم محمود: شو إلفت كل هالأد . عالحساب إنت ألبك أبيض .

ألفت: لكان هالمنظومة بتسفهني لأني بحبّ السمار .

ناجية: وكمان أنت بتعيريني بالبياض[٥] .

٦ ـ إشكالية السّمار والبياض:

عمر هذه الإشكالية ، طويل ، قد يتصل بانتشار الإسلام في ما وراء بلاد العرب ، وما رافق ذلك من تزواج بين نساء البلاد المفتوحة والفاتحين العرب . . كما قد يتصل بانتشار الجواري والإماء والمحظيات . . وقد لعبت الخاطبات حتى عهود متأخرة ، دوراً في الترغيب بالسمراوات أو البيضاوات ، بما كانت تسبغه

على كل منهما من أوصاف وبما تضفيه من محاسن. . ثم أصبحت رغبة الشاب هي الفيصل في تفضيل أي منهما، وكان من يرغب أن تكون زوجه من هؤلاء، أو أولئك.

فأصبحنا نجد من يتغزل بمحاسن السمراوات، ومن يتغزل بمحاسن البيضاوات، وامتدت إلينا تلك الأوصاف، بما كان يتناقله الناس، ويتسامرون به في أمسياتهم. .

والإشكالية التي وقعت بين إلفت وناجية، تنقل إلينا غيضاً من فيض مما حفل به تراثنا الشعبي، اللاماديّ. . ولعلها كانت مما تفتعله النساء في سهراتهن على سبيل التشخيص أو التمثيل. . مما اقتضى الإشارة إليه، فالأمر والحال هذه، أن فشّت كل من إلفت وناجية قلبها، وغسلت ما شاب ودّهما، وعادت المياه إلى مجاريها، فكان أن صاحت أم محمود محييّة:

أم محمود: ومن عنا إلفت خانم يا يا. ياه.

الجميع: وهيه:

إلفت: إه شو عليه، إنتوا إلتوا أنا أول بالأول. . ما بدها زعل.

أم محمود: إنت أولي بالأول، وما عليك، عندك ناجية خانم أدّها وإدود.

فتعمد إلفت إلى تحية ناجية بقولها:

إلفت: ومن عنا ناجية خانم يا يا. . ياه.

الجميع: وهيه. .

إلفت: يا أسمر السّمر يا ما عيروني فيك.

إنت الورد عالسحر وأنا النّدى بسئيك.

وإنت الأمر بالسما وأنا النجوم بحويك .

وإنت حشيشة الألب وأنا ما بفرط فيك .

أم بسام: الله يسلم هالتم . . ما يبلى تئبري عضامي . درر . . والله درر .

أم شكري: يا لله ناجية خانم . الرطل بدّه رطل وأربع واء . عطيها . . عطيها . . دئي الحديد وهوه حامي .

ناجية: يا محسن البيض إذا خطروا عالمكشوف .

يخلوا الشّب يللّي إله نظر يشوف .

والبيض سكر مكرر بالحرير ملفوف .

خلّوا الألب بهواهن دايم الدوم ملهوف .

أم ياسين: حصنتك بآيات الله ، صلّوا عالنبي (صلى الله عليه وسلم) يا جماعة . . صلوا عالنبي ، إي والله شي بيمزع العئل .

الجميع: اَللهم صلي وسلم وبارك عليه .

أم شكري: إي والله شي حلو ، بس إلفت خانم يللي عندها ، مو أليل . ومو كل مين حضر النسوء ، باع واشترى ، وَبدّه يكون مليان ومنتلي ، موهيك إلفت خانم .

إلفت: مو على عيني ، وكرمالك لحا أول

يا أسمر السمر ، يا مالي وراس مالي .

يا حب هيل انطحن ، غيرك ما يحلى لي .

سوسحتني بغرامك . إرحم حالي .

لو تطلع الروح . . ما بيغلى عليك غالي .

أم شكري:إي لكان ، الغالي بالعلالي ، مدلل ومعلّل تشكلي آسي .

وما كادت إلفت تختم قولها ، حتى انبرت ناجية للرد عليها وبلا مقدمات ، تحسباً منها ، أن تأخذ إلفت إعجاب الساهرات بما تضمنه أقوالها من تحريك للعواطف ، وتأجيج لكوامن العشق والهيام .

ناجية: يا أبيض البيض بيلبأ لك تشوف حالك .

تغاوى ببياضك . ولا على بالك .

عاديت كل البشر بالكون كرمالك .

والسمر طئوا أهر ، لمن يخطر خيالك .

أم ياسين: يا عين يا عين ، إشطه بعسل . . العز للرز ، والبرغل شنأ حاله . . درر . الله يجبر بخاطرك ، خليني شوف حالي شوي ، ولا حدا يعيرني!! . .

أم شكري: إي إختي إم ياسين طولي بالك زوزك . بيحبك صليّ عالنبي ، وخلينا نسمع شو لحا تئول إلفت خانم .

أم محمود: يا لله إلفت خانم شو ألتي:

إلفت: يا عطر الأناني يا دوا للعطشان . .

خبي عن البيض عيونك يا ناعس الأجفان .

لون السمار ع ألبي . آه . يا أحلى الألوان .

يتباهى بسمارك ولا تسمع لمين ما كان .

أم شكري: حلو . . والله حلو . . يسلم هالتم .

ثم تردف إعجابها بما ينادي به باعة توت الشامي على التوت ، «هادا يللي وصفه الحكيم لابنه يا شامي . . هادا شفا يا شامي . الشفا على الله حبر الأناني يا شامي» .

وتجاريها أم محمود بردّة استعارتها من المناداة على الكمأة بقولها: «سمرة يا بنت العربان يا سمرة . . أبو كي راعي الحصان يا سمرة . .

أم ياسين: وهلاً ناجية خانم ، شو لحا تئولي لنا . . خليني شوف حالي ببياضي هه . .

ناجية: يا أبيض اللون يا وائف عالطاءة

إرحم فؤادي ما عاد لي عالصبر طاءة .

فتقاطعها أم ياسين ، وقد استبدّت بها النشوة قائلة .

أم ياسين: إضرب أنا عنك ، أنا فدا عيونك تئبريني . . عيدي تشكلي آسي عيدي .

فتعيد ناجية ما قالت في هذه الرّدة ، وقد اطمأنت إلى تجاوب الساهرات معها:

ناجية: يا أبيض اللون يا وائف عالطاءة .

إرحم فؤادي ما عاد لي عالصبر طاءة .

بكلّ خد من ورد الشام باءة .

حَرِّص عليهن عيون السمر سرّاءة .

أم ياسين: له . . له . . له . كش برد وبعيد . . كش برّه وبعيد . .

أم شكري:إختي إم محمود شايفتلك العلة لحا تحمى وعالتئيل. تواسطيها بيناتهن، الله يخليك . . باينتهن آخدينها جد.

لما قالت ناجية أن عيون السمر سرّاءة، زهت إلفت، وأرادت أن ترد على ناجية بكلام، فيه شيء من الإثارة والتحدي. لكن أم محمود قطعت عليها الطريق وقالت:

أم محمود: يا جماعة يا جماعة اسمعوا. . اسمعوا مني هالكلمتين. أبل ما نزعل من بعضنا. نحنا بهالسهرة ما جمعتنا غير المحبة، وما بدنا نزعل من بعض.

وأعقب ذلك أن قامت أم شكري بتحية أم محمود على هذه البادرة. فقالت أم محمود وقد أصغين لقولها:

أم محمود: عين المحب من عين العزول تبان.

والحب أثر معايا من الزغر للآن.

بحب الأبيض لأنه الورد بخدوده.

وبحب الأسمر لأنه ناعس الأجفان.

فيسارعن إلى التصفيق والزغاريد، وتنفرج أسارير إلفت وناجية فتقول إلفت في ردها على أم محمود.

إلفت: حلاوة اللفظ، أحلى من شحادة الكف.

ووش البشوش، بيسوى من الجواهر ألف.

خود الأصيل، ولو كان بألعبا ملتف.

لا تاخد الندل، ولو كان عنده من الجواهر ألف.

فيصفق لها الجميع مع الزغاريد. فتنبري ناجية إلى الرد على إلفت بقولها:

ناجية: لو كنت معي يا زين بالنظر تئنع.

لحطك بعيني بدال الكحل بالمدمع.

لحا أول كلام إفتهم وإقنع.

الألب إله واحد افتكر واسمع.

يصفق لها الجميع، وتنبري أم غسان إلى الرد عليها محييّة.

أم غسان: يا عيني يا عيني.. الله الله عالحبايب.

وتنهض أم محمود وقد أمسكت بيد ناجية من طرف، ويد إلفت باليد الأخرى، وهما ترددان:

إلفت وناجية: رايح أودع عندكن روحي.

خايف روح. وتاخدوا مهجتي وروحي.

وحياة من سطر الآيات باللوح.

ما يحل عن عشرتكن غير طلوع روحي.

وفي زحمة التصفيق والزغاريد تنبري أم محمود إلى القول ثانية:

أم محمود: يا جماعة.. إذا بتريدوا اسمعوا مني هالكلمتين.

فيستجبن لأم محمود. فتقول لهن.

أم محمود: يا جماعة أهل أول ما خلّوا شي ما آلوه، آلوا:

الزعل بالدرهم ، والفرح بالأنطار ، شو إلنا بالدرهم خلينا ناخد من الأنطار .

بآ . . الزعل بيفرّئ ، وبيساوي ، حئد وكره . والفرح والله بيفرفح الألب ، وبيزيد المحبة(٦) .

٧ ـ التثل.. صنعة:

وسرعان ما انتقلت هذه المشاعر المشحونة بالودّ والصفاء ، إلى الإحساس بالرغبة إلى سماع شيء من الغناء ، وقد بدت هذه الرغبة على لسان أم محمود ، بقولها:

ـ وهلاً يا جماعة شو رأيكن ، لو تسمعنا زهرية بنت صبحية خانم شي غنية ، اسمنه صرنا حبايب .

وافقت الساهرات على الفكرة ، لكنّ صبحية اعتذرت عن غناء ابنتها في هذه السهرة ، بدعوى أن صوت ابنتها مبحوحاً ، بسبب برد أصابها منذ أيام . وحقيقة الأمر أن صبحية ، رأت في غناء ابنتها على ذلك النحو ، إنما هو انتقاص ، من شأنها . فقيمة ابنتها من قيمتها ، وابنتها ليست كمالة عدد بين الساهرات . .

فكان لابد من التمعزز ، على مبدأ: خلي العسل بكواره . . لتجي أسعاره . فابتدرتها أم ياسين قائلة:

أم ياسين: وإذا قلت لك كرمالي خليها تجرب حالها . . ومنشاني .

صبحية: شانك على راسي أختي أم ياسين . . وإنت بتعرفي شو عما أوصد . . بنتي أنا مالها بهالسهرة ركعتين بلا وضوء!! . .

أم ياسين: إلحأ معك. . بس هلاً. مو حلوة. . الجماعة دايسين بساطي. . يما مالي خاطر عندك!!. .

ألجم طلب أم ياسين، تعنت صبحية وجعلها بين نارين، فلا هي راضية عن إسلوب دعوة ابنتها إلى الغناء، ولا هي راغبة في رد طلب أم ياسين. فكان أن سكتت، والسكوت عرفاً. . إقرار. . أي علامة الرضا. سارعت أم ياسين إلى القول:

أم ياسين: وينها أم الزهور حبيبة ألبي وينها؟.

زهرية: أنا هون خالتي أم ياسين.

أم ياسين: يا جماعة، من بعد إذن إختي صبحية خانم. لحاتسمعنا عروستنا لطفية غنية. حلوة وحلوة كتير.

صبحية: بتموني إختي أم ياسين.

أم ياسين: تسلمي لي. . أي لطّوف شو لحا تسمعينا الليلة.

زهرية: يللي بتئمريه خالتي أم ياسين.

أم ياسين: ما يئمر عليك ظالم. . بس أنا جاية على بالك إنه نسمع منك غنية يا حنايننا. .

زهرية: على عيني خالتي. . إي والله. حلوة غنية يا حنايننا.

الساهرات: إي والله حلوة كتير. . ومن تمك أحلى.

تسارع أم ياسين فتعطي العود لصبحية (والدة زهرية) والدربكة. . لأم فؤاد. . ويشارك الجميع زهرية الغناء. وقد أخذت بيد عزيزة لترقص مع الغناء.

يـا حنايـنـا يـا حنايـنـا . .

شو معذبين إنت وأنا .

مالك غنى عن عشرتي .

ونا عن حبك مالي غنا .

قايمة من النوم تنده يا لطيف .

لالي مجنونه ولا عألي خفيف .

يا مين بحب الله يطعميني رغيف .

رغيف المحبوب يشبعني سنة .

الساهرات:يا حنايـنـا يـا حنايـنـا . .

شــو مـعـذبـين إنـــت وأنـــا .

مـالـك غـنـى عــن عـشـرتـي .

ولا عــن حـبّـك مــالي غـنـا .

زهرية: قايمة من النوم تنده سادتي .

واقعة بالعشق شوفوا حالتي .

لقوم نصّ الليل أنظر فرشتي .

خالية من الحبّ ووحدي أنا .

الساهرات: يا حنايـنا يا حنايـنا . .

شــو مـعـذبـين إنـــت وأنـــا .

مـالـك غـنـى عـن عـشـرتـي.

ونـا عـن حـبـك مـالي غـنـا.

زهرية: قايمة من النوم تنده يا ترى.

لابسة الفستان ولسّا ما درى.

يلبق للحلو علية ودرج..

وعبد وطواشي والآمـر أنـا.

الساهرات: يا حنايناً. . يا حنايناً. .

شـو مـعـذبـين إنــت وأنــا.

مـالـك غـنـى عـن عـشـرتـي.

ونـا عـن حـبـك مـالي غـنـا. .

زهرية: يا ظريف الطول طولك مَرْمَحُه.

سـواد عينك لقلبي تجرحه.

وإن حكى العزول، بإيدي لأدبحه.

ولو رحت مسر كن لحمص وحماه

الساهرات: يا حنايناً يا حنايناً. .

شـو مـعـذبـين إنــت وأنــا

مـالـك غـنـى عـن عـشـرتـي

ونـا عـن حـبـك مـالي غنى

زهرية: يا ظريف الطول مين غيرك إلي

ولو سقيتني السمّ من إيدك حِلي.

أولتك للغير، وآخرتك إلي.

صالح بآ يا زين حاجة عدونا.

الساهرات: يا حناينا يا حناينا..

شــو مـعـذبـين إنـــت وأنـــا

مـالـك غـنـى عـن عـشـرتـي.

ونـــا عـن حـبّـك مـــالي غـنـا.

وما أن تنتهي لطفية من أغنيتها، ويصفقن لها، حتى تقول إم محمود لأختها أم ياسين:

أم محمود: الشغلة يا إم ياسين صار بدها فنجان أهوة.

أم ياسين: إي مو على عيني، عمرك أطول من عمري، وألف طلب متل هالطلب، هه، ليكها الأهوة إجت.

وبينما كنّ يحتسين القهوة قالت أم محمود:

أم محمود: يا جماعة بعد هالغنية الحلوة، بحب أول لكن: الشي مو بالسمار ولا بالبياض، التنتين خلئة الله. والسمرا ما لها أحلى من البيضا، ولا البيضا أحلى من السمرا.. العين وما تحب، والألب وما يعشأ.

ناجية: والضيف المنظوم بيشرب الأهوة وبيئوم.. خلونا نروح على بيوتنا، واستروا ما شفتوا منّا..

الهوامش والحواشي:

١ ـ يلزمها فتّ خبز: يلزمها وقت طويل، كناية عن عدم الخبرة. شيرة البرسيس: لوحة عليها خط سير اللعب. متايل: مثايل، كثيرات، أوّة: قوة. شمر: مقولة يراد بها نفض أو ذهاب الشر، وهي هنا كناية عن التحدي. يللي: مَنْ. أدّ: قدر. آل: قال. هيك: هكذا. والبرسيس: لعبة ترغبها النساء وهي بمنزلة لعبة الشطرنج عند الرجال.

٢ ـ بالأفا: في غياب. طالع نازل: بمعنى غير موزون. بالوش: بالوجه، وجهاً لوجه. بئول: أقول. من إيمتى: منذ متى. دأ: دورة لعب كاملة لمرة واحدة. الواه الواه: للتحقير. الألعة: القلعة، بمعنى التمكن من اللعب. هلاّ: الآن. إيمتها: قيمتها. مكانتها. . بيدوب الثلج وبيبان المرج: ظهور الحقيقة. تئبري: تقبري. هون: هنا. بس: لكن. شرط: تحديد نوع الغلب. إبئي: إبق، يحق لك. مو: نفي. إيش، أي شيء. هالأد: هذا القدر، المقدار. رأس الحارة: بداية الحارة. بنوب: إطلاقاً. بيللّي: بالذي. ياه: إياه، ما تريدينه. استفتاحة: البداية. الدست: له عشرة نقلات، ونقلة: أخرى تعرف بالخال. والدواء: نقلتين. والشكة: ست نقلات. والبنج: أربع وعشرون نقلة بما فيها الخال. هادا: هذا. لأوي: رويداً. تآويتي: تقويتي. يا دوبه: قليل الأهمية. مشطف: في بداية اللعب. الرأراء: الرقراق: البداية. لساتك: لا تزالين. بعدي: استهانة. أديش: ما مقدارهن. أريضة وما حية، دعاء بالإنقراض والزوال. المعصمص: النحيل. ومثلها المأدإد. إلّة: قلة. لعي: كلام بلا طائل. يتونس: يتآنس. شوبئي: ماذا بقي. . الأنطار: القنطار. وحدة وزن كبيرة. اتفتّل: اتنقل.

٣ ـ ما بيصير هيك: غير مقبول هذا. بتئمروا: تريدون. نَتْرِتْ: ألقت بعيداً. تتمألس، تسخر. حأ: حق. وشه: وجهه. عضم: عظم، يعني ليس

لديه إحساس يتفاعل مع إحساس اللاعب. دودبة: دخول الحجر بآخر بيت (مربع) بشيرة البرسيس. رأص: رقص.

٤ ـ ألوب: قلوب. يسلطن: ينسجم، يتناغم. ستي: جدتي. شبك: ما بك. شو في: ما حلّ بك. شوبها: ماذا بها. البوز: الفم. وبارمة بوزها: كناية عن الإنزعاج. والتبرّم. المألوب: المقلوب. يفحكك: هنا للدهشة، وهي تصحيف: يفضحك. تتأور: تنظر بازدراء. أولك: قولك. اللئمة: اللقمة. لولاد: الأولاد. سلأتوا: سلقتوا. اخجلتمونا. العتائي: المسنّات، ذوات الخبرة. نياله: يا لغبطته. السمك بلا حسك: أرادوا جسم المرأة البضّ الذي يتجاوب مع الموسيقى في الرقص. سبع البرمبو: أرادوا الزوج.

٥ ـ شو ضريب: ماذا أصاب. أشّه، قشة. مسدودين بقشة: على وشك الانفجار. ضاربة بوز: مكشرة، مقطبة، معصلجة: عويصة، غير متزنة. رايئة: رائقة. مورايئة الحشيشة معها، متعكرة المزاج. دوالج: إشكالات. سبأني: سبقني. داهية: ماكرة. معاليء: معاليق. كباب هندي: نوع من البندورة المفرومة مع جناحات البصل توضع بالفرن ويكون اللحم على سطحها على شكل لحم الكباب.

دوئها: اتذوقها. يفدح: يفضح، ويفدح حريشك: دعاء عتاب. الإصة: السالفة، بتهر اللقمة: تسقط اللقمة من الفم، وكامل العبارة كناية عن ا لقسوة في توجيه الكلام للآخر. لئيناها: وجدناها. إلكن: لكنّ. ألبي تألان: قلبي تقلان: آخذة على خاطري. خلئهن: خلقهن، ما في صدورهن. يفشوا: يخرجوا، ينفسوا عن أنفسهم.

٦ ـ التوا: قلتنّ، قلتم. أدّها وإدود: قدّها وقدود، كفوء. السجر: الشجر. بسئيك: أسقيك. الأمر: القمر. حشيشة: حشاشة. الألب: القلب. يمزع: ياخذ. العئل: العقل، والمقولة: يأخذ بالألباب. أليل: قليل.

سوسحتي: أخذ لبّي. تشكلي آسي: دعاء المحبة. يلبألك: يليق لك. طئوا: طقوا. أهر: قهر. دوا: ذواء. ع. ألبي: على قلبي. يا وائف: يا واقف. الطاءة: الطاقة، النافذة. طاءة: طاقة، قدرة. باءة: باقة. إضمومة. سرّاءة: سراقة. العلئة: العلقة، الإشكال أو الخلاف. عالتئيل: على الثقيل. الزغر: الصغر. الندل: النذل. تئنع: تقنع. بيفرّئ: يفرق. حئد: حقد.

٧ - غنية: أغنية. إسمنّه: طالما. اأوصد: أقصد. ركعتين بلا وضوء: لاقيمة لها. وينها: أين هي. أهوة: قهوة. الشي: الشيء. خلئة: خلقة. يعشأ: يعشق. بيئوم: ينهض إلى بيته.

ثالثاً:

١ ـ وحام الكستنا.

٢ ـ الرئص بين الملبن.. والسمك بلا حسك!!.

٣ ـ لماذا الخياطة: لبنات أيام زمان.

٤ ـ بياكل فول.. وبيرجع للأصول.

٥ ـ نيران السلايف.

٦ ـ مين أحلى في حكاية السمرا والبيضا.

٧ ـ جولة الحزازير.

١ ـ وحام الكستنا: *

ثمة مآكل تميزت بها سهرات ليالي الشتاء في الشام. منها ما كان من، مجففات فواكه الصيف، كالنقوع والزبيب والتين.. ومنها ما كان على شكل عصائر فواكه الشتاء تطبخ بالنشاء، أو تجعل خشافات، أو يبطّن بها الحليب بعد طهوه بالنشاء، كالدبس والبرتقال. وسيدة البيت الشامي، لا تأل جهداً وتفنناً، في إعداد هذه المآكل وتقديمها. وقد يعمدن إلى سلق حبوب القمح واللوبياء والفاصوليا، والحمصّ والفول، ومن ثم طهيها مع الدبس، وتسكب وتجلل قبل التناول بالشمرة واليانسون.

لكن تناول الكستناء وكذلك الشوندر، أمر مختلف، ويكون هذا التناول آنياً، أي من الغلوة إلى الكلوة، فالشوندر يقشر بعد سلقه ويقطع ويقدّم ساخناً.

وكذلك فإن تناول الكستناء يكون ساخناً، بعد شوائها على حموّ نار المنقل. ويشارك في إعدادها للتناول، سيدتان أو فتاتان على الأقل. إحداهن تشق ثمار الكستناء بالسكين، لانتقاء الجيدّ منها، وبالتالي لتسهيل تغلغل الحموّ إلى داخلها، بغية الإسراع في إنضاجها. ويكون على السيدة أو الفتاة الثانية، أن تعرّض تلك الثمار للحرارة وتقلبّها، فإذا نضجت، تنزع عنها قشرتها، وتصبح جاهزة للتناول. وفي هذه السهرة كانت سعاد تقوم بشق ثمار الكستناء وإلفت تقوم بشيها وتقشيرها.

طال انتظار الساهرات نضوج الكستناء، فكان أن سألت أم غسان عن ما حلّ بالكستناء وقد عبّأت رائحة شوائها المكان بقولها:

أم غسان: شو صار، سعاد خانم بالكستنا؟!! إي والله غوّرتوا البنا؟!!.

سعاد: هه . . هه إختي إم غسان ، بائي عضة كوساية ، هي آخر حبّه بايدي . . بس العوأة على إلفت ، هية عم تشوي .

ناجية: إي والله إذا كان طباخنا جعيص لحا تاكلوا كستنا الليلة .

سعاد: شو بتئصدي ناجية خانم؟!! . .

ناجية: لا غنى عنك تئبريني . عم اول يعني ، ما لئيتوا غيرها هالفجعانة لشوي الكستنا . . لك شوفوا ما لها مخلّية من الكستنا غير كل طويل عمر . طلعت الكستنا من سموطها . . وما بئي للوّرات غير ورأ الكرّات .

سعاد: لك إختي . إلفت وبتعرفوها ، ما بيتأمّن لها بالأكل . . نفسها دنيّة مو بإيدها . . إجا وحامها الليلة عالكستنا . . منشان الببّو تعدميها . . موهيك إلفت خانم .

إلفت: ما لي رادّة عليكن ، أنا باكل بفنش ، بسمع بطنش . . لإيش وجع الراس! . .

سعاد: أولك . . هيك أحسن!!

وبينما كانت الساهرات يتناولن الشاي بادرت أم غسان إلى سؤال أم محمود بقولها:

أم غسان: بدك ما تآخذيني أختي أم محمود ، بدي إسألك ، بس مستحية منك . .

أم محمود: خير!! .

أم غسان: دخلك ، كلامك عن السمرة والبيضا هديك المرّة ، حلو كتير ، وخرط مشطي . . إي والله لهلاً في ناس بتتغاوى بالبياض ، وناس بتتباهي بالسمار!!

أم محمود: هالكلام يللي سمعتيه، إله إصّة وحكاية حلوة.

أم غسان: إختي أم محمود، فينا نسمعها منك الليلة؟.

أم محمود: شو عليه.

وسرعان ما أعلمت أم غسان الساهرات بعزم أم محمود على أن تحكي لهن حكاية السمَارْ والبياض في هذه السهرة فتبادر أم غسان إلى تحية أم محمود بقولها:

أم غسان: ومن عنا أم محمود يايا.. ياه..

فترد أم محمود قائلة..

أم محمود: على عيني أحلى حكاية، بس مو أبل ما تآرجينا أم فؤاد رأصات كنّتها فريزة. بعد ما شفنا رأصها هديك السهرة..

أم فؤاد: ما بتنعز.. بس اختي أم محمود بلا منؤدية، منين عرفتي إنّه كنتي بتعرف ترئص؟!.

أم محمود: يه تئبريني، أنا يللي بتعرف رأصاتها. أمها الله يرحمها، ما كانت وحدة بالحارة تعمل ليلية إلاّ وتكون معزومة هيّة ويّاها من رأس العرمة.. إي والله الله يسلمها رأصاتها أليل من يعرف متلهن..

أم فؤاد: إذا كان هيك إلحأ معك.

أم محمود: يعني كلامي مزبوط؟.

أم فؤاد: شيت إنه مزبوط، أي مزبوط، الدرسانة لهاليبو من حآ وحئيىء..

أم بسام: إختي أم محمود، أولك رئص كنّة أم فؤاد، أحلى من رئص عزيزة بنت أختك أم ياسين..

سعاد: أنا يلي بعرفه رئص عزيزة بنت أم ياسين ، 'ما بيعلى عليه رئص اسم الله عليها ، ما فيكي تحزري عنها يخزي العين[1] .

٢ ـ الرئص بين الملبن والسمك بلا حسك:

وبين عياءة عزيزة ابنة أم ياسين في رقصها ، ومهارة فريزة كنة أم فؤاد في حركاتها ، ومقدرتها على خطف أنظار من يشاهدها ، حمي النقاش بين سعاد وأم فؤاد ، وانقسمت الساهرات بين مؤيد لهذه أو تلك ، أما أم ياسين ، فقد عملت من نفسها وكأنها غير معنية بالأمر ، على ما كان يتوقد في داخلها من أحاسيس ومشاعر نحو ابنتها وتمنياتها لها بالفوز .

دفعها إلى هذا الموقف أمران ، الأول: كونها صاحبة الدار والجميع دايس بساطها ، فلا يعقل أن تدخل في مشاحنة ابنتها طرف بها ، خوفاً من أن يصدر عن لسانها رأي أو قول ، قد يجرح مشاعر ضيفتها أم فؤاد . وبخاصة وأن سعاد ، ثانياً قادرة على الوقوف في وجه أم فؤاد ، وأكثر من ذلك . . وعلى رأي المثل: يلي بيصحّ له عشّي ما بيزفّر إيديه .

فما أبدت سعاد رأيها في رقص عزيزة ابنة أم ياسين ، حتى سارعت أم فؤاد إلى التصدي لسعاد ، دون أخذ أي اعتبار للحاضرات ، بل وبعدائية غير معهودة . .

أم فؤاد: يو . . الواه الواه . . لابئ للشوحة مرجوحة ولأبو بريص إبآب . إي والله رئص كنتي ما بتوئّف إدامه بنت بالشام ، من بابها لمحرابها .

سعاد: إي لآ بعدي لآ ، لأوي تشدي إيدك . . آل عطي الخباز خبزه ولو سرأ نصه . . بعدين شوفي أم فؤاد: مو كلّ من صف الصواني آل أنا حلوني . . يعني الرئص مو بهز الخصر والنط والأمز والتنهيد والغنج . والتغماية .

أم فؤاد: لا وحياة عيونك، أنا رئص كنتي عالأصول، شغل استنبول، وهلّا بتشوفي حركاتها متل موج البحر عم تموج موج.

وتقطع هذه الملاسنة بين سعاد وأم فؤاد، تدخل أم بسام بقولها:

أم بسام: هلّا شو بدنا بهالحكي، هاتو هالعود والدربكة، وناولينا إختي أم ياسين هالفآشات، وإنت سعاد شدي على خصر عزيزة، وإنت كمان إم فؤاد شدي على خصر كنتك.

بدأ الرقص من كلتيهما على لحن واحد، وتعمّدت كل واحدة منهما إلى بيان كل ما أوتيت من لياقة وعياءة في أداء اللحن والجميع يشاركن بالغناء والتصفيق. ولم تخف الساهرات الإعجاب بالأداء، حركة وتوافقاً مع اللحن وتعبيراً. وكان أكثر الساهرات تحمساً ناجية وسعاد وأم بسام، فما أن تبدي ناجية رأيها برقص كنة أم فؤاد. حتى تشاركها أم بسام الرأي.

أم بسام: شوفي شوفي هالأوام، بسم الله وما شاء الله، بسم الله وما شاء الله حولها وحواليها. . هالام فؤاد مالها هينة، عرفت تنئي لإبنها، سيكار وبيكار.

سعاد: بسّ شوفي بنت أم ياسين شوفي، دايبة بالرأصة دَوَبان.

أم بسام: تتحورأ شو مكيودة إي والله كأنها عم تئول لكنّة أم فؤاد: طئي. . موتي. .

سعاد: شايفة أختي أم بسام هالعزيزة. . الدم يشويها على هالحركات تاريها أم ياسين كمان مو أيلة. . إي لكان فرخ البط عوام.

ناجية: شو هالحكي سعاد خانم. . كمان أم ياسين ما نفدت منك.

سعاد: ليش أنا شو إلت. . بعدين إذا الوحدة آعدة هي وأمها بها البيت، شو يللي علمها الرئص؟!. .

اسم الله عليها: أشطة بعسل . . شو هالأوام مسكوب سكب . .

أم بسام: بس وينك أختي سعاد ، والتانية كنة أم فؤاد فيها البركة . . إي والله عم تنئط حلاوة آية بسم الله وما شاء الله حولها .

أم أكرم: إي والله التنتين الله يسلمهن ، رأصاتهن بيمزعوا العئل ، وكل وحدة بتكمل التانية .

ناجية: بس يا حسرة!! . لإيمتى العسل بدّه يضل بكواره .

سعاد: أصدك عزيزة!! . .

ناجية: يعني . . عم أول لحالي بسم الله وما شاء الله حولها ، الكرم استوى . . لإيمتى بده يستنى .

سعاد: ما دخلنا .

ناجية: أولك . . في شي عالهسي ، من تحت لتحت .

سعاد: لك إختي يصطفلوا . . الناس أسرار . . خلينا نكمل الرأصة!! . .

ينتهي الرقص بالتصفيق والزغاريد . وتقوم أم محمود ، فتقبل الراقصتين ، وترفع يديهما سوية بالفوز معاً . فتتعانقان وتتبادلان القبل . وتقول أم محمود في الختام .

ـ الله يهنيكن بصباكن ، وتسلموا لأهاليكن ومحبينكن ، وتعيشوا وترقصوا كمان وكمان(٢) .

٣ ـ لماذا الخياطة لبنات أيام زمان:

ما إن انتهت أم محمود من تهنئة عزيزة وفريزة على إجادتهما في الرقص حتى انبرت إلى ناجية وسعاد قائلة:

أم محمود: لك إنت ويّاها ما حلي لكنّ الحكي إلا بها الوئت. . الجماعة مبسوطين ومطروبين وإنت ويّاها على دي دي دي. . شو صار لكن. .

سعاد: شو بدي أول لك إختي أم محمود، إلا ناجية خانم بدها تعرف ليش بنت إختك عزيزة عم تتعلم الخياطة. . إلت لها: خلينا نكمل الرأصة. . لا تغلبي. . إلت لها: يصطفلوا. . غير ما تعرف. . آل شو زوز إختك أم ياسين آدر ومئتدر ومليان ومنتلي، ومو مخليهن معتازين لبن العصفور.

أم محمود: وشو كمان.

سعاد: آل شو بدها هالبنت بلعيان الألب، ومأمئة العيون، باللّفأة، واللأطة والتسريجة والحبكة والدرزة.

ناجية: إي إختي أم محمود، صعي ليش؟!! ما دام الله منعم عليهن. .

أم محمود: أنا بئول لك ناجية خانم. .

ناجية: ليش؟.

أم محمود: لحتّى ما تئعد متل حكايتك تتسلّى بإصص الناس. لك إختي أهل أول آلوا: بالخياطة المسعدة بتدندش خلخالها والفئيرة بتستر حالها. والوحدة منّا إذا ما عندها شي تساويه وتفيد غيرها فيه، بتحسّ بحالها إنها ما لها إيمة. . يعني أكل ومرعى وإلّة صنعة. شوبدها تساوي. . أحسن ما تتسلى بإصص الناس موهيك بالله.

أم أكرم: إي والله. . الله يسلّم هالتم[٣].

٤ ـ بياكل فول.. وبيرجع للأصول:

تفاجأت ناجية بوجود أم أكرم بين الساهرات، فعلى حدّ علمها، إن أم أكرم لن تستطيع حضور السهرة هذه الليلة فتقول لها:

ناجية: بسم الله حولك، إنت هون؟!. . بيالي أنك ما لك لحا تجي عالسهرة؟.

أم أكرم: إي والله. . بس إلت لحالي بتسلى شوي معكن.

صبحية: ليش صار شي جديد؟.

أم أكرم: بإيش؟.

صبحية: يه. . مع أفنديكي. . شبنا أم أكرم؟!.

أم أكرم: لآ بعدي، على حطّة إيدك، هوّ من عنده وأنا من عندي.

سعاد: بسّ والله ابن عمك ألبه طيب، وعلى حدّ علمي ما بيفرّط فيكي.

أم محمود: إي إختي سعاد، مزبوط. . مزبوط. . بسّ كل شي لحاله، وأم أكرم شو طالع بإيدها. .

أم أكرم: يا حسرة. .

سعاد: لك إختي، بيضل ابن عمك، والدم ما بيصير مي، شدة وبتزول. بكرة بياكل فول وبيرجع للأصول. .

أم أكرم: والله يا سعاد خانم ماني عرفانه شوبدي إعمل، صايرة مثل يللي إله إجر بالمي وإجر بالنار، ويللي بياكل العصي مو متل يللي بيعدها. إي والله احترت وألله حيرني.

أم محمود: يا أم أكرم، هيّ عشرة عمر بيناتكن، لا تحمليها كتير، يعني بلا منؤدية بدك تطنشي شوي.

أم أكرم: الحأ معك إختي أم محمود، بس الوحدة منا لحم ودم، بيجيها وئت ما بيعود فيها تتحمل بتآيس. .

ناجية: إي والله، الوحدة شوبدها تتحمل لتتحمل. . بعدين بتطء.

صبحية: يعني ما كان فيكي تمرئيها؟. ابن عمك زعلان. . وبيزوز طلعت معه غصب من عنه.

ناجية: إي لآ بعدي لا. زعلان. . زعلان لحاله. . يصطفل. بسّ ما توصل معه إنه تصير مرته ملطشة؟!.

أم محمود: استهدي بالله ناجية، لا تصبي زيت عالنار، الواحد مين إله غير بيته يفش فيه خلؤه. . مو أحسن ما يعلأ مع الناس(٤).

٥ ـ نيران السلايف:

رغم كل ما قالته أم محمود وسعاد وناجية لأم أكرم، على سبيل تهدئة بالها وترويق خاطرها. فإن أم أكرم لم تستطع أن تستوعب معاناتها مع زوجها. صحيح أنها لا تزال تستذكر كيف أنها فتحت عيونها على ابن عمها، وكيف كبُرا وكبُرت معهما الدنيا، وهي لا تزال تستشهد شجرة الياسمين والكبّاد بأرض الديار، على تلك الأيام، فإنها لم تستطع أن تصدق أن حماتها قالت لها هذه المرة:

ـ شوفي. . أنا ابني ما بيطلع عن شوري. . ولحا ضلّ لبسه كندرة وشلحة كندرة لحتى تجي كندرة على أد رجله!!.

عندها أيقنت أم أكرم أن حياتها مع زوجها على كف عفريت، وإن حماتها لن تسمح لها أن ترتاح ولو ساعة واحدة في حياتها الزوجية. وفيما هي سارحة في تلك الدوامة، قطعت عليها سعاد أفكارها، وقالت لها:

سعاد: هلأ أولك أم أكرم، هالشي يللي عم يصير معك، إله علاءة بإمك؟

أم أكرم: ما فهمت.

أم محمود: سعاد. . استهدي بالله إلنا لك، وين رحت بأفكارك.

سعاد: يعني وين بدي روح بأفكاري، الحكاية باينة متل عين السمس. . حماة أم أكرم ما إدرت على سلفتها آمت اشتغلت ببنتها.

أم محمود: الله أكبر عليك يا سعاد.

أم أكرم: مزبوط إختي أم محمود مزبوط، سعاد معها حأ. كل يللي عم تعمله مرت عمي فييّ، لأني بنت سلفتها.

سعاد: إي لكان أم محمود لكان. . هدول سلايف، وحماة أم أكرم ماسكة سلفتها من الإيد يللي بتوجعها.

أم محمود: كل هالأدّ؟

سعاد: وأكتر من هيك، آل بين السلفة والسلفة داءات مختلفة، ويا ما أحلى الضرة إدّام السلفة.

أم محمود: من هيك آلو: مركب الضراير سار، ومركب السلايف احتار.

سعاد: وياويل زواز السلايف إذا أخين متزوزين اختين. . لأنه الواحد منهم بدّه يبلع الموس عالحدين، وبده يعمل إدن من طين وإدن من عجين ليرتاح، حتى لا يلبسوه عأله بالمألوب!!. و يا ويل السلفة إذا زوزها فئير وزوز سلفتها زنكيل.

أم محمود: الحمد لله، الله عارفني وناتفني. . زوزي الله يخلي لي ياه، ولا على بالي. وإنت إختي أم أكرم. استهدي بالله، وكرمال عين(٥) تكرم مرج عيون، كرمال هالولاد، سايري حماتك شوي. . المسايرة تلتين المعيشة.

٦ ـ مين أحلى... في حكاية السمراء والبيضاء:

قطعت السهرة هذه الليلة شوطاً كبيراً من الوقت في وحام إلفت على الكستناء، والمفاضلة بين رقص عزيزة ابنة أم ياسين وفريزة كنّة أم فؤاد، ومن ثم جدوى تعلم بنات الميسورين الخياطة. . وما كادت أم محمود تخفف على أم اكرم من معاناتها مع حماتها. سلفة أمها. . وأوار المكايدة المستعر بين السلايف. . حتى سارعت أم غسان إلى تذكير أم محمود بحكاية السمار والبياض، تعقيباً لما قامت به أم محمود في حلّ إشكال الحماس للبيضاوات والسمراوات الذي كان في السهرة الماضية بين إلفت وناجية. . فكان أن قالت أم غسان:

وهلاّ يا جماعة خلونا نسمع من أم محمود الحكاية يللي وعدتنا فيها.

فعقّبت عليها أم فؤاد:

ـ أي لكان. . هي أم محمود مرت ا لحجي. . خلص وعدتنا. . ما عندها. . هيك. . هيك.

أم شكري: لكان يا جماعة كف لأم محمود.

أم محمود: على عيني. . وعلى راسي. . بسّ بدّي ياكن تعرفو إنه هالشي يللي لحا إحكي لكن إياه، مو حكاية حكاية، من الحكايا يللي منعرفها.

أم بسام: لكان شو تئبريني.

أم محمود: يعني فيك تئولي حكاية، وفيك تئولي إصّة. والإصة وما فيها إنه بزمانات أول، ما كان فيه ببور بحر ولا سيارة أو ترين. .

إلفت: لكان شلون كانوا يسافروا. . مشي؟!!. .

أم محمود: أي شي تئبريني مشي.

إلفت: يعني مشي . . مشي ، هيك على إجريهم؟! .

ناجية: ولي عليك شو حوبة ، حدا بيسافر مشي على إجريه . .

أم محمود: الله يخليكن لا تتناءروا ، أنا لحا أول لك إلفت خانم . . يعني مشي عالجمال . والكدش منيح هيك . .

إلفت: يعني مثل ما كانوا إيّامات الحج كانوا يسافروا عالجمال .

أم محمود: عليك نور . .

إلفت: إي هه . . بشأة إذا فهمت الوحدة .

أم محمود: هادا يا مرحومة إلبَيْ ، كان بزمانه واحد تاجر غريب ، بدّه يسافر لبلده ومستعجل . . وهو وحداني . . احتار شلون بدّه يسافر ، إذا سافر لحاله الطريئ ماله أمان . . وإذا ما سافر بيتعطّل شغله ، آم دأداس هون ، دأدس هون . . دري إنه في آفلة مسافرة ، وإلها طريئ لمطرح ما لـه مسافر . آل لحاله: بركي بياخدوني معهم بطريئهن . .

بلا طول سيرة عليكن لمن شاف صاحب الآفلة ، صار يترجاه لحتى ياخدوه معهن ، ما كان يئنع صاحب هالآفلة . بعدين آل لـه:

-يا عمي إنت مشوارك غير مشوارنا ، ونحنا محمّلين مشوّلين على هالجمال ، يمكن أوآت نمشي بالليل ، أوآت نمشي بالنهار بعزّ الظهر بهالسمس والشوب . . يمكن أوآت ما تلائي جمل تركب عليه وتضلّ ماشي . . يا إما يمكن ننئطع ويطلعوا علينا مشلحين . . أطّاع طروء . . يا عمي الدنية وأحوالها . . بلا لك هالسفرة معنا أحسن لك .

سعاد: يعني ما أخدوه معهم؟! .

أم محمود: لآ يه . . أخدوه ، بس بعد ما تدخّل على صاحب الآفلة ، وآل له:

ـ يا عمي يسواني ما يسواكم، وسبري بسبر واحد منكم . .

إه بلا طول سيرة عليكن حنّوا عليه وأخدوه معهم. وشدوا هالحمال على هالجمال، آصدين الله . . وآلوا يا من أساميك الستّار . . يوم اتنين تلاته سبحان رب يعلم، بلاد تحطهم بلاد تئيمهن . . وهيك ما شافوا حالهم إلا بصحراء ما إلها أول من آخر، وما في معهم دمعة مي. حطوا هالحمال من عن الجمال، صاروا يتطلعوا هالناح هالناح . . آموا شافوا سجرية من بعيد. آل لهم صاحب الآفلة يمكن في شي نبعة ميّ عند هالسجرية . . شدّوا هالحمال وساوُوا الجمال لعند هالسجرية . . ولمن وصلوا . . يا حسرتي عليهم، يا حيف طلعت الميّ مرةّ متل الصبر وما بتنشرب .

أم غسان: اضرب أنا شو الله جايبها عليهم . .

أم محمود: لأ يا أم غسان، الله كبير، والواحد منا ما لازم ييأس من رحمة الله .

أم غسان: بعدي إسمه الله .

أم محمود: ومنشان هيك، صاروا يدأدسوا، هون . . هون . . لحتى عرفوا إنه في بير غميء. بينزلو لـه بسلم، فيه مي للشرب .

آم صاحب هالآفلة بعث واحد لهالبير، لحتى يجيب منه ميّ للشرب، لكن هالزلمة غط ساعة . . ساعتين . . وما طلع من البير. إه بعتوا واحد تاني، كمان هالزلمة نزل عالبير، وما عاد طلع . . بعتوا واحد تالت ورابع . . نفس الوضع ما رجع منن المخبرّ . .

احتار صاحب هالآفلة شو بدّه يساوي، صار يضرب أخماس بأسداس . بركي بيلائي لـه شي حلّ . . وهوّ هيك إجا لعنده هداك التاجر الغريب يللي إجا معهن وآل له:

ـ أنا لحا روح جيب لكم مي.

وبعد اللتا واللتيا، خلوه ينزل عالبير.

أم بسام: بالله شو، هيك حرام.

إلفت: ليش حرام؟.. ماله سبره بسبرهن، شو هوّ أحسن منهم؟.

أم محمود: هلأ ليش كتر الحكي.. المكتوب ما منه مهروب، والمأدّر بدّه يصير.. وما بيصيبك غير نصيبك..

صبحية: مزبوط إختي أم محمود.. بس شو يللي ضربه على إيده، وجبره يورّط حاله؟.

أم شكري: بسلامة عرفك صبحية خانم، الزلمة هيك إتفأ هوّ وصاحب الآفلة، يعني لو ما خلوه ينزل عالبير، لازم هوّ ما يرضى!!..

أم محمود: وبلا طول سيرة عليكن، هالزلمة حمل درب طريئة ونزل عالبير.. ولمن نزل على هالبير، احزروا شو لآ..

أم أكرم: مالآ مي!!.

أم محمود: لآ يه.. شلون ما في مي، خير الله كتير..

أم أكرم: لكان شو؟.

أم محمود: مسكين شاف شوفة يا حسرة بتكشش البدن، لآ الزلم الأربعة يللي سبؤوه عالبير مأطوعة روسهن، ودمهم حميمهن.. آم مسكين إجته الجمدة، ووأف شعر راسه من هالشوفة.

أم أكرم: إي والله الحأ معه.

صبحية: بعدين اختي أم محمود شو صار؟.

أم محمود: مالي جاييتكن بالحكي.

أم غسان: اسمعوا يا جماعة!!.

أم محمود: هاد يا مرحومة البي، هالزلمة لمن شاف هالشوفة، آل لحاله يا ولد إفركها، ومن بعد عمري عمره ما ينبت حشيش، وعمره ما حدا يعيش. بسْ حساب الكرايا ما طبأ على حساب السرايا.. لأنه إجا بده يطلع من البير.. آم رجع عئل الرحمن لراسه، وآل لحاله: وهالناس العطشانة، خطيّ بتموت من العطش.

أم أكرم: الله يحيي البطن يللي لمّه والحليب يللي رضعه من أمه.

أم محمود: وهيك أرّب هالزلمة ليعبي مي. آم ما شاف إلا انتصب إدامه واحد أعوذ بالله، وشه بيئطع الرّزء. وبإيده سيف عمّ يشرّ الدمّ منه. على يمينه بنت بيضا شئرا بتمزع العئل، وعلى شماله بنت تانية سمرة، سبحان اللي خالئها بتسبي سبي. وبتمجد يللي خلأها.. إه هالزلمة احتار شو بدّه يساوي. وهوّ هيك، ما سمع إلا هالسياف عم يئول له:

- يا بتؤول لي أني أحلي من هالبنتين، يا بئطع، البعيد، راسك متل يلّلي إدّامك. هالزلمة آل لحاله:

- والله الهريبة تلتين المراجل، يا ولد إفركها، ويا روح ما بعدك روح، أنا شو بدّي بها الشغلة.. ما عاد بدي مي ولا بطيخ. بسّ وين، شو محسب الفوتة عالحمام مثل الطلعة منه.

الجميع: خير أم محمود.. شو صار؟

أم محمود: كان السيّاف وائف له سنجأ عرض، وآل له: ما بتاخد ميّ ولا بتطلع من البير أبل ما تئول مين أحلى من هالبنتين، يا البعيد من هون بئطع راسك. بآ شايفين شو صار مع هالمسكين.

أم فؤاد: وبعدين شو صار أختي أم محمود؟

أم محمود: هون حطنا الجمّال .

الجميع: شلون أم محمود . . شلون؟! .

أم محمود: لمَّن عرف هالزلمة ليش صار هيك بيللي نزلوا أبله عالبير ، وليش إنأطع راسهم . . خاف ، إذا آل للسياف: البيضا الشئرة أحلى ، ليكون بيحب السمرة . وإذا آل لـه السمرا أحلى ليكون بيحب البيضا . . آم صَفَن . . صَفَن وآل للسياف:

ـ التنتين حلوين وبياخدوا العئل .

لكن هالسياف ، إلا بده يعرف مين أحلى ، يا إما بيئطع راس هالزلمة . إه إضرب أنا عنه شو بده يعمل!! . . آم رد آل لهالسياف:

ـ متل ما إلت لك ، بس العين وما تحب . . والألب وما يعشأ . وأهل أول آلوا: حبيبك حبّه ولو كان عبد أسود ، وكل أمحة مسوسة وإلها كيال أعميُ!! .

وهيك تئبروني ، نفد من أطع الراس ، وأخذ ألميّ للآفلة . . وصدأ اللي آل:

أحب الأبيض لأنه الورد بخدوده ، وبحب الأسمر لأنه ناعس الأجفان .

أبدت الساهرات إعجابهن بحكاية أم محمود عن السمار والبياض ، لكن أم محمود ما لبثت أن قالت لأختها أم ياسين .

أختي أم ياسين ، يعني من نوع الأملية ، أنا خرمانة على شي فنجان أهوة من تحت ديات حبيبة ألبي ، عزيزة الله يسلمها . .

وما كادت تتم أم محمود طلبها القهوة حتى كانت عزيزة إبنة أم ياسين داخلة بالقهوة . فبادرت أم ياسين إلى القول لأختها أم محمود:

أم ياسين : ـ غالي والطلب رخيص، لو طلبتِ شي تاني، الأهوة كانت عم تستناكي تشكلي آسي . .

وما أن تناولن القهوة حتى قالت أم ياسين:

أم ياسين : يا ريت بعد هالأهوة تئبل علينا ناجية خانم، وتئول لنا شي حزيرة مرتبة من حزازيرها الحلوين.

فيوافق الجميع على طلب أم ياسين، لكن نوازع الغيرة تحركت عند إلفت فاعترضت على الطلب وقالت:

إلفت: ليش بعدي، شو ما عاد في حدا غيرها بيعرف حزّيرة، يما خرطها الخراط وألب مات. . أختي أم ياسين، الحجر يللي ما بيعجبك بيفجك. وما حدا أصير حربة بشي حزيرة!!.

فترد ناجية، وقد شعرت إن كلام إلفت يعنيها دون غيرها قائلة:

ناجية: شوفي ألفت هه. . إذا إنت ناوية على شر لحتى تنزعي لنا السهرة. . أنا ماله جاية على بالي تزعلي مني. . بس لا تحسّبيها خوف منك. . ولا إصران شرّ. . لأنك بتعرفي أكتر من غيرك، وئت بئصد، ما بئصر، وما حدا بيئدر يوئف بطريئي.

إلفت: ناجية خانم. . إنت مين عم يحاكيكي، أنا عمّ حاكي أختي أم ياسين. . خوش أنا. الله يشهد عليّ ما بحب حدا يزعل مني لا إنت ولا غيرك.

ناجية: الله يخليك إلفت تئبريني لا تزعلي مني. . والله حسبت. . فتقاطعها إلفت قائلة.

إلفت: ومن عنا ناجية خانم يا يا. . ياه.

فيرد الجميع، محبين ومؤيّدين: الطلب إلى ناجية بأن تئول الحزيّرة(٦).

٧ ـ جولة الحزازير:

القصد من الحزازير حصراً: الأحاجي. وكان لأحاجي سهرات تلك الأيام بمعناها ومبناها، وجرسها الموسيقي، ومضامينها، والمواضيع التي تناولتها: نكهة خاصّة، وتفتقد السهرة من دونها الكثير من متعتها.

وكان من هذه الحزازير ما يتناول الأشياء المنظورة ومنها ما كان يتناول المأكولات.. وقد تضمنت بعض الحزازير في السهرات التي لم يكن يتواجد فيها الشباب أو الرجال، تضمنت بعض الألفاظ التي تخدش الحياء.. ولم يكن إيراد تلك الألفاظ من قبيل الفحش والسوقية في طرح الأفكار وإنما كان على سبيل الدعابة والتورية.

وعندما بتّ الرأي أن تقدم ناجية الحزيرة في هذه السهرة ابتدرت بتقديم دهليز الحزيرة قائلة:

ـ حفر ونزل، وقعد يغزل، يا حزركن شو آل؟!.

فبادرن إلى سؤالها عن فحوى ذلك القول، فتجيب قائلة:

يا بياض تأطّف من سبع مناخل.
لبس الأيض بالصيف داخل.
يا خربان الشام إن صار لي شي.
تخرب الشام ولا يصير لي شي.

فتعترض أم بسام على الحزيرة بدعوى إنها صعبة بقولها:

ـ إي لآ ناجية خانم تألتيها، هاتي لك وحدة من أريبو، مو من كعب الدست. فترد ناجية متمعززة:

- هلاً هي حزيرة صعبة!! . . إي والله ما فيها شي . . ما بدها غير شوية تفكير . .

فتطلب أم أكرم إعادة الحزيرة على مسامع الساهرات ، فتعيد ناجية تقديم الحزيرة فتسأل أم أكرم ناجية ، ما إذا كان المقصود بالحزيرة مأكولاً أم منظوراً فتقول ناجية:

- بيصير هيك . . وبيصير هيك . يعني فيكي تئولي منه مأكول ، ومنّه منضور .

أم أكرم: يعني طحين؟

ناجية: لآ يه ، شو طحين . . بعدّتي كتير! .

أم فؤاد: ليكون تلج؟

ناجية: ولا تلج .

صبحية: لكان الكنافة المدلوأة

ناجية: الله يسامحك . . كنافة مدلوأة!! . شو جاب لجاب! .

أم ياسين: لكان المطر . .

ناجية: إي هه . . أربتي .

أم أكرم: لكان شو هاد ناجية خانم . . نطفتي ألبنا .

ناجية: يعني عززتوا؟ .

الجميع: أي عززنا .

ناجية: لك هي ميّة نهر بردى ، وهوّ بالربوة تئبروني .

إلفت: إي والله. . إي والله. . شلون ما إجت على بالي؟ بس يا حسرتي على نهر بردى بها الإيام. . إي والله يا خربان الشام، إن صار لبردى شي.

أم غسان: يا لطيف. . يا لطيف. . كشّ برّه وبعيد. . كش برّه وبعيد.

ويبادر الجميع إلى إبداء إعجابهن في مهارة ناجية وبراعتها في هذه الحزيرة. ولم تكد تهدأ مشاعرهن حتى ابتدرت أم ياسين إلفت بقولها:

أم ياسين: وهلاّ إلفت خانم بدنا منّك ردّة على حزيرة ناجية خانم، شو إلتِ؟

فتسارع أم محمود إلى تحية إلفت، وترد الساهرات بالموافقة والإلحاح، على إلفت بتقديم الحزيرة. فتقول إلفت:

إلفت: طولوا بالكن. . طوّلوا بالكن يا جماعة.

فتقاطعها أم أكرم قائلة:

أم أكرم: يعني شو إلفت خانم بتكسفينا؟!

إلفت: الحئيئة حزيرة ناجية، ما بينرد عليها. . اسم الله عليها حزيرتها كاملة مكمّلة.

أم بسام: إي لآ إلفت خانم. . بيت السبع ما بيخلى من العضام. .

فتسارع ناجية إلى تحية إلفت، مؤيدة طلب الساهرات، الردّ على حزيرتها قائلة:

ناجية: ومن عنّا إلفت خانم يا يا. . ياه.

الجميع: وهيه.

فتذعن إلفتَ قائلة.

إلفت: على عيني. . على عيني. . لكان اسمعوا مني هالحزيرة:

شـــب وعـشـــيء جـاريـة.

عـشـــيء إلـبـهـا ظـاهـر.

نـــال مــــراده مـنـهـا.

وصـــلّـى وهـــوّ طـاهـر.

أم فؤاد: حصنتك بآيات الله على هالردّة. . حفر وتنزيل، مؤلبة أولبة.

إلفت: تسْلمي أختي أم فؤاد.

أم أكرم: ما زال هيك. . إلفت خانم: مأكول يمّا منضور.

أم محمود: له لـه يا أم أكرم. . شو مأكول وشو منضور؟ ما سمعتي. . نطأها لسانها، وهي عم تئول الحزيرة.

أم أكرم: هاتي لنشوف. . شو هية؟!

أم محمود: مبينة. . ما بدّها شي.

ناجية: لك شبكن ضايجين ولا يشين، هية مية الوضوء تبع بردى. . موهيك إلفت خانم.

إلفت: تضربي. يعني عم تتفوصحي، بتعرفيها من أبل.

ناجية: لا وحياة هالسوالف. الشغلة باينة. . الواحد شو بيساوي أبل ما يصلّي؟ بيتوضى ما هيك. . نكشة الحزيرة فيها الحلّ. . بالله موهيك يا جماعة.

إلفت: ينتفوكي على هالزكا. .

يوافق الجميع على رأي ناجية، ويصفقن لها ولإلفت. وكان من الممكن أن تقدم أم ياسين القهوة للمرة الثالثة في هذه السهرة لولا أنها لاحظت الجدل الذي كان بين أم فؤاد وأم غسان الأمر الذي جعلها توجه كلامها إليهما بقولها:

أم ياسين: لك شبك إنت وياها، شو عمّ تتوتوتو. . سمعونا، شاركونا.

أم غسان: لا والله ما في شي، بس ها المنظومة تشرطت حناكها، عم أول لها: لفيها، لسّا السهرة بأولها.

أم أكرم: بالظاهر، اشتائت!!.

أم فؤاد: يفكحك، استحي لك شوي. . عيب.

أم أكرم: لكان من إيمتى كنتِ تنامي بكير. . متل الجاج.

أم محمود: شوفي أم فؤاد يعني إذا طلعت لفوء، نزلت لتحت، نعستي صحيتي، ما لحا نروح الليلة أبل ما تسمعنا ناجية وإلفت يللي وعدونا فيه هديك السهرة.

ناجية: خير إن شاء الله.

أم محمود: شو نسيتي يللي إتفأنا عليه هديك السهرة منشان سهرات أيام زمان. . أولي لها إلفت خانم. . أولي لها. يمّا إنت كمان لحا تعملي حالك ما عندك خبر.

إلفت: لآ يه. . مو هيك ناجية خانم.

ناجية: يا جماعة، إن شاء الله السهرة الجاية منكون أنا وإلفت دوزننا حالنا. . بس وينك سعاد خانم: السهرة الجاية الحزيرة عليك.

سعاد: يعني ما بيصير غير ما تشركليني(٧).

الهوامش والحواشي:

١ ـ المنقل ما كان يوقد به جمر الفحم أو كسب الزيتون بعد عصره وإيقاده ثم إطفائه. وهو ما يعرف بالدق في دمشق، أو التمز بالساحل، وسمي المنقل كذلك لسهولة نقله من مكان إلى مكان آخر ومن غرفة إلى غرفة أخرى، وكان ذلك قبل انتشار مدافئ الحطب والمدافئ التي أعقبتها في الانتشار. شو: ماذا. غوّرتوا: أزكمتمونا بالرائحة. ألبنا: قلبنا. عضّة كوساية: أرادوا: القليل من الوقت. طباخنا جعيص: من لا يحسن. بتئصدي: تقصدين. تئبريني: تقبريني. لئيتوا: لقيتوا، وجدتم. الفجعانة: النهمة. سموطها: مأكلها. بئي: بقي. الورّات: الورثة. ورأ: ورق. منشان: من أجل. الببو: الجنين. موهيك: أليس كذلك. بفنشّ: أرادوا: أرتخي. هيك: هكذا. هديك: تلك. خرط مشطي: أعجبني. إصة: قصة. منؤدية: انتقاد. ترئص: ترقص. ليلية: سهرة نسائية تمتد حتى وقت متأخر. الحأ: الحق. رأس العرمة: قبل الآخرين. حآ وحئيئ: صح الصحيح. أولك: قولك.

٢ ـ عياءة: مهارة. الواه.. الواه: للتحقير. لابئ للشوحة... مثل شعبي يُراد به التعالي والتحقير. الأمز: القفز. الأوام: القوام. تنئي: تنتقي. سيكار وبيكار: بمعنى ماهرة باكثر من مجال. نياله: هنيئاً له. فرخ البط هنا: مشابه لأصله. إشطة: قشدة. إيمينا: دعينا. عالهسي: بالخفاء. كمان: أيضاً.

٣ ـ الوئت: الوقت. دي.. دي: هنا كثرة الكلام. زوز: زوج. آدر: قادر. مأماة: تعب. تئعد: تقعد. آلوا: قالوا. الفئيرة: الفقيرة: إيمة: قيمة. أكل ومرعى.. كناية عن الفراغ المطلق من أي مشغلة.

٤ ـ موّه: سَلِيَ، خفف من همومه. بإيش: بماذا. افنديكي: زوجك: شبنا: ما بنا. على حطّة إيدك: على ما نحن عليه. ألبه: قلبه. مزبوط: صحيح. بكرة: غداً. إجر: قدم. يللي: من. تطنشي: ترمين وراء ظهرك. وئت: وقت.

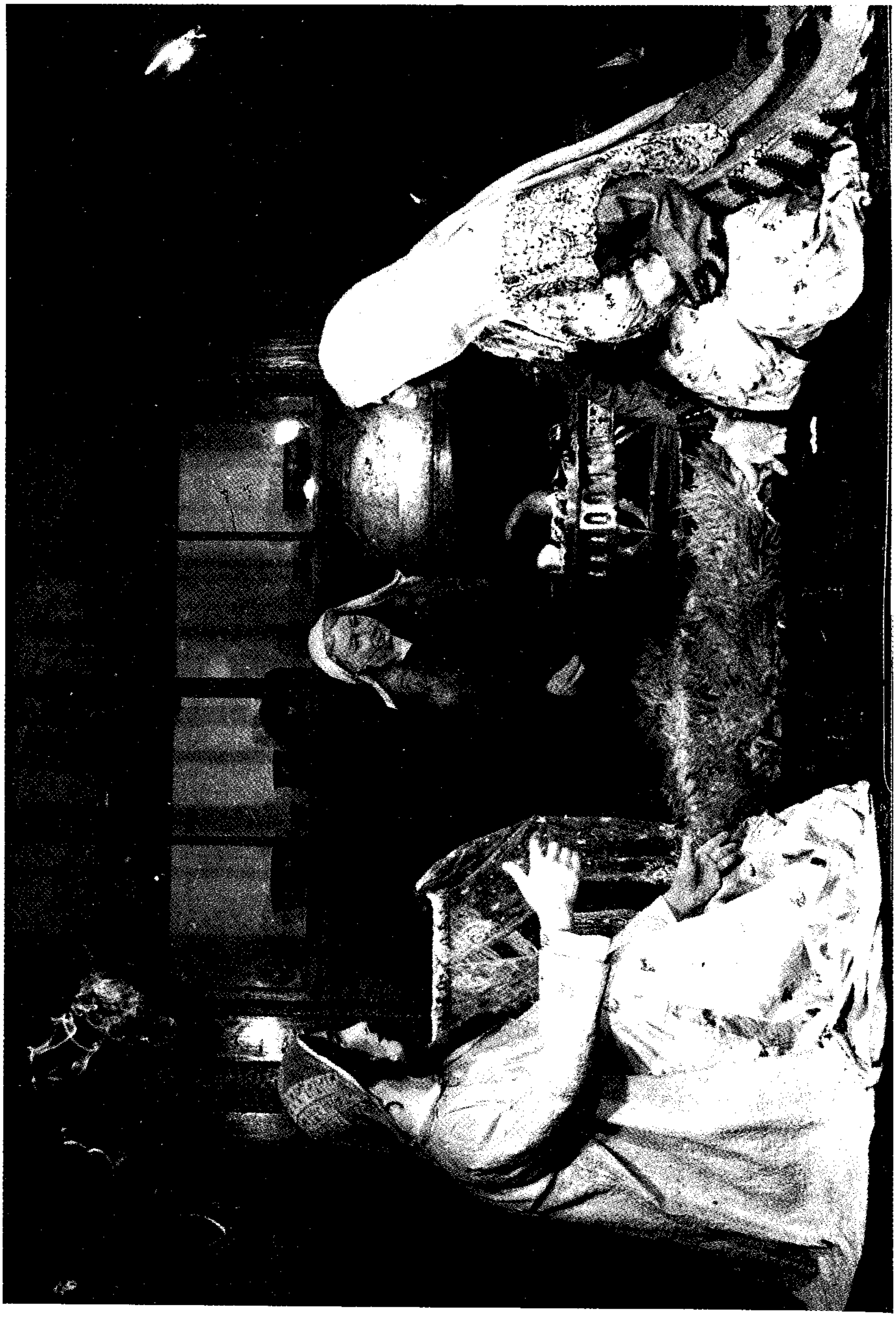
بتآيسي: تيئس . بتطء: تنفجر . تمرئيها: تتساهلي . بيزوز: يجوز ، ربّما . مرته: زوجه ، ملطشة: بمتناول التطاول عليها . خلؤه: ما يعتلجة من أمور . ويفش خلئة: يفضفض . يعلأ: يعلق ، يتشاجر .

٥ ـ كندرة: حذاء ، أرادو بها الزوجة . أد. مقياس . رجله: قدمه . وعلاءة: علاقة ، ارتباط . السمس: الشمس . فييّ: بي . الأيد: اليد . هالأد: هالقدر ، هذا القدر . ادّام: في مواجهة . يبلع الموس عالحدين: كناية عن الإفراط في المسايرة . إدن: إذن . المألوب: المقلوب . العئل: العقل .

٦ ـ مرت: زوج . بس: لكن . تئولي: تقولين ببور بحر: مركب: ترين: قطار . شلون: كيف . حوبة: غبية . تتناءروا: يحتد النقاش . بشأة: غير شكل . دأدس: بحث . آفلة: قافلة . بركي: ربما . بطريئهن: بطريقهن . يئنع: يقنع . أوآت: أوقات ، أحياناً . ما تلائي: لا تجد . تضل: تظل . ننئطع: ننقطع . إطاع: قطّاع . سبري: سعري . أصدين: قاصدين . تئيمهن: تقيمهم . سجرية: أشجار . غميء: عميق . بيلائي: يلاقي . هلأ: الآن . المأدّر: المقدر . اتفأ: اتفق . لآ: وجد . سبؤوه: سبقوه . مأطوع: مقطوع . حميمهن: يغسلهم ، كناية عن كثرة الدماء وأف: وقف . إفركها: غادر ، إنصرف . الكرايا: القراء . السرايا: الرسمي . عئل: عقل . إدامه: أمامه . الرزء: الرزق . شئرا: شقراء . خالئها: خالقها . تسبي سبي: تأخذ بالألباب . بئطع: اقطع . سنجأ: علم . سنجأ عرض: معترض . هون حطنا الجمّال: هنا مربض الفرس . صفن: فكر . يعشأ: يعشق . أمحة: قمحة . تشكلي آسي: دعاء تحبب . تئيل: ثقيل . حزيرة: أحجية . يمّا: وإما . خرطها الخراط: كناية عن التفردّ . ألب: قلب . أصير: قصير . إصران شر: تلاقي خلاف . وئت: وقت . بئصد: أقصد . ما بئصر: لا أقصر . بيئدر: يقدر . يوئف بطريئي: يقف في طريقي . خوش: أصلاً .

٧ ـ تأطّف: تقطف . كعب الدست ، أسفل الأناء . متمعززة: متفاخرة .

نطّفتي: من الناطف، الذي يؤكل مع المعمول المحشو بالجوز. وهذا الناطف كان يستغرق وقتاً طويلاً في تحلية جذور نبات العصلج الذي يدخل في صنع الناطف. عززتوا: أعجزتم. إلت: قلت. الحئيئة: الحقيقة. العضام: العظام. عشيء: عشق. مؤلبة أولبة: مقولبة قولبة، أي لا يُعلى عليها، حفر وتنزيل. تتوتوتو: كلام بلا طائل. تشرطت حناكها: كناية عن كثرة التثاؤب. اشتاءت: اشتاقت. لفوء: لفوق: دوزننا: حضرنا. تشركليني: توقعيني.



لعبة البرجيس

رابعـاً:

١ ـ النار.. فاكية الشتي.

٢ ـ بيحجّ الحج.. بلا أبو حلاوة.

٣ ـ شولّم الشامي.. عالمغربي.

٤ ـ الليلة... دور ضرّتها.

٥ ـ الحزّيرة.. الحزّيرة..

٦ ـ الله.. لا كان جاب الغلا..

٧ ـ سمعان.. مو هون.

٨ ـ شحّاد.. ومشارط..

٩ ـ حبّ.. أهل أوّل!!

١٠ ـ مساجلة بالأقوال.

١١ ـ كنافة فالصو...

١ ـ النار.. فاكية الشتي.

توافدت الساهرات هذه الليلة على غير عادتها، باكراً بعض الشيء. علّقت كل واحدة منهن ملاءتها، في مشجب العتبة، وتبادلت التحية وقُبلات السلامات، بتلك العتبة. ثم صعدن إلى المربّع.. جلست كل واحدة مع جليستها المفضلة في مثل هذه السهرات، حول منقل النار، المتّقد بجمر الدقّ.. كُنّ موعودات بسهرة صميدعية. من إلفت وناجية.. وما كاد الأمر يستقرّ بهنّ في المجلس، حتى عمدت أمّ ياسين إلى كشف الرماد عن جمر الدقّ المتوقّد بالمنقل قائلة:

ـ حمّوا ايديكن يا جماعة، الليلة باردة.

ثم سارعت سعاد، إلى بحش الجمر ثانية، فتوهج الحمو في وجه الساهرات فانبرت سعاد وهي تفرك يديها ببعض إلى القول:

ـ أي بشأة، غير شكل. آل: النار فاكية الشتي.. ويلّلي ما بيصدّيء يصطلي..

وتابعت أم أكرم، عن سعاد القول:

ـ وإن شاء الله يلّلي بابتصديء تئلب بنت!!

فتعترض أم فؤاد على قول أم أكرم.

ـ يا مخلوءة تمسّي بالخير، لسّا ما فتّينا ولا غمّسنا.. خافي ألله، لك ما عاد في عرسان بالحارة.

أم أكرم: لا تخافي بعدي لا تخافي، ربّي ما أكتر خلأك.. أكتر من الهم

عالألب. وكمان شلون ما كان، أحسن من زوازاتنا المعتّرة لك الوحدة منّا، يا متزوزة على ضرّة، يا إمّا حماتها سلفة أمّها. . يا إما زوازتها يا حسرة، فئير ونئير. . ويا مرة اغنجي عالحصير. .

تدخلت أم محمود بالحوار بين أم أكرم وأم فؤاد قائلة:

ـ يعني هلأ إذا شي فنجان أهوة من تحت ديات سعاد خانم على هالجمرات مو أحسن من هالحكي.

لكن سعاد تمنّعت عن عمل القهوة قائلة:

ـ كان على عيني. . ويا ريت، بس أختي أم محمود متل ما بتعرفي، أنا الليلة واعدتكن بالحزّيرة، خلّيني عم دوزنها بعألي، غير مرّه إنشاء الله.

فتعقب أم محمود على قول سعاد، طالبة من أختها أم ياسين أن تحضر لها ابنتها عزيزة، ركوة القهوة ومطربان البن والسكر والفناجين، وهي ستقوم بإعداد قهوة أهلا وسهلا لهذه السهرة.

لكن أم فؤاد لم تفوّت على نفسها فرصة الانتقاص من قول سعاد، فوجهت الكلام إلى سعاد:

ـ الله بيطعمي الحلاوة ليلّلي ما له سنان، لكْ حدّا بيصحّ لها تشم ريحة البن وهيّ عم تشرّع الأهوة بالدولة، وتهدّيها وترئدّها وبتئول لأ. . لك تضربي شو حوبة(١). .

٢ ـ بيحجّ الحج بلا أبو حلاوة:

قطعت أم أكرم الحديث بين سعاد وأم فؤاد، عندما لاحظت أن ناجية وإلفت، لم تحضران بعد إلى السهرة قائلة:

ـ هلأ أنت وياها ما شبعتوا كري، الأهوة ولحا تغليها أم محمود انتوا شو ضرييكن، يما عاملين حالكن ما لكن دريانين. فترد سعاد مستفسرة: ـ شوفي أم أكرم، خير.

أم أكرم: لهلاً ناجيّة وإلفت ما إجوا..

سعاد: يُه.. لك إي والله.. اللهم اجعله خير.

تكون أم ياسين محتارة من أمرها بشأن تأخّر ناجية وإلفت، ويا خوفها إذا ما إجوا.. يعني معناتها باخت السهرة، ويمكن ما تنعاد. لحظت ذلك أم بسام على أم ياسين فسألتها:

أم بسام: خير إن شاء الله أم ياسين شبك ملبّكة؟!!

أم ياسين: ما في شيء.. سلامتك.

أم بسام: بالله تحكي أم ياسين، شغلت بالي.

أم ياسين: لك أختي شو بدّي إحكي، لهلاً إلفت وناجية ما بيّنوا..

أم بسام: أي ستي لا يجوا... بيحجّ الحج بلا أبو حلاوة.

أم محمود: شلون يعني أم بسام، ما هنّ، بدهن يحكوا لنا عن سهرات أهل أول، شلون كانت.

أم بسام: إي لا تهكلي هم ما بيصير غير ما يجوا... أط ما بيهرب من عرس.

أم محمود: لكان سمعونا شي حزّيره احكوا لنا شيء نكتة، عم بين ما يجوا.

٣ ـ شولمّ الشامي ... عالمغربي:

أم فؤاد: ياالله أم أكرم هاتي لك شي نكته. بيكونوا إجوا.

أم أكرم :لكان لحا إحكي لكن: شو لمّ الشامي عالمغربي.

أم محمود: يعني هي نكته؟!!

أم أكرم : ما بدكن تسمعوها بالأول.

أم بسام :هاتي لنشوف.

أم أكرم:آل هادا يا ستي، واحد مغربي، شاف واحد شامي، آل لـه المغربي.

ـ أنت منين؟

ـ أنا من الشام.

آ م هالمغربي آل للشامي مو معئول. . إنت من الشام يعني الشام. . الشام؟!!

ولما اكد الشامي أنّه من الشام، قال لـه المغربي:

ـ لكان لحا اسألك هالسؤال، إذا عرفته بتكون شامي من حآ. وحئييء.

آم آل لـه الشامي سآل.

آله له: بتعرف شو معناة: لكان.

آل لـه الشامي: لِك لكان.

بآ عرفتوا شو لمّ المغربي عالشامي. . . (٢).

٤ ـ الليلة دور... الضرّة:

أم بسام: والله يا أم أكرم يلّلي حكيتيه حلو . . بسّ يلّلي شاغل بالي هالمنظومة سعاد . لإيمتى بدها تضلّ مطنّشة؟!

سعاد: أنا!! الله يسامحلك على أيش عم طنّش .

أم بسام: شو نسيتي الحزّيرة يلّي شركلتك فيها ناجية خانم هديك السهرة .

سعاد: لا وحياة عيونك مالي نسيانة ، بس عم استنّى هالمنظومة ناجيّة هيّ وإلفت ، لحتّى تكون الحزيرة بخضورهن . . .

أم محمود: لكان بدنا حزّيرة من حزازير صبحية الحلوين .

صبحية: على عيني أختي أم محمود ، وما بينعزّ عنّك ، بس الليلة ما لي عاملة حسابي ، بالي ماله رايئ ، وعألي مالّه عمّ يجمّع . .

سعاد: شو هالحكي صبحية ، عالحساب انت لسانك ما بيفوت لحلئك والبركة بسبع شطلات . . شو عاملة حسابك . . مالك عامله حسابك . أوام أوام ، بظّي لنا حزّيره . . بظّيها . . لا تستحي . .

صبحية: يعني ملصتي ولبّستيني إياها؟! . .

أم فؤاد: لك اختي اتركيها . . اتركيها . . الحشيشة ما لها رايئة معها ، الليلة أفنديها عند ضرتها . .

أم محمود: يفكحك شو لسانك متبرّي منّك ، لك شو بدّك بها الحكي هلاّ بتتعبّى فيك . . إنت أدّ حلئها؟

أم فؤاد: كنت عم إمزح . .

صبحية: انت دايم الدوم نيّتك عاطلة . . بالظاهر عمّ ياكلكْ بدنك .

أم محمود: والله يا أم فؤاد، أنت حطّيتي إيدك عالجرح، وهي شغلة: ما فيها مزح . . صبحيّة ملوّعة من ضرتها، محروء ألبها منها.

صبحية: هلاً ما بدي أعرف شو عم تتوتّوتي مع أم محمود. إذا في شي أولي عالمكشوف . . أول بوشّه ولا تغشّه . .

أم فؤاد: اختي صبحية، أنا والله ما أصدت شي، ومتل ما آلت اختي أم محمود . . لساني متبرّي مني . . بسّ انتِ لشو سايئه الدلال علينا؟!

صبحية: هيك . . مراء . . وبيلبأ لي . . وإذا عجبتك هالكحلة دنبيها وإذا ما عجبتك أومي دئي راسك بها الأربع حيطان، يا أومي بلّطي الزرآ . .

أم فؤاد: لآ . . يْه عجبني ونصّ، ولي عالكسرة، لسّا ما فتحت تمّي، أيّيتي عليّ مثل عش الزلائط. لو إلنا لك بدنا شي رأصة شو كنتِ اعملتي؟

صبحية: بتدلّع أكثر، تشكلي آسي.

أم شكري: هلاّ صبحية خانم، خلّينا نئيم المزح ونحطّ الجد، إسمنها سيرة وانفتحت . . يعني زوزك كل هالأد ما عنده نظر.

صبحية: شو بتنصدي أم شكري . . يعني لسّا ما خلّصت من أم فؤاد . . طلعتي لي أنت.

أم شكري: عم أول يعني زوزك عنده وحدة متلك حِركة، ونِغشة، وغلاّية وما بتخلّي عالألب هم، وعندها كل أمر أحلى من التاني، بعدين بيؤوم بيتزوّز عليها . . ومن مين؟ من وحدة أرملة!. آل راح الاعور تبعور.

أم محمود: غلطانة كتير يا أمّ شكري . . مو صبحية يلّلي بيخليها زوزها عالفضلة، أي وحياة هالمآصيص. صبحية ما بيغلى عليها غالي . . أنا بعرف البير وغطاه . . آل من اعرف فيك؟

الجميع: ربّك . . وجارك .

أم شكري: لكان شو يللّي ضربه على إيده وخلاّه يتزوز هيك زوازة . . .

أم محمود: الرجال بده صبي يحمل اسمه ويتعلّم صنعته ، ويحفظ ذكره بالحارة ، وأمه دايم الدوم عما تنيء عليه منشان الصبي .

صبحية: وانا ما كان ألله يجبر بخاطري بصبي(٣)!! . .

أم شكري: بعدي اسمه ألله .

٥ ـ الحزيرة... الحزيرة:

سعاد: أي صبحية خانم ، وهلاّ ، مالك ناوية تقولي لنا شي حزيرة يمّا لحا تضلّي سايئة الدلال علينا .

صبحية: لك اختي الأصّة مو إصّة دلال . . أم فؤاد دئّت الباب ، بالله مو لازم تسمع الجواب . .

سعاد: إذا كان هيك الحأ معك . .

ما إن سمعت أم فؤاد كلام صبحية حتى تكهربت واتخذت لنفسها وضعاً جدّياً ، وكأنها عاملة من نفسها زعلانة فابتدرتها صبحية:

صبحية: شو إم فؤاد . . إن شاء الله زعلتي . شايفتك كنّيتي!!

أم فؤاد: لآ يُهْ . . لإيش الزعل . . صبحية وبعرفك .

صبحية: بالله ما زعلتِ أم فؤاد؟

أم فؤاد: لا والله . .

صبحية: لكان اضحكي . . اضحكي لشوف . . اضحكي حتى يرخص الخبز ولحا حزّرك حزّيرة منيح هيك .

تقوم سعاد بتحيّة صبحية ويردّد معها الجميع التحيّة مع التصفيق والنقر على الدرنبكّة. فنقول:

صبحية: هالحزيرة خص نصّ لأم فؤاد ، لحتى تصدّيء إنه ألبي ماله تألان عليها ، وإني مسامحتها . . . بس على شرط ترد عليها سعاد .

سعاد: وأنا زاهزة ، أولي أنتِ بالأول ، لأعرف ردّ عليك:

صبحية: نزلت لتحت الأنطرة .

سمعت ضحك وكركرة .

لئيت حبيبي متكي .

على المخدّة الفستئي .

يا حزرك يا بزرك يا أم فؤاد شوه هِيّة؟!

أم فؤاد: ضحك وكركرة . . ضحك وكركرة يا أم فؤاد . . والحبيب متكي . . شو هيّ يا أم فؤاد . . إي إي . . لك هي: عاشئ ومعشوء يا ضربانة .

أم أكرم: والله إنت يا صبحية هادا يلّلي آخد عألك . . العشيء والهيام . .

صبحية: وأنت شو يلّلي آخذ عألك بعد إمك؟!

أم أكرم: يُه تئبروني على هالسمعة ، أنا إلت ضحك وكركرة ، وحبيب متّكي يمّا إنتِ .

صبحية: أنا إلت الحزّيرة آلت .

أم فؤاد: يعني مو عاشيء ومعشوء. تبع الأُفَصْ؟!!

صبحية: لآ يا مو. . بعدّتي كتير.

أم فؤاد: لتكون هي شهرزاد وشهريار تبع ألف ليلة وليلة.

صبحية: كمان مو هيّ.

أم محمود: أي صعبتيها على أم فؤاد صبحية خانم. . شو الشغلة. . . معازرة؟

صبحية: لا والله. . بسّ بدها شويّة تفكير.

أم غسان: ليكون سائية المي صبحية خانم. .

صبحية: ولا سائية المي.

أم محمود: شوفي صبحية خانم. . هالحزيرة ما لها جواب، وإذا ناوية تدوخينا أولي. .

صبحية: يُهْ. . أنا دوّخكن، إضرب أنا عنكنّ. . ما عاش يلّلي بدّه يدوخكن.

أم ياسين: وهلاً صبوحة، مثل ما آلت لك اختي أم محمود، هالحزيرة ما لها جواب هاتي غيرها.

صبحية: يعني عززتوا؟

أم ياسين: أي عززنا. وبدنا غيرها. . بآ شو إلتي؟

صبحية: ما إلت شي. . إلت على عيني. بس ما بد ها حوّصتي لوّصتي بعدها.

أم ياسين: مثل ما بدك.

صبحية: لكان اسمعوا: ست بأصرها. . إيدها على خصرها. شوهيّة؟

أم محمود: إي هَهْ. . هي حزّيرة بتنسمع، يا جماعة بشأه. . غير شكل.

صبحية: عجبتك؟

أم محمود: عجبتني وبس!!

صبحية: شو هِيّه؟

أم محمود: مبيْنة تئبريني.

صبحية: حمّيتي ألبي، شو هِيّه؟

أم محمود: لك هيْ الأركيلية لّمن بتكون مصمودة بالكتبيّة.

صبحية: بالله شو؟! لك كمان هديك الأولانية أركيلة، بس وئت بيكونوا عمّ يأركلوا فيها. .

الجميع: إي والله. . إي والله، أركيلة.

أم محمود: شكيت لعينك، من وين بتجيبي حزازيرك؟

فتشير صبحية إلى راسها قائلة:

صبحية: من هون. . لك هون في مخّ مو صندوء بويا. . ومنشان هيك أنا زوّزت زوزي وحدة أرملة، وشّها بيئطع الرزء، حشا خلئة ألله. لأنه حماتي ما كانت تعرف إنّه الخلفة من ألله.

يصفق الجميع لصبحية إعجاباً منهن بحسن تدبيرها في مداراة أحوالها، لكن أحداً منهن لم تنس أن على سعاد أن تردّ على صبحية بحزّيرة، لا تقلّ عن حزيره صبحيّة متانة وحبكة. فبادرت أم ياسين إلى الطلب من سعاد طرح حزّيرتها.

- يا الله سعاد . . هاتي لنشوف ، بدّنا منّك ردّة حلوة ، لا تخلّي صبحية تفوش علينا .

سعاد: ليش لا ، أنا يلّلي بردّ على صبحية ، بسّ ما لكن شايفين إنه صبحيّة كفّت ووفّت بها السهرة؟!!

أم غسان: إي لآ سعاد خانم ، كل شي لحاله ، وشرط بالحألة ولا خناءة عالبيدر . . هيك كان إتّفائنا .

سعاد: أنا برد على صبحية ، ما بتفري معي ، بس خايفة إذا رديت عليها تزعل منّي .

صبحية: لإيش الزعل بعدي ، أنا وحدة متلك ما بتغبّر كندرتي . . ما بآ علينا غير . .

انحمقت سعاد من رد صبحية ، وكان لها ذلك ، فصبحيّة تجاوزت الحدود المعهودة في السهرات ، لكن أم ياسين آثرت أن تهدأ الأحوال ولا تصل الأمور في دارها إلى ذلك المستوى من التلاسن فمسكت سوالفها وتوجهه إلى سعاد قائلة:

- كرمالي ، ما فينا زعل ، اتفأنا إنّه نضلّ حبايب .

ثم التفت إلى صبحية قائلة:

- كمان أنت صبحية شلبنيها شويّ . المخلوءة ما غلطت معك .

أجابت صبحية ضاحكة موافقة . .

- على رأسي حكومة .

وتسأل أم فؤاد سعاد عن رأيها في ذلك فتقول سعاد:

ـ أنا رأيي تسمعّنا ها لأمورة زهرية شي غنيّة بيكون أحسن، وكمان تصرفوا عني نظر بالحزازير الليلة.

أم ياسين: إذا هيك بدّك، شو عليه.. شو رايك صبحية خانم؟ شو رايكن يا جماعة؟ موافئين؟

يصفق الجميع دلالة على الموافقة، وتتناول صبحية العود، على حين تاخذ سعاد الدرنبكّة ويأخذن بعزف لحن أغنية: عالنّني وتنهض أم أكرم للرقص. ثم تشاركها أم فؤاد وأم ياسين وأم بسام وجميع الحاضرات بالتناوب. وهن في غاية السرور والانشراح.

عالنّني النّني وعالنّني النّني

فراء الحبايب.. راح يجنّني..

وأنا بالأول، وبالشهر الأول

والبطن مدور يا حلاوته مني

وأنا بالتاني، وبالشهر التاني

ما باكل ضاني بيتزحلأ منّي

وأنا بالثالث وبالشهر الثالث

والحبل ثابت أولو تتهني

وأنا بالرابع وبالشهر الرابع

خلئوا الأصابع وصار يكركرني

وأنا بالخامس وبشهر الخمسان

فصلنا الإمصان علشان النّني

وأنا بالسادس وبالشهر السادس

حركات النّني . . راح تجنّني . .

وأنـا بالسابع وبالشهر السابع

اتطمّن يا رجال . . جاييك النّني

وبينما الساهرات في غمرةٍ من المرح، والحبور وتبادل الرقص والتصفيق، تظهر إلفت وناجية، فيتابعن الأغنية، وهنّ يتوعدن ناجية وإلفت بالحركات والنظرات، مع عبارات التثنية لغناء زهرية وحركات الراقصات، إعجاباً ونشوة[٤].

٦ ـ الله.. لا كان جاب الغلا:

كان انشغال الساهرات بغناء زهرية ابنه صبحية، وانسجامهن مع الرقص المرافق لهذه الأغنية، فرصة لامتصاص نقمتهنّ وعتبهنّ على ناجية وإلفت، بسبب تأخرهما، والسهرة قطعت شوطاً كبيراً من الوقت: وبالتالي فإن أغنية النّني بما حوت من إيماءات وعبارات كانت مناسبة للتشفّي من إلفت أم الببّو . . وتقليدها في حركاتها وسلوكها، من خلال الرقص.

لكن انتهاء الأغنية جعل الساهرات يستلمن ناجيّة وألفت، حتى أنهن لم يوفرن سؤالاً واستفساراً عن سبب تأخر ناجية وإلفت، فقد تناولنهما من كل جانب، حتى أنّ الواحدة منهما لا تكاد تجيب على سؤال إحداهن، إلا وتكون الأخرى قد استلمتها بسؤال آخر إلى أن انتهى بهما المقام إلى قول أم ياسين:

ـ الله لا كان جاب الغلا . . حسّبنا صار لإلفت شي لا سمح الله.

أم أكرم: لآ يا مو لآ . . ليكها إدّامك . . عمر الشئي بئي.

أم غسان: أنا والله إلت لحالي أكلهن الضبع يلّلي أكل بيّاع الحلاوة على طريئ جوبر!!

٧ ـ سمعان.. مو هون:

ناجية: خير خير . . في شي؟

سعاد : شوفوا المحورأة عاملة حالها ما لها دريانة . . .

ناجية: مافهمت!! عن إيش عم تحكوا . . .

أم شكري: لك يحاكيكي الحكيم أنت ويّاها . . . وما يلائي لكن دوا ، وينك لهلّأ أنت وياها . .

ناجية: لكان منشان هيك آيمة إيامتكن؟! . . والله حسبنا في شيء . .

أم محمود: شو على بالكن . .

آل وعدتني بالحلأ بخّشت أنا أداني .

لا الحلأ إجا . . وأنا توزّمت أداني .

ناجية: شو أم محمود بلائيكي عم تأشعري؟!

أم محمود: لآ حبيبتي . . هادا مو شعر .

ناجية: لكان شو؟

أم محمود: حركشة .

ناجية: خدي راحتك . . تشكلي آسي .

أم غسان: وأنت ستّ الحسن إلفت خانم . . شايفتك ساكتة . شو الأط آكل لكّ لسانك . إضرب أنا عنّك! . .

إلفت: لآ يامو . . إلّة الحكي أحسن . . حاكم من غير شيء لساني تئيل عليكن . . وبتؤلوا متبرّي مني .

أم محمود: شوفي ناجية . . . وإنت إلفت بأساميكن الكبيرة بدي إسألكن لايمتى بدكن تضلّوا عاملين حالكن موهون؟!

ناجية: هلأ هالحكي هاد، إلي ولإلفت؟!

أم ياسين: إذا بدكن تطنّشوا، لحتى نعرف. لسّا السهرة بأولها.

ناجية: ليش نحنا شو دخلنا؟

سعاد: لك تدخلي عالموأدة أنت ويّاها.

أم محمود: يعني نئلب صفحة عن الشي يلّلي وعدتونا فيه، هديك السهرة، ونئول كلام الليل يمحوه النهار، وكل ساعة وإلها ملائكة، ومن هديك السهرة لهلأ بتموت ناس وبتحيا ناس . .

ناجية: إي أريضة وماحية منّك إلها . . لك كلّ هالأدّ معبايين مني ومن إلفت . . لك على شو عم تحكوا؟! . . فهمّونا . .

أم غسان: تئبريني عم نحكي عن النيرة الخشب يلّلي كانت تغرأ بالميّ.

إلفت: ليكون عم تتصدوا سهرات إيام أول . . نته . . نته . . يبعث لكن الهالكة . . ماتئولوا من الأول. إي والله خَيلتونا.

أم فؤاد: هلأ خلّونا نرسي على برّ، يا بتسمعنا ناجية وإلفت يللي صار عليه الحكي، هديك السهرة . . يا إما خلّينا نروح ننضبّ ببيوتنا أحسن.

ناجية: شوها الكلام أم فؤاد، نحنا حكينا كلام نسوان ومسكنا على سوالفنا. بآ . . بتلائيها حلوة يا أم فؤاد هالكلام يلّلي آلوه، وبيبخّش البدن؟!!

إلفت: بدك الحأ . . يا ناجية، أنا والله آخده على خاطري منهن . . . لك لهون

وصلت معهن . . هادا فوء مالنا عاملين متل أبو عئل وعألين ، وجايين عالسهرة من ألب ورب» .

أم ياسين: إي لكان حلّيها برمة إنت ويّاها . . وخلّينا نسمع منكنّ[٥] .

٨ ـ شحّاد ومشارط:

وسرعان ما أبدت ناجية رغبة إلفت في تحلية ضرسها بصحن من الكنافة المدلوءة بعد ما رأت الكنافة المدلوءة ممدودة بالصدر عند البغجاتي أبو حرب ، وقد جلّلتها القشدة والفتسق الحلبي بشكل يسيل اللعاب . وادعت أن ذلك منشان الببّو الذي في بطن ألفت وإذا لم تأكل ألفت الكنافة المدلوءة هذه الليلة تكون خَطْيّهْ الببّو برأبة أم ياسين . أجابت أم ياسين:

بس هيك . . أي مو تكرم . . صدر كنافة مدلوءة بيخدم سوالف إلفت وهه . . ليكها سعاد إدّامك إسأليها بإيش مشلوطة إيديها .

سعاد: أي والله . . كانت أم ياسين بدها تعملها مفاجأة إلكن .

ناجية: شو إلفت؟! تطمّنت . . لحا تاكلي الليلة كنافة مدلوءة ، ومن تحت ديّات سعاد خانم . . منيح هيك؟

إلفت:صعي . . بس ما تكون سعاد ، مثل عوايدها ، مالها مخلّية شي يحرز . .

سعاد: لآ تئبريني ، لا يكون لك فكرة . . أنا شبعانة كنافة ببيتي .

أم ياسين: إلفت اتطّمنتي . . خير الله كثير . لحا تاكلي أنت والببّو ، وتحملي معك كمان .

أم فؤاد: وهلاّ ناجية وإلفت بظّوا لنا هالجوهرة بآ. انت وإياها . .

إلفت: والكنافة؟

أم ياسين: لحا بئوم إلك هَهْ!!

إلفت: إي . . إي . . لآ خلص . . خلص . . يا لله ناجية . . شو زاهرة .

٩ ـ حب أهل أوّل...

ناجية: أبل كل شي، بحبّ أول لْكُنْ، إنّه كرمالكن لحا نشوف ونسمع شلون أهل أول كانوا يتنادموا بالأأوال بسهراتهن، وسمعت من بعيد لبعيد إنّه يلّلي لحا نسمعه هلاّ كان من الكلام يلّلي بتنادم فيه العروس عريسها ليلة عرسها .

أم محمود: إسئا الله على هديك الأيام . .

سعاد: شو أم محمود . . . بتتذكري هديك الأيام . .

أم محمود:أنا يا حسرة على أيامنا، ما كان في هيك شي .

سعاد: لكان إلفت، يعني . . يعني بيني وبينك حماتك مع مين كانت تتنادم بها الأأوال .

إلفت: بلا فضايح سعاد خانم، خلّي الطابيء مستور .

أم ياسين: يا جماعة يا جماعة خلونا مع العريس والعروس .

أم محمود: أي والله . . بتعرفوا يا جماعة أني بتمنى لو كنت عايشة بهديك الأيام .

سعاد: رجعنا أم محمود لهديك الأيام .

أم محمود: لك أنت ليش نيتك عاطلة آ . . أي ستّي هديك الآيام أحلى وأهلها كانوا مبسوطين أكتر منّا، لانهم كانوا بيحبوا بعضهن، ومحبتهن هي، غير شكل .

ناجية: أي والله كان إلها طعمة. صعب تحسّها الوحدة بها الإيام.

أم أكرم: شلون يعني.

إلفت: إذا بتسمحي ناجية خانم خليني أنا رد على سؤال أم أكرم.

ناجية: خدي راحتك إلفت خانم.

إلفت: بيئولوا أنه أهل أوّل، بيعرفوا الحب أكتر منّا، لأنّهن كانوا على ألب واحد بالفرح والحزن، وبيوتهن كانت دايم الدوم مفتوحه لبعضهن.

صبحية: أي والله شي حلو.

سعاد: يحلى وبرك، شو هالعيشة يللّي كلّها خليط مليط، والوحدة منهن مالها عارفة راسها من إجريها.

صبحية: لك إنت بس بس.. إنت ما بيعجبك العجب ولا الصيام برجب.. كمّلي إلفت خانم كملّي..

إلفت: هادا يا ستّي آل: وكمان بهديك الإيّام، كان الجدّ والأب والولاد، والست والأم والكناين والسلايف، وولادهن.. كلهنّ عايشين ببيت واحد، وبياكلوا على سفرة وحدة، ومن طبخة وحدة.

إلفت:وشلون هيك؟! ومين كان يطبخ ومين كان يجلي.. ويشطف ويكنّس.

ناجية: أبا بئول لكنّ، كانوا عاملين متل ما بتئولي دور.. كل وحدة بتعرف يلّلي عليها. وكلهنّ إيد وحدة، وبشغل البيت ما في حدا أحسن من حدا، والضعيفة الكل بيتعاونوا على شغلها بالبيت.

إلفت: وعند عشيّة الرجال بتسهر بالأهوة والنسوان بتتجمع بأوضة وحدة، وبيسهروا سوا مثل ما نحنا سهرانين.

أم ياسين: وإذا بدنا نعرف شلون كانت سهراتهن بيرجع مرجوعنا لناجية، وإلفت خانم. بآ شلون عزماتكن؟

ناجية: لكان إلفت خانم خلّينا نركز أعدتنا أنا وياكِ، لحتّى نشوف بعضنا(٦).

١٠ ـ مساجلة بالأقوال:

تجلس الساهرات في مجموعتين، مجموعة عن يمين إلفت ومجموعة أخرى عن يسار ناجية، وتقول الواحدة منهما قولاً، فترد الأخرى عليها بقول آخر، لا يقلّ روعة وحلاوة عن القول السابق، والحاضرات الساهرات عقب كل قول يصفّقن ويحيّين قائلة القول، إلفت وناجية مع مصاحبة إيقاع الدربكة. بدأت ناجية بقول ثم ردت عليها إلفت ثم ناجية وهكذا...

ناجية: أنـا البنفسـج أنـا البنفسـج

أنـا المـصـبـوغ بـالـنـيـلـي.

عـلـى الـغـزال الـلّـي شـرد

وكـان آعـد مـآبـيـلـي.

كـسـرتـنـي يـا دهـر كـسـر.

الـفـنـاجـين

بـعـد مـا كـسـرتـنـي

جـايـة تـراضـيـنـي!!.

أم ياسين: اضرب أنا عنّك. إن شاء الله عدوّينك

إلــفــت: أنــا الــورد أنــا الــورد

سـلـطـان كــل الـزهـر.

وإن غـبـت عـنكـن يـوم..

يـرجـع لـوصـالـكـم شـهـر

يـا دمـع عيـني بـأمـا إمـكـن

طــوال الــدهــر والـشـهـر

أم محمود: لا بيء... والله لابيء. والآلب غالب تشكلي آسي.

نــاجــيــة: لـيـمـون لـيـمـون وانــت

أحــلــى مــن الـلـيـمـون.

محــبـتـك بــألــبـي كـمـا

الجــوهــر المــكــنــون.

وإن كــنــت بُــوَلّــف

بـدالـكـن عــال لمّــا دون

بـيـكـون خـصـمـي الـنـبـي

جــوّات الحــرم مـدفـون.

أم أكرم: الله يسلّم هالتم.

إلفت: يــا ريـتــنــي دالـــيـــة وعــرّشــ

عـــلـــى بـــــاب دارك

واحـــمـــل عـــنـب حـلـواني

وكـــلّـــه عـلـى شـانـك

وحـــيـــاة عـيـونـك الـسـود

وشـــــــــوارب خـــالـك

لّمــا تـــروح عـــالـغِــربـة..

إجـــــي عـــلـــى بـــالـك.

أم بسام: لك حوطّتك بآيات الله، بسم الله حولك... حندوء بندوء عين تسمعك وما تصلي عالنبي تطء وتنبُوء.

أم أكرم: دوبني دوب يا هوى

دوّبــنـــي دوب يـــا هـــوى

أصــــل المـــحـــبّـــة ســـوا

أصــــل المـــحـــبـــة ســـوا

أم فؤاد: تئبريني إلفت خانم، منشاني عيدي عيدي لنا ياها.

إلفت: مو على عيني.

يــا ريـتــنــي دالـــيـــة وعــرّشــ

عـــلـــى بـــــاب دارك

واحـــمَـل عـنـب حـلـواني

وكـــلّـــه عـــلـــى شـــانـك

وحــيـــاة عـيـونـك الـســود

وشـــــــــوارب خـــالــك

لمّـــا تـــروح عـــالـغِـربـة . .

إجــــــي عـــلـــى بـــالــك .

أم ياسين: الله يسلّم هالتمّ تعيشوا وتئولوا ، كفّيتوا ووفيتوا . . الله يشهد عليّ كفّيتوا ووفّيتوا .

١١ ـ كنافة فالصوا:

أم محمود: وهلاّ صار بدها فنجان أهوة ، يا أم ياسين ، تمزمزة الوحدة وهيّة عم تدوزن يلّلي سمعناه من إلفت وناجية الليلة .

إلفت: هلاّ بلا دهلزة . . . إي والله ما بزحل من هون لحتّى آكل كنافة .

أم ياسين:يا حسرة منين الكنافة؟!

إلفت: الكنافة المدلوءة يلّلي سعاد شلوطت أيديها فيها وهيّة عم تفركها .

أم ياسين:عم تحكي جد؟! . . ليكها سعاد هه لسّاتها لا راحت ولا إجت .

تتقدم إم ياسين من سعاد ، وتغمز لها بعينها وهي تسألها:

أم ياسين: سعاد خانم حلفتك بألله ، وإيدي على راسك ، أنت الليلة فركتي كنافة مدلوءة عندي هون بالبيت .

سعاد: سمّ الموت. . منين الكنافة. . من إيمتى كنا والسمس ترأعنا، إختي أم ياسين عالحساب أنت برنجي من فركت كنافة مدلوءة.

أم ياسين: بآ. . يا إلفت مالك حأ ترمي على حالك اليمين. . بدك تصومي تلت تيام. . يا إمّا بدّك تطعمي عشر مساكين. . ونحنا حبابيك أولى بالشفعة.

ألفت: شكيتك لعينك إنت ويّاها. . يعني الليلة ما في كنافة.

أم ياسين: يا بنت الحلال شو الكنافة المدلوءة. . هيك كلمة وتنآل، هي بدها لحتى تصير بالصّينية. . بالجاط. . هزّ كتاف.

إلفت: إذا كان هيك لحا ازعل منّك. . أم ياسين. . البّبو جاية على باله الكنافة.

أم أكرم: لا تزعلي ولا على بالك. . السهرة الجاية الكنافة المدلوءة عليّ أنا، ومن عند خالي برو. وإذا بدكن بعمل لكن كنافة بَصْمَةْ.

تصفّق الساهرات لاقتراح أم أكرم باستبدال الكنافة المدلوءة بالكنافة البصْمه، وتمسك سعاد الدرنبكه وتشرع بالغناء:

يـــا كـــنـــافـــة بـصـــمـــة

يـحـلـى لي رسـمـهـا.

والأطـــــــــــر ســـايـــل

لـــــــوّت لي ذقـــنـــي

طـــابـــت الـــكـــنـــافـــة

لـــــك يــــا بـــطـــن.

بـــآســـيـــدي

فتجاوبها أم فؤاد:

والمـــحـــلـــي فـيـنـه
تـسـلـلـم لي عـيـنـه
والأطـــــر سـايـل
لــــوّت لي ذقـنـي
طـابـت الـكـنـافـة
لــك يـا بـطـن.
بـآسـيـدي

أم أكرم: بس وينك إلفت إنت وناجية خانم، بدكن تسمعونا وتحكوا لنا كمان وكمان، من يلّلي بتعرفوه عن سهرات حماة إلفت وستّها. .

إلفت: تكرم عينك وعيون الحاضرين إختي أم أكرم، وإن شاء منعوّض لكن سهرة الليلة، بعد ها التأخيرة عليكن.

تدخل عزيزة ابنة أم ياسين بالقهوة، فتخاطب أم ياسين أختها أم محمود:

أم ياسين: وهي الأهوة يلّلي طلبتيها أختي أم محمود. . مزمزي على كيفك.

إلفت: أهوه. . . إه. . شو عليه حكم الأوي.

وبينما كن يحتسين القهوة تلمّح صبحية لسعاد، فتغمزها وتشير إليها مذكرة بالحزيرة. . فتحاول سعاد التواري، لكن صبحية تقول بصول عالٍ:

صبحية: سعاد خانم. . ليش مستحية. . شو نسيتي الحزيرة، يلّلي وعدتينا فيها يمّا ناوية تزمطي كمان.

صبحية: سعاد خانم . . ليش مستحية . . شو نسيتي الحزيرة ، يلّلي وعدتينا فيها يمّا ناوية تزمطي كمان .

سعاد: لآ يُهْ . . وكمان على عيني ، بسّ هلاّ بذمتك وإيدي على راسك . بعد يلّلي سمعناه من إلفت وناجية . . . بينآل شي . . أنا بئبل بحكم صبحية خانم . بعدين ما اتفآنا إنكن تأجلوا حزيرتي للسهرة الجاية . مو هيك صبحية خانم .

صبحية: إذا كان هيك الحأ معك .

سعاد: وأنا بوعدكن يا جماعة بحزيرة حلوة السهرة الجاية .

أم شكري: وأنا لحا إحكي لكن كمان حكاية حرزانة .

صبحية: بس وينك أم أكرم . . إذا كان مدلوئتك ما لها ضحكانة ومالها ضاوية بالإشطة ، لا تعذّبي حالك ، أنا بساويها عنّك .

أم أكرم: لآ يُه ، وحياة عيونك ، كنافة من يلّلي بيشتهيها ألبك ، ولحا تاكلي أصابيعك وراها ، ومن عند خالي برو يلّلي فاتح بالمُصَلّبِة .

إلفت: إذا كان هيك طمّنتيني . . لحا ناكل كنافة على حبّتها(٧) .

* * *

الهوامش والحواشي:

١ ـ صميدعية: مميزة . بحش: تحريك . بشأة: شكل آخر . فاكية: فاكهة . يللّي: من . بيصديء: يصدّق . تئلب: تقلب ، تعود . يا مخلوءة: يا مخلوقة . ما فتّينا ولا غمّسنا: لا زلنا في البداية . خلئك: خلقك . الألب: القلب . زوازاتنا: زواجنا . فئير: فقر . نئير: مناقرة ومقادفة . دوزنها: نسّقها . عألي: عقلي . الدولة: الركوة ، إناء غلي القهوة . ترئدها: ترقّدها . لأ: لا . حوبة: قليلة الحيلة والمعرفة .

٢ ـ كري: حكي بلا طائل. شبك: ما بك. ملبّكة: حائرة. بيحجّ الحج بلا أبو حلاوة: مقولة شعبية تعني إمكان الاستغناء عن الشيء. لا تهلكي: لا تحملي. أط: هرّ. نكتة: سالفة طريفة. عم بين: ريثما. شو: ماذا. لمّ: جمع. مومعئول: غير معقول. حآ وحئين: حق وحقيق. لكان: أجل.

٣ ـ مطنّشة: غير مبالية. شركلتك: ورّطتك. رابئ: رائق، متزن. حلئك: حلقك. شطلات: فروع. آوام: بسرعة. بظي: الفظي بسرعة، قولي. ملصتي: خلّصت نفسك. افنديها: زوجها. يفكحك: تصحيف يفضحك، وتقال على سبيل المزاح. تتعبّي: تتبلاّك. أدّ: قدر. حلئها: حلقها، لسانها. ياكلك بدنك: تقال لمن يتسبب لنفسه بالأذى أو اللوم. . محروء ألبها: محروق قلبها. توتوت: كلام بلا طائل بصوت منخفض. أول: قل. بوشه: بوجهه. أصدت: قصدت. آلت: قالت. سايئة: تقومين. مراء: مراق، مزاج. يلبأ: يليق. أومي: قومي. دئي: دقّي. تشكلي آسي: أي تضع أغصان الآس على قبرها، وهي هنا دعاء تحبّب. نئيم: نقيم، نتخلى. هالأدّ: بهذا المقدار. تبعور: إي لملم الثمار الساقطة، وهنا الباحث عن سقط المتاع، أو الغث». المآصيص: شعر سالف المرأة، وهو للمرأة بمنزلة الشارب للرجل. يعرف البير وغطاه: لا يخفى عليه شيء. دايم الدوم: على طول، دائماً. تنئي: بإلحاح.

٤ ـ الحزيره: الأحجية. دئت: دقت. خص نص: خاصة. تصديء: تصدق. البي: قلبي. تألان: به ثقل، أي زعل. زاهزه: جاهزة. الأنطرة: القنطرة. لئيت: وجدت. الفستئي: الفستقي. عاشيء ومعشوء: عاشق ومعشوق. تئبروني: تقبروني، دعاء تحبب واستغراب. الأفص: الفقص. كمان: أيضاً. معازة: معاجزة. سائية: ساقية. بأصرها: بقصرها. الأركيلة: النارجيلية. صندوء: صندوق. وشّها: وجهها. بيئطع: بقطع. الرزء: الرزق. كناية عن دمامة وجهها. حشا خلئة ألله: حاشا خلق الله. تفوش:

تتباهى. إتفائنا: اتفاقنا. ما بتفرء: لا فرق. موافئين: موافقين. فراء: فراق. يتزحلأ: يتزحلق، يسقط. خلئوا: خلقوا. الامصان: القمصان، كناية عن ثياب الطفل.

٥ ـ ليكها: ها هي. عمر الشئي بئي: عمر الشقي بقي. المحوراْة: المحورقة، دعاء تحبّب. عن إيش: عن أي شيء. يلائي: يلاقي. دوا: دواء. آيمة إيامتكن: قائمة قيامتكن، هذا الصخب. الحلأ: الحلق، الأقراط. بخشت: ثقبت. أداني: أذنيّ. توزمت: ورمت. بلائيكي: أراكِ. حركشة: تحرّش. الأط: الهرّ. إلة: قلّة. بتئولوا: تقولون. المواْدة: الموقدة. تئلب: تقلب. أريضة: من الانقراض. النيرة: الليرة. تغرأ: تغرق. تئصدوا: تقصدن. عئل: عقل. حلّيها برمة: اسرعي.

٦ ـ المدلوءة: المدلوءة. وهي الكنافة المفروكة بالسمن والسكر، والمجلّلة بالقشدة. مشلوطة: محروقة. الأأوال: الأقوال. إسئآ الله: سقا الله. الطابيء: الطابق. خليط مليط: تداخل الناس واختلاطهم في كل كبيرة صغيرة من شؤونهم. أوضة: غرفة، سكن. أعدتنا: مجلسنا.

٧ ـ آعد: قاعد. أمائمكن: موق العيون.. لابيء: لائق. الآلب: القالب. حندوء بندوء..: تميمة لرد العين. تمزمز: تشربه على مهل والتلذذ بالمذاق. دهلزة: مداهنة. ما بزحل: لا أتحرك. السمس: الشمس. ترأعنا: تصيبنا. والكلام كناية عن استنكار حدوث الأمر. تلت: ثلاثة. تيام: أيام. هز كتاف: كناية عن بذل الجهد. الأطر: القطر. زمط: هرب، تخلّص من المأزق. بئبل: أقبل. الأشطة: القشدة. على حبّتها: على الأصول.

خامساً:

١ ـ قارئة الفنجان.

٢ ـ راح ساؤه.. وسمّاؤه.

٣ ـ الدور بالدور.. وما حدا أحسن من حدا..

٤ ـ فنجان العرسان.

٥ ـ عيني فيه.. وتفو عليه.

٦ ـ حماية وضرّة، وطير بتمّه حكي، وصمدة.

٧ ـ بالوعد.. يا كمّون.

٨ ـ الكنافة الملغومة. وبرهوم يا برهوم.

٩ ـ البئجة المبأجة وأبو حمزة.

١٠ ـ يهودي مسافر.. بالملح.

١١ ـ النوم سلطان.

١ ـ قارئة الفنجان:

تُعدّ فترة فتح فنجان القهوة، لقراءة ما قد يكون خافياً عن الحياة المعاشة، من خلال تحليل أو تفسير، بل تأويل ما علق على جدران فنجان القهوة الداخلية من رواسب القهوة، وكذلك قراءة الخطوط المرسومة على باطن الكفّ. . . من أمتع فترات سهرات نسوان أيام زمان. سواء عند الصبايا منهنّ، أم عند الجدّات والحموات وكذلك عند الأمهات والضراير والسلايف والكناين.

وقد تطلّب أن تكون التي تقرأ فنجان القهوة، على درجة من النباهة، والإلمام بمقوّمات هذه المعرفة، وأصولها وظواهرها ومسمّياتها. . وعلى مقدرة من التغلغل اللمّاح إلى دخيلة صاحبة الفنجان، ومن ثم استدرجها من خلال قراءة الفنجان للبوح بمكنوناتها، واستغلال انفعالاتها واستجابتها لما تقول، ومن ثم توليد التأويلات والاستنتاجات التي يمكن أن تمس جانباً من دخيلة صاحبة الفنجان.

كانت إلفت بما جُبِلت عليه، في تعايشها مع جدّتها ومن ثمّ مع حماتها، على درجة مقبولةٍ في هذا المجال. . وقد استطاعت بما امتكلته من هذه المعرفة أن جعلت الساهرات يتسابقن في تقديم فناجينهن إليها، لكشف ما خفي فيها مما قد يخبّئه القدر بحسب زعمنّ. كانت إلفت إذا أمسكت بفنجان الواحدة منهن تجعلها تصغي إليها، حتى لكأنّ الطير قد حط على رأسها، وكما لو أنّ كلامها وتحليلها حقيقةً مسلمة، وكالملح على الجرح. .

٢ ـ راح ساوُه.. وسمّاوُه:

عندما أخذت إلفت فنجان صبحية لتكشف لها ما وراء الخطوط والتعاريج والأشكال التي خلفتها ترسبات القهوة على الفنجان. لحظت صبحيّة أن أم

فؤاد تلوح فنجاناً بيدها لتطبّه حتى يجفّ تمهيداً لفتح إلفت لذلك الفنجان، فابتدرتها قائلة:

ـ خير يا طير. . بلائيكي عم تلوحي فنجانك؟

أم فؤاد: العين الطرّاءة كلّه طحل. . ومو مبيّن شيء فيه. .

صبحية: إي لآ يا مو. . عليّ أنا. . أولي بدّك تعرفي شو أخبار العريس وأحواله!!

أم فؤاد: أنو عريس. . أبو فؤاد. . أي والله على سلامته. . ما في منّه، الله يديمه فوء راسي.

صبحية: معلوم حبيبة ألبي معلوم، زوّزتي فؤاد الله يسلّمهْ، وأبو فؤاد فضي لك وفضيتي له!!

أم أكرم: هلاّ إنتِ شو بدّك بها الحكي. . حسيده يمّا ديئة عين؟

صبحية: على إيش بعدي. . آل راح ساؤه وسمّاؤه وما صفي لـه غير ديئة خلاؤه.

أم فؤاد: عازك وعوّازك. . صاحح لك!!

أم أكرم: بس صبحية ألله يخلّيك، الرجّال إله ملائكة علينا. . أي والله يللي بيشوفه فايت وزير طالع أمير، بيؤل عنّه شب مشورب.

صبحية: عم أول لحالي، لمين يا أم فؤاد هالغندرة، وهالسأسلة على أربع وعشرين إيراط.

أم أكرم: أي لكان الخير بالعتائي حبيبتي. .

أم غسان: هاتي هالفنجان لأول لّك هاتيه، خليه ياخد دور. . بعدين شوفيها؟ يعني ما حدا أحسن من حدا!!. .

أم فؤاد: تتحورئي شو فضايحية . .

أم غسان: أنا الفضايحيّة يمّا انت ، إي والله وإنت عمّ تلوحي الفنجان شلاّتي الدبب!! . . وكأنك عاملة عملة .

أم فؤاد: وإذا إلت لّك هالفنجان فنجان كنّتي!! . .

أم غسان: إي باين . . مصدئتك ، بس إنت شربتيه عنها!![1] .

٣ ـ الدور بالدور ما حدا أحسن من حدا:

لم تكد أم غسان تنهي كلامها مع أم فؤاد ، حتى لحظت ، أنّ أم ياسين أخذت تلوح فنجانها فتقول لأختها أم محمود:

أم غسان: شايفتلّك أختك أم ياسين ، غارت وصارت بدها تفتح فنجانها . . بآ والله ما عاد في عتب لا على أم فؤاد ولا على غيرها . . .

وسارعت أم غسان إلى الطلب من أم ياسين أن تناولها الفنجان كي تطبّه لها بجوار فنجان أم فؤاد . فبادرت أم ياسين بالقول:

أم ياسين: والله يا جماعة هالفنجان مو إلي ، ناولتني ياه بنتي عزيزة .

ثم التفت إلى أم غسان قائلة: وأنت أم غسان شبك من وحدة لوحدة مثل شمّا اللطّامة . . بعدين أنا خرج طبّ فنجان . . آ . . أنت بتعرفي أكثر من غيرك اني من زمان وزمنة كسرت الدف وبطّلت الغني . . بسلامة نظرك تئبريني .

فترد أم غسان: ألّ عألي .

أم ياسين: أي لآ بعدي لا يئل عألك .

وسرعان ما تتالت الفناجين المطبوبة من أم أكرم وسعاد فتقول ناجية:

ناجية: يو شكيتكن لواحد أحد، مين بدّه يشوف كل هالفناجين أي والله لبكرة ما بيخلصوا. شوفي أم محمود كم فنجان صاروا عم يستنّوا الفرج!!.

أم محمود: المعينة بألله. بسلامة عرفك انت وإلفت خانم.

ناجية: أي شو آخدينّا سكارسة.. أي والله أنا راسي ما بيحمل كل هالفناجين.. يمّا بدكن يانا نئطع ونلحش، من برّ لبرّه؟!..

سعاد: أي والله الحأ معها.

إلفت: ولا يهمّك تئبريني. نحن هنا!!.

جلست ناجيّة بجانب إلفت. للتشاور في ما يطرأ عن غوامض الأمور، في أي من الفناجين. وللتعاون في قراءة كفّ صاحبة الفنجان المفتوح، إذا لزم الأمر.. ثم عمدت إلى إقناع صبحية بالتريّث في قراءة فنجانها، لما فيه من أخبار جديرة بالاستماع إليها.. وهي أخبار بحاجة إلى روّيّة لاستنباطها من الفنجان.. ولما اقتنعت صبحيّة بذلك اعلنت إلفت للساهرات عن رغبتها في تأخير فنجان صبحية..

تصايحت الساهرات، فكلّ منهن تريد أن يكون الدور لفنجانها.. إلى أن اتفقن بأن يكون الدور لفنجان ابنة إم ياسين.. أمسكت إلفت بالفنجان وتأملته ثم قالت:

إلفت: والله يا أم ياسين فنجان بنتك أبيض مثل الصلاة عالنبي بسّ في هون غباشة عم تئول:

يامن على وجنتكِ زهّر الليمون والريحان والفتنة.

وياما سمعنا من الدشمان عنّك ولا فتنة.

دخل عزول بيننا... ورمى فتنة..

يا صاح بالمعروف افصل بمعروفك . .

عندك بنينا العئول وأرواح لنا فتنة .

أم ياسين : يسلّم هالتم إلفت خانم .

أم فؤاد: أي إلفت خانم هلاّ دوري أنا .

إلفت: إي مو على عيني(٢) .

أم فؤاد: تسلمي .

٤ ـ فنجان العرسان:

أمسكت إلفت بفنجان أم فؤاد ، نظرت فيه من هذه الناحية ومن تلك ، ثم طبّته على كفّها . . وعاودت النظر والتمعّن . . ثم سألت أم فؤاد .

إلفت: هلاّ أم فؤاد هالفنجان فنجانك .

أم فؤاد: إي لكان . . هه شوفي . . لسّا طعمة الأهوة بتمّي .

إلفت: بس باينته ما في شي إلك .

أم فؤاد: أي إلفت خانم ، صعي أنا شربت الأهوة ، بس كنت ناوية على ابني وكنّتي . .

فتتدخل بينهما أم بسام وتقول:

أم بسام: وشو بيعرف المخلوءة بخط ابنك ومرته . . آ . . يعني وئت بيكونوا مع بعض ، نحنا وين منكون؟!! .

سعاد: يسلئوا بدنك على هاللسان ، يللي مثل مئص السكافي ، ما بيئص غير على نجاسة . آخ على ما إملص لك ياه .

أم بسام: يعني لسانك أنظم؟!

أم فؤاد: إلفت خانم إذا في سئلة بلاها. . معليش.

إلفت: أني سِئلة هَيّ؟!. . لك حدا بيصح لّها تشوف فنجان صبيّة حلوة وعروس أمر وبتؤل لا. . لك تعي تسلمي لي تعي. . تعي لجنبي. . وعدي هون بيني وبين ناجية خانم.

ناجية: تعي حبيبتي عدي هون. . بسم الله وما شاء الله. حصّنتك بآيات الله.

أم غسان: تسلمي ناجية خانم.

أم بسام:أم غسان. . حلّي عنِ المخلوءة، في بتمّها لسان، خليها تحكي. . تاخد وتعطي مع إلفت وناجية.

إلفت: شوفي كنّتنا. . فنجانك في حكي كتير، ووشوشة أكتر. . شايفة هالعصفورين شلون تمّهن ببعض مثل عاشيء ومعشوء. . يمكن في بيناتن حكي حب. . شايفة شلون عم تنئّط إلوب من تمّهن.

أم فؤاد: مين هدول إلفت خانم.

إلفت: لك إختي باينة مثل عين السمس، يعني في غير ابنك وعروستنا. . الله يسلمهن لبعض. . شوفي شوفي أم فؤاد شو لابئين لبعضن.

ناجية: الله يهدّي بالهن(٣).

أم فؤاد: لي لي. . . ليش.

٥ ـ عيني فيه وتْفُو عليه:

يقولون ان التِثل صنعة. . فمن الناس من كان يتمنّى في قرارة نفسه، حيازة شيء معروض عليه، فيُبدي زهده بذلك الشيء، وعدم المبالاة به. .

وليس ذلك من قبيل الكِبرَة على الشيء، ولا التعفف عنه، وإنما من قبيل الظهور بعدم المبالاة، وعدم الاهتمام، كان سلوك صبحيّة عندما أخذت إلفت فنجانها لقراءته من هذا القبيل، فهي في حقيقة أمرها، تتوق إلى معرفة ما تخبيء خطوط وتعاريج رواسب القهوة على فنجانها، ليطمئنّ قلبها من جهة، ولتقف على ما قدّ ينتظرها من أمور خيّل إليها انّها في طريقها إليها. .

فما أن سألتها إلفت، ما إذا كان الفنجان الذي بيدها هو فنجانها حتى قالت صبحية:

ـ معليش إلفت خانم. . بلاها!!

إلفت: لكان ليش طابتيه.

صبحية: بدك الحئيئة. . أنا ما طبّيته، هَيْ سعاد كتيرة الغلبة. هي اللّي طبّته. إسأليها.

إلفت: بسّ صبحية خانم، بدك ما تآخذيني. فيني أعرف ليش ما بدك شوف لك إياه؟!

صبحية: إن شاء الله تضلّي سالمة، حظّي وبعرفه.

أم محمود: يعني سرّ؟!

أم أكرم: بدّك ما تآخذيها إختي أم محمود، ما بتحبّ حَدا يعرف داخليتها. وحظّها آفلة عليه بسبع مفاتيح وراميتهن بسبع بحور!!.

أم بسام: هلاّ شو معناة هالكلام. . آل شو: حظّي وبعرفه. . لا تردّي عليها إلفت خانم.

سعاد: لك صبحية إنتِ ليش هيك طبعك، يعني ما فيها شي، مالك خسرانة شي. . ومثلك مثل غيرك، يمّا صبّوا لك بالزايد رزّة!!.

صبحية: إه شو عليه. تفضلي إلفت خانم . . إذا بتريدي. شو بدّي أول، حكم الأوي . .

إلفت: صبحية خانم . . إذا في إحراج باخد فنجان سعاد.

صبحية: مو فارءة.

أم بسام: شلون مو فارءة بعدي. نحنا ما وصلنا لهون، لإلنا يا رب العون. وإنت سعاد خانم، خدعتك بالله بتئبلي تاخدي دور صبحية.

سعاد: أنا بئبل كل شيء بتئبل فيه صبحية، أنا من بعد شورها.

صبحية: لك آخ منك يا سعاد. كلّه منّك . . تفضلي إلفت خانم . . أمري لألله(٤).

٦ ـ حماية وضرّة، وطير بتمّه حكي، وصمدة:

ما إن قرّ قرار صبحية بفتح فنجانها، حتى انفرجت أسارير الساهرات، أدلت كل واحدة منهن بدلوها في تعليل موقف صبحية ذاك، لكن أحداً منهن لم تحاول المسّ بمشاعر صبحية اعتقاداً منهنّ أن للناس أسرار، ولصبحية الحقّ في أن تعتذر عن فتح فنجانها، طالما أنّها لم تكن راغبة في طبّ فنجانها. ولم يخرج عن ذلك الموقف إلا إم بسام، فقد ترامى إلى مسامعها أخباراً عن داخليّة صبحيّة وتريد أن تتأكد منها. فأتى طلب أم ياسين إلى الساهرات بالهدوء نقطة البداية. في كشف أغوار داخلية صبحية.

أم ياسين: سمّعونا يا جماعة، سمعونا الله يخلّيكن، حاكم إم بسام بنت الداية . . ما عليها مخبّاية وإذا ما عرفت ما بيهنى لها عيش!! . . تفضلي إلفت خانم.

ـ أمسكت إلفت بفنجان صبحية، وشرعت تقلّب فيه، وتبدي اندهاشها

بما خيّل إليها، إنّه أحداث لأخبار وأخبار، فقالت لصبحية: عم أول لحالي.. ليش ما بدّك حدا يشوفه..

ثم تطلب إلفت إلى صبحية أن تفتح كفّها اليمين ثم كفّها الشمال وهي تقول:

إلفت: شي بيدوّخ. سبع تشعر بكف اليمين مع تمنتعشر بالشمال.. خمسة وخميسة.. خمسة وخميسة، صلّوا عالنبي يا جماعة..

ثم تطلب إلفت، مشاركة ناجية، قائلة:

وينك إختي ناجية تعي شوفي تعي، وأنت صبحية شوفي شوفي.. شو هالفنجان بيفلج.

ناجية: إي والله، الحأ معك يا إلفت.. لك شوفي صبحية.. شايفة هالطريئ يللي هون هاد..أي هاد.

صبحية: أي.. شُبْهْ.

إلفت: طريئ حلو.. بس فيه عرئيلة زغيرة.

ناجية: بس والله يا إلفت هالعرئيلة بابنتها ما بتخوف عرضيّة.. لِسْبُدّ ما تروح، بسّ بعد تلتّ إشارات.. هنّن تلت ساعات، تلت تيام.. شهور.. سبحان رب يعلم.. أولوا الله يجعله خير!!..

صبحية: الله يسمع منّك.

إلفت: كمان شوفي شوفي ناجيه، في هون طاءة فرج إن شاء الله.

ناجية: إي والله.

أعقب كلام إلفت وناجية عطسة مدوّية من صبحية. أتبعتها ناجية بقول:

ـ إن شاء الله فرج قريب .

أما سعاد فردت على عطاس صبحية بقولها:

ـ نشو . . كبّة تليانة حشو . .

تابعت إلفت وناجية قراءة الفنجان .

ناجية: شوفي إلفت ، هيّ هون مو صمدة!! .

إلفت: إي والله . . وصمدة عروس كمان .

ناجية: الله يجعلها خير .

أم أكرم: بدنا الملبسات صبوحتي .

ناجية: والصمدة يا صبحية .

صبحية: شبها؟

ناجية: يمكن إلك .

صبحية: لآ . . يُهْ!!

إلفت: ويمكن تكون لناس أريبين منّك ، وبيزوز هالصمدة تكون لبنتك ألله يسلّمها .

صبحية: من تمّك لبواب السما يا رب .

إلفت: شوفي لك ناجية ، هي مو رزأة؟

ناجية: إي والله ، نيّالك يا صبحية . . إن شاء الله أريبة وحرزانة . وهَهْ تعي صبحية . . شوفي شوفي هالعصفور شو حامل بتمّه .

صبحية: مو عرء زريعة .

ناجية: امبلى . . امبلى إن شاء الله خير ، هي بشارة .

إلفت: وهادا يللي متعربش ، عالسجرة شايفتيه ناجيّة . . موسعدان .

ناجية: إي شايفته شايفته . . هادا السعدان يا صبحية سعد . . ابنسطي .

صبحية: إلفت خانم ، وهادا يللي مكعوك بسفل الفنجان شوهاد .

إلفت: إيمينا منّه هلأ .

أم بسام: ليش بعدي . . ما بيصير . . فنجان وانفتح . . ما لازم ينحكى شي منه ويتخبى شي .

إلفت: يعني شو بدي أول . . هي حية الله يجيرنا . . حية بسبع روس .

الساهرات: حيّة بسبع روس . . يا لطيف!! . .

ثم يتففن حولهن وهن يقلن:

ـ تف تف تف . . كش برّه وبعيد . . كشّ برّه وبعيد .

إلفت: شايفة ناجية شايفة شلون عم تبخّ سمّ على هالزلمة .

ناجية: إي والله شايفة .

صبحية: بيعت لها حمّة وداء السلّ . . هيّ ضرّتي .

أم فؤاد: بيالي طلأها زوزك .

صبحية: ولي عليها . . طلأها وما لها حالّة عنّه ، ويا من تراها عم بتحبرم حواليه .

سعاد: لتكونِ حماتك .

صبحية: لا تستبعدي . . بيزوز .

أم غسان: بيني وبينك صبحية، المخلوءة إلها ملايكة على كتافنا . . كمان زوزك ما لـه مأصّر . . في أوآت بيلفي عليها . .

أم فؤاد: يعني إصّي طيرك أبل يا يولّف على غيرك . . المي عم تمشي من تحتك . . وما لك دريانة صبحية خانم!! .

صبحية: لآ . . لآ . . بعرف بعرف أختي أم فؤاد . . بس شو بدها تساوي الوحدة . . شكيت أمري لألله . . هيّ عم تدحش حالها . . وحماتي إلها خاطر . الله يصطفل فيها . .

أم فؤاد: الواه الواه عليها . . إي والله أفا كندرة صبحية مراية لوش ضرّتها .

الساهرات: إي والله .

أم فؤاد:آل يا مأمنه بالرجال .

الساهرات: مثل الميّ بالغربال .

إلفت: صبحية خانم هلأ شو بدنا بها الحكي . . ناوليني باهمك لشوف .

تمسك إلفت بإبهام صبحية، وتجعل صبحية تلحسه . ثم تطبع به على أسفل الفنجان وتقول:

إلفت: تطمّني صبحية تطمنّي . . زوزك بيحبّك صلّي عالنبي(٥) .

٧ ـ بالوعد.. يا كمّون!!..

بذلك ختمت إلفت فتح فنجان صبحية، مدّت يدها لتناول فنجان سعاد فإذا بعزيزة ابنة أم ياسين تدخل الملاعق لأجل تناول الكنافة فتعيد إلفت الفنجان إلى مكانه قائلة:

ـ وهي نفّأنا وجبر الله . . إجت الكنافة .

سبب توقف إلفت عن النظر في بقيّة الفناجين اعتراض أصحابها، وإزاء إصرار إلفت. قبلن أن تعود إلفت إلى النظر في تلك الفناجين، عقب الانتهاء من تناول الكنافة.

اعترضت أم ياسين على فكرة التأجيل، كونها تكرّرت أكثر من مرّة وعلى قول المثل، كلّه بالوعد يا كمون وعلى مبدأ كلام الليل يمحوه النهار وكلّ ساعة إلها ملائكة ويللي فات مات. وبخاصة بعد تملّص سعاد أكثر من مرّة بشأن الحزيرة (الأحجية) التي وعدت الساهرات بها. وتأخر أم شكري عن هذه السهرة بعد أن وعدت في السهرة الفائتة بتقديم حكاية للساهرات. أجابت أم محمود أختها:

أم محمود: بدّك تطوّلي بالك أخي أم ياسين، شو الشغلة خاتم مارد، خليها عالتيسير.

أم ياسين: أنا خايفة ليئوم هالتسير يفرتن السهرة.

أم محمود: لآ يه.. فال الله ولا فالك.

أم ياسين: بعدين أختي أم محمود هي إلفت وناجية ليكهنّ إدامك، اسأليهن لحا يكملوا لنا السهرة بكمالة يلّلي آلوه بهديك السهرة

أم محمود: سمعانين إلفت وناجية خانم؟!

إلفت: والله يا أم محمود، أختي أم ياسين بهيّ معها حأ، ومن عيني هي أنا وناجية أبل عيني هي. بس متل ما لكن شايفين، شو بدنا نتأطّع لنتوصّل. وإذا بدكن الليلة خلينا نكفّ نظر عن فتح الفناجين البأيانة، وبكمّل لكن أنا وناجية يللي حكيناه بهديك السهرة منيح هيك.

وافقت الساهرات على اقتراح إلفت على ما كان من اعتراض صاحبات الفناجين التي تنتظر فتحها وقراءة ما يمكن من رواسب القهوة عليها.. وبعدئذٍ انتقلت أم ياسين إلى سعاد متسائلة:

أم ياسين: بعدين يا ترى سعاد خانم الليلة لسّاتها عند وعدها منشان الحزّيرة يما كمان وعدها كاتبته على لوح بوظ . . العمر إلكن!! .

سعاد: لآ . . يه . . مين آل أنا نسيانة . أنا إذا بدكن هلاّ بنول لكن الحزيرة يلّلي وعدتكن فيها . . بس هالمنظومة إلفت ما بيتأمنّ لها ، إي والله بتمروء بالكنافة أبل ما تسمّي ، وبتحلف وبتتالف إنّه ما شافت شي بتمّها .

أم ياسين: إذا كان هيك أنت عيني .

أم فؤاد: وينك أم ياسين يعني أنت وإم أكرم إدرة ولئت غطاها .

أم ياسين: خير . . خير أم فؤاد .

أم فؤاد: لك وين الكنافة . . نطّفتوا ألبنا؟!! لتكون هالكنافة مثل الكنافة يلّلي شلوطت فيها سعاد ايديها هديك السهرة .

أم أكرم: لا وحياة هالسوالف ، كنافة يعني كنافة ، ومن عند خالي برو(٦) . .

٨ ـ الكنافة الملغومة!! وبرهوم يا برهوم

لم تكذّب أم أكرم خبراً فيما وعدت به الساهرات من الكنافة ، كان ذلك على مبدأ قول المثل الشعبي:

يا ضربتي من غير كيسي .

فقد وجد خالها برو ، في هذه الكنافة ، التي قدمها هديّة للساهرات ، مناسبة للبرهان على مهارته ، في إعداد الكنافة المدلوقة بالقشدة والسمن العربي . حرص برو أن تكون كنافته هذه ، من النوع الذي لا يُبارى ، حتى ولو كانت الكنافة المنافسة ، من أشهر محلات البغجاتية آنئذ . وذلك بهدف إفساد مذاق الكنافة لدى الساهرات اللواتي اعتدن على تناول كنافة ، ليست من تحت ديّاته .

أما أم أكرم فقد وجدت في ذلك، مناسبة للتباهي على أندادها من الساهرات، بمهارة خالها برو من جهة، ولكي تجعل من هذه الكنافة، مدخلاً أو فخاً لغرامات، تُفرض على أي من الساهرات.

فما أن دخلت، ابنة أم ياسين بصدر الكنافة، حتى تصايحت الساهرات بالترحيب والتصفيق. وفي اعتقادهن أن الكنافة التي بالصدر من نوع البصمة وشرعن يغنين للكنافة البصمة.

يا كنافة بصمة يحلى لي رسمها..

فقطعت إم ياسين عليهنِ ذلك بقولها:

ـ ما حزرتوا.. ماحزرتوا.

فيسألنها:

ـ لكان شو.

أم ياسين: طلعت الكنافة مدلوءة.

سعاد: وشوفيها.. كلّها كنافة.. ويللّي بيصح له شي وبيردّه.. يلعن أبوه على أبو جده..

صبحية: وكل داخل بها المبلع ينفع.. ولو كان مدفع. يالله خلّينا نحلي ضرسنا.

سعاد: وين وين صبحية خانم هلاّ كنا حاطّين الحزن بالجرن!!.

صبحية: شو يعني سعاد خانم!! ما آكل.. لآ بعدي ما حزرتي.. بعدين إذا كان زوزي، عم يلفي على ضرّتي انضرب عن الكنافة.. يعني موته وعصّة أبر.

أم أكرم: تفضلوا يا جماعة تفضلوا.. هي الكنافة إدّامكن.. بسم الله.. الأكل على أدّ المحبّة.. بسّ..

الساهرات: خير إن شاء الله.. كمان في بسبسة؟!!.

أم أكرم: لآ مو بسبسة.. بسبسة.. بدّي أول: في بها الكنافة شغلة.. حابّة أولكن ياها..

أم محمود:إي أولي.. نطّفت الوبنا. حمّيت بدننا، وعصافير بطننا زأزأت..

أم أكرم: هالكنافة يلّلي إدامكن، فيها أراني ملغومة..

أم محمود: ويا يش ملغومة.

أم أكرم: كل وحدة منكن وحظّها، حلو على حامض على لفّان. حرّائي.

أم محمود: بالله شو؟!!..

أم أكرم: وكل وحدة منكن بدها تاكل على نصتها، ويلّلي بتحكي كلمة عن الكنافة يمّا بتغمز حدا منكن شي غمزه.. بيطلع عليها حأ.

أم محمود: وشو هالحأ..

أم أكرم: خليها لبعدين.. بس وينكن كل وحدة بتاكل من إدّامها.. يعني ما بتفتح حارة على جارتها.

أم محمود: الله يا جماعة.. أولو بسم الله.

يشرعن في تناول الكنافة، ويذقن من طعم ما لُغمت به الكنافة من شبّهْ إلى ملح الليمون، إلى فليفلة شطّة، إلى مزحون قشر الرمّان المحمّص.. وكل لئمة بطعم، منها ما يشلفط، وما يلصق اللسان بسقف الحلق، وما يجعل العين

تدمع والوجه يعبق. . وجميعهن من فم ساكت. وكان من دواعي احتياطهن أن حاولت كل واحدة منهن أن لا تلفظ ما يشعر ان فمها يعاني من طعم ما بالكنافة، فكان أن قالت:

أم بسام: وحياتك أختي صبحية ناوليني هالأدح.

صبحية: خدي من إيدي أم بسام الأدح.

أم غسان: والله يا أم محمود ألبي الليلة بشوفتك انشرح.

ناجية: تئبريني يا أم أكرم على هالكنافة، من كتر ما لها طيّبة عرئي على وشّي انسفح.

أم فؤاد: وأنا والله آلت لي كنّتي إنّه زوزها الليلة لحايجيب لها بلح. .

أم محمود: شو انتي أختي أم ياسين ما صابك الأح؟

أم ياسين: وانا والله يا أم محمود ما عاد بحلئي شي ما انجرح. .

أم أكرم: شو هالحكي يا جماعة ما هيك اتفأنا.

ناجية: يفكحك. . مو حرام خالك يعمل هيك بالكنافة. منشان سمعة المحلّ!!. .

أم أكرم: شو دخله خالي.

أم محمود: لكان مين عمل هالعملة؟!

أم أكرم: (وهي تضحك) صنع إيديَّ. . وحياة عينيّ. .

فتسارع أم فؤاد للوثوب على أم أكرم والشروع بضربها يشاركنها في ذلك الساهرات فتستنجد يا أم محمود.

أم أكرم: إيدي بزنارك أم محمود . . أنا بحمايتك . .

يتوقفن عن معاقبة أم أكرم . فتقول أم فؤاد:

أم فؤاد: شوفي أم محمود نحنا تركناها منشانك . . كان لازمها أكثر من هيك . . بدنا تاخدي لنا بتارنا منها . والحكم إلك .

أم محمود:إي أم أكرم ، بدي أفهم ليش هيك عملتي؟!!

أم أكرم: إلت لحالي بحرّك السهرة ومنتسلّى . .

أم محمود:لكان كملي لنا هالتسلاية وأرجينا شلون العزوز بتفلي بنت ابنها بالسمس .

تعمد أم أكرم إلى عمل ذلك مع إضحاك الجميع .

أم محمود: أرجينا شلون العروس بتساوي صباحية عرسها . .

وكمان شو بيساوي العزابي لمن بيشوف وحدة حلوة . .

وهلاّ ناوليني خصرك لشوف لحتّى ترئصي لنا على غنيّة من عروستنا زهرية من بعد أذن صبحية خانم .

صبحية: بتموني تئبريني أختي أم محمود ، سواتين ، وما في فرء .

أم محمود: لكان خلينا نسمع الليلة من زهرية الله يسلمها غنيّة برهوم .

صفقت الساهرات لزهرية ، وزهت أمها صبحيّة بها . على حين ظهرت على وجه سعاد أمارات الوعيد لصبحية . ورافقت أم أكرم الغناء بالرقص كما حكمت عليها أم محمود لعملتها بالكنافة .

بـــرهـــوم يـــا بـــرهـــوم

يـــا بـــو الجـــديـــلـــة

عــذبــت ألــبــي يــا بــرهــوم

وانـــــت بــتــومــي لي

بــــرهـــوم عــالأســطــوح

والـــشـــعـــر عـــمّ يــلــوح

والألـــب مجــروح يـا برهـوم

جـــــرح الـــســـكّـيــنــه . .

بـــرهـــوم مـــا اســمــح لك

تـــشـــــاور أهـــــلـــك

بـــأول جــهــلــك يــا بــرهــوم

خـــايـــفـــة تـــرمـــيـــنـــي

لا طــلــع عــالجـبـل يــا ألــبـي

وإإعُـــــدّ عــالــكــرســي

إفــــرح يــا ألــبــي يــا ألــبـي

الـــلـــيـــلـــة عـــرســـي(٧)

٩ ـ البئجة المبأجة.. وأبو حمزة:

لم تكد تنتهي عزيزة من الغناء، حتى حاولت سعاد الخروج من مكان السهرة، أمسكت بيدها صبحية قائلة:

ـ ومن عنا سعاد خانم يا يا ياه . .

ثم تهمس في أذنها قائلة: يا معوكِ لوين بدك تفركيها؟!! شايفتك.

أم ياسين: علي إيش تشكلي آسي..

صبحية: مو هلأ حزيرة سعاد خانم.

أم ياسين:إي والله صعي مزبوط. ماهيك وعدتنا.

أم محمود: بس على شرط سعاد خانم.

سعاد: كمان في شروطات.

أم محمود: إي لكان تشكلي آسي.. بدنا منّك أبل الحزيرة، من هدنك يلّلي مخبيتيهن..

سعاد: أصدك هدنك يلّلي..

أم محمود: إي إي يلّلي إلت لي عنهن لمن كنا سوا..

أم غسان: شو هاد أختي أم محمود أنت وسعاد.. ما بيصير هيك.. ما فينا ألغاز.

أم محمود: لكِ أني ألغاز.. المخلوءة لحا تحرّك لنا الجو شوي ابل الحزيرة..

أم غسان :لآ إختي لآ.. خلّي جلودنا علينا.. نحنا بالحزيرة ما لنا مخلصين.

سعاد:إي لكان بدي اسألك سؤال إذا عرفتيه. لحا خلّي جواب حزيرتي إلك.

أم غسان: إسألي سؤالين مو سؤال واحد. وأنا عما أسمعك..

سعاد: شو يلّلي بيني وبينك ما شافته عيني ولا عينك.

أم غسان:هلأ بلا أكل هوا.

سعاد: لك عرفتها الكهينة .

أم غسان: شو محسبتيني من حارة أليلة ، إسألي ولا يهمك . . وهالخد يا ما معوّد عاللطم . .

سعاد: إي لكان بتعرفي أبو حمزة؟!

أم غسان: إن شاء الله يلّلي: أمز أمزه ، ولحئوه خمسه آم جابوه اثنين .

سعاد: باينتك أنت أدّ الكبة وحشوتها . . لكان تعي لجنبي تعي خلّينا نورجيها لصبحية يلّلي حاطّة دابها من دابي!! .

أم محمود: يعني أبل ما يعرفوا مين هادا أبو حمزه؟

سعاد: لكان تشكلي آسي لكان ، هادا البرغوت اللّي لحا يساهر صبحية خانم الليلة .

صبحية: الحكي ما عليه كمرك ، وأنا بألبي تلج وعلى ضهري خرج . . ومالي سائلة . . لك الحجر بمطرحة أنطار . .

أم غسان: هلأ لحا تردحوا لبعضكن . . وتنزعوا لنا السهرة . . خلّوها للبيت .

أم محمود: لأ . . إم غسان لا هون ولا بالبيت . . سعاد وصبحية من عمرهن إخوات وإذا شايفتيهن هيك . . لك أختي المصارين بالبطن بتدافش!

صبحية:يسلم هالتم يا أم محمود . . إي والله . .

سعاد: لك آخ منّك يا صبحية على ما أوم عضّك شي عضّة تفشّ ألبي .

صبحية: الله وإيدك . على حسابك . .

سعاد: لكان شو رأيك يا صبحية ، بدال هالعضّة تغنّي لنا بنتك زهرية غنيّة البرغوت مو أحسن .

الساهرات: إي . . إي . . إي والله أحسن .

أم ياسين: ومن عنا صبحية خانم وأمّورتها زهرية يا يا . . ياه .

الساهرات: (مع التصفيق) وهيه . .

صبحية: على عيني . . والله والله ما بيغلى عليكن غالي . . بسّ . .

أم محمود: صبحية خانم ما بدها بسبسة ، وإذا بدّك تئولي: لترتاح زهرية من الغنّية الأولانية ، أنا لحا أولّ لّك ، بنتك الله يسلمها على ألبها الغناني أحلى من السكر ، إنت أولي إي . . وبيني وبينك الصبية ما بتتعب . . وإذا آلت تعبانة بتكون كذّابة ، أما إذا آلت جوعانة صدّئيها . موهيك أمّورتنا .

زهرية: مثل ما بدّك خالتي أم محمود .

تعزف صبحية على العود وأم فؤاد على الدرنبكّة وتنهض الصبايا للمشاركة بالرقص .

زهرية: يا ريتني خلقان برغوت ولوني أبيض مثل الشحم
وين ما بدي كنت بفوت وبغلغل بين اللّحم
شو اعمل لكون برغوت ووين مابدّي كنت بفوت

يا ريتني خلقان برغوت

كنت بشمشم فين ما كان وخصوصي تحت الباطات
ولمّا بعلأ بالرمّان دغري برخي الفرامات
ولمّن بمشي ما بوئّف غير بأعظم محطّات
كيف اعمل لكون برغوت وين ما بدّي كنت بفوت

الساهرات: يا ريتني خلقان برغوت

زهرية: كنت بلاعب هالستّات | وما بترك وحدة تفلص.
ودوم بشغّل هالبنات | ومطرح ما بدّي بئرص.
ولّمن وحدة بتكمشني | من بين أصابيعها بملُص.
كيف أعمل لكون برغوت | وين ما بدّي كنت بفوت.

الساهرات: يا ريتني خلقان برغوت

زهرية: والله البشعة بهلكها | وما بخليها ساعة تنام
ودوم الحلوة براضيها | وخصوصي وبعد الحمام
بهدّي عليها بلطافة | وبخلّيها قوام تنام
وكيف اعمل لكون برغوت | وين ما بدّي كنت بفوت

يا ريتني خلقان برغوت

أم ياسين: الله يديم المحبّة ويسلّم هالتم.

أم محمود: إي والله.

أم بسام: إي سعاد خانم شو آل؟

سعاد: آل:

بئجتي مبّئجة
ومن أربع أراني مطعّجة.
كل شي فيها.
وما بئدر إخفيها.

وشو هي يا أم غسان؟

أم غسان: معليش سعاد خانم، خليها لصبحيّة. اِسْمِنّها الحشيشة رائئة معها. وما حدا أدّها . .

صبحية: ليش لحتى ما تكون رائئة الحشيشة معي، ضرّتي وتطلّئت، وزوزي متل الخاتم بإصبعتي. وبيفهم عليٍّ بالوَمَا .

أم غسان: لك خافي الله يا مخلوءة. . شبك أيّتي عليّ. . شو عملت لّك .

صبحية: هيك. . مراء .

أم بسام: عليه شي إذا حزر حدا غير صبحية خانم .

أم غسان: لا بعدي ما بيصير. . جواب هالحزيرة على صبحية .

أم بسام: ليش .

أم غسان: لأنّه إذا ما حزرت بدّه يطلع عليها حأ .

صبحية: لآ. . بعدي. . ما بيطلع لك .

سعاد: شوفي صبحية خانم، هالحزيرة أصلها لأم غسان، وهيّ يلّلي جيّرتها إلك .

صبحية: بتعرفي ليش سعاد خانم .

سعاد: ليش؟

صبحية: لأنها عزرت. إه. . آلت لحالها ما بدّي آكل خزوة .

أم محمود: هلاّ صبحية خانم خلينا بالحزيرة .

أم غسان: لكان خليها سعاد خانم تعيد لنا الحزيرة .

سعاد: بئجتي مبّئجه . . .

أم غسان: والله يا صبحية لحا أول لك بدك فركة إدن!!

سعاد: إي والله بيلبأ لك يا أم غسان . . هيّة الإدن[٨] .

١٠ ـ يهودي مسافر بالملح:

كانت المكايدة بين والدة أم أكرم ، وسلفتها حماة أم أكرم ، من الأمور التي لم تغب عن أذهان الساهرات . فأم أكرم عزيزة على قلوبهنّ ، كما وإنّ العلاقة بين السلفتين لابُدّ وأنّها تخطف اهتمام النساء في ذلك الحين . سيّما وإنّ العلاقة بين السلفتين علاقة سكنى في دار واحدة وفي غرفتين متقابلتين . وسؤال أم أكرم عن ما آل إليه حالها مع حماتها كان من قبيل الاطمئنان على أم أكرم .

فلما سألت أم محمود ما إذا اكانت الأمور هديانة بين أم أكرم وبين حماتها ، أجابت أم أكرم:

أم أكرم:والله يا أختي أم محمود. أنا ما في شيء بيني وبين مرت عمي . والله شهيد أنّها بتحبّني ، وأنا كمان بحبها . . الأصّة بينها وبين أمي . . وحماتي هيّ اللّي دايم الدوم حاطّة حطايط أمّي وعاملتها شغلتها . . وما بيهنى لها عيش إذا ما عكننتها . . لك مبارح . . إي مبارح عملت بأمي فصل إبليس ما عمله .

أم محمود :يُه . . سلاماً قولاً من رب رحيم . . خير . . أم أكرم شو عملت؟

أم أكرم: هادا يا ستي ، امبارح كان أبي عازم صناعيته عالغدا على أكلة يهودي مسافر . . فيها شي . فزّ أبي من بكير وبعت لأمّي الكوسايات والكزبرة ، منشان الأكل يكون زاهز عالغدا .

أبي راح من هون ، كانت حماتي بالمطبخ من هون . . ولّمن عرفت إنّه امي لحا تطبخ يهودي مسافر ، ما تلائيها إلا شمّرت وفرمت لها هالكوسايات وهالكزبرة . وآلت لأمي : أنت بتصوّلي البرغلات وهي كنّتنا لحا تساوي الفجلات والبصلات . ومنتعاون سوا . . وأنا والله بحب يهودي مسافر من زغري . آمت آلت لها أمي لكان اليوم منتغدّى سوا .

ولّمن استوى الأكل ، آلت حماتي لأمي ، إنت بتحطي السفرة ، وأنا لحا إسكب لسلفي من راس العرمة وبحطّ لـه ياهن بالنملية عن بين ما يبعت ياخدهن .

آلت لها أمّي الله يسلّم هالديّات إن شاء الله بكافيكي بحجّك . . ياالله بآ أربي لنتغدّى سوا .

أم محمود : كتير منيح . وبعدين .

أم أكرم : لمن حط أبي هالأكل إدّام هالصنايعية ، لئوا الأكل مالح متل الصبر .

أم محمود :وشلون هيك؟!

أم أكرم : ما تاري حماتي راشّه كمشة ملح على زوادة أبي وصناعيته .

أم محمود : أستغفر الله العظيم . . من كل أمر عظيم .

أم غسان : يي ما تروح غير تنتيف على هالعملة . ليش هيك عملت؟

أم أكرم : آل شو . . لحتى يطلع خليء أبي على أمي . . بركي بتوئع بيناتهن .

سعاد : يا لطيف يا لطيف من الغيرة . . أدّيش بتعمي الألب .

صبحية : لك أختي يلّلي بيعيش يا ما بيسمع . . وياما بيشوف[٩] .

١١ ـ النوم.. سلطان:

سرق اهتمام الساهرات ما كان من أمر حماة أم أكرم مع سلفتها والدة أم أكرم ، بقصد الإيقاع بين والدي أم أكرم. عن ما كُنّ فيه من ترقب لما ستقدمه وترويه إلفت وناجية عن سهرات أيام زمان.

قطعت أم محمود ذلك الجوّ بقولها:

أم محمود :كأني يا جماعة مالي شايفة ناجية وإلفت . . شو راحوا؟!

أم بسام :لآ يه . . ليكهنّ . . إدامي .

أم محمود: لكان ليش ما لنا سمعانين حسّهن؟

أم بسام: أختي ما إلت لك هون ، بس بسابع نومة.

أم غسان: شو صاير عليهن لسّا الدنيه بكير.

أم بسام :انتو فتحتوا سيرة حماة أم أكرم وفصولها. بدت إلفت تفرك عيونها ، وناجية كأنّه انعدت منها صارت تتّاوب حتى كانت لحاتتشرّط حناكها . . أختي أم بسام بسلامة عرفك النوم سلطان.

أم محمود: لكان ما لحا نسمع شي عن سهرات أهل أول . . يما بسّ شهّيتونا وما لحا تدؤونا . يعني ما بيكفي أم شكري الليلة ما إجت.

أم بسام: ليكهن ادامي إذا بدك تعي فيّئيهن . .

سعاد: لا تتعبي حالك ، فالج لا تعالج . إي والله إلفت مدفع ما يفيئها. وألله يستر ما بتروح عالبيت وهيّ نايمة وما تحسّ.

أم ياسين: لكان شو رايكن بشي فنجان أهوة.

أم محمود: لآ أختي أم ياسين بلاها الليلة ، خليها للسهرة الجاية . .

سعاد : وشلون بدنا نتطمّن على أمّ شكري .

أم محمود: والله أنا بالي مشغول عليها ، وبكره إنشاء الله بعمل لها زيارة ، بشوف شو بها . . إن شاء الله خير .

أم فؤاد : لآ أختي أم محمود أنا إلي طريئي بكرة ناحها ، بمروء لعندها وبطمّنك عليها .

أم محمود: إي الله يخليك .

أم ياسين: لكان أختي أم فؤاد بمروء ناحك ومنروح سوا .

* * *

الهوامش والحواشي:

١ ـ الطرّاءة: الطرّاقة: المصيبة. لآ: لا ، نفي. أولي: قولي. أنو: أيّ. فوء: فوق . البي: قلبي . زوزتي: جوّزتي . يمّا: أو . ضيئة: ضيق . إيش: ماذا . آل: قال . ساؤه: ساقه ، سمّاوه: ارادوا: الحيل ، والقول بمجموعه كناية عن الشيخوخة. عازك وعوّازك: للتقليل من قيمة الآخر ومكانته. بس: كفاية ، يلّلي: من ، الذي. شب مشورب: كامل الرجولة. لأول: لأقول. تتحورئي: تتحورقي ، دعوة دعابة. شلاّتي: جعلتيهن ينتبهن . عاملة عملة: اخطأت خطأ فادحاً. مصدّئتك: أصدقك .

٢ ـ مو إلي: ليس لي. شمّا اللطامة: شخصية شعبية كانت تقوم باللطم في الأحزان لقاء أجر. تئبريني: تقبريني ، دعاء تحبّب. آل عألي: قال لي عقلي. سكارسة: خصوصي. نئطع: نقطع. الحأ: الحق. غباشة: اشكال. الدشمان: الأغراب. العئول: العقول .

٣ ـ المخلوءة: المخلوقة. تمّي: فمي. وئت: وقت. يسلئوا: يسلقوا ، دعاء تحقير . مئص: مقص. السكافي: الإسكافي. سئلة: سقلة ، مانع. وشوشة:

همس . عاشيء ومعشوء: عاشق ومعشوق . شلون: كيف . ينئّط: ينقّط . ألوب: قلوب . هدول: هؤلاء . السمس: الشمس . لايئين: لائقين .

٤ ـ التئل: الثقل: الرزانة . معليش: مثل بعضها ، لا بأس . ليش: لماذا . الحئيئة: الحقيقة . كتيرة الغلبة: من يتدخل في ما لا يعنيه . آفلة: مقفلة . صبوا لك بالزايد رزّة: أي مفضّلة . الأوي: القوي . فارءة: لا فرق . لإلنا: لقلنا . تئبلي: تقبلين .

٥ ـ خمسة وخميسة: رقوة لردّ العين . بيفلج: من الفالج ، الشلل وهنا كناية عن شدّة الدهشة . طريء: طريق: عرئيلة: عائق صغير . زغيرة: صغيرة . لسبّد: لا بد . تلت: ثلاث . هنن: هُنّ . عرضية: غير ذي بال . أولو: قولوا . كمان: أيضاً . هون: هنا . طاءة: طاقة ، فتحة . شبها: ما بها . يه: استغراب . أريبين: قريبين . بيرزوز: يجوز ، ربّما . تمّه: فمه . عرء: عرق . السجرة: الشجرة: سعدان: من القردة . مكَعْوك: ملتفّ على بعضه . إيمينا منه: دعيه جانباً . بسفل: في أسفل . حيّة: أفعى . روس: رؤوس . كش برّه وبعيد: رقوة لإبعاد الأذى . طلأها: طلقها . مالها حالّة عنه: لم تتركه وشأنه . تحبرم: تحوم . بتزوز: ممكن . مأصّر: مقصّر . أوآت: أوقات . إصي: قصّي . تدحش حالها: تعرض نفسها . إلها خاطر: موافقة . الله يصطفيل فيها: شكيت أمري إلى الله . أفا: سفل . وش: وجه .

٦ ـ نفأنا: خلصنا . إجت: أتت . كلّه بالوعد يا كمّون: مقولة للوعد الذي لم يتحقق . بدّك: من الضروري . ليئوم: ليقوم . بيوّظ: يفشل . إدّامك: أمامك . متل: كما . نتأطّع: نتقطع . والمقولة تعني ليس باليد حيلة . البأيانة: المتبقيّة . لسّاتها: لا تزال . كاتبته على لوح بوظ: لوح ثلج ، تزول عنه الكتابة بالذوبان . بئول: أقول . ما بتتأمّن: لا يؤمن جانبها . بتمروء: تمرق ، تأكلها . إدرة: قدر . لئت: وجدت . نطفتوا ألبنا: طال انتظارنا .

٧ ـ ديّاته: شغل يديه . وين: إلى أين . الحزن بالجرن: كناية عن عدم الانسجام . موتة وعصّة أبر: أيّ همّ فوق همّ . عصّة: ضيق . أدّامكن: أمامكن . أدّ: قدر . بس: لكن . عصافير بطننا زأزئت: كناية عن الجوع . زأزأ: صوت العصافير . أراني: أماكن . ملغومة: مغشوشة بمادة غير الكنافة . حرّائي: حارّ . على نصتها: على الساكت . يمّا: أو . حأ: حق ، غرامة . إدّامها: أمامها ، ما يليها . يشلفط: شديد الحدودية . الأدح: القدح . عرئي: التعرّق . حلئي: حلقي . زوزها: زوجها . اتفأنا: اتفقنا . إيدي بزنارك: أتوسّل . العزوز: العجوز . السمس: الشمس . ترئصي: ترقصين . فرئ: فرق . البي: قلبي . تومي: تشير . إعد: أقعد .

٨ ـ يا معوك: دعاء لوم . لوين: إلى أين . تفركيها: تذهبين . ايش: ماذا . . تشكلي آسي: دعاء تحبّب ، ويشكل الآس كما مرّ على شاهدة القبر . هدنك: أولئك . سوا: سوية ، معاً . أليلة: قليلة . أمز: قفز . لحئوه: لحقوه . أدّ الكبة وحشوتها: على قدر كاف للمواجهة . أنطار: قنطار . تردحوا: تتشاحنوا . بئجتي: بقجتي ، صرّتي . مبأّجة: مبقّجة ، مصرورة . أراني: أماكن . بئدر: أقدر . معليش: لا بأس . رايئة الحشيشة: رائقة ، جيدة المزاج . بلعت أصبعتها: توفيت . مثل الخاتم باصبعتي: مطواع . بالوما: الإشارة . يا مخلوءة: يا مخلوقة . أبّيتي علي: سارعت بالجواب بعصبية . مراء: مزاج . عززت: عجزت . بيلبأ: يليق .

٩ ـ عكننتها: أزعجتها . يهودي مسافر: أكلة دمشقية قواها البرغل الخشن يطهى بالسمن مع الكزبرة ومخروط الكوسا . . زاهز: جاهز . تلائيها: تلاقيها . سوا: سوية . السفرة: المائدة . النملية: خزانة جدرانها الجانبية والأمامية من المنخل الناعم وتكون في المطبخ ، كانت تقوم مقام البراد في أيامنا . أربي: اقتربي . لئوا: وجدوا . شلون هيك: كيف ذلك . خلئ: خلق ، يطلع خلئ: يعصّب ، بفقد صوابه . بركي: ربّما . بتوئع: تقع . أدّيش: كم هي .

١٠ ـ ليكهن: ها هنّ. إدّامي: أمامي. حسّهن: صوتهن. سابع نومة: مستغرقين في النوم. تتاوب: تتثاءب. تتشرط: تتمزق. جناكها: شدقيها. فيّئيهن: أيقظيهن. فالج لا تعالج: لا جدوى. شوبها. ما بها. طريء: طريق. بمروء: أمرق. أمرّ.

سادساً:

١ ـ ملك.. وزير.

٢ ـ ألف باء الحبّ..

٣ ـ مئلاية النسوان.

٤ ـ رفعوا المئلاية.. ونزّلوا المعالئ والكبجاية.

٥ ـ موشّح أحلى صورة.

٦ ـ دافنينه.. سوا.

٧ ـ بنت الداية.. ما عليها مخبّاية.

١ ـ ملك.. وزير.

لعبة ملك وزير من أكثر الألعاب شيوعاً في سهرات أيام زمان، لسهولة تناولها، وتداولها بين اللاعبات كباراً وصباياً. وهي قريبة الشبه من لعبة الكعباب التي يمارسها الفتيان في الزقاق والحارة.

وهذه اللعبة من الألعاب التي يمكن التحكّم في المدّة التي تُمارس فيها، أما ما يرافقها من تعليق، فإنه يتوقف على طبيعة اللاعبة.. وفي جميع الأحوال فإن ذلك التعليق لا يخرج عن نطاق المزاح، على ما كان يشوبه من العبارات اللاذعة أحياناً. أداة اللعبة علبة كبريت تقذف بها اللاعبة فإن أتت العلبة واقفة على كعبها، يرمزن لها بالملك. وإن أتت واقفة على جانبها فيرمزن لها بالوزير. أما إذا أتت العلبة على بطنها فيرمزن لها بسائس الحمير.. ونحوه.

في السهرة استغلّت الصبايا من الساهرات عدم اكتمال توافد الساهرات، فقمن بهذه اللعبة. وكانت البداية بين ابنة أم ياسين (عزيزة) وبين زهرية ابنة صبحية. ثم انضمّت إليهما فريزة كنّة أم فؤاد.

ألقت فريزة علبة الكبريت فأتت قائمة على جنبها فصاحت قائلة:

- وزير.. وزير.. حظي من زوزي وزير.

فتتباهى أم فؤاد بابنها زوج فريزة، ثم ترمي ابنة صبحية زهرية، فتأتي علبة الكبريت على بطنها. فتشعر بغصّة وهي تقول:

زهرية: ولي على حظي.. سايس حمير.. يعني اصبر إصبر وبعدين إفطر على بصلة.. العين الطرّاءة. يبعت لها الحظ حمّة وداء السلّ.. يعدّمني ياه. المحوراً راعي الحصان وينه!!.

فتتناول عزيزة علبة الكبريت وتهمس لها. شو إلت لك: ـ لوز وسكّر. .

ثم ترمي الكبريت بحركة بهلوانية وتقول:

عزيزة: ملك. . ملك. إي لكان يلّلي بياكل لوز وسكر وإشطة وعسل وموبس ملك، لك هاد ملك الملوك. . بس وينه!!.

وتعاد الكرّة بين اللاعبات مرّة ومرّتين، ويتبدّل الحظّ بالكبريت بينهنّ، فمن كان حظها ملكاً، أصبح سائساً للحمير، ومن كان حظها وزيراً أصبح ملكاً. . والكل في صخب ومرح. . إلى أن قالت زهرية:

زهرية: وأنا لحا جرّب حظي مرة ثانية لشوف.

فترمي علبة الكبريت بعصبيّة وهي تقول: ـ وهاد شو. .

فيصيح الجميع مع الضحك.

الساهرات: سايس حمير.

زهرية: هَهْ تطئّك، العين تِسفأك، لإيمتى بدّك تضلّ مدفوس بين الأبائيب والبراطيش.

صبحية: لك بنتي من كل عألك عم تحكي. . من إيمتى كان حظ الوحدة بلحشة علبة الكبريت. كبّري عألك.

ثم سارعت أم فؤاد إلى التخفيف عن زهرية، بأنّ الحظ شيء واللعبة شي ثاني، ثم قالت لأم غسان:

أم فؤاد: يا الله أم غسان الحشي لشوف. . جرّبي حظك.

أم غسان: إي تئبريني. نحنا شفنا وشبعنا بسط. . الدور للصبايا.

أم فؤاد: صعي الدور للصبايا، بس البركة بالعتائي.

فريزة:أنت الأصل مرت عمي، والله بلاكي ما منسوى شي.

أم فؤاد: تسلمي يا مربّاية يا بنت الأصول.. إي والله والله، وألله شهيد عليّ، لو كان عندي بنت ما بتغلى عليك.. لك إنت جوهره بعيني.

أم غسان: وسكّرة بألب عريس الهنا.

أم فؤاد: يالله أم غسان، لا تخاتليها.. إلحشي بآ.

أم غسان: يُه.. استحي بآ شو بدهن الصبايا يئولوا عنا.

أم فؤاد: يعني شو بدّهنّ يئولوا؟ عم نشوف حظّنا؟.. عيب شي!!.. يمّا نحنا بحّ راحت علينا.

أم غسان: إي بس بس لفّيها هلاً أم فؤاد.

أم فؤاد: إي لآ أم غسان.. الحكي بيناتنا ألبك عمّ ينغرش، إلحشي بآ.. يمّا أول لّك.. أنا لحا إلحش بدا لك.. يعني شو ما إلتي بدنا نشوف حظّك وَهْهْ.

ترمي أم فؤاد علبة الكبريت عن أم غسان وهي تقول: ـ أي أم غسّان. حظّك مع مين؟

يأتي الكبريت طبّاً. فتصيح الساهرات:

الساهرات: مع الحمير.

تعاود أم فؤاد رمي الكبريت قائلة:

ـ هلاً حظّك يا أم غسان مع مين؟

الساهرات: مع الفيران.

أم فؤاد: (وهي ترمي الكبريت) وبتاكلي مع مين؟ فيأتي الكبريت واقفاً على جنبه.

الجميع: وهيه.. مع الوزراء أم غسان مع الوزرا.

أم فؤاد: وهالمرّة بتسهري مع مين.

الجميع: مع الملوك مع الملوك.. وهيه[1].

٢ ـ ألف باء الحب:

في هذه الأثناء تحضر إلفت وناجية فترحب بهما أم ياسين..

أم ياسين: من عنا إلفت خانم وناجيّة يا يا.. ياه.

الساهرات: وهيه (مع التصفيق).

طبع حضور إلفت وناجية على وجوه الساهرات بسمة الابتهاج والارتياح. وكان لا بد من عتاب لهما على تأخرهما.

أم بسام: الحمد لله عالسلامة، وحده غيركن جابت معها هديه.

إلفت: هي دأني.

ناجية: ودأني.

سعاد: معلوم حبيبتي إنت وياها، العزّ للرز والبرغل شنأ حاله، حاكم سمستكن عالية.. على مهل لإبعت لكن الجارية تغسّل لكن إجريكن أبل ما تلبسوا لحتى تجوا.

ناجية: لك تتحورئي يا سعاد، ما بتفوّتي وحدة، إلنا لكن هي دأني وإنا وإلفت رضيانين.

أم ياسين: إي لكان عدو هون وسمعونا يا جماعة.. إلفت وناجية خانم لحا يفشّوا البكن بها السهرة. اطلبوا وتمنّوا.

أم محمود: إختي أم ياسين خلّي جلودنا علينا ما بدنا غير اللّي وعدونا فيه.

إلفت: حلّت البركة، وعلى عيننا. بس كونوا رضيانين.

تصلح إلفت وناجيه من وضعية جلوسهما بين الساهرات، بحيث يكون قسم من الساهرات إلى جانب إلفت والقسم الآخر إلى جانب ناجية. ومن ثم تبدأ المنادمة:

إلفت: حرف الألف ولّف المحبوب لحضيني.

ناجية: والباء بلاني بحبّه.. آه يا ضيا عيني.

سعاد: عيني يا عيني.. إي شو هالحكي درر.. درر!!.. ما يبلى ما يبلى.

ناجية: تسلمي سعاد خانم.

إلفت: درت بلاد العرب والعجم يا زيني.

شاهدتهم ما حلي لي حدا متلك بعينيّا.

أم بسام: الله يحلّي أيامك يا ست الستّات ألله يئيمك بالهنا، وإن شاء الله بصبي إلفت خانم.

إلفت: الله يسمع منك.. من تمّك لابواب السما.. تسلمي لي ياحأ.

ناجية: والتاء تمّك سبحان من صوره يا زيني.

والثاء سوسحتني وأجريت دمع عينيّا.

أم أكرم: اضرب أنا عنك.. يئبش.. يئبش..

صبحية: ناجية خانم.. كرمالي عيدي لنا ياها.

تُلبّي ناجية رغبة صبحية فتعيد ثم تتابع:

ناجية: جسمي نحلته والدمع عالخدّين.

راقب إلهك وانظر اللّي جرى ليّا.

أم غسان: اسم الله حولك وحواليك.. كشّ برّة وبعيد.. كش برّة وبعيد.

إلفت: والجيم جسمي ضناه الشوء والهجران..

والحاء حلو المحاسن سبيت بنات الجان.

لصير شبه العناتر واسرح مع الغزلان.

لاجل ريم الفلا.. راخي الحساويا.

أم فؤاد:عيني يا عيني يسلم هالتمّ.

ناجية: والخاء خلّيت عألي انشال من راسي.

والدال دوّبت جسمي ليش ياآسي.

أم أكرم :إن شاء الله عدوّينك.

إلفت: والراء رمحك رديني وخصرك المبّاس.

سـهران لاجـل محبوبي وليلـي طال.

والنـوم نومي هـرب لا يخطـر لعينيّا.

صبحية: اضرب أنا.

إلفت: والزاي زهر الربيع بوجنتك فتّح.

والسين سرّك لغيري والليل ما يسلى.

سعاد: حبايب والله حبايب. عين الحسود فيها عود.

إلفت: والشين شعرك لديلك آه من ليلك.

أوعدتني يا كمّون بسئيك الميّا.

صبحية: ما صار. . ما صار.

ناجية: أوعدتني يا كمون بسئيلك الميّا. .

والظا ظبي الفلا يا ناس مين ردّه.

سعاد: ردّه. .

إلفت: والعين عشق الأهل والله من بعده.

سعاد: إي والله من بعده.

ناجية: أبو سليمين شاماته على خدّه.

صيد كفّي موصيد بربّة.

أم غسان: يسلموا هالايدين.

إلفت: والغين غضبان يا حلو صالحنا.

والفاء فريد زها بالله سامحنا.

أم ياسين : سامحنا يا ليل. .

ناجية: والقاف اقعد على زادنا بالله ومالحنا.

ليصير بيناتنا عِشرة وكيفيّا.

صبحية: ليل يا ليل. . طلّ الأمر. حلو ياليل.

إلفت: والكياف كفّ الجفا ما أستطيع الصّد.

أوعدتني يا محبوب تجي هالحدّ.

كم حدّ وحد حدّين!!. . بيجو ميّة.

سعاد: إضرب أنا عنّك. . إن شاء الله العدوّين. .

ناجية: واللام لو ما خاف أنا من أهلك.

والميم ما بحلّ عنّك ولو أنا بهلك.

أم أكرم: الله يحميكي تشكلي آسي.

إلفت: والنون نوحي على ما صار بأحوالي

ناجية: هادا جزات من يعشأ الغالي.

إلفت: وحياة راسك مالي وراسمالي.

ناجية: وعيونك السود زوّدت الألم بيّا.

إلفت: واليا يا غفار الذنوب تغفرلي ذنوبي كلّه مزح وكيفيّا.

أم محمود: لك روحوا إنتوا التنتين تطلعوا على أبري. . والله شي حلو. . الله ألله يا زمان.

بالمزح والكيفيا ختمت إلفت الكلام المباح، بين الأحبة أيام زمان. . فكان أن دوّى مكان السهرة بالتصفيق والزغاريد حتى لكأن السهرانين في عرس. وعلّقت أم ياسين بقولها:

أم ياسين: الله يسلّم هالتم أختي ناجية وإختي إلفت. . . تاريهن أهل أوّل كانوا مبسوطين أكثر منّا، وما كان عندهن في شي بيستاهل الزعل. ما كانوا بيحمّلوها. .

أم محمود: أختي أم ياسين السهرة صار بدها فنجان أهوه.

إلفت:أني أهوه هي إي والله مالحا إزحَل من هون لحتّى أعرف شو ضريب أم شكري، وين غاطّة. . شو صاير معها.

صبحية: ليكها أم فؤاد إسأليها، هيه اللّي تكفّلت تعمل لها زيارة، وتستفهم منها ليش ما إجت هديك السهرة.

أم فؤاد: إي والله الحأ معكن، لا تآخذوني نسيت أول لكن.

سعاد: شو أم فؤاد صايرة عم تنسي. إه نيّاله يلّلي آخد عألك. آل يلّلي بدّه يموت لازم يوصّيكِ بولاده. . يُو العين الطرّاءة.

أم فؤاد: سعاد خانم. . أنا فهمانة عليك، لا تروحي لبعيد. . أنا نسيت أول لكن يعني نسيت. . الدنية لهو. . بعدين يلّلي آلته إلفت وناجية ما بيخلّي الوحدة تنسى وبس. . إي والله شي بيدودخ.

صبحية: وليكها كمان الليلة لهلأ ما إجت. .

أم بسام: لكان ما لحا نسمع الليلة الحكاية. يللي وعدتنا فيها.

سعاد: ستّي. . بيحجّ الحجّ بلا أبو حلاوة. . ربي ما أكتر خلأك.

أم بسام: ما زال هيك تعو نحطها بالمئلاية ونآجر فيها. . . (٢)

٣ ـ مئلاية النسوان:

مقلاية النساء في سهراتهن أيام زمان، ليست المقلاة التي تستعمل في المطبخ لإعداد أنواع أطعمة المقالي. . وإنّما هي اصطلاح مجازي للدلالة على أن سيرة المرأة التي توضع بالتداول تلوكها ألسنة الحاضرات بسياط القدح والذم من لواسع الكَلِم وساخره. . فلا يكفّفن عن ذلك إلاّ والمرأة قد أصابها ما أصابها من ذلك التناولَ، كما لوأنها مشلفطة من كل مكان.

انقسمت الساهرات بين مؤيد لهذه الفكرة وهذا الأسلوب من السمر، ومعارض له، لما في ذلك من تجنّي على المرأة التي توضع سيرتها في مقلاة الألسنة، وما ينالها من قدح وذمّ، وإغفال للمحاسن والإيجابيات.. وبالتالي التشهير، بل والمبالغة في ذلك بأسلوب ساخر فاضح يستدعي الشفقة على ما يرافق ذلك من الهرج والمرج. ولم يتوقف ذلك التناول على واقع حال المرأة التي توضع سيرتها في المقلاة، وإنّما تعدّى ذلك إلى إختلاق أمور، وقلب إيجابيات إلى سلبيّات مزرية، وبخاصّة ما كان يتعلق بنظافة البيت، وحسن الاستقبال، والمظهر والمأكل والمشرب..

فاقتراح أم بسام في هذه السهرة استوجب جدلاً بين الساهرات، وانقسمن ما بين مؤيد ومعارض. فإم بسام وناجية وإلفت، كنّ من أنصار المقلاية. أمّا أم محمود وأم ياسين، كان موقفهما من قبيل الاستهجان ثم المعارضة. وانتهى الأمر إلى أن لا هوادة في وضع أم شكري في المقلاة، لغيابها عن السهرة السابقة ولتأخرها عن هذه السهرة[٢].

أم محمود: يعني ما بيصير غير ما تنزّلوا المخلوءة بالمثلاية!!

ناجية: مين آل لها تعمل فينا هيك!!..

أم بسام: يعني ما بيكفي ما إجت هديك السهرة كمان اليوم لهلاّ ما إجت.

أم محمود: يا جماعة الغايب عذره معه، خلينا نسمع من المخلوءة. مابآ لتجي

ناجية: وئت بتجي أسألوها وهلاّ خلينا نتسلى.

إلفت: بعدين مين آل لها ما تجي.

أم ياسين: أولك أختي أم محمود الشغلة فيها إنّ. مو هيك؟

أم بسام: هلاً بتؤلي إنّه المسكينة الله يعينها بيتها كبير، وزوزها على أدّ حاله. وبناتها كبروا ولحا يعنّسوا وما كان ينفتح نصيبهم.. يعني بدك هالمخلوءة تكسر إيدها وتشحد عليها.

أم ياسين: يا بنت الحلال خافي الله.. أنا إلت هيك.

ناجية: أختي أم بسام لوين رحتي، مو هيك، هي أم شكري طرحانة.. أكيد طرحانة.

إلفت: إي أريضه وماحية. آل حبلة ومرضعة، وجارّة وراها أربعة وطالعة عالجبل لتجيب دواء للحبل.

أم بسام: ويا من تراها مطنبرة، وعم تئول التوبة، وما بآ تعيدها. ودرنّ بتؤل لِكْ، عم ينطف ألبها على ولد.

سعاد: شو ما عندها غير هالشغلة ما بتلحيء تفضّي، لحتّى تعبّي.. شو مَفْرَخَةْ؟

ناجية: لك لأ مو هيك، هالمنظومة طول ما لها آعدة، عم تتأدس، فلانة شو جابت، وعلاّنة حبلت لمّا لأ، وعلاّكة البانة ليش طرحت!!..

أم محمود: لك إختي ما حدا حاطط خيمة على راسه، وألله يعين كل مين على مصيبته.

أم ياسين: ويلّلي بيشوف مصيبة غيره بتهون عليه المصايب، مو بيعمله سيرة!!..

صبحية: يعني شو فيها إختي إم ياسين إذا تسلّينا شوي عم بين ما تجي المخلوءة لتحكي لنا الحكاية!.

أم محمود: بس والله عيب.

ناجية: هلاً أم محمود، بدي أسألك: أم شكري إختك الرضعية شي؟

أم محمود: لأ.

أم أكرم: لكان ليش وائفة سنجا عرض منشانها، إفرطيها بآ.

أم فؤاد: لك العين تطرئها، آل إمت بواجبها وسألت عنها وعملت لّها زيارة لإطمّن عليها، تاريها ما بيلبأ لها.

ناجية: ليش بآ أختي أم فؤاد؟

أم فؤاد: اسكتي اسكتي، ريتها تنذكر وما تنعاد، وكانت باطلة ومحوّلة هالزيارة.

أم ياسين: ليش؟

أم فؤاد: لِكْ إع.. إع على هيك بيت، يا حوينته فيها.. ريحة الأنّة عمّ تْعِفّ منه عفّ. ووين ما حطّيتي إيدك بتتأمأم بالغباير يا بالزفر، وكمان وين ما أعدتي بيتلوّتو أواعيك.

سعاد: انت مو شي إم فؤاد.. لك أنا خطرة رحت لعندها فتحت لي بنتها.. أمّا شو شوفة.. أستغفر الله العظيم حاشا خلئة ألله.

ناجية: خير!!..

سعاد: إي والله يا ميت صباح صبّح شمّ إرين إدّامها.. العين تطرئها على هالوشّ يلّلي عاملته مثل السلطة... إع.. شي بيزلّع المصارين..

أم محمود: يا جماعة.. يا جماعة.. والله حرام، لا تجيبوا سيرة البنات، هدول حريمات..

إلفت: إي لآ تخنتيها أم محمود.. خلّي الطابيء مستور، أحسن ما إكشف المخبّى.

أم فؤاد: أني منّن إلفت خانم . . إن شاء الله يلّلي مخطّبتها .

إلفت: لآ أختي أم فؤاد لآ ، هي البنت يلّلي متل الشاضومة ولسانها ما بيفوت لحلئها . . (٣) . وكمان التانية يلّلي مخطّبتها مالها أنظم .

سعاد: بتعرفي إلفت خانم الحأ مو عالبنت الحأ على أمها . . العين تطرئها أبل ما تخطبها كانت تعلمها الرّتابة والنضافة ، إي والله الغبرة تحت طرف السدّاجة هالسمك .

صبحية : بس بدّي أعرف شو عاجبه فيها هالأعمى الألب!! . .

ناجية: طبس صبحية خانم طبس لأرائيط أدانه .

إلفت: الحأ مو عليه ، الحأ على أمه . . .

سعاد: لك إختي ما حدا بيئول عن زيته عكر ، مو العريس ابن أخت أم شكري . . من دهنه سئّي له .

أم فؤاد:ها ها . . إذا كان هيك ألله لا يئيمه .

صبحية: أولي عليها آل عروس . إي والله عيلها مناخير مثل المزراب .

أم بسام: يما شعرها المسلحب على راسها مثل شباشيل الدرة . .

صبحية: لا تغلطي أم بسام أني شباشيل درة!! . لك أولي مثل المأشّة الشباطية تبع الحمام .

ناجية: وروبها . . روبها السيكلما عم يئول لها إشلحيني . . اشلحيني . . لك إع . . إع عالسيكلما . . شو شايئ ولا يئ .

إلفت: لكان ما شفتي الجبّونه!! . .

ناجية: امبلى . . امبلى يئصف عمرها شو نافخة عصّها فيها . .

إلفت: لحتّى تبيّن مربربة، وهيّ بلا جبونة عصاية طئّي، وإذا بدّك متل معسفة الأكابر.

أم أكرم: وآل شو!! عاملة غندرة، لك والله البودرة متل معجون الدّهان على وشّها، وبدّها مأشطة لحتى تئيمها.

سعاد: يمّا الحمرة... آل حمرة آل. يئصف عمرها شلون ملغمطة حالها متل الأطه يلّلي آكله ولادها.. تضرب.. تضرب شو شرّنه.

أم غسان: ستّي!!.. موجاييه شي من عندها.. يعني أمها أنظم!!. والله كأنها عاطستها من مناخيرها عطس. طالعة لأمها خنطأ منطأ(٤).

٤ ـ إرفعوا المثلاية ونزّلوا المعاليء والكبجاية:

كان من الممكن استمرار الساهرات يوضع أم شكري وأسرتها بالمقلاية، لكن طرق باب الزقاق جعل الساهرات يتريثن لمعرفة الطارق. وما هي إلا لحظات وحتى كانت سميرة ابنة أم شكري داخلة إلى مكان السهرة (المربع) حاملة طشتاً كبيراً مملوءاً بالحبوب المجللة بالشمر واليانسون. وهي تقول:

ـ مساء الخير.

أم ياسين: مساء الخيرات، مو أنت سميرة بنت أم شكري؟

سميرة: إي خالتي، أمي بتسلم عليكن، وآل بدكن ما تآخذوها، لحا تتأخّر شوي، واشتهت لكنّ هالحبوبات، اسمّهن سخنين.. وإن شاء الله عوافي.

أم ياسين: الله يسلم هالديّات، لإيش ملبّكة حالك.

سميرة: ما في لبكة خالتي، وما في شي من واجبكن.

أم ياسين: والله طول عمرها إمك متأنة، وصاحبة واجب.

إلفت: شلونها امّك.

سميرة: بتسلّم خالتي. . بتئمري شي خالتي أم ياسين.

أم ياسين: سلامتك. . سلّمي على أمك، أولي لها لا تتأخري، الجماعة عم يستنوكي.

سميرة: على عيني.

ما إن تغادر سميرة ابنة أم ياسين المربّع. حتى سارعت إلفت إلى القول:

إلفت: يا الله يا جماعة ارفعوا لنا هالمئلاية، وناوليني أختي أم ياسين الملاعق والكبجاية، وشي كم زبدية.

سعاد: ولإيش الزّبادي. .

إلفت: بركي في وحدة، مثل أفضالك سعاد خانم، بدّها تعرف شو أكلت جارتها. خوش أنا مالحا إنزع عشاي مع ابن عمي!!. .

صبحية: لك الواه الواه عليك. . أم بحشور. وليّ عليك شو عينك جوعانة. .

ناجية: هلاّ وينكن، يعني مو وئت بتجي أم شكري تنسوا شو اتّفأنا عليه.

أم محمود: لك كِنّي بآ انت ويّاها. . المخلوءة مالحا تخلص منكن، لا هيّة غايبة ولا هيّة حاضرة؟!

ناجية: خسرانة شي أختي أم محمود؟

أم محمود: لآ بعد إمّك. . تندهني منّك إلّها. . فخّار يكسّر بعضه.

سعاد: يا الله خلصونا بآ من الحبوب.

إلفت: هه. . لحانخلص. . هاتوا عنكن هالطشت. . أنا بِلْحَسُه بإصبعتي. .

حرام هي نعمة الله. . بس الله يصلحها هالأم شكري، شو آلوا لها إنّه الحبوب يلّلي باعتتهن للفرجة، يمّا لنحلف عليهن. . كلّهن أدّ فرحتي وليلة عرسي. . كانت تبحبحهن شوي. . العين الطرّاءة.

أم محمود: شو بدّك ياها تبعت لك الحلّة. . المخلوءة ما أصرّت. . بس إنت البركة بدّك للدواء رطل وأربع واء. . (٥)

٥ ـ موشح أحلى صورة:

همست ناجية في أذن عزيزة ابنة أم ياسين، طالبة إليها إحضار غطاء طنجرتين من النحاس، من حجمين متقاربين وكذلك سطل ماء شطف أرض الديار، وطواية وبعض الملاعق، فحاولت عزيزة إطلاع والدتها على طلب ناجية، فأومأت إليها بالموافقة وهي تقول:

أم ياسين: برضاي عليك عزيزة، خدي بطريئك هالطشت والملاعق تبع الحبوب، ولا تطوّلي.

أمّا الساهرات فكُنّ في لغط حول حبوب أم شكري بالدبس العنبي، ونكهة الحبوب بالدبس مع الشمرة واليانسون، عن الحبوب بالسكّر الذي لا يستساغ إلا بمبشور جوز الهند.

وما أن طلّت أم شكري على الساهرات، ورحبت بها أم ياسين حتى أشارت ناجية إلى الساهرات ببديء الموشح مع موسيقى أدوات المطبخ.

ناجية: سبحان من خلأ أم شكري بأحلى صورة.

إلها تمّ مثل المغارة المهجورة.

الساهرات: طِرِنّ طْراء، طِرْنّ طراء. . صاحبة السلتة صفرة وإلها فتاء.

ناجية: سبحان من خلأ أم شكري بأحلى صوزة.

إلها خدود مثل البندوراية المنثورة.

الساهرات: طِرِنّ طْراء، طِرْنّ طراء.. صاحبة السلتة صفرة وإلها فتاء.

إلفت: سبحان من خلأ أم شكري بأحلى صورة.

إلها مناخير مثل الكوساية المحفورة..

الساهرات: طِرِنّ طْراء، طِرْنّ طراء.. صاحبة السلتة صفرة وإلها فتاء.

ناجية: سبحان من خلأ أم شكري بأحلى صورة.

إلها أدان مثل المأوّاية المكسورة.

الساهرات: طرنّ طراء، طرنّ طراء صاحبة السلتة صفرة وإلها فتاء.

ناجية: سبحان من خلأ أم شكري بأحلى صورة.

إلها عيون مثل الجانركية المهرورة.

الساهرات: طرنّ طراء، طرنّ طراء صاحبة السلتة صفرة وإلها فتاء.

وتتبع ناجيّة قولها مفسّرة:

- يعني مثل البعصة بعجين[٦].

٦ ـ دافنينه سوا:

تعترض أم شكري على هذا الاستقبال بقولها:

- لك ليش.. ليش.. شو عاملتلّكن.. حرام عليكن.

سعاد: شو أمرتي ست الحسن؟!!

أم شكري: بس خلوني أفهم شو عملت؟

ناجية: يا منظومة وين كنت غاطّة . . شو كنت عم تساوي . . مين كان عندك؟

سعاد: لآ . . يُه شو على بالها. لأنّه نحنا ولاد زوزها لحتّى تلطعنا هيك. لا حس ولا خبر.

أم شكري: ليش ما آلت لكن أم فؤاد شو صاير معي؟!! . . ما كانت اليوم عندي على بكرة، هيّ وأم ياسين.

سعاد: شو أم فؤاد . . صعي هالحكي.

أم فؤاد: أي صعي، بس أنا حسّيت أنه أم شكري ما لها حابّة حدا يعرف داخليتها، وإنتوا كنتوا حابّين تحطّوا أم شكري بالمثلاية، وتآجروا فيها.

سعاد: وإنت آجرتي معنا.

أم فؤاد: لك ما صار الحكي نتسلّى بإم شكري عم بين ما تجي.

إلفت: وُلِي عليكِ شو كهينة.

أم فؤاد: لأ مو هيك إلفت خانم . . أنا إلت إنه أم شكري مشغولة، ويمكن ما تئدر تجي عالسهرة.

أم أكرم: ها ها . . هون حطّنا الجمّال، إحكي لنا بإيش كنتي مشغولة عن السهرة بعدي!!

أم فؤاد: شوفي أم شكري . . أنا ما دخلت، إنت وأعأتي حالك . . كنت لا تجي أحسن.

أم شكري: يعني شو بدي ساوي . . غير لحتى راحوا الجماعة . .

إلفت: عيني عيني. . شوفي ما في أم شكري. . شامّين شي يا جماعة. . باينتها روايح حلوة.

أم شكري: ألله يحلّي إيامك إلفت خانم. . وإن شاء الله عئبال عندك بصبي.

إلفت:الله يسلمك.

سعاد: شو أم شكري في أسرار بيناتنا.

أم شكري: لآ يه. . والله انتوا مثل إخواتي وأعزّ.

ناجية: إي علينا أم شكري نحنا دافنينه سوا. . مو هيك أم فؤاد. !!. .

نعرت إم فؤاد ناجيّة، لتلميحها بخصوصيّات أم شكري، بقولها:

أم فؤاد: لك ينتّفوك هص. . هص. . شو ما بتتأمني على سرّ. . ولي عليك شو فضايحيّة.

ناجية: اسمعوا هالسمعة يا جماعة، بدال ما تجيب لنا أم شكري حلوة خطبة بنتها. . صرت أنا كخّ. . وفضايحيّة.

أم فؤاد: لك ما إتفأنا نخلي الطابيء مستور.

صبحية: إي ستي. . إذا أم شكري بتئبل هيك نحنا ما منئبل، ومن إيمتى كان الفرح عالهسّي. . والله لو كنتوا عاملين شي عملة مو حلوة، مو هيك.

أم شكري:لا والله على سنّة ألله ورسوله.

ناجية: لكان ليش مستحيّة!! يمّا مستكثرة الفرحة بالمحروسة علينا!! ياالله يا جماعة ردّوا معي:

أوها: يا صحن حليب.

أوها: وكل ما برد بيطيب .

أوها: ونحنا أهليه .

أوها: وما في حدا غريب .

لي لي . . ليش .

إلفت:

أوها: وأم العروس أنا جوعانة .

أوها: وبدي صفيحة مأمّرة .

أوها: وإن شاء الله تضلّي سالمة .

أوها: وديارك معمّرة .

لي لي . . ليش .

أم شكري: إن شاء الله تضلوا سالمين وعئبال البكاري عندكن .

سعاد : شو إلفت بدك صفيحة فرد مرّة ؟طولي بالك إم بحشور . . أولي ألله يوفيء لحتى نسفيء . . مو صفيحة دفشة وحدة .

إلفت:من جكرك .

أم شكري:يا جماعة لسّه ما صار شي . . كله حكي بحكي(٧) .

٧ ـ بنت الداية ما عليها مخبّاية:

ناجية: إي لآ أم شكري . . صار وصار وكمان صار .

أم شكري:هيك بدّك ناجيّة خانم . . إه مثل ما بدّك .

ناجية: إي لكان ، أولي لنا شو لبّسها العريس لبنتك ألله يسلّمها .

أم شكري: لك هص . . هلاّ مو وأتها . لفّيها بآ . ناجية خانم .

ناجية: ناجية خانم ، إم شكري الحأ معها . يعني بركي خايفة تلطشي العريس من بنتها .

ناجية: إنت . . الدم يشويك . . أنا إلك . . بعدين شو آلوا لك عنّي . . وبسلامة يلّلي عندي . . إي والله عندي ضفره بالدنية وما فيها . يعني اتطّمني أم شكري إتطّمني لا يكون لك فكرة .

أم شكري: لك يا ظالمة أن شو دخلت بينك وبين إلفت .

ناجية: لكان شو لبس العريس المحروس بنتك .

أم شكري: لسّا بتئول شو لبّس العريس . .

ناجية: يعني ما لبّسها .

أم شكري: أحسن شي أُول ما بعرف .

ناجية: لكان أنا ألحا أول

الساهرات: شو لبّسها ناجية خانم .

ناجية: هادا يا ستي ، لبسّها: دبّابة وحيّة وما شاء الله . وعالعرس لحا يلبسها: مبرومة وميّة ألماس وساعة . . بآ شو إلتِ أم شكري . . مزبوط هالحكي . .

أم شكري: يفكحك شو عرّفك .

ناجية: أنا شو عرفني . . أنا يلّلي بعرف .

أم شكري: وشلون؟

ناجية: أنا شو عرفني . . أنا يلّلي بعرف .
أم شكري: وشلون؟
ناجية: لأني بنت الداية وما في عليّ مخباية . وهَهْ تطئك لأنه العريس ابن أختي وأنا سعيت لبنتك فيه .
الساهرات: لي لي . . ليش .
ناجية: ويا جماعة حلوة الخطبة عليّ . . إذا بتئمري أختي أم ياسين .
تدخل عزيزة ابنة إم ياسين بالمحلاية وكشك الفقراء حلوة خطبة ابنة أم شكري . فتقول ناجية:
ناجية: شوفي إلفت . . كل الزبادي أد بعض وما في زبدية زايده للببّو بآ . . لحتى تاخدي علم . . وتفضلوا يا جماعة إن شاء الله عئبال عندكن بالأفراح .
أم ياسين: بسّ هاد ما بيعفي أم شكري من الحكاية . . كل شيء لحاله .
ناجية: هلاّ كلوا المحلاّية وكشك الفارة ، وبعدين منحكي بالحكاية .

* * *

الهوامش والحواشي:

١ ـ ولي: قول ندبة وتفجّع . الطرّاءة: الطرّاقة، الصائبة . يبعت: يبعث . ياه: إياه . المحوراً: المحورق . وينه: أين هو . شو إلت: ماذا قلت . يلّلي: من . إشطة: قشدة . مو بس: ليس فقط . هاد شو: ما هذا . تطئك: تطقك: تصيبك . تسفأك: تصيبك . لإيمتى: إلى متى . مدفوس: مدفون . الأبائيب: القباقيب . البراطيش: الأحذية القديمة ، أو عتبات الغرف . عألك: عقلك . شي: شيء . الحشي: إرمي . تئبريني: تقبريني . نحنا: نحن ، جيلنا . صعي: صحيح . العتائي: العتاقي ، أرادوا المسنّات اللواتي على خبرة ومعرفة أكثر . بلاكي: من دونك . ألب: قلب . لاتخاتلي: لا تتملّصي . يُه: اسغتراب . يئولوا: يقلن . يمّا: وإمّا . بح: خلص ، راحت علينا . هلاّ: الآن . ألبك: قلبك ، هنا عقلك . ينغرش: يراود . بدالك: عوضاً عنك . الفيران: الفئران .

٢ ـ دأني: ذقني . شنا: شنق . سمستكن عالية:الشمس العالية مقولة شعبية ، تُقال على نحو عتاب للمتأخر . عدو: إقعدوا . هون: هنا . يئيمك: يُقيمك ، أرادوا: الولادة . تمّك: فمك . ياحأ: بجاه الحق ، أي الله . يئبش: يقبش ، بمعنى: تسلمي لي . كشّ برّه وبعيد: تميمة لطرد الأذى . الشوء: الشوق . بسئيك: أسقيك . آسي: أغصان الآس توضع على شاهدة القبر ، والمقولة هنا للتحبّب . جزات: جزاء . يعشأ: يعشق . ضريب: حال . وين: أين . غاطّة: غائبة . ليكها: ها هي . ليش: لماذا ، لأي شيء . هديك: تلك . أول: أقول . مالحا: سوف لا . المئلاية: المقلاة ، وهي هنا ليست مقلاة المطبخ ، نآجر: نتشارك ونتعاون عليها . مشلفطة: ملدوعة من جميع النواحي . الهرج والمرج: مقولة يراد بها كثرة الجدل والضحك والتصايح بين جميع الحاضرين ، حتى أن المرء لا يكاد يميّز ما يجري ، والوضع أشبه بحمام النساء وقد انقطع الماء عنه .

٣ ـ المخلوءة: المخلوقة . ما بآ: لم يبق . وئت: وقت ، عندما . مين: من . زوزها: زوجها . على أد حاله: قد كناية عن الضائقة أو الكفاف . رحتي: ذهبت أفكارك . طرحانة: أسقطت جنينها . أريضة: دعاء بالانقراض . مطنبرة: حبلى . درن: وإذا . ينطف ألبها: تتمنى ، ما عاد بها صبر . ما بتلحيء: لا تكاد . تتأدس: تتابع أحوال الأخريات . وائفة سنجأ عرض: كناية عن معارضة الأخريات . والسنجا: هو السنجق أي العلم . إفرطيها بآ: بمعنى دعي المجال لغيرك . آمت: قامت . ما بيلبأ: لا يليق . إع: مقولة لدلالة على القرف . حوينته: ضيعانه . الأنّة: الرائحة الكريهة . تتأمأم: تتلوث . كمان: أيضاً . أعدتي: قعدتي . بتلوّت: يتلوث ، يتّسخ . أواعيكِ: ملابسك . خطرة: ذات مرّة . خلئة: خلقه .. شم إرين: شخصية في الحكاية الشعبية بالغة الدمامة . تطرقها: تصيبها . هالوش: هذا الوجه . متل السلطة: كناية عن تراكم المكياج بلا انتظام أو ذوق ومعرفة . بيزلّع: يستدعي القرف .

هدول: هؤلاء. تخنتيها: زوّدتيها. خلي: دعي. الطابيء: الطابق، أرادوا الأمور. الشاضومة: قليلة الاتزال في تصرفاتها وسلوكها. لحلئها: إلى حلقها.

٤ ـ السداجة: السجّادة. طبس: عُمي على قلبه. ما حدا يقول عن زيته عكر: كناية عن طبع الإنسان في عدم التقليل من قيمة ما يملك. سئي: إسق. من دهنه سئي لـه: أي منه وفيه ولا شيء من الخارج. لا يئيمه: لا يقيمه؛ يستاهل. مسلحب: نازل بلا ترجيل. المأشة: المكنسة. والمقشة الشبّاطية: هي المكنسة التي تستخدم للأماكن المتّسخة في المنزل. شايئ ولا يئ: مزري. يئصف: يقصف. عصّها: عجزها. مربربة: ممتلئة. عصاية: عصى. طئي: طقّي، انكسري، كناية عن الطول المفرط. المعسفة: عصا طويلة للتنظيف. البشئي: أداة حادة يستعملها الدهان، لتوزيع أو مدّ المعجون على السطح المراد طليه بالدهان. تئيمها: تنزعها عن وجهها. الأطة: الهرّة. شرنّة: مبهدلة. خنطأ منطأ: مطابقة في جميع الصفات.

٥ ـ طشت: إناءَ. مو إنت: ألست. ألحا: سوف. شوي: قليلاً: اسمنّهن: لا يزلن. ملبكة: مرهقة، متعبة، متأنية: مرتّبة. شلونها: كيف حالها. بركي: ربما. خوش: زيادة على ذلك. كِنّي: اهدئي، كفاية. تندهني: لك ما تبغين. فخار يكسر بعضه: كناية على عدم المبالاة. اد: قدر. أدّ فرحتي وليلة عرسي: كناية عن الكمية القليلة. بدّك من الدواء رطل وأربع واء: الدواء: التذوّق. واء: أوقيات والأوقية (٢٠٠) غرام. والمقولة كناية عن الطمع أو الفجع.

٦ ـ بطريئك: بطريقك، بدربك. خلأ: خلق. تمّ: فم. السلتة: الوليمة بدون دعوة. صفرة: صفراء اللون. فتاء: قِرّ، قيلة. أدان: أذنيها. المأوّاية: المروحة التي تستخدم لإيقاد النار. البعصة بعجين: كناية عن العيون الصغيرة.

٧ ـ خلّوني: دعوني. وين كنت: أين كنت. غاطّة: غائبة. ولاد زوزها: أولاد زوجها، كناية عن التحقير. إشارة إلى الكره المتبادل بين الزوجة الثانية للرجل وأولاده من زوجه السابقة. تلطعنا: تهملنا. كهينة: لعينة، لا يقرر لها قرار واحد. ما تئدر: لا تقدر. وائعتي: أوقعت. عئبال عقبال. دافنينه سوا: لا يخفى علينا شي. هص: صه. كخ: غير مرغوب به. اتفأنا: كان اتفاقنا. تئبل: تقبل. الهسي: سرّاً. حدا: أحد. مأمّرة: مقمّرة. يوفيء: يوفّق. نصفيء: نصفّق. دفشة. دفعة.

٨ ـ هيك: هكذا. مو وأتها: لا يزال الوقت باكراً، لم يحن الوقت للبوح. تلطشي: تأخذين. ضفره: ظفره. شلون: كيف ذلك. بتئمري: تسمحي.

سابعاً:

١ـ موضة المخاوزه.

٢ـ ابن الحلال عند ذكره بيبان.

٣ـ حكاية الدبانة.

٤ـ الشمس وضحاها.

٥ـ أكرك عجم وكسمايه.

٦ـ رئص ومغنى.

٧ـ مساجلة الأمتال.

٨ـ لغة البياعين.

٩ـ أكل الحراء بأصبعه.

١٠ـ غنية لغة البياعين.

١ ـ موضة المخاوزة:

كان تأخر أم شكري عن السهرة السابقة، ومن قبل غيابها عن السهرة، وعدم وفائها بتقديم الحكاية للساهرات، مبرراً لتراخي غيرها، عن الحضور إلى السهرة، في الوقت المحدّد على الأقل، بل عدم الالتزام بالحضور في السهرات القادمة. ولو كان عن غير قصد.. كان ذلك مثار أخذ ورد وتحسب وتخوف من أمر ما قد يخبأ للسهرة، مما لم يكن بالحسبان.

وإذا كان تأخر صبحية عن هذه السهرة ناجم عن عدم توافق بينها وبين سعاد. فقد أثار هذا التأخر حفيظة بعض الساهرات، وذهبن في تأويله مذاهب شتى.. فكان أن أثارت أم محمود شكوكها حول إمكان أن تخاوز أم شكري في هذه السهرة. أيضاً فلا يسمعن الحكاية التي وعدت الساهرات بها.

أم محمود: أولك أختي أم ياسين، بتخاوز أم شكري كمان الليلة؟

أم ياسين: ما بظن.. المخلوءة كانت ملتهية بخطبة بنتها، الله يهدي بالها، وهلاّ ركنتها وخلصت.

أم أكرم: بس لا تنسي أختي أم ياسين إنه أم شكري وحدة حبرها غميء، وما فيكي تمسكيها من إرنة..

أم فؤاد: والله يا جماعة ماحدا طلع من خرجها غير ناجية خانم..

أم أكرم:أي والله.. لك شفتي شلون خلتها أد الحمصة هديك السهرة.

أم ياسين: أصدك لمن آلت لها. أنه خطيب بنتها من طرفها. صعبة موهيك؟

ناجية: طولوا بالكن يا جماعة، أنا وأم شكري طول عمرنا حبايب، ومنشان هيك أنا دليت أختي على بنتها لتخطبها لابنها عبدو[1].

٢ـ ابن الحلال عند ذكره.. بيبان:

إلفت: هلاّ يا جماعة إيمونا من سيرة أم شكري. . وخلونا نعرف شو ضريب سعاد. مالي شايفتها. . حدا بيعرف وين أراضيها؟

أم محمود: أي والله. ليش ما إجت لهلاّ؟

أم بسام: ليكون ناوية على شي نية عاطلة، تشركلنا فيها؟!!.

إلفت: لا لا. . ما بظنّ. .

أم فؤاد: أي لآ ستي، فيها البركة، الله يجيرنا منها الليلة. أبصر على إيش ناوية.

أم غسان: يا جماعة لا تظلموا المخلوءة. . الغايب عذره معه.

أم ياسين: هي سعاد خانم ليكها إجت. بنت حلال.

أم محمود: أي والله، ابن الحلال عند ذكره بيبان. ارتحتوا.

سعاد: لك شبكن متل حمام مئطوعة ميته، صوتكن طالع لبره، على مين عم تحكوا؟

أم أكرم: استفأدناك سعاد خانم، مالك بالعادة تتأخري عن السهرة، انشغل بالنا.

سعاد: لا ينشغل بالكن على غالي.

أم محمود: خير سعاد خانم.

سعاد: تلائي الخير أختي أم محمود. كنت متواعدة أنا وصبحية نجي سوا عالسهرة بعد ما تخلص من السوء. استنيتها ما كانت تجي.

صبحية: وهي دأني.

سعاد: هادا إنت، يا معوك شو جابك لهون؟ ما بيالي بدنا نجي عالسهرة سوا.. إنت حرام تصدئي؟

صبحية: امبلى، بس مرئت لعند الخياطة، مالئيتها بالبيت، إلت لحالي اسمني أريبة من بيت أم ياسين، بسبئك ومنلتئي هون.

سعاد: شو عليه.. أنا إلك، والله لطالعها من عيونك عامص.

صبحية: بتموني سعاد خانم بتموني.

أم فؤاد: خير.. خير سعاد خانم شو الإصة.

سعاد: مافي شي.. بس إسألي هالنوائصية.. شو فيه!!

أم فؤاد: شبها سعاد، صبحية خانم؟

صبحية: مافي شي.. بس هية وصلانة معها إلى راس مناخيرها.

أم بسام: أولي من الأول صبحية خانم ما بينحكى إدامنا.. حاكم نحنا غربا.

صبحية: له. يا إم بسام، هي ما حبيتها منك، ما غريب إلا الشيطان وأنت بتعرفي أديش أنا بحبك.

أم بسام: لكان شو الأصة بينك وبين سعاد خانم.

سعاد: الأصة وما فيها كنت متواعدة إجي أنا وياها سوا عالسهرة آمت هالنواقصية نأعتني وإجت لحالها.

أم بسام: صعي هالحكي صبحية خانم.

صبحية: أي أختي، وشوفيها، مافي فرء بيناتنا، سواتين، يعني ما بيصير غير الوحدة منا تئيس حالها بالخيط.

سعاد: أي أي تمسكني تمسكني. . الأط بياكل عشاك. . بس شوفي ألاعيبك أنا بعرفها. . أبصر شو الموال يلي براسك. ولي عليك شو ملوفكة. . [٢].

٣ـ حكاية الدبانة:

طال الجدل بين صبحية وسعاد منشان تواعدهما على القدوم إلى السهرة. ظهر بعض التململ على بعض الساهرات، حتى أن من الساهرات من تنحين جانباً بأحاديث لا علاقة لها بموضوع سعاد وصبحية، فكان أن قالت أم محمود مخاطبة سعاد وصبحية:

يعني لحا نأطع السهرة باللت والعجن.

صبحية: لآ تاخدينا أختي أم محمود، الحأ معك، بعدين بالي أم شكري لحا تحكي حكاية هالسهرة.

أم محمود: ليش وينها أم شكري؟

أم ياسمين: لسا ما إجت!!

سعاد: يعني مالحا نسمع الليلة حكاية؟

ناجية: لآ يه. . أنا شو عم ساوي، لحا إحكي لك يا سعاد خانم حكاية الدبانة.

سعاد: بالله شو؟!

ناجية: إن إلت بالله شو، وإن إلت يالله شو، إحكي لك حكاية الدبانة؟

سعاد: (تنهرها) قائلة: بس بآ.

ناجية: إن إلت بس وإن إلت دس. إحكي لك حكاية الدبانة؟ وإن برمت تمك هيك، وإن برمتيه هيك. . احكي لك حكاية الدبانة؟

ناجية : إن بستي التوبة ، وإن ما بست التوبة ، احكي لك حكاية الدبانة؟

سعاد: ناجية وبعدين . . لعيتي ألبي شحطت معك الكوانة؟

وعندها تنهض سعاد وتنقض على ناجية وتشبعها ضرباً ودحاً مع ضحك الجميع فتصيح ناجية لتخليصها من بين يدي سعاد قائلة:

ـ أي أي خلص . . خلص .

أم ياسين: أي سعاد خانم ، المخلوءة آلت خلص ، وعلى كفالتي .

أم محمود: وهي أم شكري . إجت . فضوا لنا هالسيرة بآ[٣] .

٤ـ الشمس وضحاها:

بوصول أم شكري هدأت الخواطر بين الحضور وبخاصة بعدما سمعن اعتذار أم شكري وسبب تأخرها:

أم شكري: يا جماعة حاأكن عليّ ، بس والله غصب من عني . يا سواد وشي منكن . . بدكن ما تأخذوني .

ناجية: هلاً بلا بهللة ، إنت واعدة الجماعة ، بالحكاية يمّا لآ؟

أم شكري: يي لكان . . ومن عيني هي أبل عيني هي ميت حكاية .

ناجية: لك آخ لو مالحا تصيري حماية لابن أختي . . لكنت ما بتعرفي شو لحا ساوي فيك . بس حظك أوي . .

أم فؤاد: أبو خيربة ، وساعة رضا . . الله عارفك وناتفك .

وخوفاً من تطوّر الجدال بين أم فؤاد وناجية سارعت أم بسام إلى تحيّة أم شكري:

أم بسام: ومن عنا أم شكري يا يا. . ياه.

الساهرات: وهيه. .

أم شكري: بس ناولوني شي دمعة مي بل ريئي.

أم فؤاد: وهي بكم المي بخدمة أم شكري. .

تقوم ابنة أم ياسين بإملاء كاس بالماء وتقدمه لأم شكري. تشرب أم شكري الماء وتقول وهي تعيد الكأس إلى عزيزة ابنة أم ياسين:

ـ الحمد لله. إن شاء الله بفرحتك.

أم ياسين: صحة وعوافي. . تفضلي أختي أم شكري لهون.

تجلس أم شكري وحولها الساهرات ينصتن لسماع الحكاية بمزيد من الترقّب والتلهف، لما كانت عليه أم شكري من براعة في حكاياها. وشد أسماع وانتباه الساهرات.

أم شكري: كان يا ما كان بأديم الزمان منحكي لننام يما منصلي عالنبي العدنان (صلى الله عليه سلم).

الساهرات: اللهم صل وسلم وبارك عليه.

أم شكري: إه كان بزمانه ملك، وهالملك عنده ولد إسمه حسن، ماله غيره. وهالصبي مدلل مدلل. أد ما تئولوا أكتر. يعني متل ابن العازة. . وأبن العازة متل ما بتعرفوا غالي، وإضرب أنا عنه دايم الدوم، هالصبي مصبص، مخستك. . ومنشان هيك كانت طلباته أوامر.

ناجية: شو عليه. . بيلبأ له. .

إلفت: معلوم يا مو. العز للرز.

أم شكري: صلوا عالنبي يا جماعة(صلى الله عليه وسلم).

الساهرات: عليه ألف صلاة وسلام.

أم شكري: إه، هالصبي (الأمير) إجا على باله يطلع عالصيد، آل لأمه، زهزوا لـه هالخدم، هالحشم، حضروا حالهم ليطلعوا عالصيد، من على بكرة بكير. ومنشان ما حدا يعرف هالأمير هو وجماعته أتدرّوشوا وطلعوا.

عزيزة: شو معناة تدروشوا خالتي؟

أم شكري: يعني مالبسوا أواعي، أمرا ووزرا وخدم وحشم.

عزيزة: لكان؟

أم شكري: فيك تؤولي، لبسوا ثياب فئرا تسلمي لي.

عزيزة : ليش خالتي.

أم شكري: لحتى ما حد يعرفهم خالتي. بآ.. هالجماعة، مشيو كتير مشيو أليل.. سهول تئيمهن وديان تحطهن سبحان رب يعلم فيهن. عطش هالأمير، بده يشرب، مد إيده عالمطره تبعه، مالآ فيها مي.. بدهن يجيبوا مي من حاشيته، مالئوا مع حدا مي. مسكين هالأمير نشف ريئه، ولي على آمتي، وتكبتل لسانه بتمه، وما عاد فيه يصبر إضرب أنا.

وهنا أخذت دموع أم شكري تتساقط ثم أخذت تجهش بالبكاء والنحيب، حتى كادت السهرة تتحول إلى مناحة، لولا أن سارعت أم ياسين بعصر كاسة ليمون لأم شكري تهدي بها أعصابها. كان السبب في إجهاش أم شكري بالبكاء تذكرها ابنها شكري عندما أحضروه لها ودمه حميمه من رصاصة دركي فرنسي يوم كان يحاجر الفرنساوي براس البزورية.. عند حارة الدقاقين.. يومها كان آخر شيء طلبه شكري الماء. بعد أن استعادت أم شكري أنفاسها تحاملت على نفسها وعاودت قص الحكاية على الساهرات قائلة:

أم شكري: لا تواخذوني تذكرت شكري لّمن أوّصوه الفرنساوي تنشلّ إيديهن.

أم فؤاد: طولي بالك أم شكري، المعينة بألله.. بعدي إسمه هيك كاتب.

أم شكري: إه سلمته لألله.

أم محمود: صل عالنبي أم شكري(صلى الله عليه وسلم).

أم شكري: عليه ألف صلاة وسلام...

وبعد أن شطفت أم شكري وجهها بقليل من الماء قالت:

أم شكري: إه بيرجع مرجوعنا لهاالأمير، مسكين صار يتطلع هالناح، هالناح.. وجماعته صار يدوروا معه على دمعة مي لها الأمير. آمو شافوا من بعيد بدوية عم ترعى غنماتها. لوح لهاهالأمير بإيده، لوحت له بإيدها.. ودوز دغري ما كذبوا خبر إجوا لعندها. ولمن وصلوا تطلع هالأمير هيك بها البدوية.. آم نشلم من حلاوتها وآل لحاله: سبحان من صور وأبدع. وبدال ما يطلب دمعة مي وأف وصفن هالأمير بهالبدوية، يلي فتحة عينها بتسبي سبي، وجبينها العالي بيشهي الطلة، وحليتها يلي أسود من سواد الليل، وخدودها الموردة يلّي لحا ينفر منها الدم من خجلها. احتار هالأمير وتبلكم لسانه، وما عاد يعرف شو بده يئول.

أم فؤاد: أي والله الحأ معه.

أم أكرم: الحأ معه وبس.. الله يطعمها لكل مشتهي.

أم محمود: بتعرفوا يا جماعة، والله شي بيحير. شو عرَّف هالبدوية تغندر حالها هيك!!.

أم شكري: أختي أم محمود.. هالحلاوة يلي عند هالبدوية من عند ألله.

أم محمود: شو هالحكي؟ خدعتك بالله عم تحكي جد!!

أم شكري: هيك بتؤل الحكاية. أختي أم محمود.

أم محمود: يعني ما عند هالبدوية علبة سنا مكي.

أم شكري: الله ما حاجها.

أم محمود: يا حسرتي علينا يلي دايم الدوم على نتف ومعط!!

أم شكري: ما علينا، بيرجع مرجوعنا لها الأمير. يلي احتار بين تمها يلي أد الفستأة، يما مناخيرها يلي لساما طلعوا من أرضهن، يما جبينها العالي وخدودها الموردة. . إه. . آل لحاله سبحان الخلاء فيما خلأ.

صبحية: شو أختي أم شكري انسطل ونسي عطشه.

أم شكري: يعني مو شي بيسطل؟.

ألفت: باينته طبس لأ رائيط أدانه.

أم أكرم: أي والله الحأ بإيده، حدا بيشوف هيك خلأة وما بيدوخ فيها؟

أم محمود: أي أختي أم شكري وبعدين!!

أم شكري: يا ستي الأمير ما كذب خبر، طلب من هالبدوية دمعة مي. آمت أوام حلبت من غنمة طاسة حليب وأدمتها للأمير ليشرب. ولمن شرب آل لها:

ـ لو بعرف اسمك لشكرتك.

ـ اسمي بتمك.

ـ شكرا باسمه.

ـ آلت له: لو بعرف اسمك لإلتك هنياً.

ـ اسمي بوشك.

ـ هنياً يا حسن.

أم شكري: وهيك كل مين راح بحال سبيله. ودوز دغري هالأمير، فات على أوضته بالأصر. لا أكل ولا شرب يوم اتنين ثلاثة آلت لـه أمه: شبك لك ابني أول.. الغالي بيرخص لك.

ـ أل لها: يا أمي إيمي فراش الهنا وحطي فراش العنكبوت ابنك حسن لحا يموت.

ـ آلت لـه أمه (الملكة): بعيد الشر عنك، فضايل ألله حولك وحواليك طلوب واتمنى.. ولو كان لبن العصفور.

أم غسان: إي والله يا هيك حب يا بلا.

ناجية: يبعت لـه حمة حب هالأيام شو مبهدل، الوحدة منا بدها تحط راسها بالطين والوحل لحتى يجبر بخاطرها زوزها.. هادا إذا ما نأرها زوازة عليها.

إلفت: إي والله.

أم أكرم: لك يا هبلة هادا حب أمرا وملوك مومتل حكايتنا، فئير ونئير ويامرا أغنجي عالحصير.

إلفت: الحأ معك.

أم محمود: شبنا أم شكري.. وين صرنا؟

أم شكري: هادا يا ستي بلا طول سيرة عليكن، هالأمير ضل على نصته، لأ

من تمه ولا من كمه. ومن كتر ما حصر سِليت عافيته. آمت هالأم «الملكة» دأدست هون، دأدست هون، سألت حاشية الأمير يلي كانوا معه بالصيد. . ولمن عرفت شو صار بين ابنها والبدوية كانت خفيفة الأركان، أوام آلت لزوزها الملك، شو صاير مع ابنه. وصارت تتدخل على زوزها الملك لحتى يلائي لـه صرفة لحالة ابنه مع هالبدوية.

أم ياسين: وبعدين شو صار؟

أم شكري: لمن شاف الملك ابنه بهالحالة، آل لابنه. بكره من بكير بدنا نروح سوا عالصيد، مطرح ما كنت عم تصطاد آخر مرة. . فرح الأمير وتنعنش وصحي وصار بده ياكل ويشرب. . من بكير هالملك والأمير لبسوا وتهندزوا هنن والخدم والحشم وحملوا درب طريئهن لمطرح ما كانت البدوية عم ترعى. لكنهن مالئوا البدوية.

إلفت: لكان؟!

أم شكري: لئوا ولد زغير عم يرعى غنمات البدوية آم سأل الأمير هالولد:

- وين بسمة؟

- ما هون، الليلة عرسها.

سعاد: يعني راحت دأن الأمير مرش!! الله يكون بعونه.

أم شكري: ومين آل هيك.

سعاد: لكان؟.

أم شكري: هلاّ أنت ليش بصلتك محروءة ومستعجلة. . مالي جايتكن بالحكي؟

صبحية: لك نشفتي دمنا . . شو عم تستني .

أم شكري: عم أول لحالي . . يالطيف شو ألله كبير .

صبحية: شو يعني .

أم شكري: يعني إذا المرا مخلوءة من ضلع رجال ، هيّة إسمته ، أريب بعيد ، كبير زغير ، ملك فئير ، ما بتفرئ هية إله ، ولسبد ما تكون من نصيبه . . ومنشان هيك ، عطا الملك هالولد إرشين وآل له: بتروح عالعرس ، وبتؤل لبسمة هالكلمتين ، بس بتعلي صوتك أد ما بتئدر . راح هالولد عالعرس ، ووأف إدام بسمة وأل لها:

ـ يا بسمة . . . يا بسمة والشمس وضحاها .

ردت عليه وآلت له:

ـ يللي بده حاجة بعد سنة . . بده يلأها؟

فقال أبو بسمة:

ـ وبنتي ما أدراها . ولو غلطت لقتلناها .

أم شكري: وهون أم هالعريس بين الناس وآل:

ـ حرمت علي وحلت لم ابتغاها .

الساهرات: أي هه . . لي لي . . ليش .

أم شكري: وهيك فات الملك وابنه وحاشيته لعند أبو هالبنت وطرؤا الأضيب حضر الآضي والمفتي والنئيب ، كتبوا كتاب ابن الملك على هالبدوية . وآموا هالأفراح والليالي الملاح . باللذة والنعيم طيب الله عيش السامعين ودشرناهم هنيك وإجينا لحتى كان (٤) .

٥ـ إكرك عجم وكسماية:

قطعت أم ياسين تصفيق الساهرات لأم شكري على حكايتها، بدخول ابنتها عزيزة بكاسات الشاي العجمية المخصورة والمذهبة من دايرها العلوي والموردة والمزهرة من جميع أنحائها.

أم ياسين: وهَيّ كاسة شاي أكرك عجم، لحكاية أم شكري يلي انبسطنا منها. تفضلوا يا جماعة تفضلوا مافي شي من واجبكن.

تناولت أم شكري كاستها ورشفت منها أول رشفة وهي تقول:

أم شكري: كاسة شاي عجمي.. إي والله يسلموا أختي أم ياسين، بس وين الكسماية تبعها؟

أم ياسين: ليكها جاية، بس يللي بدها تتنّي مالها كسماية.. هيك الأصول.

أم شكري: مزبوط.

أم بسام: دخلك شو هية الكسماية.

سعاد: لك حوبة هي الكسماية نوكاية بتكون مع كاسة الشاي العجمي.

أم بسام: ما فهمت!!

أم ياسين: هادا ياستي بالأهوة تبع الرجال، مطرح ما بيسهروا، إذا واحد ماله جاية على باله، يشرب شي. بيطلب كاسة شاي عجمي من مثل هدول الكاسات، وبيجيبوا لـه معها إطعة نوكا بالفستق بياخدها الزلمة خرج ناشف، لأنه كاسته زغيرة، ويادوبها شرئتين ثلاثة.

إلفت: أختي أم ياسين وإذا استدوأ هالزلمة بكاسة الشاي، وشرب وحدة تانية...

أم ياسين: لآ . . هيك ما عاد بيطلع لـه كسماية .

أم بسام: ألله ينور عليك .

سعاد: يعني دارت لك إم كله .

أم بسام: أي ستي دارت لي ، اتطمني .

أم فؤاد: هلاّ إنتو اشربوا الشاي ، وإن شاء الله السهرة الجاية أنا لحا أحكي لكن الحكاية .

أم محمود: كلام نسوان يما كلام رجال .

أم فؤاد: لأ أختي أم محمود كلام نسوان وهي مسكت على سوالفي ، وعيب عاللي بتصدوء .

أم ياسين: يعني جاية على بالك تتسلي فينا ، حكي الحكاية أله أصول ومو كل مين صف الصواني آل أنا حلواني . . الشغلة مو كَرّ ولتّ وعجنّ بلا طعمه . .

أم شكري: الله يسلم هالتم .

أم فؤاد: شو بتئصدي أم شكري .

أم شكري: ما بئصد شي ، للسهرة الجاية بيفرجها ألله ، وبيدوب الثلج وبيبان المرج ، ويلي إله عمر بيسمع وبيحكم .

أم فؤاد: أي لا وحياة عيونك أنا هيك مالي لحا إإبل .

أم محمود: خير أم فؤاد؟

أم فؤاد: صعي السهرة الجاية لحا نسمع ونشوف ، بس على شرط .

سعاد: تتحورئي كمان في شروط(٥) .

٦ـ رئص ومغنى

أم فؤاد: أي سعاد خانم . . ما بحكي حكاية السهرة الجاية. إلا إذا رأصت لنا عزيزة بنت أم ياسين الله يسلمها على غنية زهرية بنت صبحية خانم.

صبحية: ولإيش هالإفترا بعدي.

أم فؤاد: تصطفلوا، هي أنتوا وهي صبحية وبنتها. وإذا ما بدكن شي تاني.

أم محمود: شيت إنه بدنا . . بدنا، وصبحية خانم ما لحا ترد لنا طلب . . بس شو رأي أم فؤاد إذا سمعنا هلاً مناءرة (مساجلة) بالأمتال بين سعاد وصبحية.

أم فؤاد: أحسن بكتير، بس منشاني هالمرة جاية على بالي بالأول نسمع زهرية ورأص عزيزة بنت أم ياسين وبعدها خلينا نشوف شو لحا يصير بين سعاد وصبحية.

أم محمود: شو إلتوا يا جماعة . . موافئين وأنت سعاد خانم وصبحية موافئين.

الساهرات: أي موافئين.

أم محمود: وأنت سعاد خانم وصبحية خانم.

صبحية: والله نحنا ما منئول لأ، إذا رأصت فريزة، كنة أم فؤاد مع عزيزة، بنت أم ياسين.

سعاد: يعني أم فؤاد بدك تمشي السهرة على كيفك، وبدك هي ترئص وهي تغني، لأنه جاية على بالك . . ليش ما تؤوم كنتك ترئص معها.

أم ياسين: إي أم فؤاد ما فيها شي، وبدال ما تئولي لها كش، إضربيها وأكسري إجرها. يما خصر كنتك هالأيام ما عما يلوح؟!

أم فؤاد: عازك وعوازك.

أم محمود: هلاّ يا جماعة خلونا نسمع شو لحا تغني لنا بنت صبحية، وأبل كل شي بدنا تسفئوا لها كتير. . هي زهرية الله يحفظها ويخليها لأمها ما في منها.

أم فؤاد: إي أختي صبحية إن شاء الله رضيانة.

صبحية: كرمالكن، مالحا أول لأ.

أم فؤاد: لكان شو لحا تسمعنا الله يسلمها زهرية.

صبحية: يلي بدكن ياه. . يما أول لك: موحلوة غنية على أوف مشعل.

أم محمود: أي والله حلوة.

تقبل الساهرات أقتراح صبحية ويشرعن بتحمية الدربكة ودوزنة العود وتربط أم محمود خصر كنة أم فؤاد فريزة. وتسارع أم فؤاد إلى شد خصر ابنة أم ياسين عزيزة.

تشرع زهرية بالغناء مع الرقص:

على أوف مشعل عيني مشعلاني
مع السلامة يا بعد خلاني
آه منك، يا زماني الآسي
خليت فؤادي، من حبة يآسي
لو كان حبي، يجي يواسي
جرح فؤادي، كان والله هناني
ألبي يا ألبي لا تجافي محبوبك
بلكي يتعطف، وتنول مطلوبك

إن كان مـأدّر تشوف محتوبك

خليني هاجر لأهلي وخلاني

يا طير يا طاير، بلغهم سلامي

واحكي لهن عن شوئي وآلامي

بضلوعي، نـار حبي وغرامي

وذكر الحبايب، دايماً ع لساني

على أوف مشعل عيني مشعلاني

مـع الـسـلامـة يـابـعـد خـلاني

أم محمود: إن شاء الله يا زهرية يسلم هالتم، والله يهني فيك صبحية خانم وكمان أنت خالتي عزيزة وأنت فريزة ما يبلى.

إلفت: وهلاً إجا دور أم الهمايم سعاد خانم وصبحية خانم.

أم محمود: زاهزين سعاد خانم.. شو إلتي صبحية

سعاد: مثل ما بدكن، بس فيني أعرف ليش أنا وصبحية، مو إلفت وناجية لأنه متل ما منعرف التنتين أد الحمل وأزود.

ناجية: لآ سعاد خانم بهي مالك حأ.. البركة إنت وصبحية مالكن هينين والوحدة منكن وأت بتجود ماحدا أدّها..

سعاد:يي الله يخلي لي ياك.. هادا من ذوئك.

أم محمود:بعدين الحكي بسرك سعاد خانم، أنت وصبحية، منشان تفشوا ألبكن هون، بعد ما خاوزت معك صبحية.

صبحية: هيك لكان أختي أم محمود. . و أنا إلك يا سعاد.

سعاد: أيديك وما تعطيك، خوش أنا كنت ناوية أعمل فيك ساعة سماعة على هالعملة لحتى تعرفي مع مين وائعة، وتعرفي إيمتك. .

صبحية: ماصارشي: آل يا حواجبه يا عيونه. . آل ليكه عالمغتسل باين(٦).

٧ـ مساجلة الأمتال:

يكاد المثل القائل: مو رمانة. . ألوب مليانة ينطبق على سعاد وصبحية، بعد ذلك الفصل الناقص الذي ارتكبته صبحية بحق سعاد. . صحيح رجعوا حبايب لكن الغصة لا تزال تملأ قلب سعاد، لأنها تشعر في قرارة نفسها أن صبحية استهترت بها، بقدومها إلى السهرة و حدها، خلافاً لما كان عليه اتفاقهما. . تقوم هذه المساجلة على مبدأ من يطرق الباب سيلاقي الجواب، ولكن بالأمتال وليس بالأمثال، بمعنى أن يقرن المرء بشيء عناه المتل وهذا أمر يباين المثل الذي يهدف إلى تقرير واقعة أو تجربة أو موقف للأخذ بها والتعامل على أساسها. وواقع الأمر في هذه السهرة أن هذه المساجلة بين سعاد وصبحية كانت على مبدأ، تزجية الوقت والمباسطة، وإشاعة المرح والحبور بين الساهرات، وليست على محمل الجد، وإن اتسمت بعض الأمتال بطابع التجريح، والمخاصمة والتحدي. كما أن الساهرات في هذه المساجلة توازعن التأييد بين سعاد وصبحية وكانت الفاتحة علي لسان صبحية.

صبحية: والله يا سعاد ألبي مليان منك وشو ما إلت فيك ما بيشتفي لأنك: متل البرد أساس كل علة.

سعاد: وأنت متل إفة الهم.

صبحية: ولي عليك أنا متل إفة يمّا أنت يللي متل الزيبق.

سعاد: وأنت متل حية التبن بتئرص وبتخبي راسها.

صبحية: كمان أنت متل الخلد.

سعاد: طيب وأنت متل الأطاط بتاكل وبتنكر.

صبحية: كمان أنت خاينة متل الطرخون بيزرعوه بإرنة بيطلع بإرنة تانية.

سعاد: أنا خاينة يللي متل شم إرين.

صبحية: أنت متل الوز. حنية بلا بز.

سعاد:إذا أنا متل الوز، أنت متل بعر الجمال كل مالك لورا.

صبحية: أنت متل إلتك.

سعاد: وأنت متل مزاريب الشتي، ما بتتطروء غير لبره.

صبحية: كمان أنت متل غراب البين.

سعاد: وأنت متثل الآء عالزوزة.

صبحية: وإذا إلت لك أنت مثل عرء الفصة كل ما طرط الهواء بيميل.

سعاد: لحا أول لك أنك متل صبي حمام إيد من ورا وإيد من إدام.

صبحية: كمان أنت متل أطرميز مصر. لا رأبة ولا خصر.

سعاد: وأنت متل بيضات المغربل.

صبحية: كمان أنت متل آضي معزول.

سعاد: يعني أنت مالك متل الطبل.

صبحية: وأنت متل الأملة المفروكة. منيح هيك.

سعاد: كمان أنت متل الأطرش بالزفة .

صبحية: يعني مو أحسن ما كون متل مكوك الحايك .

سعاد: أي أي صبحية هي منيحة إلك لابستك لبس وفوئها من عندي أنك متل خطافات الزعزع . مالك عرفانة راسك من إجريك .

صبحية: لكان أنت متل ضرابين اللبن ، بيعدوا ألوف ، وعشاهن خبيز .

أم محمود: وبعدين أنت وياها لا بمتي لحاتضلوا توجبوا بعضكن ، افرطوالنا هالمسبحة .

سعاد: هي اللي بدت .

صبحية: بتستاهل .

أم ياسين: لكان لحا أول لك يا صبحية أنت متل حبلاس الشام كل ما كبرتي كل ما حليتي .

صبحية: يي الله يجبر بخاطرك .

أم ياسين: وأنت يا سعاد متل أم العروس طول ما لها آعده فاضية ومشغولة .

سعاد: ليش أنا مالي أد العروس ، ليكها صبحية أم العروس إدّامكن .

أم ياسين: سواتين . . ما لكن حبايب!! الله لا يفرئ بيناتكن . .

أم محمود: لكان خلصونا . . بآ بدنا نروح على بيوتنا .

إلفت: بالله شو . . هيك بدك يانا نروح على بيوتنا ، إي والله لو كنا سهرانين عند أرملة كانت آمت بواجبنا . بيهون عليك أم ياسين ، نسهر ببيتك عالمي مثل الضفاضع .

ناجية: وهاد يلي تدولاتيه طول السهرة.

إلفت: أصدك الأهوة والشاي. يوه كمان هدول مي.

أم ياسين: كمان الحأ معك إلفت خانم، بس ما شفتي ما كان فيه مجال حدا يأشر موز ولا بردآن ويوسف أفندي ولا تفاح.

إلفت: شو عليه أم ياسين، كل شي إلا خاطرك مناخدهن خرج ناشف(٧).

ناجية: لكان إلفت أنت خدي حصتك، وخففي على بكير.. لحتى ماياخد البوبو برد. ونحنا لحا نكمل السهرة.

إلفت: بالله شو.. إجري على إجركن.. أي والله ما بزحل من هون غير آخر وحدة.. أبصر على إيش ناويين أنت وياها.. سمس بلادي وبعرفها. وجكارة فيك هي أعدة.

أم محمود: لكان على نصتك، وبدك تتولي لنا شو بينادوا البياعين.

إلفت: أنو بياعين، إن شاء الله هدول الشليفة والمتعيشة والدكنجية والبسطاطية..

أم محمود: أنت عيني.. هدول هنّ.. شو إلت؟.

إلفت: شو شايفتيني حاملة مخلاية وماشية ورا حماري عم بيع فجل و كزبرة وبأدونس وخس، يما فاتحة دكانة خضري، عم بيع كوسا وبندورة وبيتنجان، بما عاملة بسطة بالمصلّبة عم نادي عالعنب والتين والبطيخ.. والذي منه.. أي والله تخينه أختي أم محمود. وأنا شوبيعرفني بهيك شغلات.

أم ياسين: وشوفيها إلفت خانم، البياعين طول النهار عم يفتلوا بالحارة وبالمصلبة عم ينادوا.

أم شكري: وكتير من الأوآت في ناس مالها عم تفهم عليهن على شو عم ينادوا . . بالله مو هيك أم محمود؟

أم محمود: ومنشان هيك يا إلفت بدك تأرجينا همتك لنشوف ونسمع .

إلفت: لا والله . . ما حزرتوا .

أم محمود: لكان بتعدي على نصتك ، ولا بتآتي بحركة . . بس بتشوفي بعينك وبتسمعي بإدنك .

إلفت: والله صعبة أم محمود . . أي ما بتزلط .

أم شكري: أم محمود ، لكان ربطوا لها إيديها وسدوا لها تمها .

إلفت: وبدك ياني ضل هيك لآخر السهرة .

أم محمود: لآ إلفت خانم . . شو كل هالأد!! . بس عم يبين مايا كلوا الجماعة ، الحراء بإصبعه .

إلفت: لا وستين نبي . . عم أول لحالي ليش ألبي كان نائزني . هيك يا ناجية ، عالحساب إنت بتحاحي عليّ دوم ، وبتحسبي حسابي بكل شي؟

ناجية: إنت بصلتك محروءة وبطنك آتلك . . بعدين في بالعادة أم ياسين تأصر؟

إلفت: لكان ليش كانت صامدة الفواكي؟

ناجية: لك هدول الفواكي لشطف التم ، بعد أكل الحرّاء بإصبعه .

إلفت: عم أول لحالي ليش عم يطف ريئي . يالله أم ياسين ريحة الحراء بإصبعه . غوبت ألبي وعبئت بالبيت ، خلونا ناكل أبل ما يبرد(٨) .

٨ـ لغة البياعين:

أم محمود: ومين بده ينادي مثل البياعين ما بينادوا؟

إلفت: أنا شو دخلت.

أم محمود: إلفت!! شو كنا عم نغني بالطاحون.

أم ياسين: أختي أم محمود.. يا ريت كل وحدة منا، تنادي على شغلة.

أم محمود: شو إلتو يا جماعة.. منيح هيك.. موافئين؟

الساهرات: أي منيح.. موافئين.

أم محمود: لكان خلينا نبدا من عندك يا إلفت. سمعينا لشوف. شو بينادي بياع التين.

إلفت: بارد وعالندي يا تين.. على مال مضايا يا تين كل بذرة بحسنة يا تين.. إي شو هالتينات يا محمد.. دابل لكن أبيض.. أطايف يا تين... ملكي يا تين.

أم شكري: إي هه الله يسلم هالتم.

أم محمود: وهلأ بدنا وحدة تنادي عالبليله.

صبحية: أنا أختي أم محمود.. أنا.

أم أكرم: شوفي شلون نطت المأمعة.

أم بسام: شوفيها.. خلينا نسمع.

صبحية: بليلة بلبلوكي، عند أمك وأبوك، وراحوا ليجيبوكي، لئوك بندو، أربوا ناحي يا وليد.. نواهي سخنة.

أم فؤاد: شو شو . . شو . . شو بالعة راديو . . ما فهمنا .

أم محمود: صبحية هيك ما صار . . خلينا نفهم . . على مهلك ، شوي . . شوي .

صبحية: على عيني ، وهي لحا عيدها منشانك . .

بليلة بلبلوكي ، عند أمك وأبوك ، وراحوا ليجيبوكي . . لئوك بندو منيح هيك؟ .

أم شكري: إي روحي إلهي الله يجبر بخاطرك ، ويحنن ألب حماتك عليك .

صبحية: آمين . . وإن شاالله من تمك لألب حماتي .

أم محمود: وهلاً يا مين ينادي لنا عن الخس والطرخون والفجل والكزبرة والبأدونس .

أم فؤاد: أوف . . ليش كل هالشي؟ كلهن سوا؟

أم محمود: أي تئبريني كلهن سوا . . لأنه ببيعهن بياع واحد ، ما شفتيه داير بالحارة؟

أم فؤاد: إذا كان هيك . . الحأ معك .

أم ياسين: أي لكان شدي لنا عزماتك وسمعينا . شو بينادوا عليهن .

أم فؤاد: والله عزماني يا أم ياسين مالها أد هالحمل جيريه لغيري .

أم بسام : إذا كان هيك معليش أنا لحا نادي عليهن .

أم محمود: سمعونا يا جماعة . . منشان أم بسام . . تفضلي أم بسام .

أم بسام: كزبرة طروات، بأدونس طروات. . استنابولي يا فجل، طري وجديد يا فجل.

أم أكرم:منين لك هي، لك إم بسام، تاريكي مخباية بتيابك، الدم يشويكي.

أم بسام: بعض ما عندك أختي أم أكرم.

أم ياسين: والطرخون أم بسام. . حرام. . هلأ بيزعل.

أم بسام: الطرخون يا أم ياسين. . هادا واحد نَوَرِي.

أم ياسين: بلا مزح أم بسام. .

أم بسام: لكان ليش بينا دوا عليه: ابن الزنا خاين.

ناجية: لك فهيمة بينادوا عليه هيك لأنه الفلاح بيزرعه بأرضه وبيتعب فيه. . وما بتلائيه غير طالع بأرض تانية.

أم بسام: لكان منشان هيك بيؤلوا عنه ابن الزنا وخاين؟

سعاد: أي ستي.

أم ياسين: والخسات شو ضريبهن. . شو بينادوا عليهن؟

أم بسام: إي إي. . تذكرت بينادوا عالخس: الله هالدايم. . الله هالدايم. . العشرة الكبار يا مال اللوان.

أم أكرم: والله يا أم بسام أنت وحدة مالك أليلة، بينخاف منك. شو رأيك من بكرة نعمل لك بسطة بالمصلّبة.

سعاد:هلأ إذا صفت هالكلمتين صار بينخاف منها؟

أم أكرم : لا تغلطي يا سعاد. . متل ما إلت لك، هي مخباية بتيابها. . لا

تشوفيها هيك ، هي متل الزبدية الصيني من وين ما بترني عليها بترن . . أسأليني أنا .

سعاد: لكان الله يجيرها من العيون الفارغة .

أم محمود: وهلاً خلونا نبيع العنبات . . مين بده ينادي لنا عالعنب . .

ناجية: مالك غير سعاد ، هي زوزها خضرجي .

أم ياسين: شو أم السعود . . ليش تألانة علينا؟

سعاد: شوهالحكي . . أختي أم ياسين . . العين ما بتعلى عن الحاجب . . بس إلت لحالي خليني لبعدين . . أنا بالخدمة .

أم ياسين: لا أبلين ولا بعدين . . هلاً بدنا نبيع العنبات ما بدنا نخليهن يباتوا . . أحسن ما تاكلن الدبابير والزلائط .

سعاد: وعلى عيني إنت وياهن: الزيني ألماس ، والأحمر كباس على عنب الدوالي يا عنب ، دوماني يا عنب ، على مال داريّا يا عنب ، هدوا خيامه ومابآ بالكرم غير الحطب ، تعا ودّع تعا .

أم محمود: كمان إنت والله مو نائصك غير شي سحارتين تلاتة عنب تبسطيهن بالمصلبة بعد صلاة الجمعة .

سعاد: مو عيب .

أم فؤاد: الدم يهريكي .

أم محمود: والباميات مين لحا يجبر بخاطرهن . . أبلْ ما يحموا .

أم ياسين: أي والله إلحأ معك يا أم محمود . . البامية إذا حميت بتزيبئ ، وعلى أزيرة الزبالة على طول .

أم محمود: سمعانين . . بدنا نبيع الباميات ، حوينتهن مين لحا تنادي عليهن .

إلفت: ليكها سعاد إدامك . أد هالحمل وزود ، وإذا ما انباعوا معها بتاخدهن معها عالبيت بتأمعهن على مهلها . وبتيبسهن للشتوية .

أم غسان: بس سعاد ، على حد علمي ، مالها بهالشيحة ريحة . نادت عالعنب

إلفت: ليش بعدي ، شو نائصة إيد يما إجر ، تنادي كمان عالبامية . . زوزها خضرجي .

أم محمود: لكان استرينا أم فؤاد الله يخليك . الباميات بيبوسوا إيدك .

أم فؤاد: موتكرمي أختي أم محمود: خضرا هالبامية ، زرادة هالبامية ، استانبولية هالبامية . لا تضوع اللحمة بالردية يا عيار .

أم غسان: أي شو هاد يا أم فؤاد . . لو كنت عرفانتك هيك بتنادي كنت ما وفرتك عند زوز سعاد بها الدكان .

أم فؤاد: ليش بآ . . شو بدي ساوي عند زوز سعاد؟

أم غسان: تشتغلي عنده تنادي عالخضرة . .

سعاد: أي لآ بعدي . . مو نائصنا . . جرادين بيتنا ما شيين عالعكاكيز .

أم فؤاد: لك صدأتي . . الحكي ما عليه كمرك . سعاد خانم . . لا تحلفي محلوف عنك . أم غسان عمالها تتفتأ .

ناجية: خوش هادا يلّلي فالحة فيه .

أم محمود:هادا إنت ناجية خانم؟

ناجية: خير!!

أم محمود: على شو لحاتنادي لنا .

ناجية: هلأ أنت سلمي لي على أم شكري ، وخليني أنا لبعدين .

أم شكرى: ليش بعدي؟ صبوا لك بالزايد رزه؟ عليك من حالك .

أم محمود: يالله ناجية خانم مو حلوة ، منشان سمعة المحل . . أولي على شو لحاتنادي لنا؟

ناجية: إذا كان هيك لحا نادي لكن عالعوجة .

الساهرات: أي والله جبت على بالنا العوجة .

أم شكري: وأنا لحا نادي لكن عاليخنا .

أم محمود: هاتي لنشوف ، ناجية خانم .

ناجية: أول فواكي الشام يا عوجا ، ألبك خيار يا طرية كل سنة والحبايب سالمة على مال الشام يا عوجا . هليون يا عوجا .

أم محمود: الله يسلم هالتم . .

أم ياسين: هلأ خلونا نسمع شو لحا تنادي لنا أم شكري عاليخنا .

أم محمود: تفضلي أم شكري .

أم شكري: يخنا وطبوخ ، جارية بتنفوخ ، والعبد عالباب ، عم يألّع الكلاب .

أم محمود: فهمتوا شي يا جماعة .

الساهرات: لا والله .

أم غسان: أختي أم محمود يا ريت أم شكري تفهمنا شو معناة هالحكي .

أم شكري: هادا يا ستي معناتها ، أنه اليخنا ما كان يُطبخها غير الأكابر والأغنياء ألله الغني .

أم محمود: الله يسلم هالتم وهلاً يا جماعة خلينا نأكل الحرّاء بإصبعه أبل ما يبرد . حاكم هادا دفتر البياعين كبير إله أول ماله آخر ، متل دفتر النسوان .

إلفت: أي والله أي والله . عم أول لحالي ليش ألبي عم يمرت علي .

أم ياسين: بس على شرط إنه سعاد بعد الحراء بإصبعه تغني لنا عن البياعين . منيح هيك . . .

الساهرات: أي منيح . . إي منيح(٩)

٩ـ اكل الحراء بإصبعه

تعد أكلة حراء بإصبعه من الأكلات الشعبية التي اشتهرت بها دمشق ، ولهن في تناولها طقوس فيها الكثير من الدعابة ، وبخاصة إذا كان تناولها في حمام السوق ، حيث يحلو لهن أن يدهن بعضهن ببقايا هذه الأكلة ، ثم يشرعن بالاستحمام . كما وأن أكلة حراء بإصبعه يستساغ تناولها جماعة ، لما في ذلك من متعة عند النساء . وهي من الوجبات الرخيصة السهلة التحضير ، يطهينها بزيت الزيتون . وهي من الخبز اليابس مع العدس المسلوق ، ومرق التمرهندي ، مع الكزبرة والبصل المفروم وكنّ يزين وجه الآنية المسكوبة بالحراء بإصبعه بالبصل المقلي على شكل جناحات موردة بالقلي كجناح الدبور والتوم المفروم مع الكزبرة المفرومة المقلية بزيت الزيتون ، وفتات الخبز المقلية أيضاً . ومنهن من استعضن بالعجين بديلاً عن الخبز اليابس . أعدت أم ياسين هذه الوجبة للساهرات في هذه السهرة وقد حرصت أن تكون مفاجأة لهن ، لكن رائحة الطعام فضاحة ، وبخاصة لدى من تطلب نفسه الطعام . فما أن دخلت عزيزة ابنة أم ياسين ، بمدة الطعام والملاعق حتى سال لعاب الساهرات ، وأخذن يتلمضن لما سيقدم لهن

من طعام حراء بإصبعه. وبعد أن أتمت عزيزة إحضار الطعام ولوازمه مع الكزبرة المفرومة مع التوم المدقوق وقطع الخبز المقلي. حتى دعتهن أم ياسين بقولها:

أم ياسين: بسم الله، تفضلوا يا جماعة مافي شي من واجبكن.

أم فؤاد: بدأن الطعام بخجل بعض الشيء، وقد ذاقت أم فؤاد الطعام وقالت:

والله شي طيب، بالخبز مو هيك، أختي أم ياسين؟

أم ياسين: بسلامة عرفك بالخبز أطيب، بس في ناس بتساويه بالعجين، وكمان الحمض أطيب بالتمرهندي لأنه الدبس رمان بيساوي حراء بإصبعه غامق.

ناجية: الله يسلم هالديات.

أم شكري: أي والله أكلة على تأنينها.

أم ياسين: لكان أختي أم شكري كل شيء إله أواتيله.

أم محمود: من عمرها أختي أم ياسين نفسها عالأكل طيب وكل شي عندها عالأصول.

صبحية: سفرة دايمة.

أم فؤاد: شو. أوام زلط ملط..

ناجية: لك أختي هالأكلة هيك بدها، من الغلوة للكلوة أبل ما تبرد.

أم شكري: أن شاء الله تضلي سالمة، تعيشي وتعملي حراء بإصبعه.

أم ياسين: مطرح ما يسري يمري. صحة وهنا.

أم غسان: ان شاء الله بالأفراح.

ناجية: دايمة وألله يديمها ويللي حطها بيئيمها .

سعاد: وين وين زحلتوا . . وهي مو نعمة ألله .

تسارع سعاد إلى التشمير عن زنودها وتمسك طشت حراء باصبعة وتشرع بلعقه ثم تمسح ما تبقى بكفها وتلحسه ، وتحاول أن تدهن به الساهرات ، فيتباعدن ويتضاحكن .

أم شكري: يفكحك شو إجا ببالك .

سعاد: يعني كل يوم لحا يصح لنا حراء بإصبعه يمّا بدك يانا ناكل بالشوكة والسكين وعلى نصتنا لحتى نعبي كرشنا؟

أم محمود: أي والله الحأ معك .

أم ياسين: وكمان لحا تكملها بهالسهرة بالغنية تبع البياعين . .

سعاد: والله يا أم ياسين كان على عيني ، بس انتلت الخواصر وارتخت المفاصل . والنفس بالزور عم يطلع .

إم ياسين: إلك عليّ ببراد شاي أخضر ، يخرط لك كل شي أكلتيه بس بدنا هلاّ تسمعينا هالغنية .

ناجية: لك شوفوا شوفو إلفت شو عم تساوي .

صبحية: الله لا يشبعها على تفضّي الصحون بصحنها .

إلفت: وشوفيها . . مو نعمة الله . . مو هيك سعاد؟

سعاد: شو بدي أول لك . . . فجعانة فجعانة وكمان فجعانة .

أم ياسين: إي والله الحأ معك ، وإن شاء الله عوافي بس بدنا هلاّ الغنيّة منك يا سعاد .

١٠ ـ غنية لغة البياعين:

سعاد: لك أختي هيّة مو غنية غنية، بس يعني متل ما بيئولوا تركيبة غنيّة.

أم ياسين: كل شي بيطلع منك حلو، وهي نحنا كلنا لحا نرد معك.

سـعـاد:اسـمـعـوا لـغـة الـبـيـاعـين

بـالـشـــام وهـــنن دايـريـن

لـــغـــة بـــدهـــا تـرجـمـان

هـــادا أســـود يـــا ريّـــان

الساهرات: وهادا أسود يا ريان

سـعـاد: هـيـه حـمـرا الـبـنـدورة

يـــا ريـــان أحـمـر يـــا ريـــان

هـــاتـــوا طـــبـــل وزمـــــورة

لـنـســمـع يـــلّـــي نـــايمـين

لـنـسـمـع مـــين يـسـمـع

هـــادا ريـــحـــان يـــا نـعـنـع

هـــادا ريـــحـــان يـــا نـعـنـع

وعـــــرووؤة عـم تتضعضع

الساهرات: وعرووؤة عم تتضعضع.

سعاد: ومن الأفلاس يا رب تعين

من الإفلاس والخسارة

مزاوية الصبارة

وحلوة يا صبارة

كومناها كوم وكوم

وهادا يبرودي يا توم

الساهرات: هادا يبرودي يا توم .

سعاد: غشونا يا عيب الشوم

راس الصاغ مافيه ولا سن

والحاجات هدوا الإن

وتحت الأفص محصورين

الساهرات: وتحت الأفص محصورين

سعاد: بارد يا تين وعالندى

ويا عنب مالك حدا

بيضمنوك التعبانين

يضمنوك وعليك حصار

أصابيع الببو الخيار

أنا ما بليته بله الجار

الساهرات: وأصابيع الببو الخيار
سعاد: والكرز داير مندار
وعالمصفاية الأمر الدين

وما بعرف شو كمان . .

أم ياسين: يعني لفلفتيها .

سعاد: بدك ما تواخذيني ، الحكي بالزور عم يطلع .

أم ياسين: وهي الشاي بيبوس إيدك ويسلم هالتم(١٠) .

* * *

الهوامش والحواشي:

١ـ المخاوزة: عدم الوفاء ، أولك: قولك . المخلوءة: المخلوقة . هلأ: الآن . بس: لكن . حبرها غميئ: عميق ، أرادوا: داهية . إرنة: مكان . شلون: كيف . أد: مقدار . هديك: تلك . أصدك: قصدك . لمّن: عندما . موهيك: أليس كذلك . منشان: لأجل .

٢ـ تشر كلنا: توقعنا . فيها البركة: ليست سهلة التعامل . شبكن: ما بكن . حمام مأطوعة: مقطوعة والمقولة كناية عن الفوضى واختلاط الحابل بالنابل . استفأدنا: افتقدنا . تلائي: تلاقين . السوء: السوق . دأني: ذقني . سوا: سوية . مرئت: مرقت . أريبة: قريبة . سبأ: سبق . منلتئي: نلتق . طالعها من عيونك عامص: لن أفوت هذا الأمر يمر بسلام . الإصة: القصة . النوائصية: النواقصية ، أصحاب السلوك الخاطئ . وصلانة لراس مناخيرها: متشنجة . إدامنا: بحضورنا . نأعتني: نقعتني ، جعلتني أنتظر . تئيس: تقيس . الأط: الهر . ملوفكة: مداهنة .

٣ـ ناطع: نمضي . الحأ: الحق . الكوانة الأسطوانة ، أرادوا أسطوانة الحاكي

(صندوق السمع). الدح: الضرب على الظهر بقبضة اليد. فضوا هالسيرة: خلصونا من الموضوع.

٤- وشي: وجهي. بلا بهللة: بلا تملق. يمالأ: أو لا. أوي: قوي. ألله عارفك وناتفك: لا جدوى منك. دمعة: قليل. ريئي: ريقي. بُكُمْ: صلاحية، أبريق: بأديم: في قديم. لننام: إلى أن يحين وقت النوم. ابن العازة: الوحيد. مصبص: عديم المقاومة الصحية. مخستك: من الخستخانة: المشفى، بمعنى مريض. زهزوا: أعدوا. بتدروشو: لبسوا لباساً بسيطاً. فئرا: فقراء. أليل: قليل. تئيمهن: تقيمهن. المطرة: وعاء للماء فردي. ما لآ: لم يجد. ولي على آمتي: آمتي: قامتي، والمقولة ندبة تحسر. أوصه: قوصه وأطلق عليه النار. دوز دغري: مباشرة. إنشلم: انبهر. وآئف: وقف تبلكم: تعثر. تتغندر: تعمل ماكياج. خدعتك: استحلفك. علبة مكي: علبة يأتون بها من مكة المكرمة لوضع أدوات زينة المرأة. معط: وضع مساحيق الزينة. الفستأة: حبة الفستق. الخلاء: الخلاق. انسطل: انشده. أرائيط: قراقيط، شحمة الأذن. طبس: هنا، غرق في الحب. أدمتها: قدمتها. أوضته: غرفته. إتنين: اثنين. لبن العصفور: كناية عن الشيء المستحيل. يجبر خاطرها: يراضيها. زوزها: زوجها. نأرها زوازة: تزوج عليها بإمرأة أخرى. هبلة: غبية. دأدست: بحثت ودققت. تتدخل: تترجاه. صرفة: حل. تنعنش: من الانتعاش. راحت دأنه مرش: لم ينال مبتغاه. بصلتك محروءة: محروقة، والمقولة تقال للعجول المتسرع. زغير: صغير. فئير: فقير. ما بتفريء: لا فرق. لسبد: لا بد. بتئدر: بتقدر. وأف: وقف. طرؤا الأضيب: طرقوا القضيب، عصا القاضي. النئيب: النقيب. دشرناهن: تركناهم.

٥- أكرك عجم: أرادوا الشاي الفاخر. تتني: تأخذ كاسة أخرى، إطعة: قطعة. زغيرة: صغيرة. شرئتين: شرقتين، رشفتين. شو بتئصدي: ماذا

تقصدين. بيبان المرج: تظهر الحقيقة. إإبل: أقبل. تتحورئي: تتحورقين: دعاء تحبب.

٦- رأص: رقص. لإيش: لأي شيء. ما تئوم: لا تقوم. الآسي: القاسي. بلكي: ربما. مأدر: مقدر. شوئي: شوقي. زاهزين: جاهزين. ذوئك: ذوقك. خوش: بالأساس. ليكة: هاهو. المغتسل: طاولة غسل الميت.

٧- إفة: قفه، وعاء من خوص. حية: أفعى. بتئرص: تقرص. بز: ثدي. إلتك: قلتك. تطروء: تطرق، تدفع بمياه الأمطار إلى خارج. الآء: الغراب. عرء: عرق. صبي: أجير. رأبة: رقبة. بيضات: خصيتي.

آضي: قاضي. الأملة: القملة. بدت: بدأت. كروعتيه: شربتيه. يأشر: يقشر. بردآن: برتقال. خرج ناشف: ناكلهن في البيت.

٨.- إجري: رجلي قدمي. سمس: شمس. جكارة: نكاية. تئولي: تقولين. مخلاية: كيس لعلف دابة البائع الجوال. بأدونس: بقدونس. المصلبة: ساحة الحي أو الحارة. تعدي: تقعدين. بتآتي: تقومين. ما بتزبط: تنضبط. نائز: متحسب. بتحاحي: تراعيي. محروءة: محروقة. آتلك: قاتلك. تأصر: تقصر، يطف ريئي: يسيل لعابي. عبئت: عبقت.

٩.- البليلة: الحمص السلوق. المأمعة: دعاء تحبب. بندو: تصحيف بندق. جيريه: حوليه. الدم يشويك: دعاء تحبب. نوري: قرباطي، لا يستحي. يا مال اللوان: أرض كفرسوسة.

تألانة: متعالية. أبلين: قبلين. مو نائصك: لا ينقصك. تلاتة: ثلاثة. الدم يهريكي: دعاء تحبب. بتزيبئ: تزيبق، تصبح مخاطية الملمس. أزيرة: تنكة. الزبالة: القمامة. زرادة: ثمارها صغيرة. عيار: الواعي في انتقاء حاجاته للبيت.

مقولة جرادين بيتنا: كناية عن ضيق ذات اليد، والجرادين الجرذان. كمرك: جمرك، تتفتأ: تتفتق، تحكي كلاماً لا طائل منه. خوش: أصلاً. صبوا بالزايد: فضلوه.

اليخنا: الملفوف. يألع: يقلع، يطرد. معناة: معنى. يمرت: يفرك، كناية عن الشعور بالجوع.

١٠ ـ بخجل: ببطء. أواتيله: متطلباته. نفسها: عنايتها. زلط ملط: دونما مضغ. كرشنا: بطنا. بالزور: بصعوبة. بتئلوا: تقولون. عروؤه: عروقه. تتضعضع: تتكسر. مزاوية: نسبة إلى المزة. الإنّ: الخم. الأفص: القفص. التم: الفم.

ثامناً:

١ ـ أبو الفول.

٢ ـ براس مين انكسرت الشربة.

٣ ـ الحكم والرضى.

٤ ـ أكل الشوندر.

٥ ـ شاي أخضر حسب الوسعة.

٦ ـ حكم قراقوش.

٧ ـ نجوم الظهر.

٨ ـ صافي يا لبن.

٩ ـ المعاجزة بالخزازير.

١ ـ أبو الفول:

اقترحت أم أكرم على الحضور من الساهرات أن يتسلين بلعبة أبي الفول ريثما يتكامل جمع الساهرات. كانت هذه اللعبة من الألعاب المحببة والمنتشرة، في سهرات النسوان بدمشق، حتى أواخر العقد الرابع من القرن المنصرم (العشرين). كن يجدن في ممارستها متعة وتسلية، لما كان يصاحبها من مزاح وتعليقات وتلميحات بل ومزاحنة بين اللاعبات.

يشارك في اللعبة أربع لاعبات على الأقل، وتنزع ثلاثة من أوراق صورة الاختيار من الشدة ويبقى ورقة واحدة. ذلك أن اللعب يكون بمجموعتين من ورقة الشدّة.

ويرمز لورقة الاختيار المتبقية بأبي الفول ثم يوزع ما بقي من أوراق الشدة بين اللاعبات، فمن كان أبو الفول بين أوراقها تتكتم ليسهل عليها تصريفه إلى لاعبة أخرى.. وبالطبع تجري المجاوزة بين أوراق كل لاعبة، وتلقي هذه الأوراق المجاوزة على الأرض خارج اللعب، وتستمر المجاوزة بين أوراق اللاعبات بحيث تسحب اللاعبة من التي تليها ورقة واحدة، فإن تجاوزت مع ورقة مما تحمل تخلصت من الأوراق المجاوزة، وهكذا حتى تبقى ورقة أبي الفول في يد إحدى اللاعبات. وهنا يتصايحن أبو الفول عليك الفطور، أبو الفول عليك الفطور.

فلما كان دور سحب أم أكرم من سعاد، طال تفكير أم أكرم وترددها فنهرتها سعاد قائلة:

وبعدين أم أكرم، شو عم تبيتي استخارة اسحبي لك ورأة وخلصيني حميتي ألبي.

أم أكرم: أي أريضة، ليش هيك عاصة عليها؟

سعاد: أنا عاصة!! هه.. هه.. العين الطراءة، إنت انطعجي لك شوي.. مدي إيدك.

أم أكرم: يعني هلاّ أنا لحا شوف من ورئك الخير؟

تسحب أم أكرم ورقة من سعاد وبعد أن تنظر إليها تقول:

- ولي على حظي.. والله إنت ما بتطلعي عن ضربة.. هلاّ هي ورأة!!إلعين الطرّاءة.. تضربي إنت وهيك ورأة.. زويزة!!.

سعاد: ليش يامو؟ أنا إلت لك إسحبيها؟

يأتي دور صبحية لتسحب من أم أكرم.

أم أكرم: وإنت صبحية، يالله مدي إيدك اسحبي بآ. يما عاصص فيك الطلئ؟

صبحية: إي بمد إيدي، يعني شو فيها؟ بس إنت كمان حنّي علي شوي وأربي إيدك بعدي.

أم أكرم: مو تكرمي.. منيح هيك؟ بس بلا بصبصة من تحت لتحت!! وهون وهون.

صبحية: وهي الورأة، ليش داحشتيها إدام آ. إي هاتيها لأول لك.

تسحب صبحية الورقة وتجاوز بها وهي تقول:

- إي هه هي ورأة بتبيض الوش. أص ديناري، وهي أص سباتي تزاوزوا سوا.

أم أكرم: أي خديها بعدي خديها، وعَيّدي فيها!! بس والله يا منظومة باينتك طالعة لحماتك.

صبحية: شبها حماتي بعدي . . عازك وعوازك .

أم أكرم: تتشبهي .

صبحية: هه تطئك من جكرك . ثم تعمد إلى مزاحنتها بأغنية:

حبيبي بيحب التش . حبيبي بيحب التش .

عالروشة بيئولي مش وإن ما أخدته عالروشة .

بالبيت بيعمل دَوْشِة . . وبيبروم وشّه وبيكش[1]

يأتي دور ناجية لتسحب من صبحية .

ناجية: هلاً وأتك صبحية خانم . . ناوليني هالورأة، إسمنك مطروبة يما أول لك ، لأ هي يلي تحت خنصرك أحسن ، أربي أربي ناوليني ياها .

صبحية: إي لآ يامو ، مدي مكسورتك وخديها . وبلا حكي بلا طعمة .

ناجية: وهي الورأة شو؟ . . الخمسة البستوني . . ولا أحلى من هيك . . تعي يامو تعي عدي مع الخمسة الكبة .

صبحية: الدم يشويك شو أوية . . هلاً بزمتك ما أم شكري غمزتك عليها .

أم شكري: أنا . . الله يسامحك . . ناجية خانم ما بدها مين يغمزها بتعرف تحسبها . .

صبحية: أي لكان أم شكري ما بدها زعل . . بعدي عن ناجية . وأنت كمان ناجية بعدي هالناح عن أم شكري

أم شكري: شو عليه . . هه تطئك . . لابئ لك .

ناجية: وأنا كمان مابدك ياني بعد!!

صبحية: أي وأنت كمان بعدي عن أم شكري ، يما صبوا لك بالزايد رزة!! .

يبدو على وجه ناجية الامتعاض ، تسألها صبحية

صبحية: شو زعلتي ناجية خانم؟

ناجية: لآ يه لشو الزعل . أنت ما بينزعل منك .

صبحية: شو أمرتي ست الحسن!! . .

ناجية: سلامتك بعدي .

صبحية: أي لكان بلا بلضمة وبربرة .

أم فؤاد: لحا تضلوا تتناءروا إنت وياها . . إذا كان هيك ، بلاها هاللعبة أحسن .

سعاد: شو بلاها ، على دوري .

ناجية: شوفي سعاد لا تعملي كاني ماني ، نحنا من هديك السهرة صافي يالبن ، وعسل يا إشطة . بآ . . منشان هيك خدي راحتك ، بس لا تحمي ألبي .

سعاد: بدك تطولي بالك ناجية خانم .

ناجية: شو عليه . . بركي بيطلع لك ختيار الجن بتتسلّي أنت وياه الليلة .

سعاد: لآ ستي خليه إلك لفيه ونامي أدفا لك ، بعدين ليش عم ترجف إيدك . . هاتي هاتي هالورأة . .

تسحب سعاد العشرة البستوني من ناجية تنظر إليها قائلة:

ـ الله . . العشرة البستوني يا سلام . . وهي العشرة الكبة . . ناموا حبيباتي سوا هون مع أخواتكن . .

ناجية: صحتين على ألبك.

يأتي دور أم أكرم لتسحب من سعاد.

أم أكرم: سعاد خانم شو لحا تعطيني.

سعاد: يللي بدك إياه، وهي مديت لك إيدي بألورا منيح هيك؟

تسحب أم أكرم من سعاد ورقة أبي الفول، فتغمز سعاد أم شكري وإلفت على أم أكرم. لتشعر صبحية بوجود ورقة أبي الفول مع أم أكرم.

أم أكرم: ولي عليك، هادا يلي طلع معك، عم أول لحالي ليش حليان لسانك إه.. شو عليه أم السعود. دين ووفا.. دولاب.

صبحية: وبعدين أم أكرم.. لا تهكلي هم.. بتصير بأحسن الآعلات.

أم أكرم: هيك أولك.

صبحية:لكان، شو بدك تعملي؟

أم أكرم: منشان هيك مدي إيدك وخدي لك وراة.

تسحب صبحية من أم أكرم ورقة أبي الفول. فتعرف اللاعبات انتقال أبو الفول إلى صبحية فيتغامزن عليها، على حين صبحية تتجاهل ذلك وتقول لأم أكرم.

صبحية: هي يللّي طلعت من خاطرك.. شو عليه منّك بركة.. بتشتغل.

تخلط صبحية أوراقها. وتعيد ترتيبها قائلة لناجية.

صبحية: وهلاّ ناجية خانم، شو إلتي نئي واستحلي.

ناجية:لكان مدي إيدك لشوف وناوليني هالوراة الطرفانية يلي داحشتها على طرف.

تمد صبحية يدها بالورق جاعلة ورقة أبي الفول في مكان بارز. تهم ناجية بأخذ ورقة أبي الفول لكن إلفت تنهرها وتغمزها على ورقة الجويزة تسحبها ناجية قائلة.

ناجية: وهالدرويشة شبها، ليش داحشتيها بالسفل.. هاتيها صبحية هاتيها أنا بجبر بخاطرها.. هه.. شو جويزة.. عيني يا عيني.. وهي جويزة من أيدي. وخاطركن بح.

صبحية: شو ناجية طلعني..

ناجية: مو أحسن، خلي أبو الفول لغيري.. حاكم بها الأيام دبساتي صايرين مراء.

صبحية: كله منك يا إلفت ليش غمزتيها لناجية.

إلفت: والله مو أنا صبحية.

صبحية: لكان أنت أم أكرم ما في غيرك.

أم أكرم: لأ إنت كل ما دئعت بطابوسة، بترمي همك على غيرك[٢]

يتتابع سحب الورق ويتتالى خروج اللاعبات من اللعب إلى أن انحصرت اللعبة بين سعاد وصبحية.

٢ـ براس مين انكسرت الشربة:

صبحية: أي صبوحتي شو لحا تعطيني لا خلص من هالتريسة (الورقة رقم ٣) يعني حدا بيئول عن زيته عكر. أنت نئي واستحلي لك ورأة.. كلهن ورأتين. بركي بتنكسر الشربة براسك.

سعاد: إن شاء الله عدويني.

صبحية: إي لكان اسحبي اسحبي بلا كتر حكي.

في هذه اللحظة كانت اللاعبات في ترقب، صبحية تمد يدها بالوقتين، التريسة وأبي الفول. وسعاد تحاول أن تلعب بأعصاب صبحية، فتمد يدها نحو ورقة أبي الفول وهي تنظر إلى عيني صبحية، فلما أحست الانفراج على وجه صبحية سألت صبحية.

سعاد: و صبوحة، بتنصحيني بها الورأة.

صبحية: أي والله.. حلوة كتير.

سعاد: أي لكان ناوليني هالتريسة يللّي جنبها.

تسحب سعاد التريسة وتبقى ورقة أبي الفول بيد صبحية وتنتهي اللعبة ويتصايح الجميع:

أبو الفول عليك الفطور.

أبو الفول علي صبوحة الفطور.

أم شكري: شو صبحية وقعت يما رماك الجمل.

أم بسام: المسكينة وئعت وماحدا سمى عليها يا حرام.

أم أكرم: والله يا صبحية فرحت لك من كل ألبي بأبو الفول، الليلة لفيه ونامي إنت وياه طب إسمنه زوزك مسافر.

إلفت: لحاله؟ يما هو و..

صبحية: وضريب.

٣ـ الحكم والرضى:

إذا كان لأم محمود أن تنزل بصبحية الجزاء، لابد لها من تحصل على

إقرار من صبحية ، بأنها المغلوبة في لعبة أبي الفول ، وأن اللعبة خالية من الزوغلة (الغش) ولما كانت الساهرات في لغط حول وقوع الحق على صبحية في هذه اللعبة كان لابد لأم محمود أن تسأل صبحية:

أم محمود: يا جماعة. . يا جماعة سمعونا شوي سمعونا. . شو إلت صبحية خانم ، فيها زوغلة اللعبة؟

صبحية: شو بيعرفني.

أم غسان: أي والله بتعرف الأرد وينه. موهي ولدانه مطرح ما ضوع الإرد ابنه.

أم محمود: وأنتوا يا جماعة شو أولكن؟

أم فؤاد: أختي أم محمود ، هالمنظومة ، البنا مليان منها ، خلينا نتشتفّى منها ، ولي عليها شو عاملة فينا. أل شو بدي استفكر منك يا سفرجل لاستفكر ، كل عضة بغصة.

أم ياسين: يعني وئعت البأرة وكترت سكاكينها؟. يا واش ياواش على مهلكن عليها.

صبحية: اتركيهن أختي أم ياسين يعملوا ويكتروا وأنا إلهن. . آل يا رمضان ليش ما بتجي بشعبان. . آل كل شي بأوانه حلو. شوفي إنت وياها. أحمض ما عندكن اطبخوا ، الدنية دين ووفا ، وأنا وياكن والزمن طويل.

أم محمود: إذا كان هيك لأ ، كل شي لحاله. ونحن اولاد هلاّ.

أم فؤاد: أي أم محمود نحنا تركنا الحكم إلك.

أم محمود: شو إلتي صبحية خانم؟

صبحية: متل ما بدكن.

٤ـ أكل الشوندر:

كانت أم محمود على وشك أن تقول ما يتوجب على صبحية القيام به إثر غلبها في لعبة أبو الفول. لكن دخول عزيزة، ابنة أم ياسين بصينية مملوءة بالشوندر الساخن، جعل أم ياسين تستوقف أم محمود، وتطلب إليها تأجيل ذلك الحكم بحق صبحية.

أم ياسين: أختي أم محمود، خلينا ناكل الشوندر، أبله، إسمنه سخن، وبعدين خدي راحتك مع صبحية ليكها إدامك.

أم محمود: متل ما بدك أم ياسين، بس يعني . . .

أم ياسين: إي لأ أم محمود. . ما بدها بسبسة شوندرات سخنين أبل ما يبردوا.

أم محمود: ما هيك أصدي الشوندر موتيل عند عشية.

أم ياسين: أد ما بتئدري أختي أم محمود يالله يا جماعة بحب النبي (صلى الله عليه وسلم)

ناجية: لكان خلو حصة صبحية على جنب.

صبحية: ليش بعدي. . يعني مالي تم آكل شوندر.

أم محمود: أنت خليك وائفة عالحيط لبين ما نعرف شو بدنا ياك تعملي. .

ناجية: كمان صبحية خانم لا تنسي: إنك صعي إلك تم بس لسانك يللي بتمك متبري منك.

أم شكري: هلاً وبعدين أنت وياها. . لك شوفوا إلفت أكلت الشوندرات. آل الناس بالناس والأطة بالخلاص.

سعاد: لك محوراأة وين رحت فيهن؟

إلفت: يعني وين بدي روح فيهن، إلت لحالي كلي يا بنت أبل ما يبردوا آموا خلصوا شوفة عينكن.

أم ياسين: ولا على بالكن يا جماعة خير ألله كتير.. وهي عزيزة جايبة غيرهن.. يالله على حب النبي (صلى الله عليه وسلم) تفضلوا، مدوا إيدكن..

تتقدم إلفت لأكل الشوندر مع بقية الساهرات لكن أم محمود تمنعها قائلة:

أم محمود: وين وين حبيبة ألبي أومي هيك.. يالله ازحلي لهنيك عالحيط مع صبيحة.

إلفت: إي بروح، وشوفيها بس والله حرام منشان الببو، بعدين بيطلع الشوندر بوشه.

ناجية: حاجتك لك فجعنة، إذا الأكل مو إلك بطنك مو إلك؟ ليئوم يصير لك شي.

إلفت: لكان ناوليني شأفة ناجية بس شأفة.. أوام الله يخليك. طف ريئي..

أم شكري: إذا ما بتروح إلفت من هون لحا أوم إلها هه.

إلفت: إي... إي.. رايحة.. يا لطيف شو عينك ديئة.. يعني ما حدا أكل شوندر غيركن..

تنضم إلفت إلى صبحية بجوار الحائط، وتشرع الساهرات بتناول الشوندر ويطعمن بعضهن بعضاً لقماً كبيرة أو مالحة مع الضحك والممازحة واللّغمطة.. ثم تأتي عزيزة ابنة أم ياسين بمنشفة مبللة لمسح أيديهن. وتبادر أم فؤاد إلى القول:

أم فؤاد: الله يعمرك يا شام.. أديش ألله مأنعم عليك بالصيف والشتي والربيع والخريف كل شي إله أوانه.

أم أكرم: أي والله بالصيف الله بيبعت لنا أكلاته وفواكيه، وبالشتي أكلاتها وفواكيها مافي شي بيستحي من أوانه.

أم غسان: وهي الشوندر والحبوب والكنايف والفول النابت. . الله يجعله عامر يا أم ياسين.

أم ياسين: ميت صحة وهنا.

أم غسان: على ألبك إختي أم ياسين(٣).

٥ـ شاي أخضر حسب الوسعة:

أم ياسين: ومنشان هيك لحا نشرب سوا كاسة شاي أخضر.

أم محمود: وكمان شاي أخضر. . أي والله إجت بوأتها.

أم فؤاد: شبنا أم محمود. . يعني أأل منها، هادا الشاي الأخضر بيفرم الشوندر فرم، وما بيخليه آعد على راس البطن.

تدخل عزيزة بإبريق الشاي والكاسات والسكر وملاعق صغيرة، فتسكب الشاي بالكاسات وتضع السكر والملعقة بكل كاس وتوزعه على الساهرات، تتذوق أم بسام الشاي وتقول:

أم بسام: ي طيب، بالهيل مو إم ياسين.

أم ياسين: إي أم بسام، في ناس بيحبو الشاي الأخضر بالنعناع وفي ناس بيحبوه بالعنبر، بس هاد بالهيل.

أم غسان : وشو الفرء بيناتهن أختي أم ياسين.

أم ياسين: كله شاي أخضر وهوّ منيح خص نص للهضم. ومنشان هيك. بيئولوا لـه كازوز المشايخ.

ناجية: لكان زكاتك أم محمود، بركي بتخلي إلفت، تشرب لها شي كاسة حاكم دابكة حالها شوندر.

أم محمود: منشانك هه ناجية خانم.

ناجية: معليش المنيحة مع ألله.

ألفت: الله يجبر بخاطرك.

صبحية: وأنا ما بيطلع لي شي كاسة.

أم محمود: لآ بعدي، إنت لسا ماتدولأني شوندر.

أم ياسين: اسمعوا يا جماعة، هالنهفة عن الشاي الأخضر.

أم محمود: شو أختي أم ياسين؟

أم ياسين: هادا ياستي المشايخ وئت بيكونوا متألين بالأكل، مالهن غير الشاي الأخضر.

أم بسام: ليش.

أم ياسين: آل لأنه بيفرم الأكل، وبيفسّح الصدر، وبيمنع القلق. وأأل شي، لازم الواحد يشرب، تلت كاسات، وأوسط شي، تسع كاسات وأكثر شي، بطنه وما يوسع، من تسع كاسات وطالع(٤).

٦ـ حكم قرقوش:

أم محمود: أي صبحية خانم أربي لعندي لشوف، هلاّ صرنا بهالسهرة بطن تلان وكيف تمام.. وصار وئت الحكم.

صبحية: بس أنا سم الموت، لا أكلت شوندر، ولا شربت شاي.

أم محمود: لكان خرجك، منشان ما تطولي لسانك، على يللّي عم تلعبي معهن.. وتغني لهن حبيبي بيحب التش. كمان أنت أم أكرم تعي وأفي ع شمالي، وأنت أم غسان تعي وأفي ع يميني، وأنت صبحية وأفي إدامنا.

صبحية: متل ما بدك.

أم محمود: وهلاً بدك تبوسي إيد هالحاضرين كلهن.. سمعت.. كلهن.. كلهن..

صبحية: كلهن.. كلهن.. أشة لفة.

أم محمود: أي كلهن كلهن أشة لفة، وكمان بدك تحطيها فوء راسك.

صبحية: يالله.. الإيد يللي ما بتحبها، بوسها وإدعي عليها بالكسر.

تقف صبحية أمام ناجية، فتمسح بيدها كف ناجية، فتقول لها:

ناجية: خدي إمجئيها وش وأفا.

صبحية: حكم الأوي.

وعند سعاد تحاول صبحية تقبيل يدها، لكن سعاد تقول لصبحية باستعلاء:

سعاد: واصلة الله يرضى عليك.

تحاول صبحية تجاوز سعاد، لكن الساهرات يرفضن ذلك. تقول صبحية:

صبحية: عني شو بدي ساوي لها إذا هي ما رضيت.

سعاد: أنا ما بئيل غير تبوس إيدتيني وش وأفا وتحطهن على راسها.

أم محمود: يالله صبحية اعملي متل ما آلت سعاد خانم.

تقوم صبحية بتنفيذ طلب سعاد وهي تقول:

صبحية: ي والله لطالعها من عيونك عامص. أنا إلك، يا ويلك وسواد ليلك.

وعند وصولها إلى إلفت تقبل صبحية يدها، لكن إلفت تعترض قائلة:

إلفت: و نسيتي صبحية خانم اببو.

صبحية: أنو ببو؟

إلفت: هاد (وهي تشير إلى بطنها).

صبحية: أي لساته ما ولد.

إلفت: لكان بوسي بداله إيدي التانية وحطيها فوء راسك.

بعد أن تنهي صبحية تقبيل الأيادي تجلس مع الساهرات لكن أم محمود سارعت إلى القول لصبحية:

أم محمود: وين حبيبة ألبي.. لسه ما خلصنا، السهرة لساتها بأولها، والليل طويل والرب كريم.

صبحية: شو يعني؟ في شي كمان؟

أم محمود: لكان صبوحة لكان.. في كل شي بيحبه ألبك. وأبل كل شي بدك تلحسي خد كل واحدة من كل يلي إدامك بهالسهرة. يالله أوام لشوف.

تقوم صبحية بمسح خد كل واحدة من الساهرات بطرف كمها وتلحسه بتقزز وقرف. ثم تطلب أم محمود من أختها أم ياسين.

أم محمود: أختي أم ياسين، هاتي لي هالمأشة الشباطية. من المطبخ.

أم ياسين : ليش؟

أم محمود: بعدين بتعرفي بس أنت هاتيها.

تأتي عزيزة بالمقشة تنظر إليها أم محمود بين ضحك وغمزات الساهرات وتكشيرة صبحية مخاطبة صبحية:

أم محمود: شوفي صبحية، هلأ بدك تعملي حالك مع حبيبك وإنت معانئتيه وعم تغني لـه حبيبي بيحب التش. وتأرجينا شو بيصير بينك وبينه من حب وهيام وغرام. وهادا آخر شي بدنا ياه منك.

صبحية: ودخلك وينه هالحبيب هاد؟

أم محمود: ليكه إدامك.. ناوليها إياه عزيزة يرضى عليك..

صبحية: بالله شو.

الساهرات: أي اي صبوحة صبوحة. غنّي لـه حبيبي بيحب التش، حبيبي بيحب التش.

سعاد: سمعانة... سمعانة خانم. متل ما كنت عم تغني لنا بلعبة أبو الفول.

صبحية: لا وستين نبي، أي والله لو بتأدنوا كلكن مالحا ساويها شو الشغلة فلتانة.. بلطوا البحر(٥).

٧ـ نجوم الظهر:

أم محمود: شو هالحكي صبحية خانم.. ما بيصير، هي أصول اللعب، بدك ما تزعلي منا.. يعني بعدين بتندمي وبتئولي يا ريتني عملتها..

صبحية: شوفي أختي أم محمود، كل شي لحاله.. بكسر الهاء، ما بعمل

هيك ، ولو طبئت السما عالأرض . . إع . . مالئيت غير المأشة الشباطية إتعاناً أنا ويها . وغني لها . . الله يصطفل فيك .

أم محمود: إذا كان هيك ذنبك على جنبك .

صبحية: شو يعني . . أد الإرد ما مسخه الله .

أم محمود: لكان اسمعي صبحية . . في مرة شفتي شحّادة بالطريء؟

صبحية: وشو يعني؟

أم محمود: بدك تعملي حالك شحادة . . وتأرجينا شو بتساوي الشحادة ، شو بتؤول للناس يللي بتشوفهن لحتى يعطوها .

صبحية: ومن وين هالناس بدي جيبهن . . إن شاء الله بدك ياني إنزل عالشارع مع الشحادين . . فضايل الله حولي وحواليّي كش بره وبعيد . . كش بره وبعيد .

أم محمود: لآ يه . . بيصير . . ليكن هالناس إدامك يللي سهرانين معنا . يالله لنشوف .

صبحية: وآخرتها معكن . . طلعت إيدها أم محمود .

أم محمود: شبك صبحية . . لسا ما طلعت لا إيدها ولا إجرها .

صبحية: إن شاء الله بدكن تأطعوا السهرة برأبتي .

أم محمود: لآ تطمني . . مو السهرة السهرة كلها .

يُعْمَدْ إلى جعل شكل وثياب صبحية في شكل كفيف وتتصرف تصرف متسولة مكفوفة النظر ، وعلى الأرض وسادتين عليها غطاء ، وكأنهما ولدين صغيرين تقول: بلوعة وحسرة وتفجع وهي جالسة بجوار الطفلين:

صبحية: كاس العمى مر يا محسنين . . الله لا يحرمكن نعمة النظر يا محسنين . الله يبعد عنكم أولاد الحرام والظّلام يا محسنين . لها الأيتام يا محسنين . الرحمة من الله يا محسنين . . الله لا يوأفكن هالوأفة الذليلة يا محسنين .

أم محمود: أي بس بس أومي لشوف . . أنا لحا أول إدّامك هالكلمة وبدك تعيدها عشر مرات .

صبحية: لله يعطينا خير هالكلمة . . أولي لشوف .

أم محمود: افمنستنبكتموها .

صبحية: آ . . آ . . شو . . أي والله ولا مرة .

أم محمود: أي لكان بدنا نأرجيكي نجوم الضهر .

صبحية: أن شاء الله عدويني . . وما عاش يلّلي بده يأرجيني نجوم الضهر .

أم محمود: له . . له . . يا صبحية . . ليش إنت ما بتعرفي نجوم الضهر . . هي ما حبيتها منك .

صبحية: لأ ما بعرفها .

أم محمود: نته . نته . . نته . . خسرتي يا صبحية نص عمرك . . هي نجوم الضهر شغلة مو إيمن كان بيشوفها ، مو هيك أختي أم غسان .

أم غسان: يا مسكينة شوفة نجوم الضهر بتمزع العئل . إسألي يلّي شافها

أم محمود: يا جماعة مين شاف نجوم الضهر؟

أم أكرم: أنا أختي أم محمود .

أم بسام: وأنا كمان .

سعاد: وأنا.

أم محمود: سعاد خانم بتأريجها لصاحبتك حبيبة ألبك صبحية نجوم الضهر.

سعاد: على إيش بعدي.. هي نجوم الضهر بدها ناس تستاهلها.

أم فؤاد: هلاّ سعاد خانم لحا تعملي لها إيدين وإجرين. خلص بآ.. نحنا هون بالسهرة ما فينا نائد ومنؤود. وكل شي بيصير.. بالسهرة: هون حفرنا وهون طمرنا.. مو هيك صبحية خانم.

صبحية: امبلى. امبلى.. بس ما بدها تعرف سعاد خانم هالشي.

أم محمود: شو سعاد خانم بتأرجيها نجوم الضهر كرمالي سعاد خانم.

سعاد: والله مالي عرفانة.. بركي المخلوءة مالها معتمدة.. ما بدها.

أم محمود: شو صبحية خانم معتمده؟

صبحية: ما بتفرئ.

أم غسان: أي والله شهيتوني هالشوفة مرة تانية.

ألفت: وأنا بدكن تحسبوا حسابي. منشان الببو.

أم شكري: إذا ما بدها صبحية خِانم تصطفل.. أرجوني أنا بدالها.

أم محمود: هلاّ وئت وحامك أنت وياها على نجوم الضهر.. نحنا بدنا نصلحها بين صبحية وسعاد.. يما بدنا نأرجيكن نجوم الضهر.

أم ياسين: أي والله الحأ معك يا أم محمود.. بعدين نجوم الضهر مو حي الله، وما بيشوفها إيمن كان.. ومنشان هيك، خليها تشوفها صبحية الليلة، وبعدين انتو لاحئين.

أم محمود: شو إلتي صبحية خانم . . أنا منشانك . . يَا أم منجيّرها لأم شكري .

صبحية: لآ لآ أختي أم محمود . . يا ريت أنا شوفها .

أم محمود: لكان تفضلي سعاد خانم .

سعاد: على عيني بس أبل كل شي بدي إسألهن .

أم ياسين: سعاد!! . . بلا دوالج . . شو تسأليهن ما تسأليهن .

سعاد: الله يخليك أختي أم ياسين ، هي شغلة بيني وبينهن . . ماحدا دخله أرتجوك لا تزعليهن . . دستور . . دستور من خاطرهن ، دستور دستور لا تآزونا ولا منآزيكن!!

أم ياسين: مين هدول سعاد خانم؟! . . إن شاء الله هدول الحرتفوش والطبطبوش والزعزعوش والشيشموش والشمشخوش . واللح لح تبعك . . إذا على أيديهن ما عاد بدنا هالشوفة . . غنانا ألله .

أم محمود: لا تغلطي إختي أم ياسين هدول ما بينلعب معهن الشغلة ما فيها مزح أوام أوام بدك تستسمحي منهن . وكمان بدك تترجي سعاد لحتى تراضيهن . من شأنك أختي أم ياسين من شانك دستور من خاطرهن . . أحسن ما تتآزي بعيد الشر عنك .

أم ياسين: يو . . من غير شر . وينك صبحية . . إذا كان على إيد سعاد والأسياد تبعها . . بلا لك هالشوفة . . غناك ألله .

أم محمود: هلاّ أم ياسين شو بدنا بهالحكي . . المخلوءة ما آلت شي .

سعاد: أختي أم محمود اتركيها على راحتها . . مافي شي بالزور ، بعدين أم ياسين زنبها على جنبها . . أنا ما دخلت هه .

أم محمود: شو ما دخلت . . بيصير . . مالك حا . . لك هي إختي . . أختي أم ياسين مو هيك صبحية خانم .

صبحية: أي والله على سلامتها . . بيكفي دايسين بساطها .

أم محمود: لكان سعاد ، كرمالي هلأ ارجي صبحية نجوم الضهر ، وبعدين بتتواسطي لأم ياسين عند جماعتك . . منيح هيك .

سعاد: كرمالك أختي أم ياسين ، لحا أعمل جهدي ، بس ناولوني شي بطانية وكمان شي برودسين أديم . وإنت صبحية أربي لعندي وتأبّعي بها البروسين . وتطلّعي للسما ، لفوء ، من طاءة كم البردوسين ، وبدك تئطعي نفس من برأت كم هالبردوسين . ووئت بعدّ واحد أثنين . . ثلاثة . بتحبسي نفس وما بتتحرّكي منوب . . منوب . . ولحتى تكون صورة نجوم الضهر أحلى لحا نطفي الأضوية بس شوفي صبحية متل ما إلت لك مافي ولا حركة وئتْ بعدّ للتلاتة . لحتى ما تغَيم الدنية وتضبضب ويصير رعد وبرء ومطر هيك بتروح عليك هالشوفة . منيح هيك؟

صبحية: متل ما بدك .

سعاد: لكان يالله لشوف .

تضع سعاد البطانية عليها وتتابع صبحية بالبردوسين وعندما تتأكد سعاد أن صبحية تحت البردوسين بشكل سليم ، ترفع عنها البطانية وتعد: واحد ، اثنين ثلاثة . . وعند قولها ثلاثة تدغدغ صبحية ، فتضحك وعندها تصب سعاد إبريق ماء من فوهة كم البردوسين ، ترتعش صبحية فتقول سعاد:

سعاد: له . . له . . . له . . لك ليش هيك تحركتي؟ ما إلت لك لا تتحركي . . يعني هيك أحسن ، هي غيمت الدنية ، ونزلت المطر وما طلعت نجوم الضهر .

تكشف صبحية البردوسين عنها، فترى إبريق الماء بيد سعاد. . تنقض عليها ضرباً ولطماً وغضّاً وشد شعر، بين ضحكات الساهرات وتصفيقهن.

٨ـ صافي يا لبن:

صبحية: نجوم الضهر ما هيك. . يبليك بداء ما تبرئ منه. لك محوراة هي نجوم الضهر تبعك. . والله لأعمل فيك ساعة سماعة. . وخليك تمشي عالعجين ما تخربطيه. . لك. .

أم محمود: أي أي صبحية خانم. . شبنا بتصير بأحسن، الآعلات.

أم ياسين: تعيش وتاكلي غيرها صبوحة. . شو نسيتي شو عملتي بسعاد؟

الساهرات: حبيبي بيحب التش. . حبيبي بيحب التش. .

صبحية: أي. . أي انبسطي انبسطي، أنا إلك يا سعاد، اعملي وكتري وهي ليلة يا مكاري. . . والأيام بيناتنا. . لشوف آخرتها معك.

سعاد: إي لآ حببوتي لآ. . اسكملة هالوش، طرابيرة هالراس. . لا تزعلي. . لا تزعلي. إن شاء الله بكرة بتكبري وبتحكي لولادك.

صبحية: هلاً لحا تضبي لسانك يما لأ. . . (٦)

أم محمود: بس سعاد خانم. . حاجة، كمان أنت صبحية عم نمزح معك، شو صار؟

صبحية: لهلاً ما صار شي؟ أنا بعرف شغلي معك يا سعاد. وياويلك وسواد ليلك.

أم محمود: صبحية حاج بآ. بزعل منك، شو نسيانة إنه نحنا آعدين بالسهرة.

صبحية: أي والله فصلها بليس ما عملوا، وشلون فاتت علي ما بعرف.

أم محمود: وهلاّ منشانك لحا تئوم سعاد وتراضيك وتبوس راسك لأنها ما بيهون عليها زعلك.

سعاد: أي والله، وهي لحا أوم راضيها وبوس لها راسها، ومن عيني هي أبل هي. هي صبحية ألبها أبيض، مو هيك صبحية.. عالحساب بدنا نروح سوا ناكل محلاية من عند بكداش.

صبحية: ولي عليك شو أوية. من إيمتى هالكلام؟

سعاد: لمن تواعدنا نجي سوا عالسهرة..

صبحية: لك آخ منك آخ.. شو بدي استفكر من عمايلك لاستفكر. لك إنت متل السفرجلة كل عضة بغصة.

أم فؤاد: وأنا لحا أعمل لكن السهرة الجاية الكرواية وحباشاتها صلحة.

أم بسام: أختي أم فؤاد أبل الكراوية، شو صار بالحكاية اللي وعدتنينا فيها هديك السهرة؟

أم فؤاد: أنا زاهرة. بس يا جماعة.. ما تأخرنا عالحكاية الليلة.

الساهرات: أي والله.

أم فؤاد: وإلكن علي السهرة الجاية: الكراوية والحكاية..

٩ـ المعاجزة بالحزازير:

أم محمود: لكان مين لحا تسمعنا شي حزيرة الليلة؟

ناجية: يا ريت إلفت خانم تسمعنا الحزيرة الليلة، وأنا برد عليها بحزيرة.

إلفت: لآ يه، شو هالحكي، ناجية خانم. . العين ما بتعلى على الحاجب أنت أولى حزيرتك بالأول.

أم غسان: ديري بالك إلفت هي ناجية بدها تشركلك بالحزيرة. . هي وحدة كهينة.

إلفت: لا توصي حريص، تئبريني، يعني بدها تزحلئني، لحتى أول أبلها وبعدين تصطادني. . أي لكان إذا هية العدل أنا رباطه صاحيتلّها.

أم غسان: أي هيك بدي ياك، لحتى تعرف إيمتها.

إلفت: صعي هية أد حالها، وأنا إذا بعرف لي شي كم حزيرة بكون آخدتهن منها، بس أنا مالي متل مالها محسبة، علي نياتي. أنا بعجبك.

ناجية: اسمعوا هالسمعة. . مجنون يحكي وعائل يسمع. . آل علمناه عالشحادة أم سبأنا على البواب.

إلفت: خليها تحكي لحتى تشبع، الحكي ما عليه كمرك، والآخرة يا فاخرة. آل يا حواجيه يا عيونه. . آل ليكه عالمغتسل باين.

ناجية: لكان إلفت لا تزعلي إذا زنأتك وأخذتك باصرة.

إلفت: تف تف. . تف يامو خوفتيني. . تف تف. . كش برة وبعيد. كش برة وبعيد. شوفي ناجية خانم. . أنا إلفت وفتحي عينك أد الطبأ، أنا جبل ما بيهزه ريح. .

ناجية: باين عليك وعلى أوالبك(٧).

أم محمود: وهلاً لا يمتي بدكن تضلوا تتناءروا. افرطوا لنا هالمسبحة بآ. .

أم ياسين: شو آل ناجية خانم؟

ناجية: مين هاد تئبريني.

أم ياسين: يللي حفر ونزل وأعد يغزل.

ناجية: الورد بالإفّة.

والمص بالشفة.

والداخل بالداخل.

والحمام بالآخر.

أم غسان: أي ما يبلى.. ما يبلى.. الله يسلم هالتم.

أم بسام: أي شو هاد.. مسبوكة سبك ومحبوكة حبكة لا أبلها ولا بعدها. شي بياخد العئل.

أم أكرم: أم بسام حاجتك.. بآ.. تخنت، يعني بلا وجهنة ولوفكة.

أم بسام : لا تغلطي أم أكرم.. والله حزيرة حلوة.

أم أكرم: ما إلنا شي، بس ليش هالوجهنة.

أم فؤاد: ناجية خانم.. فينا نجاوب مع إلفت خانم.

ناجية: لكان أم فؤاد لكان.. شو عليه.

سعاد: بس ياريت تعيدي لنا الحزيرة.

ناجية: مو تكرمي.. وعلى عيني.

الورد بالإفّة.

والمص بالشفة.

والداخل بالداخل.

والحمام بالآخر.

إلفت: هلاّ ناجية . . ما بيصير بلا مصمصة .

ناجية: لآ تئبريني بعدين بتبوخ الحزيرة ، وبتصير ماإلها طعمة إسألي حالك .

أم فؤاد: ناجية خانم ، بدي إسألك هالسؤال ، معليش؟!

ناجية: لآ . . يه إسألي يللّي بدك ياه .

أم فؤاد: من وين بتجيبي هالحزازير .

ناجية: شوفي ، أختي أم فؤاد ، بها الراس فيه مخ مو صندوء بويا ، وهادا المخ عم يشتغل .

أم فؤاد: أولك . . الهام .

ناجية: أي تشكلي آسي . . الهام عيني الهام .

أم محمود: ودخلك ناجية خانم هالإلهام دايم الدوم بيجيكي؟

ناجية: ياريت .

أم محمود: لكان .

ناجية: بس كون سهرانة معكن تئبريني .

أم بسام: وبالبيت .

ناجية: كل شي لحاله ، بالبيت غير شكل!!

أم محمود: ناجية خانم . . خدعتك بالله ، هالحزيرة حزيرة يما حب وهيام؟

ناجية: شكيتك لعينك ، كمان الحزيرة فيها حب وهيام .

أم أكرم: لِكان شو هاد يللي إلتيه بالحزيرة .

ناجية: كلام حلو ومدوزن عند يللّي بيعرفوا . .

إلفت: مأكول يما منضور ناجية خانم؟

ناجية: لأ . . مأكول . .

إلفت: يعني الكريفون؟

إلفت: لأ . مو الكريفون .

سعاد: لكان البردآن .

ناجية: كمان مو البردآن .

أم ياسين: يعني مو الأركيلة .

ناجية: كمان مو الأركيلة . شبنا أم ياسين الأركيلة مأكول شي!!

أم محمود: لكان هي حزيرة معاززة .

ناجية: الله يسامحك يا إم محمود . . هلاً هي حزيرة معاززه . . أي باينة .

أم ياسين: لكان شو؟

ناجية: يعني عززتوا . .

الساهرات: أي عززنا .

ناجية: هي الرمانة . . الرمانة ، ماحدا منكن آكل رمانة؟!

أم فؤاد: يي . . يي . . أي والله مزبوط .

أم غسان: بس بدكن الحأ . . حزيرة حلوة ومرتبة . . الله يسلم هالتم ناجية . خانم ، والله بيلبأ لك الدلال .

ناجية: مافي مين يئدّر!

أم ياسين: ناجية خانم، بس بدي إفهم، شلون مو الأركيلة.

ناجية: شو جاب لجاب.

أم ياسين: هلاً يا جماعة اسمعوا مني:

الورد بالإفة: يعني نار الأركيلة

والمص بالشفة: النربيش.

والداخل بالداخل: ألب الأركيلة.

والحمام بالآخر: مية الأركيلة

بأ يا جماعة شلون مو الأركيلة. مو هيك ناجية خانم.

ناجية: شوفي أختي أم ياسين، لو ما إلت: إنها مأكول، بيزوز تكون أركيلة، أما بحزيرتي هية: الرمانة.

أم محمود: الدم يشويكي، بتركبي إدن الجرة مطرح ما بدك. .

أم ياسين: وهلاً بدنا نسمع إلفت خانم شو لحا ترد، على ناجية.

إلفت: أي ستي:

طاسة طرن طاسة.

بالبحرة غطاسة.

جواتها لولو.

براتها نحاسة.

صبحية: أي ناجية خانم، حلوة ما هيك.. حلوة يسلم هالتم إلفت خانم.

ناجية: شيت أنه حلوة، حلوة كتير وحرزانة، وكنت محتارة. أولها يما أول حزيرة الورد بالإفة.

إلفت: شو يعني؟

ناجية: يعني حزيرتك كمان الرمّانة.

سعاد: تبع المصمصة؟

ناجية: بذاتها.. يعني في حدا ما شاف رمانة بالبحرة شلون بتفوش وبتغطس متل البطيخة.

الساهرات: أي والله.. إي والله.

إلفت: لكان ناجية خانم لحا أول لك حزيرة جديدة خليها معك بيُّوت للسهرة الجاية، وإذا حدا بيحب يؤول شي السهرة الجاية منسمعه.

أم محمود: شو هالحزيرة إلفت خانم؟

إلفت: آل: دأ الباب بنهترة.

فتحت لـه بتنورة.

جايب لي وئية لحمه وجرزة كزبرة.

آل لي اعدي الوف ألوف.. وصفي صفوف صفوف.

إلت له: جايب لي جدي.. يما خاروف.

أم محمود: يعني ما حدا يفكر بها الحزيرة هالسهرة.

إلفت: لأ.. خليها للسهرة الجاية، إذا ألله أحيانا.

أم محمود: لكان يا أم ياسين صار بدها فنجان أهوة. وبدنا ما تنسانا أم فؤاد من الحكاية السهرة الجاية.

* * *

الهوامش والحواشي:

١- المزاحنة: المكايدة، ورأة: ورقة. ألبي: قلبي. أريضة: الانقراض. دعوة كيد. ليش: لماذا. الطراءة: الطراقة، المصيبة. انطعجي: أرادوا: اقتربي بالورق. شوي: قليلاً. هلأ: الآن. لحا: سوف. ما بتطلعي عن ضربة: كناية عن الحرص. هي: هذه. إلت: قلت. بآ: عجلي. يما: إما. الطلئ: المخاض. أربي: اقتربي. هيك: هكذا. بَصْبَصَةْ: النظر خلسة. هون: هنا. إدام: أمام. الوش: الوجه. تزاوزوا: تماثلوا. سوا: معاً. خديها: خذيها. عازك وعوازك: أين منك التشبه بها. تطئك: تطقّك. جكرك: غيرتك. التش: المشاوير والنزهات. مش: تمشي. الروشة: مكان جميل بساحل بيروت. بيكش: يلتئم.

٢- وأتك: وقتك. إسمنك: طالما. الدم يشويك: دعاء دعابة. أوية: قوية. كمان: أيضاً. تطئك: تطرقك: تصيبك. لأبي: لابق، يليق. صبوا رزة: استنكار تفضيل. بلضمة وبربرة: كلام لا طائلة منه. تتناءروا: تتجادلن. كأني ماني: تلاعب. تطولي بالك: تتريثين. بركي: ربما. شو: ماذا. لحا: سوف. هادا: هذا. الآعلات: العائلات. هيك أولك: أهكذا، هذا رأيك. يللي: التي. تئي: انتقي، اختاري. الدرويشة: المسكينة. بح: انتهى. دبساتي مراء: كناية عن ضيق ذات اليد. طابوسة: حفرة.

٣- صبوحتي: دلع لاسم صبحية. تنكسر الشربة: يقع المحذور. الإرد: القرد، مطرح ما ضوع الأرد ابنه: محلة بين حي سوق صاروجة وشارع بغداد بدمشق. ألبنا مليان منها: مكيدون منها. البأرة: البقرة. يا واش: مهلاً. أبلين: قبل كل شيء. ليكها: هاهي. إدامك: أمامك. تمّ: فم. لبين: إلى

حين، ريثما. الإطة: الهرة. بوشه: في وجهه، أي على شكل وحمة. ليئوم: ليقوم، يخشى. شي: شي. شأفة: شقفة قطعة. طف ريئي: سال لعابي. أوم: أقوم. ديئ: ضيقة. العين الضيقة: الشحيحة. اللّغمطة: التلويث. أديش: كم. الشئي: الشقاء.

٤- بؤاتها: في وقتها. آآل: اقل. الفرء: الفارق. خص نص: على الأخص. كازوز: كولا. دابه: مالأة. معليش: لا بأس. ما تدولأتي: لم تأكلين. النهفة: السالفة. وئت: عندما. متألين بالأكل: أكل زيادرة عن الحد.

٥- أربي: اقتربي. تلان: ممتلئ: إشة لفة: الجميع بلا استثناء. امجئيها: قبليها. وشّ وأفا: على الوجهين. ساوي لها: اعمل لها. ما بئبل: لا أقبل. عامص: بالإكراه. لساتها: لا تزال. المأشة: المقشة، المكنسة. وهي خاصة بالمطبخ وحول البلاليع. تكشيره: تقزز. بتأدنوا: تؤذنون.

٦- بكسر الهاء: قسماً. الطريئ: الطريق. طلعت إيدها: زادت عن الحد. تأطّعوا: تمضون. برأبتي: برقبتي. لا يوأفكن: لا يوقفكن. نص: نصف. ايمن: أي من. تمزع العقل. الغئل العقل، والمقولة: تأخذ بالألباب. نائد: ناقد. ما بتفرئ: لا فرق. هالشوفة: هذه الفرجة. تصطفل: وشأنها. حي الله: أي شيء. منجيرها: نحولها. أرتجوك: أرجوك. أوام: بسرعة. يو: أداة استهزاء. زنبها: ذنبها. دايسين بساطها: ضيوفها. كرامالي: كرامة لي. بردوسين: معطف. أديم: قديم، بالي. أربي: اقتربي. تأبعي: غطي راسك. لفوء: إلى فوق أعلى. طاءة: طاقة كوة. تئطعي تقطعي، تئطعي نفس: تحبسي أنفاسك. الإضوية: الأضواء الأنوار. التلاتة: الثلاثة. الدنية: الدنيا. تضبضت: تتلبد بالغيوم. برء: برق. الآعلات: العائلات. سيئتك: سيقتك. عملت من الزبيبة خمارة: كناية عن المبالغة في معالجة الأمر. هية ليلة يا مكاري: ليلة وتنقضى. اسكملة: منضدة صغيرة، طربيزة أكبر من الإسكملة. تضبي: تحفظي.

٧- بليس: إبليس. تئوم: تقوم. ألبها أبيض: قلبها لا يحمل غلا أو حقداً. المحلاية: ضرب من الحليب مطهو بالنشاء. ومحل بكداش: من أشهر محلات بيع المحلاية وكشك الفقراء والبوظة بدمشق منذ النصف الأول من القرن العشرين، وهو في سوق الحميدية. أوية: قوية: إيمتى: متى. حباشات الكراوية: المكسرات وجوز الهند التي تضاف إلى مغلي مسحوق الكراوية مع مطحون الرز. زاهزة: جاهزة. تشركلك: توقعك. كهينة: داهية. تزحلئيني: توقعي بي. أبلها: قبلها. صاحيتلها: صاحية لما قدم نقوم به. إيمتها: مكانتها، قيمتها. صعي: صحيح. على نياتي: بسيطة. عائل: عاقل. سبأنا: سبقنا. زنأتك: حصرتك. باصرة: مسمى مشتق من ورق اللعب (الشدة) ويراد بالقول، عدم ترك المجال لحرية التصرف. كش بره وبعيد: مقولة على شكل تميمة لرد الأذى. أد: بقدر. الطبأ: آنية من أواني المطبخ واسعة الفتحة من أعلى. باين عليك وعلى أواليك: أرادوا التحقير والاستهانة.

٨- لأيمتى: إلى متى. تتناءروا: تتجادلون بشكل صدامي. افرطوا لنا المسبحة: أرادوا صلحة النقاش والتروي. الإفة: القفة من خوص. وجهنة: المداهنة. لوفكة: كلام غير صادر عن قناعة. يا ريت: ياليت. صندوء: صندوق. بويا: طلاء تلميع الأحذية. إلتيه: قلتيه. مدوزن: منسق. البردآن: البرتقال. الأركيلة: النارجيلة. معاززة: معاجزة. يلبأ: يلبق. يئدّر: يقدر، يعرف قيمته. إدن: إذن، مسكة. بذاتها: نفسها. تفوش: تطفوا. أوئية: أوقية (٢٠٠ غرام). جرزة: إضمومة.

تاسعاً:

١ـ مخاض الضيافة.

٢ـ مين أخد مين باصرة.

٣ـ على مين دق المثلاية.

٤ـ جناب مدهونة بدم الحردون.

٥ـ إجري وإجرك بالفلأة...

٦ـ متعة الحزازير من جديد.

٧ـ محبوبي من الزغر.. متولع فيا.

٨ـ حكاية لوما وأفتي عالعطار..

٩ـ يا ويله يللي ما بيخاف من ربّه..

١٠ـ أوم طلئها.. وبعدين بتعرف.

١ ـ مخاض الضيافة:

أخذت أم فؤاد على نفسها، تقديم حكاية في هذه السهرة، فضلاً عن مغلي الكراوية لكنها راجعت نفسها، ورأت أن مغلي الكراوية، ليس ضيافة مناسبة في سهرة، إذا لم يكن في تلك السهرة، مناسبة لولادة، أو نفساء. وبخاصة إذا لم يكن الطقس مائلاً للبرودة، أو بارداً.. فضلاً عن أن الكراوية في عرفهن، مفيدة في إدرار حليب النفساء لوليدها.. عمدت أم فؤاد إلى الحضور مبكرة إلى السهرة، لتضع أم ياسين في صورة هذا الخاطر، وأنها سترسل بدلاً من الكراوية، مما يتوفر في السوق من الفواكه، كالبرتقال واليوسف افندي والتفاح والتين المجفف والزبيب... انشرح صدر أم ياسين لهذه البادرة. وأعلمت أم فؤاد بحضور بعض الساهرات وإنهن يتسلين بلعبة الباصرة.. بورق الشدة.. بانتظار إكتمال حضور الأخريات.. فسألت أم فؤاد:

أم فؤاد: دخلك أختي أم ياسين، إجت إلفت وناجية؟

أم ياسين: أي لكان.. إجوا أبل الشحادة وبنتها.

أم فؤاد: وسعاد وصبحية؟

أم ياسين: صبحية لسا ما وصلت، بس سعاد إجت وغطت شويّ بعدين رجعت.

أم فؤاد: والله يا أم ياسين باينتها هالسهرة حرزانة.

أم ياسين: إن شاء الله، يالله تعي لنشوف شو صار معهن بالباصرة.

٢ ـ مين أخد مين باصرة:

انخرطت أم فؤاد مع لاعبات الباصرة، وكانت الملاسنة على أشدها بين ناجية وسعاد. وبخاصة بذلك النوع من الكلام المبطن الذي يحرك كوامن

الأحاسيس في نفس كل من الساهرات. وقد طال انتظار ناجية لسعاد كي ترمي لها الورقة التي عليها أن ترميها لناجية.

ناجية: يالله سعاد، شو صار معك، بإيش صفنانة، الحشي لك ورأة ضاء خلئي منك هه.

سعاد: أي أي بدك ورأة ما هيك، والله يا بنت الحلال بدك تطولي بالك علي شوي.. بس شوي.

ناجية: أنت طول عمرك هيك، ما بتطلعي عن ضربة.. مو بإيديك، أم كمونة..

سعاد: إلتي لي بدك ورأة مو هيك.. إه مو على عيني كل شي إلا خاطرك.. خيه اتسلّي بها الدأن.. بركي بيحكي لك عن شبابه.

ناجية: هادا يلّلي طلع من خاطرك.

إلفت: ديري بالك عليه ناجية خانم، ومنشان ما تضيء أخلائكن هي عروس بتونسه. خطي، خليه يدفا بهالبردات.

ناجية: صار بدهن حماية.

إلفت: هي أم فؤاد عز الطلب.. إلك ثواب أم فؤاد.

زم فؤاد: لآ بعدي لآ. أنا عندي كنة متل الخانم بإصبعتي. مو نائصني. ولحتى ريحكن هي آشوش، شب مشورب.

ناجية: يالله سعاد، وين الباصرة، يالله أمورتي، الحشي باصرة أوام حبوبتي.

سعاد: شوفي ناجيّة لحا أعطيكي باصرة تسعدي فيها لولد ولدك. منيح هيك وهي زويزة.

ناجية: زويزه بعد حين ومين يا منظومة. . بس زويزة!

سعاد: أي منيحة وكتيرة عليك.

ناجية: يالله. . أحسن من بلا، مكسب. . وهي العشرة الطيبة إلك إلفت خانم، خديها باصرة.

إلفت: منيحة. . إجت بوأتها.

تهمس سعاد بإذن أم ياسين، صاحبة الدار، وتقول لها:

سعاد: عندي مشوار زغير - هي أختي أم بسام لحا تنزل مطرحي. . بدكن ما تآخذوني يا جماعة. ما بطول.

أم ياسين: الله معك سعاد خانم. . خدي أم بسام ورأ سعاد وانزلي مطرحها.

أم محمود: لك أختي، هلاّ خلونا نئيم هالشدة، لاحئين السهرة لساتها بأولها. وخلينا نعرف ليش ما إجت صبحية لهلاّ[1]

٣- على مين دور المئلاية:

أم ياسين: أي صعي ليش ما إجت صبحية يا جماعة مالها بالعادة.

إلفت: لآ أختي أم محمود، خلينا نكمل الدأ.

أم شكري: لفيها بآ. . خلينا نعرف شو بها صبحية. . شو صاير معها!!

أم بسام: إي إلفت خانم ما شفت شلون آمت سعاد لمن عرفت أنه صبحية ما إجت.

أم محمود: لكان منشان هيك فركتها؟

أم غسان: لتكون صبحية لساتها آخده على خاطرها من سعاد لأنها أرجتها نجوم الضهر.

أم شكري: إي لآ أم غسان مو كل هالأد، هي صبحية وسعاد راسين بطائية.

أم محمود: أبصر شو صاير، حاكم بيناتهم ألوب مليانة، مو رمانة، وبيزوز يكون المخبى أعظم.

أم ياسين: أولك روحة سعاد فيها إنّ؟

أم فؤاد: والله يا جماعة الشغلة باينة متل عين السمس، صبحية لساتها زعلانة من سعاد، من وأت ما أرجتها نجوم الضهر.

أم غسان: لأ وي أم فؤاد، لا تكبرّيها كتير.. هدول ما بيزعلوا من بعض ومتل ما بيؤل المتل: بين النور ما في تكليف.. وهالخد ياما معود عاللطم.

أم شكري: بتعرفوا يا جماعة إنه محضر صبحية، زعلانة رضيانة، بيحلي السهرة.

أم محمود: إي والله وخص نص لمن بتتنائر مع سعاد. الضرسانة إلها وحشة!!

ناجية: وكمان يعني، لا تنسي إختي أم محمود، إنه ارتاحت أدانا منهن شوي.

تعود سعاد إلى السهرة وقد سمعت طرفاً من الحديث بين الساهرات:

سعاد: لك محورئين، شو عم تبربروا؟ ما حلكن.. هادا ما كون غايبة عنكن من حأ، كنتوا نشرتوا عرضي على بيرأ بالمرجة.

أم محمود: ينتفوك على هالنيّة العاطلة.. استفأدنا صبحية خانم، إلنا لحالنا: لتكون لسّانها آخدة على خاطرها منك من هديك المرة، لمن أرجيتيها نجوم الضهر، ومنشان هيك ما إجت الليلة عالسهرة(٢).

٤ـ جناب مدهونة بدم الحردون:

سعاد: لآ بعدي لآ ، لا تهكلوا همها ، اليوم عملت صبحية عندي ، وشربنا الأهوة سوا ولي عليها مافي شي بيزعلها ، عليها جناب متل الطناب .

أم ياسين: أي والله ، إنتوا من عمركن حبايب ، ومافي شي بيفرئ بيناتكن الله يخليكن لبعض .

سعاد: الله يخليك أختي أم ياسين ، هادا من زوئك ، مو متل ما عم يئولوا هالأوادم .

أم فؤاد: لكان دخلك شو تحاكيتي إنت وياها بآخر هديك السهرة . أكيد كانت زعلانة منك .

سعاد: يعني شو تحاكينا . يما بالزور بدك يانا نكون زعلانين من بعض عم أول لك ما في شي ، واليوم على بكرة شربت الأهوة أنا وياها سوا عندي بالبيت . . منيح هيك .

ناجية: هلأ بدي إفهم من إيمتى كانت صبحية خانم بتزعل . . لك يللي بتتحمل حماية متل حماتها مافي شي يزعلها . . ومن شان هيك يامن تراها مشئرأة وبايعتها بإشرة بصلة .

إلفت: ومن زغرتها وكانت تئول: مافي شي بيستاهل الزعل ، باكل بفنش ، بسمع بطنش . . وخربت عمرت زاحت عن ضهري بسيطة .

سعاد: بآ . . آل آخده على خاطرها . . لك هي وحدة متمسحة متمسحة ، بتعرفوا شو معناة متمسحة!!

إلفت: يمكن ما بتصدوا إذا إلت لكن إنها دهنت حلها بزغرها بدم الحردون . آل شو ، لحتى إذا ضربتها أمها ما تحس .

٥ـ إجري وإجرك بالفلاة..

بمجيء صبحية إلى السهرة تجددت المماحكات والاستفزازات بين سعاد وصبحية، حتى لكأن الود الذي كان بينهما على كف عفريت.. كانت البداية من سعاد، بتعليقها على تأخر صبحية، ومن ثم الكلام جر الكلام، إلى ما آلت إليه الأمور.

سعاد: وهي شرفت الخانم.. وإنتوا بآ استلموا الجمل بما حمل.

صبحية: مساء الخير... مين حاطين الليلة بالمثلاية.. يه.. شبكن مبهوتين؟

أم محمود: مافي شي صبحية خانم.. بس شغلت بالنا، استفأدنا لك.. ليش لهلأ!!

صبحية: لله لا يشغل لكن بال على غالي.. وهي دأني.

ناجية: حسبناك لساتك زعلانة من سعاد خانم بعد هديك السهرة لمن أرجتك نجوم الضهر.. إمتِ ما إجيت.

صبحية: ليش بعدي، صعي أنا نأزت، وعلّمت عليّي هالمنظومة.. بس والله لطالعها من عيونها عامص..

سعاد: بالله شو؟.. إيدك وما تعطيك.

صبحية: أي هه.. تطئك.. العين السفاءة.

سعاد: شوفي صبحية، أنا الليلة مبسوطة، وماله جاية على بالي إتعكر. وأد ما بدك إحكي.. مالحا رد عليك.

صبحية: بالله شو؟ إذا أنت مبسوطة أنا شو ذنبي، أي تعي لهون، بسطك شي يطأطئ جلدك. إي والله ما بيهنا لي عيش إذا بخليك رايئة.. أولي

لشوف: شو يللي باسطك؟ نجوم الضهر . . أنا الليلة بدي أرجيك نجوم على بكرة والعصر . . وخليك تخانئي خيالك ، وأنت خلي الأسياد تبعوتك ينفعوك لشوف .

أم شكري: أي طولي بالك صبحية خانم ، طولي بالك إزرعيها بها السوالف ، يمّا ما إلي معزة عندك

صبحية: أنت على عيني أم شكري . . بس بتلائيها حلوة تكون هالمنظومة مبسوطة وحدها ، وتصول وتجول بالسهرة ، وأنا جاية ومتحمضتلها ، وما إإدر ساوي معها شي . . أي بعيده على سنانها .

أم ياسين: هلاً ما كنا نخلص من نجوم الضهر . ما تصافيتوا هديك السهرة . إلنا لحالنا لحا نسمع الليلة حكاية من أم فؤاد . . شي حزيرة شي نهفة . . نكته . . تاريك لساتك معبّاية من سعاد خانم . . وما حدا أد حدا .

أم محمود: عالحساب كنتو عند بكداش عما تاكلوا محلاية صبحية خانم . . . وشربتي اليوم عند سعاد الأهوة سوا .

صبحية: أي أم محمود ، بس هون بالسهرة كل شي لحاله .

أم محمود: شوفي صبحية ، سعاد الليلة ما زعلتك ، وما عليها حأ . . لعند هون وبس ، وإذا بدها توصل بيناتكن لهيك مواصيل ، إفرطوا لنا هالمسبحة ، وبلاها هالسهرة . . وخلي كل وحدة تنضب ببيتها وخلينا حبايب أحسن .

صبحية: أختي أم محمود كلامك على عيني وراسي . . بس أنا ما بعرف ليش ما بيهنا لي عيش إذا شفت هالمنظومة سعاد مبسوطة . . لازم تكون مكركبة لحتى روّيء واصطهج .

سعاد: بالله شو .

صبحية: لكان

سعاد: وضريب يئشك(٣)

٦ـ متعة الحزازير من جديد:

نفست صبحية عن ما كان يجول بخاطرها تجاه سعاد، إزاء مقلب نجوم الضهر، الذي شربته من سعاد بالسهرة الماضية. . وعادت المياه إلى مجاريها بين سعاد وصبحية. وحتى لا تعود الأمور إلى التأزم بينهما، سارعت أم محمود، إلى الانتقال إلى جو الحزازير.

أم محمود: وهلاً يا جماعة، لحا نسمع الحزيرة من مين بهالسهرة.

صبحية: من أم شكردم.

أم محمود: ما فهمت مين هي أم شكردم.

صبحية: ليكها إدامك تبع شمبورش وخدامينه.

سعاد: أنا إلك يا أم إشكح.

أم محمود: لحا ترجعوا تتناسبوا؟! ما خلصنا. وينك ناجية خانم؟

ناجية: عم تحاكيني إختي أم محمود.

أم محمود: وحياتي عنك. تخلصينا من هالزوز، وتعطينا شي حزيرة من حزازيرك الحلوة.

ناجية: كان علي عيني، أختي أم محمود. . بس ما بدنا نعرف شو صار، بحزيرة إلفت خانم تبع هديك السهرة.

أم محمود: أي والله. هي الحزيرة تبع دأ الباب بنهترة. . شو إلت إلفت خانم.

إلفت: إسألي لنا ناجية خانم شو صار معها.

أم محمود: لكان إلفت خانم إذا ما بيصير سئلة عيدي لنا حزيرتك.

إلفت: اسمعي ناجية خانم. آل:

دأ الباب بنهترة.

فتحت لـه بنتورة.

جايب لي وئيّة لحمة وجرزة كزبرة.

آل لي: صفي صفوف صفوف.

وعدي ألوف ألوف.

إلت لـه جايب لي جدي، يما خاروف!!

ناجية: بدكن الحأ.. حزيرة حلوة.. حلوة كتير وما عليها حكي.

أم بسام: يسلم هالتم إلفت خانم، أي لكان: مو كل من صف الصواني آل أنا حلواني، يا سلام.

ناجية: الله لا يسلم فيك ولا عضمة.. شو فهمتي منها آ... يما وجهنة وبس.

أم بسام: أي والله ناجية خانم.. شو معناتها.

ناجية: احزري بعدي.. احزري.. ما بالي عاجبتك كتير؟..

أم فؤاد: مأكول يما منضور إلفت خانم؟

إلفت: مأكول.

ناجية: تاكلك حيّة بسبع روس وما تسمي عليك.

أم محمود: هلاّ شو بدنا بها الحكي . .

ناجية: على راسي ام محمود ، خلينا بالحزيرة . . هه سحبتها . . أي إلفت خانم .
إلتي مأكول مو هيك . . يعني فواكي؟

إلفت: لأ .

ناجية: خضار؟

إلفت: ولا خضار .

ناجية: لكان طبخ .

إلفت: فيكي تئولي طبخ .

ناجية: إلت لحمة و كزبرة . . شو هية يا ناجية شو هية يا ناجية . إي إلفت هالأكلة بدها لبن؟

إلفت: أي بدها لبن .

ناجية: هاها . . . لحمة و كزبرة و كمان لبن . . لك محوراة هي الششبرك .

إلفت: مزبوط .

أم شكري: يالله ناجية بدها ردة من عندك .

ناجية: على عيني . . اسمعوا لكان . سمعانة إلفت؟ . .

إلفت: هاتي لشوف أنا معك .

أم محمود: يالله ناجية خانم ، شو عم تستني؟

ناجية: طولي بالك أختي أم محمود . . عم دوزنها بعألي شوي .

أم ياسين: وبعدين؟

ناجية: يا ستي آل:

مرأرأ حفاته.

مسأسأ جواته.

آل لها طيب يا مره.

آلت لـه كل يوم هاته.

وهيك يا إلفت ما فيكي تحوصي وتلوصي، وتنفشي ريشك على حدا.

إلفت: أنا يلي عم بنفش ريشي يما إنت. وعلى إيش بعدي على هالحزيرة. ياريتها حرزانة.

أم شكري: هلاً هي حزيرة؟ إي مو شي إدام حزيرة إلفت خانم.

أم بسام :إي والله هينة كتير.

ناجية: هيك عم تؤلي أم شكري وكمان إنت إم بسام؟.

أم بسام:أي. . ويعني شو فيها حزيرتك.

ناجية: ما لحا رد عليك. إي إلفت. . شو إلت؟

إلفت: فيك تعيدي لي ياها.

ناجية: شو عليه. . بس ما بعيدها مرة تانية.

إلفت: متل ما بدك.

ناجية: مرأرأ حفاته.

ومسأسأ جواته .

آل لها: طيب يا مرة .

آلت له: لك يوم هاته .

إلفت: مأكول يما منظور؟

ناجية: لأ مأكول .

إلفت: يعني ما بيصير بلا سأسأة؟

ناجية: لأ . . ما بيصير .

صبحية: بيصير أنا احزر ناجية خانم .

ناجية: ليش ما بيصير . إذا ما لحا تعرفها إلفت!!

إلفت: الواه الواه عليك . . أنا يا ناجية مالحا أعرفها .

أم محمود: معليش إلفت خانم خليها تجرب صبحية عن بين ما تتذكري .

صبحية: يعني اللحمة بالصحن ، ناجية خانم؟

ناجية: لأ بعدي .

أم بسام: لكان الأطايف العصافيري .

ناجية: ولا الأطايف العصافيري ولا الستاتي . بالأشطة .

أم بسام: لكان ناجية خانم أربي لنا ياها شوي .

إلفت: ليش بعدي . . أنا لحا أرب لك ياها إختي أم بسام .

الساهرات: ما بيصير إلفت الحزيرة مو إلك ، مالك حأ .

ناجية: ليش نطيتي متل حمصة الكي . . أنت خليك على جنب ، لسا بدك فت
خبز لتؤلي هيك حزازير .

إلفت: سمعانين يا جماعة ، شو عم تئول ناجية ، وأنا هلأ بدي ارجيها إيمتها .

أم محمود: بس ما بدها آل وإلنا ، متل سعاد وصبحية كلمة ورد غطاها .

إلفت: وأنا لحا أول لحزيرة ناجية رد غطاها .

أم محمود: سمعونا يا جماعة سمعونا شو لحا تئول إلفت .

إلفت: شوفي ناجية خانم . آل:

عركني وعركته .

ولمن حمي ، عملتها تحته .

بآشو هاد يا ناجية .

أم بسام: يو . . الله يسلم هالتم . . هي حزيرة بأ يا جماعة . . ما إلنا لكن مو إيمن
صف الصواني آل أنا حلواني .

ناجية: أي يحلى وبرك . . يعني عرفتيها بعد إمك . .

أم بسام: أي لكان بعدي .

ناجية: هادا إرص الكبة المشوي ست الحسن .

إلفت: يلي مسأسأ وشايفة حالك فيه .

أم ياسين: إلفت خانم ما زال بتعرفيه ليش ما إلتيه .

إلفت: لحتى تعرف الخانم إني ما عزرت ، بس عم رتب لها الجواب لحتى تئول إن
الله حأ . . بآ ناجية خانم فتحي عينك . . وبيطلع لي إنفش ريشي عليك!

ناجية: هلاّ إلفت خانم منشان الحزيرة كل هالشي. . تضرب الحزيرة، كل الناس بتتعلم من بعضها. . بس إنت صايرة خلائك ضيئة، مالك عم تتحمليني. . وبدك تخانئي دبّان وشّك. . بدك تطولي بالك عالحساب نحنا حبايب.

إلفت: إذا كان هيك الحأ معك.

وتنهض ناجية لتقبل إلفت وتفعل إلفت مثل ذلك وتصفق الساهرات لهما. وتدخل عزيزة ابنة أم ياسين بالفواكه فتسارع ناجية إلى انتقاء أكبر برتقالة وأكبر تفاحة. قائلة. .

ناجية: هدول لحبيبة إلبي إلفت ومنشان الببو.

أم محمود: شو أم فؤاد. . ما صار الحكي كراوية.

أم فؤاد: إن شاء الله بخلاص إلفت خانم.

ويشرعن بتناول الفواكه، والمشارطة على عدد حزوز كل برتقالة وعدد بزرها في جو من الممازحة والمباسطة وتلقيم بعضهن بعضاً على سبيل المواكلة والمحبة. . ومن ثم تأتي عزيزة بمنشفة مبلل طرفها لمسح أيديهن من البرتقال. . إلى أن تقول أم محمود:

أم محمود: إن شاء الله دايمه يا أم فؤاد وعئبال عند كنتك بصبي.

أم فؤاد: تسلمي أم محمود وإن شاء الله عوافي وهنا.

أم محمود:لكان لحا نسمع هلاّ الحكاية مو هيك أم فؤاد[٤]

٧ـ محبوبي من الزغر.. متولع فيا:

وافقت أم فؤاد على طلب أم ياسين بسماع أغنية من ابنة صبحية قبل حكايتها

وأومأت صبحية لأم ياسين بالموافقة على غناء ابنتها زهرية، وتسارع أم ياسين إلى إعطاء العود لأم محمود، والدربكة لأم بسام، وتبدي أم فؤاد استعداد كنتها فريزة للرقص بالمشاركة مع أخريات من الساهرات، على إيقاع أغنية هلاّ لالا وليا. راقت الأغنية لجميع الساهرات، وأعادت النفوس إلى المؤانسة والصفاء.

زهرية: هلاّ لالا وليا　　　عيني يا لبنيا

محبوبي من الزغر　　　متولع فيا...

فيطربن ويعدن مع زهرية ترديد مذهب الأغنية بعد كل دور من الأغنية.

زهرية: هلاّ لالا وليا　　　عـيـنـي يـا لـبـنـيـا

محبوبي من الزغر　　　مـتـولـع فـيـا

لا رقب أنا بابكم　　　بـعـد الـعـشـا بنتفة

مدري إنتو نايمين　　　مدري سراجكم مطفي

مديت إيدي عالعنب　　　لأطـف أنـا أطـفـة

ضحك وآل لي　　　اسـتـحـو يـا حـرامـيـة

هلاّ لالا وليا　　　عـيـنـي يـا لـبـنـيـا

محبوبي من الزغر　　　مـتـولـع فـيـا

محلا هوا بيتكن　　　محـلا أعـودي فيه

لولا هوى بنتكن　　　شو كان لي غرض فيه

لو كان الهوى باللحم　　　لـشـرحـه وإرمـيـه

بس الهوى بالعضم وشـو طـالـع بإيـديـا
هلاّ لالا وليا عـيـنـي يـا لـبـنـيـا
محبوبي من الزغر مـتـولـع فـيـا
يا شوئي مين زعلك تـهـرب مـنـي دوم
على دربك يا حبيبي بتشتي أنـا ريـاحـي
حسيت غيري الشهد تـاري المـر فـيـه
يا رب يدوب التلج ويرجع المحبوب ليا .
هلاّ لالا وليا عـيـنـي يـا لـبـنـيـا
محبوبي من الزغر مـتـولـع فـيـا

٨ـ حكاية لوما وأفتي عالعطار:

بانتهاء أغنية زهرية ، تدخل عزيزة ابنة أم ياسين بالشاي فتقول أم محمود:

أم محمود: لك بنت الحلال إيمتى صار الشاي ، ما ببالي إنت وعزيزة معنا ، ومن شوي كانت الله يسلمها عم ترئص مع كنة أم فؤاد .

أم ياسين: يعني أأل منها . . منشان واجبكن

أم غسان: أي والله هيك لحا نتئلها عليك .

أم ياسين: لك أختي شو هالحكي والله بألبي وعيوني ، مجيتكن غالية .

أم بسام: إن شاء الله تضلي سالمة .

أم محمود: وهي أم فؤاد لحا تحكي لنا الحكاية . .

أم فؤاد: وأنا زاهزه. . بس بدكن تطولوا بالكن علي، حاكم هالحكاية يللي لحا إحكي لكن ياها. أديمة وسمعانتها أكثر من مرة. يعني متل ما بيئولوا لحا ولفّ لكنّ من كل إرنة شوي.

أم محمود: خدي راحتك تئبريني.

أم فؤاد: هادا يامرحومة إلبَيّ، كان ياما كان بأديم الزمان، منحكي لننام يما منصلي عالنبي (صلى الله عليه وسلم) بدر التمام لحتى كان.

الساهرات: اللهم صلي وسلم وبارك عليه.

أم فؤاد: كان بزمانه في وحدة أرملة، بعيد عنكن، عايشة وحدانية مأطوعة من سجرة. لا أم ولا أب ولا أخ ولا ولد ولا تلد. . إه آلت لحالها. والله لأشتري شي أوئية ملح، وإجي إكبس هالخيارات مخلل. .

وبلا طول سيرة عليكن فزت هالمخلوءة وتأبعّت بملايتها وأخذت درب طريئها لعند العطار لتشتري الملحات. بالظاهر الدنية يوم خميس والناس كلها وائفة عالعطار بدها تاخذ غراضها، لمن شافت هالزحمة عند العطار تضايئت هالمخلوءة وآلت للعطار: الله يخليك والله تأخرت. آم آل لها العطار: يا إختي بدك تطولي بالك، في نسوان أبلك كتير. . أنت هلاّ وصلت.

ردت صارت تتدخل عالعطار لحتى آلت لـه: يا أخي والله تأخرت على شغلي، ما بدي غير أوئية ملح، غيري بيستنى، شغلتي بسيطة.

آم طلع خلئ العطار عليها وآل لها:

لك اختي بدك تطولي بالك، شو شايفتيني عم إلعب. .

هالمخلوءة أخدت جزوها الله وآلت لحالها: والله لولا وأفتي عالعطار لكنت غزلت أنطار(٥).

بالظاهر عند العطار واحد بيشتغل بغزل الصوف كان وائف بمشيئتها. ولمن سمعها شو آلت للعطار، لعب الفار بعبه، وآل لحاله: أذا كانت بها الوأفة عند العطار كانت بتغزل أنطار، لكان باليوم أديش بتشتغل؟ والله يا ولد نأشت معك.

بآ، وبلا طول سيرة عليكن، هالزلمة أرب من الارملة وآل لها:

- يا آختي.

- عم تحاكيني.

- أي أي اختي.. تعي هالناح شوي لأول لك.

- إإمور.

- ما يئمر عليك ظالم.. أختي لاحياء في الدين.. إنت..

- خير إن شاء الله.

- يعني عم بسأل، إنت متزوزة شي؟

- لا والله زوزي عطاك عمره.

- وإذا تأدم لك، شي ابن حلال متل حكايتي، آدمي، كسيب وهيب، من بيته لشغله، ومن شغله لبيته، بتتزوّزيه؟

- إذا ألله بعت لي هيك ابن حلال شروى إحسانك.. ليش لأ.

- لكان وين بيتك؟

آلت لـه يعني متل ما بتؤولوا: أبل المصلبة، بحارة الدَبّة.

أم آل لها: لكان أنت اسبئيني عالبيت، وأنا لحا روح جيب الشيخ والشهود وإجي.

راحت هالمخلوأة على بيتها، وهالرجال نزل عالسوء، بعت لها: هاللحمة هالخضر، هالفواكي يللي بيشتهيها ألبكن. . هالمحلي. . هالهية. . . من كل شي أكتره، وعند عشية إجا لعندها وجاب معه الشيخ والشهود.

إن شاء الله عبئال الحبايب كتب هالشيخ كتاب بنت الناس على ابن الناس، وعلاّ الجواب، وكل مين راح بحال سبيله.

ليلتها، أعدت هية وياه، أكلوا شربوا حكوا لأشوا ضحكوا لعبوا، سبحان رب يعلم بيناتن. لحتى حطوا راسهن وناموا.

عند على بكره آل لها:

ـ يا بي. . إنت أديش بتشتغلي باليوم؟.

ـ يعني أنا بساعتي بغزل أنطار.

هالزلمة حسبها بعأله وآل يا رب العون، وصار يشتري صوف من هالمحلات ويبعت لها ياه، يشتري صوف ويبعت لها ياه. وكل ما آل لها:

ـ حاجة يابي.

ـ تئول لـه شو حاجة. هدول يا دوبهن شغل ساعة زمان.

يرد يبعت لها وهية تئول له: بعات. . بعات كمان. . لحتى صار باعت لها سبع تعشر انطار.

أم شكري: يحورؤوه شو طماع.

سعاد: ولي على آمته. شو مستوطي حيطها. . الطمع بالجامع.

أم فؤاد: الحاصل لـه. . هالزلمة ما تاريه عئبال عندكن، بده يروح عالحج.

سعاد: هاها، منشان هيك، كوم لها هالصوف. . حاسبها. . تاريه شيطانه تحت باطه. .

أم بسام: شو بده أحسن من هيك. . إجته مرة سيكار وبيكار.

أم فؤاد: أي ستي بيرجع مرجوعنا لهالزلمة:

أم شكري: أي أم فؤاد شو صار بعدين.

أم فؤاد: مالي جايبتك بالحكي. . هالزلمة ضب غراضه، وفرد هالكتان وسافر على كف الرحمن، واتكل على يلّلي عينه ما بتغفل ولا تنام بعدي اسمه.

هو راح من هون وهالمرة، صارت تفوت من عند جاره لعند جاره وهالصوف ملحوش بأرضه والعنكبوت وصل للأرض، والبيت عام عوم.

إلفت: ولي عليها شو حوبة.

سعاد: أختي أم فؤاد، في نسوان هيك وخمين؟

أم فؤاد: بالحكاية في أكتر من هيك.

أم محمود: يا جماعة أجلو لنا هالحكي لبعدين، خلونا نسمع شو صار بالمخلوءة.

أم فؤاد: أي والله، إذا ما بدكن تسمعوا حاجة لهون.

أم محمود: لا تئبريني ازرعيها بدأني. كرمال هالسوالف. كملي كملي.

أم فؤاد: إه هالمخلوءة، يوم بعد يوم، ما دريت إلا هالجوخدار جاية، وجايب معه مكاتيب الحجاج، لأهاليهن. . إنه بعد كم يوم لحا يوصلوا للشام.

بآ هالمخلوءة لمن درَيت إنه زوزها جاية، احتارت شو بدها تساوي. ولمن شافت هالصوف مكوم غط على ألبها.

بلا طول سيرة عليكن، ومن عجئتها تشركلت بالعتبة ووئعت وما عاد فيها تئوم. صارت تبكي وتنوح وتئول:

شيخ منفاخ يا شيخ منفاخ.. دشرني زوزي وراح دخلكن مين بده يعزل البيت ومين بده يغزل الصوفات. شيخ منفاخ.. يا شيخ منفاخ.

ومن كتر ما آلتها وهي عم تبكي وتنوح، بالظاهر ابن ملك الجان، قل هو الله أحد، كان على ألبه سبع دبلات. لمن شاف هالشوفة. آم طاب من كتر ما ضحك. وما شافت هالمخلوءة إلا انتصب لك إدامها مارد، من الأرض للسما. وآل لها:

- اطلبي واتمني.

- ما بدي منك، غير إنك تغزل لي هالصوفات، وتعزل لي هالبيت.

غمضت عين، فتّحت عين، لئت هالصوف مغزول، وهالبيت منضف مأطف متل النفجة!!

وصل هالحجي، عملوا له هالزينة.. هالعراضة.. هالأفراح.. ولمن وصل عالبيت، لآه مرتب منضف.. وهالمرة لابسة ومغندرة وعم تستناه.

أعد هالحجي ثلاث أربع أيام، آل لها:

- شو أخبار الصوفات.

- والله يا رجال ضاء خلئي من قلة الشغل، وأهلي ما تركوني لحالي، وصار يوم يعزمني خالي، ويوم خالتي، وعمي وعمتي.. لحتى إإجيب بالسلامة.

- لكان ما منجيب غير الصوفات.

- امبلى ليش لأ. بس ولي عالكسرة، ما لازم نعمل عزيمة لأهلي؟

ـ متل ما بدك . . اعزمي مين ما بدك ، وأنا لحا جيب لك أكل من عند العشي والحلو من عند البغجاتي ، ولحا إبعت لك الفواكي .

أم محمود: وبعدين شو صار .

أم فؤاد: يا مرحومة البي ، هالزلمة راح ليجيب الغراض ، هالمرة جابت لك كم أطة ، كم هارون ، ونزلت عالبستان جابت زلحفة وإنفدة وكم حردون وكم ضفضعة ، وحطتهن بالمخدع وأفلت عليهن . ولمن رجع زوزها عالبيت ، آل لها:

ـ وصلوا الغراض . . لا زمك شي؟

ـ ألله يجبرك ، كل شي أحسنه ، الله يعوض عليك .

ـ إجوا أهلك؟

ـ لكان إجوا ، ليكهن بالمخدع ، فوت سلم عليهن ، لبين ما حط الأكل .

ولمن فتح هالزلمة الباب ، ما شاف إلا هالأطاط والهوارين والحرادين والضفاضع عم تنطوط إدامه .

آم هالزلمة ركض لعند مرته وآل لها:

ـ شو هاد يللي بالمخدع!! وين أهلك . .

ـ هدول هنن .

ـ شو هالحكي .

ـ هدول يا ابن الحلال زلم متلي ومتلك بس من كتر ما كانوا يشتغلوا بزعرهن صاروا هيك(٦) .

وهنا يسود جو السهرة الهرج والضحك والتعليق ، فكان أن توقفت أم فؤاد إلى أن سألتها أم محمود:

أم محمود: شو أم فؤاد خلصت الحكاية؟

أم فؤاد:لآ أم محمود ، منين خلصت ، يعني ما بدك يسكتوا الصبايا؟

أم محمود: سمعونا يا جماعة سمعونا . . خلونا نعرف شو صار .

أم فؤاد: هادا يا ستي ، أعد هالزلمة آلب وشه ، وصار يصفن . آلت لـه مرته:

شبك يا ابن الحلال ، ليش هيك صافن . . منشان أهلي . . معليش بلاها العزيمة . . أوم جيب لي شغل بركي بتسلى .

آم ـ آل لها خلص غناني الله ، ما عاد بدي ياك تشتغلي ، لتئومي تئلبي حردون يما حرباية .

باللذة والنعيم طيب الله عيش السامعين ودشرناهن مع بعضهن وإجينا لحتى كان .

ناجية: يسلم هالتم يا أم فؤاد .

أم شكري: تعيشي وتحكي حكايات يا أم فؤاد .

أم ياسين: شبكن مشلومين . . مافي تسفيئة لأم فؤاد؟

أم محمود: ومن عنا أم فؤاد يا يا ياه .

الساهرات:وهيه .

أم ياسين: وهلأ شو رأيكن بشي فنجان أهوه .

أم محمود:لأ أم ياسين الله يخليك ، أجليها شوي ، خلينا نعرف شبها أم أكرم ، طول هالسهرة ما حكت كلمتين . مالها على بعضها!!

أم فؤاد: أي والله يا أم محمود كأنها مالها هون.

أم غسان: أضرب أنا عنها، صار لها كم يوم هيك.. يا من تراها سارحة وعم تضرب أخماس بأسداس.

إلفت: أبصر شوبها، شو صاير بين أمها وحماتها.

أم فؤاد:شبك إختي أم أكرم، مالك على بعضك؟

أم أكرم: سلامتك ما في شي..

أم فؤاد: من أول السهرة وأنت مالك معنا، شغلت بالنا.

أم أكرم: لا ينشغل بالك على غالي. مافي شي.

٩ـ يا ويله يللّي ما بيخاف من ربّه:

حرصت أم أكرم أن لا تشغل بال الساهرات، بما آلت الحال بينها وبين حماتها بسبب ما وصلت إليه مواصيل مكايدة حماتها لأمها. لكن إلحاح الساهرات عليها، أثار شجونها، وما شعرت إلا والدموع تغرغر في عينيها، ثم تنهمر على خديها.. بادرتها أم فؤاد ثانية بقولها:

أم فؤاد: بالله.. أم أكرم. شبك؟ صاير شي بين حماتك وأمك؟

أم أكرم: ما إلت لك، مافي شي.

أم ياسين: لكان بإيش سارحة؟

أم أكرم:بها الدنية.

سعاد: أم أكرم فضفضي.. فضفضي.. بس وينك: كبريها بتكبر وزغريها بتزغر.

أم أكرم: لك أختي شو بدي إحكي لإحكي، كل مين همه طامره. . خليها بالألب تجرح، ولا تطلع لبرة وتفضح.

أم محمود: إي لآ أم أكرم. . عالحساب إنت مآمنة بألله، بكرة بتفرج، وإيمي عامود حطي عامود. . لبكره بيفرجها ربك المعبود. مافي شي بيدوم، ألله أكبر.

أم أكرم: بعدي اسمه الله، بس يا ويله يلي ما بيخاف من ألله.

أم بسام: أي هه. . وحدي ألله وصلي عالنبي (صلى الله عليه وسلم).

أم أكرم: لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم). لك أختي يلّلي إيده بالنار مو متل يلي إيده بالمي.

أم فؤاد: أكيد هي مرت عمك عاملتلها شي فرتينة مع أمك. بالله مو هيك؟

أم أكرم: لك أني فرتينة. . ما عاد حدا عرف شو بدها حماتي من إمي، لأنها عاملة أمي شغلتها. . وأمي صاير فيها متل يللّي بالع الموس عالحدين، ويلها أبي يدرى، وتئوم توئع بينه وبين عمي، وويلها زوزي، ما بدها ياه يكسب غضب أمه عليه. . وحماتي الله يصطفل فيها مالها مسمية بالرحمن.

أم غسان: الله يعينها هالأم يللي إلك. شو بدها تتحمل لتتحمل.

إلفت: بس هالشي والله حرام. هيّ حماتك ما بتخاف من ألله؟

ناجية: يا جماعة حماة أم أكرم. . فالج لا تعالج. والمسألة مو مسألة خوف من ألله. هالشي يلّلي عم تعمله بسلفتها. . معجون بدمها. . وما عاد غيرة بين السلايف. صار ديئة عين ووسواس وحئد. .

أم أكرم: وفوء هيك ، كل ما شافت الجو رايئ بيني وبين زوزي ، لسبد ما تلحش لها شي فتيشة ، تجعل عاليها واطيها . . وتطربئها على راسنا .

أم شكري: الله يئوي عالأوي .

أم أكرم: ومن كم يوم ، فائت من بكير ، أنا كنت عم ضب أوضتي ، ما حسيت إلا عم تخبط عالباب وعم تئول:

ما فائت بدر الدجى؟ لساتها نايمة؟ يما عم تستنى لحتى إجي غسل لها وشها وجيب لها الأهوة ، ولي على هيك نسوان . . بس الحأ مو عليها . .

إمت طلعت لبره وإلت لها:

خير مرت عمي خير . .

ما تاريها مالها مسمية بالرحمن من عند على بكرة . آل شو ليش لهلاّ نايمة؟

إلت لها:

مرت عمي أنا لسا ما نمت من وأت راح ابن عمي على شغله . . بس إلت لحالي: لضب أوضتي وعلى بين ما تصحي . بكون غليت لك الأهوة . بالله بكون غلطت معها .

أم محمود: حاشاك من الغلط(٦) .

أم أكرم: شو بدها تحكي الوحدة . . الله يسامحها من على بكرة بكير بليس معبى فيها . آل شو: بدها حط لها الصفرة أبل طلوع الشمس . ولمن إلت لها مو بكير مرت عمي ، آمت تخصورت لي وآلت: شوفي لا تاخدي وتعطي معي ، خوش هادا يللي إنت شاطرة فيه . . كناين آخر زمان .

ناجية: يعني فوء حئه دئه!

أم أكرم: أولي أنا رحت على المطبخ دئيت البابور لأغلي الشاي عم بين ما حط الأكل، ولاّ مرت عمي عم تحاكي حالها:

- كانت باطلة ومحولة هالزوازة. إي والله شي بيكعي.. بدها تعمل كل شي على كيفها. وإمها من تحت لتحت عم توزّ بإدنها يلّلي بدها ياه.. شو يعني بدها تطفشني هية وأمها.. والله شي عال.. هادا يللي كان ناقص.

أم محمود: وسكتي لها؟

أم أكرم: عملت حالي ما عندي خبر ولا سمعت شي.

أم ياسين: لكان شو عملتي؟

أم أكرم: حطيت لها الأكل عالطبلية وزحلت.

ناجية: يعني أصرتي الشر.

أم أكرم: ياريت. لأنه ما شفتها غير برمت تمها وآلت لي:

- ليش مالك جايبة كاسة شاي إلك. معلوم بعدي بدك تاكلي مع إمك أنا ما بيتاكل معي. لحتى تزئي لها يلّلي بدها ياه من النملية. الأكل مع إمك غير شكل. وينك هاتي هاتي لشوف مفتاح هالنملية!! وما عاد في أكل على كيفك.

أم فؤاد: يبعت لها داء ما تبرى منه على هالفصل.. شو مجنونة.

أم أكرم: أني مجنونة، والله بتفصل عئل لبلد.

أم بسام: هلأ أم أكرم، ما كان فيك تئصريها وتكسري الصفرة معها.

أم أكرم: والله مالي حسنانة.

أم بسام: لك إختي كلي لك ولو لئمتين معها.

أم أكرم: هلاً الوحدة بالزور بدها تاكل. . طول الليل أنا وأبي وزوزي عم نعالج بأمي، وهي عم تفرك من وجع بطنها، لحتى أخدناها عالخستخانة.

أم محمود: أي لآ. . فضايل الله حولها. خير خير. شبها؟

أم أكرم: آلو لنا بالخستخانة إنه معها عئد مصران ويمكن يعملوا لها عملية. بآ شلون بدي آكل. والله نفسي مالها أبلانة الشهد.

أم بسام: إي والله الحأ معك. . ما على ألبها شّر معافاية.

أم فؤاد: إلت هالشي لمرت عمك.

أم أكرم: إلت لها. . بسّ ما صدئت. . وحلفت وتتالفت غير ما تئول لابنها آل شو. . لحتى يربيني.

أم محمود: بالله شو!!

أم أكرم: أي والله، ولسا مافات عالبيت لحتى كانت مستلمته(٧).

١٠ ـ أوم طلئها.. وبعدين بتعرف:

استلمت حماة أم أكرم ابنها من الباب، وأفرغت بوجهه غلها ونقمتها على زوجه أم أكرم. جعلت منها سكة عطل لا جدوى منها. كونها لم تعد تنفعه لا للخل ولا للخردل. . ولم تفسح المجال لأي خيار إلا الطلاق. . والطلاق وحسب. أما الود والوئام والقربى والعشرة فهذه عملة لم تعد قابلة للتداول. . وسقى الله أيام زمان. . فكان أن قالت لابنها:

ـ شوف ابني برضاي عليك هي مرتك، بدك تلائي لك صرفة معها، ما عادت تنفعك وحدة ما بتستحي وكذابة وسراءة. . عم تسرء المونة من النملية لأمها. صار بدها رمي رأبة.

بآأحسن ما ابتلي فيها، هلاّ هلاّ بدك تطلئها. . وأنا من بكير بزوزك ست ستها. . شو ما عاد في نسوان غيرها. إي والله سيد سيدها بيبوس إيدك وش وأفا ليزوّزك بنته.

ولمن آل لها زوزي:

يا إمي هي بنت عمي يللّي مربيتيها.

آلت لـه: بلا بنت عمك بلا ضراب السخن. آل طب الجرة على تمها، بتطلع البنت لأمها. شو ألله ما خلأ غيرها، في كل بنت متل فلئت الأمر، وعلى أفا مين يشيل.

وهلاّ إذا ما بتطلئها بحط اصابيعي بأداني وبصرخ ولي. . لحتى إجمع عليك يلي بيسوى ويلي ما بيسوى.

ولمن آل لها زوزي: متل ما بدك بس أعرف شو عملت.

آلت لـه طلئها بالأول وبعدين بتعرف، ولاّ بغضب عليك غضب ألبي وربي هه.

سعاد: ولي على آمتها شو بنت حرام.

أم محمود: وسمع زوزك كلام أمه.

أم أكرم: زوزي. . مسكين رايح بين السفائين. ويله غضب أمه، وويله يعرف شو يللّي خلى أمه توصل معها لهون.

إلفت: وبعدين؟

أم أكرم: متل أبلين، لمن صار زوزي بده يعرف ليش هيك أمه. . آلت له:

ـ يعني عم تكذبني منشان مرتك؟ شو عليه. . هادا يللّي طلع معك.

أم فؤاد: والله يا أم أكرم، الله يعين زوزك، مسكين مو طالع بإيده شي، وأكيد محتار شو بده يعمل.

أم أكرم: لا والله يا أم فؤاد ما أصر بس حماتي عنيدة.

أم محمود: ماله باين على زوزك.

أم أكرم: شلون يعني، أنا سمعته عم يئول لأمه، إذا مالحا يعرف شو صار لحا يهج من البيت، وما يعود يأرجيها وشه.

أم ياسين: دخلك، وسكتت له حماتك.

أم أكرم: منين يا حسرة، لك بدال ما تهدي شوي آلت له:

ـ معلوم هادا يللّي بدك ياه من زمان ظهار وبان، بدك تترك البيت وتخليني لحماتك. . الله يعدمني ياها. يا حوينة التعب فيك. . شو عليه متل ما بدك. . آل كنت شادة ضهري فيك تاريك لمرتك، وصارت أمك كخ منشانها.

ـ أم آل لها: أنت بدك هيك. وأنا بدي ارتاح. . بدي شوف شغلي صار عندي ولاد هدول كبب لحم منين بدهن ياكلوا. . لك لسا آل وإلنا، ما بتتعبوا.

أم ياسين: صعي أم أكرم هيك آل زوزك لحماتك.

أم أكرم: أي والله، وكان الشرار عما يتطاير من عيونه.

أم فؤاد: الله يكون بعونه.

أم ياسين: وشو آلت لـه حماتك.

أم أكرم: يعني شو بدها تئول له؟ صار بدها تروئ بخاطره وآلت له:

- لك ابني بيهون عليك، إني إكسر الصفرة لحالي، ومرتك تاكل مع أمها على كل ضرس لون.. يا عيب الشوم عليهن.

ولمن سألها زوزي، إيمتى صار الشي. آلت له:

- أنا شفتهن اليومة على بكره.

آم آل لها:

- أمي منشان يلي بتعبديه خافي الله.

- يعني أنا عم إكذب.. لك ما بيكفي إنك إنت وياهن ما خليتوني أعرف نام، ساعة زمان بها الليل، من كثر ما كان صوتكن طالع.

- وإذا إلت لك، إنه مرت عمي مو بالبيت، وأخدناها بالليل عالخستخانة.

- كذاب.. كذاب أنت وياهن تفو عليك من بين الرجال.

- إه شو عليه.. إذا وصلت لهون أنا تارك لك البيت، وأنت طلئي وأنت زوزي على كيفك، وألله يبارك لك فيه.

أم محمود: نته.. نته.. نته.. وماعرفتوا لوين راح؟

أم أكرم: لا والله يا أم محمود.. لهلأ ما عرفنا وين أراضيه.

أم ياسين: ومرت عمك شو عملت.

أم أكرم: شو بدها تعمل.. مسكينة من وأتها لا من تمها ولا من كمها لا بتاكل ولا بتشرب ولا بتحكي(٨).

الهوامش والحواشي:

١ـ إجت: أتت، أبل: قبل، والمقولة كناية عن الحضور باكراً. غطت: ذهبت. حرزانة: جيدة. شو: ماذا. بإيش: بأي شيء. ضاء: ضاق. خلئي: خلقي، والمقولة كناية عن الملل. وراأة: ورقة. تطولي بالك: تتمهلين. شوي: قليلاً. ما بتطلع عن ضربة: كناية عن الحرص. مو: ليس. أم كمونة: كناية عن الحرص. إلتي: قلت. مو هيك: أليس كذلك. الدأن: الذقن، كناية عن ورقة الاختيار بورق الشدة. بركي: ربما. يلي: الذي. بتونسه: تؤنسه. نائصني: ناقصني. آشوش: قاشوش، ورقة الشب بالشدة. وين: أين. نوني: دلع ناجية. زويزة: جويزة، رقم اثنان. بوأتها: بوقتها. زغير: صغير. لحا تنزل: سوف تلعب. ورأ: ورق. نئيم: نقيم، نرفع. هلأ: الآن.

٢ـ صعي: صحيح. ليش: لماذا. آمت: قامت. فركتها: ذهبت. موكل هالأد: ليست بهذا القدر. رأسين بطائية: كناية عن التماثل والتكامل بين شخصين في الطباع والسلوك. والطائية: طاقية، غطاء للرس. ألوب مليانة: كناية عن الغل والحقد. بيزوز: يجوز. فيها إن: إشكال، أمر ما. السمس: الشمس. وأت: وقت، حين. لأوي: مهلاً. هدول: هولاء. خص نص: على وجه الخصوص، بخاصة. تتنائر: تتشاحن. الضرسانة: تعبير تحبب. أدانا: أذنينا. محورئين: محورقين، كناية عن الإعجاب. تبربروا: كلام غير مسموع جيداً. حأ: حق. بيرأ: بيرق، علم. ينتفوك: دعاء مزاح على سبيل التحبب. استفأد: استفقد، استعوق. هديك: تلك.

٣ـ لا تهكلوا: لا تحملوا. الأهوة: القهوة. جناب متل الطناب: كناية عن عدم المبالاة. بيفرئ: يفرق. زوئك: زوقك. أوادم: من آدميّ. سوا: سوية. مشئرأة: مبسوطة. بايعتها بإشرة بصلة، إشرة: قشرة. والمقولة كناية عن أخذ الأمور على محمل عدم المبالاة. زغرها: صغرها. زاحت: بعّدت.

الفلأة: الفلق. دأني: ذقني. نأزت: ارتعشت. تطئك: تطقك. السفاءة: السفّاقة: المصيبة. يطأطئ: يطقطق. تخائئي: تخانقين. إإدر: أقدر. يئشك: يقشك.

٤ـ أم شكردم: المرأة غير الرازنة. أم إشكح: لقب للمرأة القليلة الرتابة. الزوز: الزوج، الأثنتين. روس: رؤوس. فواكي: فواكه. دوزنها: رتبها. بعألي: بعقلي. شوي: قليلاً. مرأرأ: مرقرق. حفّاته: أطرافه. مسأسأ: مسقسق. مافيكي تحوصي وتلوصي: ليست قادرة على الحراك. الأطايف: القطايف. العصافيري: الصغيرة. الستاتي: الكبيرة، والأولى تؤكل مع القطر والقشدة أو الشمندور، وهو حليب الغنم أو البقر الحديثة الولادة. أما قطايف الستاتي في أكبر وتحشى بالجوز مع السكر أو القشدة ثم تقلى أو تشوى وتحلى بالقطر. الإشطة: القشدة. أربي: قربي. حأ: حق. الكي: المصرف، يفتح بكاحل المرء، يسحب الغش من الجسم، وبخاصة القيح ويحرص أن لا يلتحم مكان الجرح بوضع حبة حمص في فتحة الجرح ويربط المصرف وعند فك الرباط، يدفع القيح حبة الحمص. . شبهوا من يتدخل فيما لا يعنيه بحبة الحمص تلك. بدك فت خبز: تحتاج إلى وقت كبير ومعرفة وخبرة. آل وإلنا: قيل وقال. بشآ: أكثر قيمة ووزناً. خلائك: طباعك. ضيئة: ضيقة. تخائئي: تخاصمي. بخلاص: بولادة. عئبال: عقبال. مو هيك: أليش كذلك.

٥ـ نتفة: قليلاً. عالعنب: على العنب. أطفة: قطفة. أعودي: قعودي. العضم: العظم. يا شوئي: يا شوقي. أأل: أقل. نتئلها: نتقلها. زاهزة: جاهزة. أديمة: قديمة. إرنة: مكان. أرادوا: حكاية. تئبريني: تقبريني: مقولة تحبب. أديم: قديم. مأطوعة: مقطوعة. أوئية: أوقية (٢٠٠ غرام) تأبعت: وضعت على رأسها الملاءة الخاصة بالنساء. طرئيها: طريقها. وائفة: واقفة. تضايئت: تضايقت، ضجرت. المخلوءة: المخلوقة. أبلك: قبلك. وأفتي: وقفتي. أنطار: وحدة وزن قنطار.

٦ـ مشئيتها: جانبها، جوارها. لعب الفار بعبه: تطلّع إلى استغلال الفرصة. الوأفة: الوقوف قليلاً. أديش: كم، ما مقدار. نأشت: نقشت، أرادوا: صابت. أرب: اقترب. هالناح: إلى هذه الناحية. تأدم: تقدم. آدمي: حسن المواصفات. أبل: قبل. اسبئيني: اسبقيني. السوء: السوق. عئبال: عقبال. علئ: علق. لأشو: تحادثوا. بعأله: في عقله. مستوطي حيطها: مستهين بها. حوبة: لكعة. وخمين: مهملين قذرين. الجوخدار: هو المبشر بسلامه الحاج، يسبق القافلة بأيام، يوم كان الحج على الجمال. غط على قلبها: أغمي عليها. عجئتها: عجلتها. تشركلت: وقعت. تئوم: تقوم. لئت: وجدت. منضف: منظف. ولي عالكسرة: هنا بمعنى الترجي. عزيمة: وليمة. اطة: هرة. أنفدة: قنفذ. الهوارين: الهررة. هيك: هكذا. آلب وشه: قالب وجهه، مقطب. لتؤمي: لتقومي. تئلبيك تقلبين. دشرناهن: تركناهم. مشلومين: مندهشين. شبها: مابها. فرتينة: إشكال. فالج لا تعالج: لا يمكن الخروج مما هي عليه. حئد: حقد. رايق: رائق، لا إشكال. تطربئها: تخربها. ضب: أرتب.

٧ـ فوء حئه: فوق حقه عاقبه، لمن يكون جزاء معروفه أذية. دئيت: أوقدت. بيكعي: لا يطاق. توز: توسوس. بإدنها: بإذنها. تطفشي: تجعلني أهج من البيت. نائص: ناقص. تزئي: تأخذين. تئصريها: تتحاشين. لئمتين: لقمتين. بالزور: بالغصب. الخستخانة: دار المرض، المشفى. عئد: عقد. أبلانة: قبلانة. ما صدئت: لم تصدق.

٨ـ أوم طلئها: قم طلقها. عملة: نقود. تلائي: تلاقي. سراءة: سراقة. رأبة: رقبة. وش وأفا: على الوجهين. ماخلا: لم يخلق. قلئة أمر: فلقة قمر. وعلى أفا مين يشيل: رب ما أكثر خلقك. آمتها: قامتها. ما أصر: لم يقصر. وأتها: وقتها.

عاشراً

١ ـ أهْوِة أهلاً وسهلاً.

٢ ـ يا غافل إلك ألله.

٣ ـ سعاد... في المقلاية.

٤ ـ طِلْعِت إيده... هالنابت.

٥ ـ دستور حاظور... لا بتآزونا ولا منآزيكن.

٦ ـ يلّلي ما بياكل فول.. ماله عيد.

٧ ـ الخلفة من ألله.

٨ ـ بالعة الموس عالحدين.

٩ ـ إيدها طايلة... عند الأسياد.

١٠ ـ سيف ينجر رأبتة نجر.

١١ ـ التحدي بالبرسيس.

١٢ ـ فاتحة البنت على ابن عمها.

١٣ ـ فطاير السفيء.

١ ـ أهْوِة أهلاً وسهلاً:

التأم جمع الساهرات هذه الليلة، ولم يكن في ذهن أيّ منهن، ما يمكن أن يجري أو يدور في هذه السهرة. أرادت أم ياسين أن تحرّك الجوّ بعض الشيء، بفنجان قهوة أهلاً وسهلاً قائلة:

أم ياسين: يا جماعة الليلة لحا دوّئكن، من البنّات الجدد، من بكير إلت لحالي لحمّصهن وإطحنهن وحوّجهن بالهيل، خصّ نصّ لهالسهرة... إن شاء الله تعجبكن الأهوة... تفضلوا... تفضلوا... هي أهوة أهلاً وسهلاً...

أم بسام: والله يا أم ياسين، أنت طول عمرك متأنة وصاحبة واجب... الله يخلف عليك.

أم ياسين: ما بيغلى عالغوالي غالي.

أم فؤاد: أي اطلعي من ها البواب أم ياسين. ديروا بالكن يا جماعة. ديروا بالكن، أنا ألبي نائزني من هالأهوة.

أم محمود: يأمعّوكِ على هالنيّة العاطلة... إي تدوئي... تدوئي وبلا كتر حكي...

أم فؤاد: لأ أم محمود، ليش حَكْيي تئيل على ألبك الليلة، أنا هيك حاسّة، أم ياسين مالها بالعادة تْدَهْلِزْ منشان فنجان أهوة... أكيد ناويتلّها على شي نيّة.

أم محمود: هلأ أم فؤاد بتشربي فنجانك يما بئوم بلَبِّسك ياه؟!.

أم فؤاد: لكان الطبخة عاملتيها أنت وأم ياسين سوا...

إلفت: مالك حأ أم فؤاد، والله أهوة بتشهّي. الله يسلم هالديات يا أم ياسين.. أهوة بتعبّي الراس.

أم فؤاد: إلفت خانم . . بلا كولكة ووجهنة هالأهوة فيها إنَّ .

أم بسام: وينكن يا جماعة . . . لا حدا يشرب أهوة . هالأهوة ملغومة ، لا حدا يدوئها لحتّى نعرف شو حاطّة فيها أم ياسين .

أم أكرم: اختي أم ياسين خدعتك بالله . . شو حاطّة بالأهوة .

أم ياسين: تئبروني على هالسمعة . تضربوا إنتوا ويلّلي بيعمل لكن إيمة .

أم فؤاد: إي إي إظهري وباني أم ياسين ، إظهري وباني . . . ألاعيبك مو علينا . . . أولي شو حاطّة بالأهوة يا إمّا وبكسر الهاء بلَبسك هالفنجان .

أم ياسين: يا جماعة والله مالي حاطّة شي ، بس في فنجان ملغوم . . . بدرّة ملح . ويلّلي بيطلع لها الفنجان بدها تحزّرنا حزيرة . . .

أم بسام: يعني مافي شي حبّة مسهّل . . . ولا شي شغلة تنَفِّس . ولا هيك هيك من يلّلي ببالك منّه!! . .

أم ياسين: يعني أنا لحا إإدر عليكن .

ناجية: وبركي يلّلي طلع معها هالفنجان بلعت الطعم وما آلت؟ .

أم ياسين: له يا ناجية خانم!! شو كلّ هالأدّ شافتيني حوبة .

إلفت: يعني ضروري هالدورة واللفّة؟ . إلّة مين يحزّرنا حزّيرة!! .

أم ياسين: بسلامة عرفك ، بتكون الوحدة ، ألبها عمّا يئول حيء بؤ ، على ما تحزرنا حزيرة . . . وبس تطلبي منها بتصير تتمعزز علينا ، وبتعمل لها إيدين وإجرين . . .

أم محمود: يعني عمرك ما تئولي للمغنّي غنّي ولا للرأص إرؤوص .

أم فؤاد: إي أم ياسين ، وهَي كلنا شربنا الأهوة ، ويا حزرك يا بزرك مع مين

طلع الفنجان بالملح. أكيد يلّلي شربته، بلعت الطعم، وآلت لحالها: ما شفت شيء بتمّي... وما حدا شايفني... يا... إمّا ما بتعرف طعمة تمّها...

أم ياسين: إي لأ ستي ما حزرتي... وهلأ يلّلي طلع معها الفنجان لا تستحي تئول لحالها. وإذا ما لحا تئول أنا لحا أول لكن: الفنجان طلع مع إلفت وناجية.

إلفت: ما بيصير... ما بيصير أم ياسين، إلتِ فنجان واحد ملغوم، بلائيهن صاروا اتنين.

أم ياسين: لكان مين بدّه يردّ عالحزيرة بعدي..!.

أم شكري: هلأ. أم ياسين يعني كان ضروري كل هالدوبارة؟!...[1].

٢ ـ يا غافل إلك ألله:

أم ياسين: إلت لحالي إلفت وناجية شايفين حالهن علينا الليلة. وأحسن شي شر كلهن بالأهوة.

أم محمود: إي والله يا جماعة صار لنا مدّه ما سمعنا منهن شي.

أم ياسين: لك شوفوا... شوفوا شلون عاملين حالهن سمعان ما هون.

أم شكري: بتعرفي يا أم ياسين لو ما حكيتي أحسن.. يعني ما عاد حدا عنده حزّيرة بهالسهرة.

أم محمود: يا جماعة الشغلة فيها شي، أنا على حدّ علمي إنه صار الحكي مع ناجية خانم إنه تحكي لنا هيّة وإلفت بهالسهرة شي شغلة شي نهفة... آمت الأصة طلعت فافوش.. إه حبّت أم ياسين تنغرش ناجية وإلفت بالأهوة بركي يعني بشلبنوها شوي.

أم فؤاد: يا ريت .

أم ياسين:إي لا تئبريني . . . هادا كان زمان . . . بهالأيام كلمة يا ريت ، ما عادت بتعمّر بيت .

تبدو على ناجية وإلفت علائم الدهشة والاستغراب. فتتفحّص الواحدة منهما حالها: وتشم رائحة كفّها على الوجهين ، عسى أن تتذكر شيئاً مما قالته أم محمود. ولكن عبثاً . . . ثم تقلب شفتها وتهزّ كتفيها مستغربة . . . ولا تلبث ناجية أن قالت لأم ياسين:

ناجية: اختي أم ياسين ، هلاّ بذمتك هالحكي عليّ أنا وإلفت؟ .

أم ياسين: يه شكيتك لعينك . . إلي عم تسأليني . . . لك مو هيك صار الحكي؟! . من كل عألك عم تسألي؟! .

ناجية: إي لأ . . . أم ياسين . . بلا مزح ، بعيدن بيصدّؤا .

أم محمود: عم تحكي جد ناجيّة خانم . . . بزعل منّك هَهْ. لك إنت مالك حاكية مع سعاد ، إنّك واعدة أم ياسين ، إنت وإلفت ، بدكن تحكو لنا شي بها السهرة .

ناجية: أنا؟! . . سمّ الموت . . . ها ها لكان الأصّة من سعاد . إي بكسر الهاء ما انفتحت هالسيرة مع حدن . شوفي اختي ام محمود ، إنتو كلّكن على راسنا من فوء .

أم محمود: إي لكان ضاعت ولئيناها ، يالله يا جماعة: ومن عنّا ناجيّة وإلفت خانم يا يا ياه .

ناجية: وأنا وإلفت على عيننا وراسنا ، بس مو نحنا يلّلي بترَكّب علينا سعاد إصص وسيَر . . وينها هَيْ سعاد ، خلينا تحطّ عينها بعيني لشوف مين الكذاب بيناتنا .

إلفت: معلوم أختي أم محمود معلوم، من هالشّي سعاد مالها مبيّنة لهلأ.

أم فؤاد: لك مو بس سعاد مالها مبينة، كمان صبحيّة ما إجت!.

أم بسام: أبصر شو صاير معهن.

أم محمود: إي لأ طوّلوا بالكن... فال ألله ولا فالك يا أم بسام.

أم ياسين: لا تضوجوا كتير ما بآ ليجو[٢].

٣ ـ سعاد في المقلاية:

عبثاً حاولت أم محمود وأم ياسين تحويل مجرى الحديث عن سعاد وغيابها عن السهرة، واختلاق المبررات لذلك الغياب. لما كان يصاحب افتقاد سعاد عن السهرة من أفكار لدى الساهرات، ليست في صالح سعاد. نتيجة لإشكالات ومواقف بين الساهرات كان لسعاد دوراً مباشراً أو غير مباشر فيها. والأمر كذلك في حال قدوم سعاد إلى السهرة مبكّرة. وقد حسمت إلفت محاولات أم محمود قائلة:

إلفت: إذا بدّك تحاحي عن سعاد وتغطّي غيبتها عن السهرة، خيطي بغير هالمسلّة، ولا تعذبي حالك، سعاد ومنعرفها، وهَيْ عوايدها، مو بإيدها بتتحركش بالحمّة لتجيها البردية.. حتى وإن إجت بكير، بتكون ناويتلّها على شي نيّة عاطلة.

أم محمود: إلفت!!.. هلأ انت نأطينا بسكوتك، والتهي بالببّو تبعك. سعاد ما بآ لتجي.

ناجية: وشو عرّفك؟

أم محمود: هيك ألبي آيل لي.

ناجية: أولك!! . . يعني بيصير سعاد ماتجي، لك هي بكل عرس إلها أرص، شلون بدها تروح عليها السهرة. ولي عليها ما بيهنى لها عيش!!.

إلفت: الله يخليك ناجيّة خانم إنسي سعاد هلأ، هيّ وحدة مالنا أدّها. . . والله إذا علئنا بحلئها ما في مين يردّها. . ولي عليها لسانها بسبع شطلات، ومتل مئص السكافي. . . ما بيئصّ غير على نزاسة. . .

ناجية: ستي. . . يلّلي بدّه يطلع بإيدها خلّيه يطلع بإجرها.

إلفت: لك ما شفتي شلون لبّستنا إصة مالنا فيها، وكانت لحا تخلّي أم محمود تزعل منّا بعدين أنا ما دخلت. . . هَي سعاد إجت. . . استلئي وعد ربّك منها(٣).

٤ ـ طلعت إيده هالنابت:

انفتح باب مربّع السهرة فجأة، وبعنف فاجأ الساهرات، دخلت سعاد حاملة طشت فول نابت ألله مولاه، والهبّال يتصاعد منه، ودخلت وراءها عزيزة ابنة أم ياسين حاملة صينيّة بها الزبادي وصحون الملح والكمون والليمون لزوم مرق الفول النابت.

فما أن وضعت سعاد ما تحمل، من الفول النابت، حتى تَخَصْوَرَتْ لناجية قائلة:

سعاد: ولك إم عصّ، على مين عم تحكي، إنت وهالسرنوّة، والله لأرجيك بسّ بعد ما تتدولئي الفول إنت ويّاها.

إلفت: ما لحا ردّ عليك لا أنا ولا ناجيّة خانم، إلّة الحكي معك أحسن.

سعاد: هيك لكان. . . شو عليه. . آل: يا رمضان ليش ما بتجي بشعبان. . . آل: كل شي بوأته حلو. . .

إلفت: دستور. . . دستور تف تف. . تف (تتف في عبّها) خوّفتيني. . . بعدي. .

أم ياسين: كرمالي سعاد إنت وياها وإنت كمان ناجية. . .

ناجية:لا تهكلي هم. . هي سعاد ما بينزعل منها. . . وإلفت عما تفش ألبها.

أم ياسين: يالله يا جماعة أربوا. . . بسم الله. . . ما بدكن عزيمة ما في شي من واجبكن مو هيك أم فؤاد.

أم فؤاد:إي والله. . . الحبايب ما بدهن عزيمة.

أم شكري:لا تحلفي أم ياسين محلوف عنك. . . هه. . . شوفي شوفي شلون هجموا متل الهوارين. يلّلي ما داؤا الزفر من سنة!!. .

سعاد: إي إي إلفت. . . لك فجعانه مو بالكمشة وحدة وحدة ومو عالجنبين الأكل. كمان وليه ناجية نونو. . . نونو. . . بده غيركن ياكل. . .

ناجية: إنت كلي وعلى نصتك.

إلفت:ولي عليها شو عينها ضيّئة.

أم شكري: لا تردّي عليها إلفت خانم هي كتيرة غلبة. وجكارة فيها كلوا بالزور أطيب.

سعاد: وأنت منين نطّيتي لنا بعدي. . . كان نائص على شكلك.

أم ياسين: يا جماعة كلوا. . . كلوا. . . خير ألله كتير. . . بس لا حدا ياكل أكتر من أربعين فولة، أنا ما دخلت إذا صار مع الوحدة شي. . .

أم غسان: سمعانة إلفت. الحكي إلك.

إلفت: أنت عليك من حالك، كلي على نصتك. الحكي ما عليه كمرك. . .

سعاد: إلفت . . . لك بدّي إفهم شلون بتاكلي عالجنبين .

ناجية: سعاد لا تتعبي مالحا تردّ عليك ، تمّها ملان . . . بعدين هي إلفت بتاكل عالجنبين بس وأت السلتة مو دايم الدوم . بدها تلحئ أكل أبل ما يخلص .

أم شكري: لكان إلفت خانم إحكي لنا عن ليلة عرسك .

ناجية: إلفت يا أم شكري ما لحا ترد على حدا . . . عند البطون تذهب العئول .

سعاد: لك مأصوفة الرّابة ، شو صاير عليكِ ، على مهلك . مَالحَا يهرب الفول منشان البّبو . . بركي في آخرة . . .

إلفت: بعرف . . بعرف . . وأنا عمّا آكل منشان البّبو . وإذا في آخرة لا يكون لك فِكْرة ، عاملة حسابي . . . وكلَ عيش إله كْريش .

ناجية: ينبؤ بيّو عينك شو فجعانة . . . لك خلّي مطرح للمرأة .

إلفت: المرأة بعد إمّك ما بدِها مطرح بالكريش ، بتسرسب سرسبة .

سعاد: أولي عليكِ شو آتلك بطنك(٤) .

٥ ـ دستور حاظور... لا بتآزونا ولا منآزيكن:

أم شكري: بتعرفي يا سعاد خانم ، فولاتك إجو بوأتهن ، الله يسلّم هالديات .

سعاد: فولاتي!! . . منين يا حسرة ، هدول جابتهن أم فؤاد ، بدال كراوية هديك السهرة .

أم أكرم: لكان مو منشان الفولات تأخّرتي سعاد خانم .

سعاد: لآ حبيبة ألبي ، أنا جاية على بكير ، خص نص منشان حضّر لكن الفولات ، هيك اتفئت مع أم فؤاد . .

أم ياسين: يه . . . بسم الله الرحمن الرحيم والله ما حسّيت عليك.

سعاد: سلحبت عالنصت دوز دغري عالمطبخ.

أم ياسين: يا جماعة . . . والله شي بيحط العئل بالكف ما ببالي أم فؤاد هون وشربت أهوة أهلاً وسهلاً معنا . . . شو يلّلي خلاّها تروح شلون هيك ما شفناها . . . سعاد عم أول لك لا تلعبي فينا أولي شلون هيك صار.

سعاد: أنا ما دخلت . . أنا ما دخلت . . هدول الأسياد دستور من خاطرهن هِنن أخدوها . . .

الساهرات: سلام قولاً من رب رحيم، سلام قولاً من رب رحيم . . . دستور دستور حاظور لا بتآزونا . ولا منآزيكن.

أم محمود: صعي هالحكي أم فؤاد.

أم فؤاد: الله يسامحك يا سعاد خانم إلك كل فصل ما بينزل لا بميزان ولا بآبان . . . لك أم ياسين ما غمزتك إني طالعة لهداك الصوب. وأت استفأدنا صبحية.

أم ياسين: يي . . يي إي والله . . . شلون هيك راحت عن بالي!.

أم فؤاد: ومن وأتها أنا وهالمنظومة سعاد عم نحضّر لكُن الفولات والكمون والليمون والذي منّه.

٦ ـ يلّلي ما بياكل فول ماله عيد:

أثارت فولات أم فؤاد، كوامن أشجان أم شكري، عادت بها الذاكرة إلى أيام طفولتها، يوم كانت تخرج مع بنات جيلها إلى العيد، فالإنسان يحنّ إلى طفولته، وقد يتمنى أن يعيشها ثانية، لما فيها من ذكريات مترعة بالمحبّة والقناعة والإيثار والبراءة والفرح . .

تراءت لأم شكري كيف كانت تنطلق مع بنات الخوجة من حارة المزّاز وزقاق الحكر وتحت المادنة وزقاق الشيخ والقروانه والخضيرية. . . إلى الدقّاقين فرأس البزورية. فيمتطين طنابر مريكب من رأس البزورية إلى الحريقة (سيدي عامود) وهنّ يهزجن وراء كشكول الطنبر أهازيج العيد: اليوم عيدي يا لالا، وعالبابا عالبابا. . . ويتصايحن أوّيها منجدّد، أوّيها منجدّد. . . ما منتزل إلا بأتلة. . . فإذا وصل طنبر مريكب بهن إلى بسطة من بسطات الفول النابت بسوق مدحت باشا، يتدافعن من الطنبر مسرعات لأخذ كل واحدة منهنّ مكانها في تلك البسطة، وراء الحاجز القماشي الذي نصب على البسطة لفصل البنات عن الصبيان، حتى تتمكن الفتيات من أخذ حريتهنّ في أكل الفول النابت. وقد وُضعت أمامهنّ. أطباق صغيرة من الملح والكمّون وزبادي بجانبها عصائر الليمون. والبائع وراء حلّته، يتأنّق في سكب الفول، أو يشرّع المرق إلى الزبديّة، وقد أضاف إلى المرق الحامض والملح والكمون، وهو يدلّل على الفول:

النابت نبت يا ولِيّد.

هلاّ استوى اللوز يا وُليّد.

طلعت إيده هالنابت.

يلّلي ما بياكل نابت ماله عيد.

طاب أكله هالنابت يا وليّد.

تراءت هذه الخواطر في ذاكرة أم شكري عجلى كالمويض، والساهرات مثلها في شوق وتلهّف إلى تلك الرؤى، وما لبث أن عقّبت على ذلك بقولها:

أم شكري: الله يرحم هديك الأيام. . . هلاّ لا الدنية دنية. . . ولا العيد عيد!!.

أم فؤاد: إسئا الله على هديك الأيام، أدّيش كانت حلوة.

أم محمود: ستّي!! . . كل أوان ما بيستحي من أوانه . . . بس يللي بدّي أوله ، هلاّ يا ترى ناجية وإلفت لساتهن ناويين يسمعونا شي بهالسهرة؟! .

ناجية: على عيني وراسي بس أبل كل شي خلّينا نعرف شو صاير لصبحية لحتى نتطمّن عليها .

أم محمود: إي والله الحأ معك .

أم بسام: يعني صبحية شو بدّه يكون ضربيها؟ .

٧ ـ الخلقة من أللّه:

أم ياسين: والله يا أم بسام ، صبحيّة أللّه يكون بعونها ، اليومة العصريات بعتت بنتها ، وآلت . . . يمكن ما تندر تجي عالسهرة . . . مسكينة زوزها ما عنده كيف . . . ويمكن ياخدوه عالخستخانة .

أم غسان: فضايل أللّه حوله . . . خير!! شو به؟ .

أم ياسين: يمكن مخبّص بالأكل . . . أبصر شو آكل بالسوء .

أم غسان: الله يكون بعونها هالصبحية .

أم فؤاد: شوهالحكي . . . زوز صبحية مابه شي . . . اليوم بالنهار كان بدكانته .

أم محمود: صعي أم فؤاد!! . . عم تحكي جد .

أم ياسين: ما تحكي سعاد . . شو بها صبحية .

سعاد: يعني شو بدّي أول؟ . . . أول لكن آكلة أتلة من زوزها .

ناجية: تنكسر إيده . . .

إلفت: بتضل إيده طويلة عليها ، الله ينتئم منّه .

أم محمود: كمان حماتها هالمرّة حفرت لها؟

سعاد: لأ هالمرة حماتها ما دخلت.

أم شكري: لكان شو؟.

سعاد: هادا يا ستّي زوز صبحية ضايج شوي.

أم غسان: ليش شبه؟ خزيت العين مو ناقصه شي. عنده مرة سكرة، بتنشرب مع المي العكرة، ومنشانه عمّ بترش عالموت سكر، لحتى تبسطه. وطول مالها آعدة عمّا تتزهزه وتتسأسل له، وهو نافش حاله متل الديك، بيفوت ملك، بيطلع وزير.

أم محمود: ليكون مكركب منشان الخلفة.

سعاد: لك اختي الخلفة، لا منّها ولا منّو، الخلفة من ألله... وهوّ كل ما حدا جاب إدّامه سيرة الخلفة بتديئ الدنية بوشّه، وبتطلع عصبيته.

أم بسام: ودخلك مين جاب هالسيرة إدامه... ما زال أمه ما دخلها؟

سعاد: يمكن بالسوء حدا من صحابه، سأله شو صار عندك ولاد... إه إجا فش خلؤه بصبحيّة.

أم فؤاد: والله يا جماعة... يلّلي بيشوف مصيبة غيره بتهون عليه المصايب و كل مين همّه طامره... مو هيك أم أكرم.

أم أكرم: إي والله... في ألله(٥).

٨ ـ بالعة الموس عالحدين:

أم بسام: هلأ أولك سعاد خانم منشان هيك صبحية... آتلها زوزها.

سعاد: هيك نصيبها.

أم أكرم: يعني لآها بوشّه، فش خلؤه فيها!!

أم فؤاد: هلاّ يا ربي لإيمتى الوحدة منّا بدها تضل هيك.

أم فؤاد: هيّ شغلة كبيرة يا أم فؤاد، وما حدا بيعرف لوين لحا تودّي بناتنا.

أم شكري: أولك... نحنا راحت علينا.

أم ياسين: شايفين يا جماعة. أدّيش صبحية فتّئت علينا جروّحات... الله يكون بعونها... أدّيش متحملة. يلّلي متحملته بيهدّ جبال.

أم فؤاد: يعني شو بدها تعمل... الله بيبلي وبيعين.

سعاد: بعدي إسمه ألله... بس المسكينة شو بدها تتحمّل لتتحمّل، ويلها زوزها كل ما خرم عالصبي، وويلها من حماتها يلّلي ما عم تحلّ عنها وما عم تسكت لها على وحدة... وعاملتها شغلتها، وحاطّة حطايطها وبدها تزوّز إبنها وحدة تانية تجيب له الصبي.

أم ياسين: وهيّة بالعة الموس عالحدين، ومالها عرفانة راسها من إجريها.

سعاد: وفوء هيك بنت حماها. يلّلي ما عندها شغلة غير مزاحنة صبحية، وخربان بيتها.

ناجية: ونسيتي بنت صبحية الكبيرة، يلّلي آعدة بوشها وما كان ينفتح نصيبها.

أم بسام: مو زهرية ناجية خانم؟

ناجية: إمبلى إمبلى يلّلي صوتها حلو...

أم بسام: إي إي... الله يجبر بخاطرها بعريس.

أم محمود: الله يكون بعونك يا صبحية على ما بلاك. . . إلنا لحالنا ألله صرف عنها ضرّتها الأوّلانية، تاري المتخبّي أعظم.

سعاد: لكان ليش دايم الدوم بجي أنا وياها عالسهرة. . . بئول لحالي بتتسلّى وبتموّه.

٩ ـ إيدها طايلة... عند الأسياد:

أم بسام: سعاد خانم يعني بلا منؤودية، أنا بعرف إنّه إيدك طايلة بركي بتتواسطيها مع الجماعة تبعك، دستور من خاطرهن. . . عسى ولعلّ تنفكّ عئدة صبحية وبيتسهّل نصيب بنتها زهرية.

سعاد: والله يا أم بسام مالي عرفانه شو بدّي أول.

أم ياسين: إي. . إي سعاد خانم، خطّي ليكون معمول لها البنت شي عمل، يا مسلطين على صبحية شي تابعة، عم تئذيها، وتحمّي زوزها عليها. . .

سعاد: لك إختي مو كل شي بينعرف بينحكي.

أم ياسين: يعني إذا بتاخديها لعند شي واحد من يلّلي بيشتغلوا هيك شغلات على الأألّ بيهدّي بال المخلوءة، وبتصير بتلتفت لحالها وبيتها.

سعاد: والله يا أم ياسين الحكي بسرّك، أنا ما أصّرت، ومن كام يوم أخدتها لعند واحد بعرفه إسمه أبو كيس، آم حبس لصبحية التابعة بأنينة وآل لها: خدي إرميها بالبحر، يا بشي أبرْ مهجور. وآل لها: البنت معمول لها عمل حتى ما تتجوز أبل فلانة وعلانة وعلاكة البانة. . . وصار الحكي تجيب لـه صبحية شي من أترها وشغلات من عند العطار بالبزورية لحتى يشوف شغلة. . .

أم فؤاد: صار معها شي.

سعاد: بكره بروح لعندها وبستفهم منها.

١٠ ـ سيف ينجر رأبته نجر:

ما إن أقحم أبو كيس، في موضوع معاناة صبحية، مع حماتها وبنت حماها، بل وتخوّفها من تعنيس ابنتها زهرية... حتى ظهرت علائم الحذر والتخوّف لدى الساهرات، اعتقاداً منهنّ أنّ ذلك قد يسوقهن إلى الخوض في متاهات سلوك، ذلك النوع من الناس، في تعاملهم مع المشكلات التي تواجه الآخرين. وبخاصة النساء. فكان أن أبدت إلفت تبرّمها من ذلك الخوض وشاركتها ناجية تلك الرغبة في مواجهة موقف سعاد.

إلفت: يا جماعة والله وجعنا راسنا من هالأصّة، ما عندكن شي غير هالسيرة.

ناجية:إي والله الحأ معك إلفت خانم... وإذا لحا نضل هيك، بدّها تأضي كل وحدة منكن الليلة بمنامات وحشة.. أنا ما دخلت... هيك سعاد بدها.

سعاد: إي والله لخلّيهن يمسخوك سعدانة.

ناجية: إي لكان أولي لأبو كيس تبعك سيف ينجر رأبتك نجر.

أم بسام: أختي أم محمود، مو نائصنا توئع بيناتن... الله يخليك غيّروا لنا هالجو بشي رأصة... غنيّة.. حزيرة.. هيك شي.

أم شكري: إي والله جبتيها.

أم محمود: سعاد خانم، وأنت ناجية خانم، يابتوأفوا لنا هالإصّة، يابتوئمي إنت وياها وبترئصوا لنا شي رأصة.

ناجية: يعني بدكن ياني راغي عن الحأ وأسكت... لك يا جماعة هادا أبو كيس واحد نصّاب... مزعبر، بيفوت بين البصلة وإشرتها بالهيلمة.

أم فؤاد: كمان ناجية خانم الزلمة ما غصب حدا. والحأ مو عليه.

إلفت: الحأ على يلّلي بتخفف عألها وبتروح لعنده.

سعاد: يا جماعة والله وبكسر الهاء هالشي أنا بعرفه، وبحضّي بحضّي ما أخذت صبحية لعنده غير لحتّى تهدى لها شوي. منيح هيك.

ناجية: آلّ عألي.

سعاد: لأ ستي لايئلّ عألك... وأومي هزي لنا خصرك لنشوف..

ناجية: هلاً بذمتك وإيدي على راسك.. صعي بدّك ياني أوم أرئص بعد فولات أم فؤاد؟ إي والله ونش ما بأوّمني شوفي غيري سعاد خانم... آل انتلت الخواصر وارتخت المفاصل... إي والله النَفَس عم يطلع وينزل بالزور...

أم فؤاد: سعاد خانم معليش.. خلص خلص ناجية خانم راحت بشفاعة الفولات.. بس بدها تعطينا حزيرة حرزانة، هيّة وإلفت خانم.

ناجية: اختي أم فؤاد، أنت على عيني وراسي، ونحنا أهليّة وما في فرء... بس أنا الليلة جايّة على بالي شي دأ برسيس مع المنظومة يلّلي بدها ياني صير سعدانة لأرجيها إيمتها... وخلّي الحزّيرة للسهرة الجايّة.

أم أكرم: منيح هيك، انبسطتي إنت وياها.

سعاد: ليش مين آل أنا لحا إئبل إلعب أنا ويّاها.. هاد يلّلي كان نائص(٦).

١١ ـ التحدّي بالبرسيس:

حاولت سعاد التمعزز على ناجية، إزاء تحدي ناجية لها، بدأ في لعبة البرسيس، لكن أم محمود سرعان ما أقنعت سعاد بالرضوخ، على أن تقدّم المغلوبة ما يحلّي به الساهرات ضرسهن بالسهرة المقبلة.

أم محمود: لأ . . . سعاد، مالك حأ، إنت بديتي مع ناجية إصّة السعدانة. ويلّلي بدّه يلاعب الأط بدّه يلئى خراميشه، مو هيك يا جماعة.

الساهرات: لكان . . . إمبلى.

أم محمود: وبعدين اللعبة لعبة زهر. وأرجونا زهركن لنشوف.

سعاد: شو عليه.

أم ياسين: وعلى ايش لحا تلعبوا.

سعاد: يلّلي بدكن إياه.

أم محمود:لكان المغلوبة بدها تبيّض الفال بشيء أكلة حرزانة للسهرة الجايّة، شو إلتي سعاد خانم.

سعاد: أنا أبلانة.

ناجية: وأنا كمان. بس يعني مثل إيش الأكلة؟.

أم محمود:حي الله . . . رز بحليب بالوظة. . هيك شي.

ناجية: ناولوني هالبرسيس لشوف. خوش أنا جاية على بالي الرز بحليب من عند سعاد.

تأخذ ناجية البرسيس وتنفضه وهي تقول:

ناجية: شمر. . شمر شمر. . شمر.

أم شكري: يفكحك. . شو عم تئولي.

ناجية: فاسوخ اختي أم شكري، فاسوخ يخلّي الأسياد تبع أم السعود ما يئدروا يوأفوا بوش زهري.

سعاد: إعملي وكتري. . إعملي وكتري. . وشوبري متل ما بدّك. . بس الآخرة يا فاخرة. ونيّال يلّلي بيضحك بالآخر.

تعمد ناجية إلى مد البرسيس بينها وبين سعاد، وهي تكايد سعاد. وتهمس للودع على نيّة الرز بحليب من عند سعاد.

ناجية: نويت هِز بدن سعاد بنت نظمية، وأرجيها ساعة سمّاعة بإذن واحد أحد.

سعاد: يُوه. . الواه الواه عليكِ. . باين عليكِ، وعلى أوالبك.

ناجية: هلاّ عدي هون مآبيلي عدي، وديري بالك على خيالك ليئوم ينمعس إذا دعست عليه.

أم محمود: إذا بدكن تضلّوا عم تتناءروا، بلاها هاللعبة أحسن. . خلونا نشوف زهركن، وشلون لحا تلعب كل وحدة منكن. ياالله سعاد خانم هي شيرتك، وإنت ناجية خانم هي شيرتك، وكل وحدة تاخد حجارها. وخدي هي أنت تلت ودعات وكمان إنت متلها. وهلاّ تألوا لنا زهركن.

سعاد: ما بدها تتنيّل.

أم محمود: ما بيصير. . هيك أصول اللعبة. . يمكن آخر حدفة تخلّي الغالب مغلوب.

ترمي سعاد بالودع وتقول:

سعاد: هي شو؟.

فيقول الجميع: شكة. وراها فكة.

ثم ترمي ناجية الودع، وتقول:

ناجية: وهي شو؟

فيقول الجميع: بارة بارة.

سعاد: وراها خسارة.

ناجية: بلا تفتيء سعاد خانم. البارة وراها تجارة مو متل الشكّة يلّلي وراها فكّة فكّ رأبتك بعد إمك. زيحي هيك عن الودع، واستلئي وعد ربّك. وهه هاد شو؟ (وهي ترمي الودع).

الساهرات: دست.

ناجية: وهاد؟

الساهرات: أربعة.

ويستمر السجّال بين سعاد وناجية بين كرّ وفرّ. تارة يميل الزهر لهذه وتارة لتلك إلى أن أصبحت أحجار ناجية كلّها في المطبخ ولم يبق لها إلا حجر واحد على دودبة. في حين كان لدى سعاد حجران جديدان في أول اللعب(٧).

١٢ ـ فاتحة البنت على ابن عمها:

خلال اللعب قدّمت إبنة أم ياسين (عزيزة) الشاي بكبّايات كبيرة جديدة، لحظت ذلك أم فؤاد، فبادرت إلى سؤال أم ياسين:

أم فؤاد: شو اختي أم ياسين بلائيكي مكبرة الكاسات الليلة؟

أم ياسين: إي والله هاد طئم كاسات شاي جديد بعت لنا إياه إبن سلفي هدية. آل حلوان فاتحة عزيزة.

كان جوابَ أم ياسين مناسبة لتبادل الابتسامات والتلميحات حول احتمال خطوبة عزيزة ابنة أم ياسين وبخاصة بعد أن أبدت أم فؤاد إعجابها بالكاسات قائلة:

أم فؤاد: ما بهن شي حلوين . . إن شاء الله مبروكين .

أم ياسين: مأدّمين .

أم فؤاد:لأ يُهْ، الهدية ما بتنهدى . . إن شاء الله بتشربوا فيهن بالأفراح . .

أم ياسين: يا جماعة الشاي ماله محلّى. كل وحدة تحط سكر أد ما بدها .

أم غسان: وسكر مأطّع . . الله الله يا أم ياسين . العز للرز .

أم بسام: كمان الشاي غير شكل، طعمته طيبة.

أم ياسين: هدول الشايات هدية هنن والسكرات، من ابن عمها لعزيزة .

أم فؤاد: يعني نؤول مبروك .

أم ياسين: لأ، يُهْ لسّا ما صار شي .

أم محمود:يعني شلون ما صار شي . . الفاتحة وأروها. وابن عمها وعنيه فيها!! .

أم فؤاد: وشو فيها!! ابن العم بيئدر ينزّل بنت عمه ليلة عرسها عن ضهر الفرس، إذا كان إله خاطر فيها، ولحا تتزوز غيره .

أم غسان: إه . . الله يوفيء لحتى نسفّيء .

أم بسام: ويجعل التمام على خير .

انشغلت الساهرات بتناول الشاي وتتبّع أخبار قراءة فاتحة عزيزة ابنة إم

ياسين على إبن عمها. عن مجريات لعبة البرسيس بين سعاد وناجية. وقد حمي وطيس هذه اللعبة ووصلت إلى مرحلة حرجة، فكان أن انتبهت أم محمود إليهما فبادرت إلى القول:

أم محمود: لك يا جماعة مالكن دريانين إنّه التهينا بعزيزة ونسينا سعاد وناجية لوين وصلت مواصيل اللعبة بيناتهن؟!.

أم فؤاد: لك إي والله.. شو هي أم السعود بلائيك وحدك عم تصولي وتجولي.

سعاد: ولي عليها إجاها زهر بيفلج.. من مين محظّظة لك مأصوفة الرأبة؟!.

ناجية: من زوزي تئبري إمّك.

أم ياسين: أرجيني لشوف.. إي لآ، لا تخافي سعاد خانم لسّا في أمل، ويا ما في ناس على دودبة أخدوا الدأ.

ناجية: على خال دست أو بنج؟.

أم ياسين: إي إي على خال دست أو بنج. إذا جاوب الزهر.

ناجية: فال الله ولا فالك.. هي بعيدة على سنانها.

أم ياسين: إي لكان حمّي الودع هالمرّة، وافركيه وارميه على أدّ ما بتئدري. ومن كل عزمك.

ناجية: وهي متل ما إلتي اختي أم ياسين وهَه: هي:

شكّة وهي بارة وهي بنج.. لأ.. أربعة.

سعاد: كلهن فافوش.

ويستمر الزهر مع ناجية على ذلك الوضع من البرود.. حتى تُدخل سعاد

حجريها، وتبقى الدودبة على ناجية. فتكون الغلبة لسعاد على ناجية للسهرة القادمة. فتعمد ناجية إلى رمي البرسيس بعيداً قائلة:

ناجية: أنا مع مين عم إلعب.

سعاد: مع الأسياد بعد إمّك.

ناجية: وضريب يئشّك.

سعاد: يعني أنا لما إلت، إنّه ما بتنازل إلعب مع ناجية، زعلت أم محمود منّي.. يعني هيك أحسن، خلّيتوا خاطر ناجية ينكسر.. إضرب أنا عنّك يا ناجية.. ناولوها شي كاسة شاي خطَي خلّيها تروئ دمها. يا إما اعصروا لها شي كاسة ليمون!![٨]. لا تنسي تحسبي حساب إلفت. أم بحشور بالرز بحليب بس صار بدها براد شاي يا أم ياسين.

١٣ ـ فطاير السفيء:

أم محمود: ليش الشاي هلأ، ليكها فطاير السفيء إجت.

إلفت: هلأ هي المنفوخة فطاير السفيء.

سعاد: إي بعدي هي فطاير السفيء، شي يسفئك سفئ.

إلفت: ما لحا رد عليك.

تسكب عزيزة لكل من الساهرات فطيرة باللحمة، وتقول أم ياسين:

أم ياسين: يا جماعة يلّلي بدها تتنّي، خير الله كتير.. ويلّلي بدها في فطاير بالإشطة.. وفي فطاير بالجبنة.

أم محمود: إن شاء الله عوافي، كمان هالفطيرات من ابن عم عزيزة. حلوان إراية فاتحتها.. مو هيك أم ياسين..

أم ياسين: إي والله.

أم فؤاد: يعني حصل، مو هيك حصل.. وينها إلفت.

يكون فم إلفت مملوءاً بالطعام وفي صحنها فطيرة غير مقسومة.. فتقول لها سعاد:

سعاد: ولي عليكِ، شو بطنك أتلك.. ما شبعتي.

إلفت: إمبلى.. إنشاء الله عئبال البكاري أختي أم ياسين.

سعاد: وهي الفطيرة يلّلي بالصحن.

إلفت: هي للبّبو.. خطَي.. بعدين بتطلع بعينو.

أم فؤاد: هلاّ حطّي هالصحن على جنب وسمعينا شي زلغوطة للعروس.

إلفت: أوها: إم العروس أنا جوعانة.

أوها: وبدي صفيحة مأمّرة.

أوها: وإن شاء الله تضلي سالمة.

أوها: وديارك معمّرة..

لي لي... ليش.

الهوامش والحواشي:

١ ـ زوئكن: أذوقكم. إلت لحالي: قلت لنفسي. خص نص: خاصة بكنّ. الأهوة: القهوة. متأنّة: راتبة. إطلعي من هالبواب. أرادوا: الكف عن تشويه الأمور. ألبي: قلبي. نائزني: يحذرني. يأمعوك: دعوة تحبّب. تدولئي: تدولقي، اشربي. هلاّ: الآن. تئيل: ثقيل. يمّا: وإمّا. بئوم:

أقوم. الطبخة: أرادوا المقلب. سوا: سويّة: حأ: حق. بتعبّي الراس: تروي. كولكة: وجهنة. فيها إنّ: لها إشكال. يدوئها: يتذوقها. خدعتك: أقسمت عليك. شو: ماذا. تئبروني: تقبروني، دعاء تحبّب أو تعجّب. إنتو: أنتم. إيمة: قيمة، قدر. بكسر الهاء: قسماً بالله. إإدر: أقدر. بلعت الطعم: أنكرت. وقوعها بالفّخ. حوبة: لا تحسن التصرّف. إلّة: قلّة. يئول: يقول. حئ بؤ: حق بق، أرادوا التمني، الرغبة. إيدين وإجرين: يدين ورجلين، أرادوا، وضع العقبات والإشكالات. الرّأص: الرقّص. ملغوم: مغشوش. الدوبارة: اللف والدوران.

٢ ـ شركلهن: ورطهن. سمعان مو هون: المتجاهل الذي يدّعي أن لا علم لـه ولا خبر. فافوش: فارغة. تنغرش: تحرّك. بيشلبنوها: يقصرونها. شوي: قليلاً. يا ريت: يا ليت. بيصدّئوا: يصدقن. ما نك: لست. مع حدن: مع أحد. فوء: فوق. لئيناها: لقيناها، وجدناها. إصص: قصص. وينها: أين هي.

٣ ـ تحاحي: تدافعي. خيطي بغير هالمسلة: اتّبعي أسلوباً آخر. نأطينا: نقطينا، امنحينا. البّبو: الجنين. آيل: قائل. إرص: قرص. أدها: قدها. بحلئها: بحلقها. مئص: مقص. استلئي: استلقي، تلقّي.

٤ ـ طشت: إناء كبير، الله مولاه: كناية عن كبره. الهبّال: البخار. أم عص: أرادوا قوتها على غيرها من أندادها. السرنوّة: النسناسة، السهيانة. تتدولئي: تأكلين. ما لحا: سوف لا. إلّة: قلّة، اختصار. لشي: لأي شيء، لماذا. بوأته: بوقته. تفش قلبها: تموّه عن نفسها. أربوا: اقتربوا. الهوارين: الهرر. ما داؤوا: لم يذوقوا. الزفر: الطعام الدسم. الكمشة: ملئ الكف. عالجنبين: بجانبي الفم، الفكّين. نونو: مهلاً. نصتك: الساكت. ضيئة: ضيقة، حسودة. كثيرة غلبة: تحشر نفسها في ما لا

يعنيها. جكارة: نكاية. بالزوز: كل حبتين معاً. نائص: ناقص. وأت: حينما، وقت. تلحئ: تكسب الوقت. العئول: العقول. الرأبة: الرقبة، دعاء تحبّب. بركي في آخرة: ربما يوجد مآكل أخرى غير الفول. كل عيش إله كريش: كل مأكول لـه مكان في المعدة. ينبؤ: يخرج من محجره. ببّو العين: إنسان العين، حجر العين. فجعانة: لا تشبع وعينها في الطعام دائماً. المرأة: المرق. آتلك: قاتلك.

٥ - بوأتهن: في وقتهنّ. لآ: لا. خص نص: خصوصاً. اتفئت: كان الاتفاق. سلحبت: خلسة. دوز ودغري: مباشرة. شي بيحط العئل بالكف: أمر محيّر. وأت: عندما. أوّيها: قوّيها. أتلة: قتلة، إرغاماً. بسطة: دكّة. هديك: تلك. اسئا الله: سقا الله. أدّيش: كم. أبّان: قبّان. ما تئدر: لا تقدر. الخستخانة: المشفى. مخبّص بالأكل: مصاب بالتخمة. السوء: السوق. صعي: أصحيح. أتلة: قتلة من زوجها. ينتئم: ينتقم. مو نائص شي: لا ينقصه شيء. مرة: امرأة، زوجة. تزهزه وتسأسل: العناية البالغة. مكركب: مزعوج. أدّامه: أمامه. بتضيء: تضيق. فش خلؤه: صبّ جام غضبه.

٦ - أولك: قولك، يا تُرى. فتّئت: فتقت. منئودية: انتقاد. عئدة: عقدة. الأأل: الأقل. أنّينه: قنينة، وعاء زجاجي يحكم سدّه. أبر: قبر. الأصّة: السيرة. تأضّي: تمضي: نائصنا: ينقصنا. توئع: تقع. رأصة: رقصة. بتوأفوا: توقفن. المناءرة: المشاحنة. إشرتها: قشرتها. بالهيلمة: بالدجل. آل عألي: قال لي عقلي، بدا لي. أوم: قوم. ونش: رافعة. بالزور: رغماً عنه. ما في فرء: لا فرق. إإبل: أقبل. نائص: ناقص، ينقصني.

٧ - التمعزز: الممانعة بدلال. دأ: دق، لعبة غلب. يلئي: يتحمل. إيش: ماذا. ما يئدروا: لا يقدرون. يوأفوا: الوقوف. بوش: في وجه. شوبري: إعملي

حركات بيديك. الواه الواه: خسئت. مآبيلي: في مقابلتي. شيرتك: مكان بدء اللعب، تلت: ثلاث. تفتيء: تفتيق، كلام لا طائل منه. رأبتك: رقبتك. زيحي: أبعدي. استلئي: تلقّي.

٨ ـ طئم: طقم من (١٢) قطعة. مأدمين: مقدمين كهدية. مأطّع: قطع. نئول: نقول. أروها: قرؤوها. بيئدر: يقدر. ضهر: ظهر. يوفئ: يوفّق. نسفّئ: نصفق. بلائيك: أجدك. الرأبة: الرقبة. الدودبة: قبل نهاية المطاف لحجر البرسيس ببيت واحد. ويلزمه دست أو بنج للدخول إلى المطبخ. أدر: قدر. تئدرين: تقديرين. فافوش: غير مجدي. يئشّك: يقشّك، يقضي عليك. تروئ: تروّق.

٩ ـ السفء: الصفق، وهي نوع من البغاجا. تتنّي: تتناول فطيرة ثانية. الإشطة: القشدة. آتلك: قاتلك. عئبال: عقبال: تطلع بعينه: كناية عن الوحمة. مأمّرة: مقمّرة.

حادي عشر

١ ـ خاتم وزير.

٢ ـ يلّلي إيده بالنار... مو متل يلّلي إيده بالمي.

٣ ـ بالنهار خربت بيتها.. وبالليل حرثت زيتها.

٤ ـ حماية بدها كنّة لفّاية.

٥ ـ رز بحليب.. كل ما برد بيطيب.

٦ ـ أوّل عِشرة محبوبي.

٧ ـ حزّيرة غمزته بعيني وأصعت له... وحزازير أخرى.

٨ ـ إذا الأكل مو إلك.. بطنك مو إلك!.

١ ـ خاتم وزير:

تطلب إعداد الرز بالحليب في هذه السهرة، قدوم ناجيّة باكراً، والتعاون مع سعاد، في كل ما يلزم لذلك، وريثما يتكامل عقد الساهرات عمدت إلفت وأم فؤاد وأم بسام إلى المشاركة في لعبة خاتم وزير. كان الدور على إلفت، وكانت أعين باقي الساهرات مسمّرة على ظاهر كفّ إلفت، وهي تحاول تحريك الخاتم على ظاهر كفّها لإدخاله في إصبعها الوسطى، أو في إحدى أصابع ذلك الكف، والجميع يحدّقن بكف إلفت، ولا يكدن ينبشن ببنت شفة، حتى لا ترتبك إلفت ويقع الخاتم من على ظاهر كفّها وتقطم.

تقوم هذه اللعبة على قذف خاتم في الهواء، ومن ثمّ تلقّيه على ظاهر كفّ اللاعبة، لنقله أو تحريكه وهو على ظاهر الكفّ وإدخاله في إحدى أصابع كفّ اللاعبة، وبخاصة الإصبع الوسطى، أو أية إصبع وفقاً للتوافق بين اللاعبات.

وإلفت على عياقتها في هذه اللعبة، احتارت في أمر إيلاج هذا الخاتم في إصبعها، لأن أيّة حركة غير متّزنة في تحريك الخاتم، قد تسقطه من على ظاهر الكف وتقطم.

وعندما تقطم اللاعبة تخرج من اللعب، ويكون عليها. . حقاً يتراوح بين الحكم والرضى، من رقص أو غناء، والقيام بأعمال من شأنها الترفيه عن الساهرات وإدخال المرح إلى نفوسهن. .

فضلاً عن ما قد ينجم عن ذلك من مضاعفات وإرباكات لحامل في وضع إلفت وهي في شهرها السابع من الحمل. لما قد يتسبّب سقوط الخاتم من على ظاهر الكف وبخاصة تغريم اللاعبة التي قطمت، شيئاً من ما يحلّي أضراسهنّ، من حلوى أو فواكه، أو ما شابه ذلك.

فكان على إلفت التأنّي في تحريك الخاتم . . فلمّا حضرت أم شكري إلى السهرة ، تغامزت مع أم فؤاد ، على إرباك إلفت ، وجعلها تقطم ، قبل أن تنتهي ناجية وسعاد من طهي الرز بحليب وسكبه بالزبادي حتى يبرد ، ويقدم للساهرات .

أم شكري: شبك إلفت خانم غرآنة بشبر مي ، الخاتم ليكه ما بآ حتى يفوت بإصبعتك غير تكّة .

إلفت: شايفته أم شكري شايفته ، بس انت نأطيني بسكوتك ، خلّيني أعرف شو بدي إعمل .

أم شكري: شو عليه يا إلفت . . آل كانت النصيحة بجمل . .

إلفت: اختي متل ما بدّك . . بس أنا ما بدّي حدا متلك يعطيني نصايح .

أم شكري: إي لكان عينك على حالك وأوعي البّبو ليؤوم يسلت على غفلة ، يا إما يناولك شي رفسة . . شي لبطة تخلّيك تئولي يا ريت اللّي جرى ما كان .

إلفت: إي لآ بعد أمّك ، البّبو هلأ نايم وعين ألله عليه .

أم فؤاد: إي إي شبك إلفت ، كان لحا يوئع لإدّام . . إي إي وكمان نألة عاليمين ، لأ لأ كتّرت . . إرجعي لليسار . . شه شه . . . ليش هيك عملت . .

سبّبت توجيهات أم فؤاد إرباكاً لإلفت ، وقد توّجت أم شكري ذلك الإرباك بعطسة مدوزنة قوية ، فاجأت بها إلفت . . فكان أن سقط الخاتم على الأرض ، فصبّت إلفت جام غضبها على أم فؤاد .

إلفت: عجبك ست الحسن ، كلّه منّك ، منشان تكتّري غلبة تربّطت إيدي . .

هيك أحسن. . لك إذا ما بتعرفي أصول اللعبة ليش كتر الحكي، وإنت أم شكري خانم. . ما إجتك العطسة غير وأت ما صار الخاتم براس إصبعتي.

أم شكري: وليش مطموزة بعدي. . آل يللّي بتعرف ديّته إإتله. وإذا أطمتي، السهرة الجاية مناكل عوامة على حسابك. يا إمّا بتؤومي بترئصي لنا شي رأصة. . هلاّ!!.

أم فؤاد: كمان إنت إلفت، شو صايرلك طالع خلقك. لك إنت ياما غالبتينا بلعبة خاتم وزير.

أم بسام: في شي إلفت خانم. . . مالك بالعادة. يلّلي بيشوفك بيؤول شُبها عمّا تخانئ دبّان وشها[1].

٢ ـ يلّلي إيده بالنار مو متل يلّلي إيده بالمي:

حرّكت أقوال أم شكري وأم فؤاد، ومن ثم أم بسام مشاعر كانت إلفت لا ترغب البوح بها، فكان أن تراجعت عن موقفها معهن.

إلفت: إي والله الحأ معك يا أم فؤاد. . تئبريني لا تآخذيني، وإنت كمان اختي أم شكري. . . الله يلعن الشيطان، غصب من عنّي.

أم فؤاد: من عندي أنا وأم شكري، مالنا آخذين على خاطرنا منك. . . نحنا إخوات.

أم بسام: أكيد إلفت خانم، إنت مشغول بالك على صبحية، ومنشان هيك كان فاير دمّك.

أم فؤاد: دخلك إلفت خانم شو أخبار صبحية؟

إلفت: الله يكون بعونها . . . والله والله مالها عم تروح من بالي. بتلائيها بتؤوم من تحت الدلف لتحت المزراب . . لك ما بتصدئي يهدى لها زوزها شوي ، لحتى يئب من جديد ، ويجعل عاليها واطيها ويطربئها على راس صبحية .

وخلال ذلك الجدل ، حول وضع صبحية تكامل حضور الساهرات فانضمت إليهنّ كل من ناجية وسعاد ، بعد أن أكملتا طهي الرز بحليب وسكبه في الزبادي . وخصّ إلفت بزبدية مميزة ، على سبيل الإيقاع بها في شرك ، ذلك الشرك الذي جعل منها نيئة عن الخليئة في كل سهرة . وقد تطرق الحديث عن مدى الصلة بين صبحية وأبو كيس ، ومحاولاته الإمساك بزمام الأمر ، في وضع صبحية ، وابتزاز كل ما يمكن الحصول عليه . . . دون أمل يرتجئ . فكان أن سألت أم محمود سعاد:

أم محمود: أولك سعاد خانم ، هادا اللي اسمه . . . أبو كيس يلّلي أخذتي صبحية لعنده طلع بإيده شي؟

سعاد: والله يا أم محمود الشغلة مو بإيده بإيد صبحية .

أم محمود: شلون يعني؟! . .

سعاد: لك إختي بس تكون صبحية أبلانة الشي يلّلي عمّا يئوله أبو كيس يمكن يطلع بإيده شي .

أم بسام: شو حزيرة سعاد خانم؟

سعاد: لأ مو حزيرة . . . بس يلّلي بدي أوله ، إنّه كلنا منعرف أبو كيس زلمة مزعبر وشغلته فاضية ومو طالع بإيده شي . بس يلّلي إيده بالنار مو متل يلّلي إيده بالمي ، بيبئى متل الغرآن ، يلّلي عم يدوّر على أشّة يتعلاّ فيها . . بركي بتخلّصه . . . و أبو كيس بالنسبة لصبحية يمكن يكون هالأشة .

أم بسام: يعني شو لحا تستفيد من كل هالدورة واللّفتة؟.

سعاد: ما استفادت ولا لحا تستفيد شي. . . بس ما خسرت أكتر مالها خسرانة. بآ. . . احسبي هالزلمة الأشّة. . المهم ترتاح ويهدى بالها. وتفضى لبيتها وزوزها وبناتها.

أم محمود: إنت عيني.

أم فؤاد: وحماتها؟

سعاد: حماتها. . . الله يصطفل فيها. . . الله بعدي إسمه ما بيرمي الناس بحجار. . . الله كبير. لأن صبحية لو شعلت لها العشرة مالها مخَلْصة معها(٧).

٣ ـ بالنهار خربت بيتها.. وبالليل حرثت زيتها:

راودت بعض الساهرات فكرة مفادها، أن حماة صبحية لم تكن سيّئة بذلك القدر، في تعاملها مع صبحية، ولابدّ أن يكون لسلوك صبحية مع حماتها يد في ما ينال صبحية من عنت سواء من حماتها أو بنت حماها، وإن كان السبب المباشر يكمن في خلفة صبحية للبنات. أثارت هذا الموضوع إلفت مع سعاد، وشاركتها أم محمود.

إلفت: سعاد خانم.

سعاد: خير.

إلفت: بدي أحكي كلمتين، بس ما بدّك تزعلي مني؟

سعاد: ما عاش الزعل، احكي تئبريني إحكي.

إلفت: يعني بلا منئودية، يعني التوك مو كلّه من حماة صبحية، كمان صبحية

مالها مأصرة مع حماتها. البركة لسانها ما بيفوت لحلئها، وبتعطي كل مين شاطه تحت باطه، وما بتسكت على وحدة، المنائرة بدمها.

سعاد: شو تفضلتي بعدي!! هادا يلّلي طلع معك... آ. يعني شلون بدّك ياها؟!! تسكت وحماتها ما بيهنى لها عيش لحتى تخلّيها تبات زعلانة.

أم بسام: ولي على هيك حموات.

أم أكرم: الله يئوى عالأوي.

أم محمود: لك إختي المسايرة تلتين المعيشة، ويلّلي بدك تصابحه لا تآبحه، إي والله الكلام الحلو بيطالع الحية من وكرها. وصبحية ما بتنحلب ولا بتنجلب صاير فيها متل ما بيئول المتل:

بالنهار بتخرب بيتها وبالليل بتحرق زيتها، بالمناءرة مع حماتها وبنت حماها. بيؤوموا بيوزّوا عليها زوزها، وبيعبّوا لـه راسه عليها.. إه وعند عشيّة بتصفى لحالها آعدة عم تستنّى ليجي زوزها.

أم شكري: إي لآ أم محمود، مو كل هالأد.. إي والله صبحية ما في منها.

أم غسان: هلاّ إختي أم محمود، إنت مصداأة، إنه يلّلي عم يصير مع صبحية كلّه من يباسة راسها!!..

أم محمود: هلاّ بدّه مين يئول لي عن صبحية... الله يصلحها ما بتسكت على وحدة.

سعاد: يعني بدكن ياها تحطها واطية، وتصير ملطشة لحماتها من طرف وبنت حماها من طرف، وفوء هالشي زوزها. إي والله عندها بنت إحما بيخلى لها سبع بلاد.. وإذا سكتت لهن صبحية بياكلوها وبيستوكلوها على بارد المي. من غير ما يسمّي عليها حدا، ولي عليهن هنّ التنتين.

أم ياسين: الله يكون بعونها(٣).

٤ ـ حماية بدها كنّة لفّاية:

سعاد: وفوء هيك ، بيسهروا لوشّ الصبح ، وبيناموا للظهر ، وصبحية لازم تفيء أبل جهجهة الضّو ، وتحط كسر الصفرة لزوزها ، أبل ما يروح على شغله ، وتضب أوضتها وترتبها ، وتندار لأرض الديار والمطبخ ، ولسا ما تلحيء تلئط نفس ، لحتى تكون حماتها وبنت حماها فاؤوا من النوم .

وطول النهار هالحماية ما بتكل ولا بتمل ، وعلى أولة: ياالله صبحية خفّيها ، اشطفي ، كنسي ، إمسحي ، إجلي ، إغسلي ، فضّي إطلعي إنزلي . . . إنشري الغسيل ، اطبخي انفخي . إيمي حطي . . . لحتى ما يبئى لها المخلوءة حيل تئعد مع زوزها ساعة زمان عند عشية إذا إجا على باله يسهر بالبيت .

أم شكري: إي شو هالحماية ، يبلي عاشئها بالنسفة .

سعاد:ومو بس هيك .

أم ياسين: وشو كمان؟

سعاد: طول هالحماية مالها آعدة بتهت صبحية وبتؤول لها:

لا تفتكري بعدي إنّه ما بئي نسوان غيرك بنت بكري بوظ ، . . . والله والله . . . الله يشهد علي بزوزه غيرك بليلة ما فيها ضو أمر .

أم غسان: ولي عليها صاروا بناتها أطول منها .

إلفت: بتعرفوا يا جماعة شو يلّلي بيريّح صبحية من حماتها وبنت حماها؟

سعاد: أولي إيدي بزنّارك .

إلفت: تلاؤوا لها عريس يسر ألبها وخاطرها هيّة وبنتها .

الساهرات: الله وإيدك.

إلفت: وبتعرفوا شو كمان؟

أم محمود: وشو كمان إلفت خانم؟

إلفت: يا حزركن يا بزركن شو صار بالرز بحليب؟

أم محمود: هي الحأ معك فيها.

إلفت: آل أوعدتني بالحلأ بخّشت أنا أداني . . . لا الحلأ إجاني وأنا توزّمت أداني، إي والله ساف ألبي ونشف ريئنا من إصّة صبحية وحماتها . . .

٥ ـ رز بحليب كل ما برد بطيب:

لم تكد إلفت تُنهي كلامها عن الرز بحليب، حتى دخلت عزيزة بصينيّة ملأى بزبادي رز بالحليب وصحون وملاعق الزبادي. تلحظ إلفت زبدية تتوسط الصينيّة أكبر من بقية الزبادي. فيسيل لعابها لها. لكن أم ياسين قطعت على إلفت تطّلعها إلى تلك الزبدية قائلة:

أم ياسين: شوفو يا جماعة ومن بعد إذنك ناجية خانم. إلفت اليوم ما لحا تدوء هالرز بحليب غير بزلغوطة للرز بحليب.

أم محمود: ومنين لإلفت هلأ الزلغوطة. . إي والله خمسين بواردي، ما بيطالعوا من تم إلفت كلمة. . . عند البطون تذهب العئول، مو هيك إلفت خانم.

إلفت: لآ يُه إختي أم محمود، إم ياسين غالية علينا وهالزلغوطة هديّة مني لعزيزة (بنت أم ياسين) وإن شاء الله عئبال البكاري.

أم محمود: ومن عنّا إلفت خانم يا يا . . . ياه.

الساهرات: وهِيّه.

إلفت: أوها: ويا صحن حليب.

أوها: وكل ما برد بيطيب.

أوها: ونحنا... أهلية..

أوها: وما في حدا غريب.

لي لي... ليش.

أم ياسين: هلاّ زمّر بنيِّكْ إلفت خانم.

ناجية: تفضّلوا يا جماعة تفضّلوا... ما في شي من واجبكن. وأنا ما لحا أنسى سعاد خانم على لهفتها معي، يا ريت كل الحبايب متلها.

سعاد: هادا من زوئك ناجية خانم... نحنا إخوات.

إلفت: تاريها سميكة ومالي دريانة... رز بحليب وإشطة.. يا هيك.. يا بلا... إي والله لو كنت عرفانه ما كنت تعشّيت أبل ما إجي.

سعاد: شوفي إلفت لا تتلمّضي هي الزبدية الكبيرة سكبتها حبيبة ألبِك ناجية خص نص إلك وللببّو. بآ... كلي عنّك وعن أمواتك[٤].

٦ ـ أول عشرة محبوبي:

بينما كانت إلفت غرقانة بزبدية رز بحليب وتشربها شرباً وبدون ملعقة، تلحظ الساهرات إشراقة على وجه أم أكرم، تسأل أم فؤاد جارتها أم غسان:

أم فؤاد: أم غسان، مالك ملاحظة أم أكرم الليلة.

أم غسان: شو بها؟

أم فؤاد: على غير عوايدها، مزهزهة حالها الليلة مو هيك، سعاد خانم؟!.

سعاد: ليش ما دريتوا!!.

أم ياسين: بإيش؟

سعاد: زوز أم أكرم رجع.

أم بسام: بس بعد إيش.. يا حسرة.

سعاد: شو بتئصدي أم بسام؟

أم بسام: سلامتك.. ما بئصد شي. بسّ هي الدنية ما بتروح غير علّلي راح.

سعاد: ما فهمت.

أم بسام: إي لآ سعاد خانم بسلامة عرفك. إنت عرفانة عالطاير.

أم فؤاد: شو نسينا شو صار بحماتها لأم أكرم بعد ما هج ابنها وترك لها البيت.

سعاد: ليش هي شغلة بتنتسى؟ والله شي بيئطّع الألب... بس شو بدنا نساوي هاد شي مئدّر من ألله.

أم فؤاد: المسكينة انسلت سلي وماتت طئيئ على ابنها.

سعاد: يعني كل هالأد إنت زعلانة عليها.

أم فؤاد: الحكاية مو حكاية زعلانة عليها يمّا لأ، كلنا منعرف شو كانت تعمل بأم أكرم وأمّها، بس عم أول ما حدا حاطط على راسه خيمة، والمخلوءة صارت أمام الحأ بعدي إسمه، وهو بيعرف الظالم من المظلوم... ألله متل ما منعرف بيمهل وما بيهمل. وحماة أم أكرم مالها من رب العالمين غير الرحمة.

سعاد: إي والله الحأ معك... ألله يتولاها برحمته... هيك رب العالمين كاتب لها.

إلفت: هلاً لحا تئلبوا لنا ياها محزنة... يا جماعة... يا جماعة... الحاضر يعلم الغايب زوز أم أكرم رجع.

أم شكري: بالله شو؟!.

إلفت: إي والله.

أم شكري: الله الله. يا أم أكرم... عم أول لحالي، أم أكرم مالها على عوايدها ومنين لها هالروايح الحلوة.

أم أكرم: خير.

أم محمود: لك فرّحينا معك، والله منفرح لك. يمّا بس وأت الهم والغم ألبنا معك.

أم أكرم: إي والله الحأ معكن، بدّي أول لكن، بس متل مالكن شايفين ماصار لي، حكاية صبحية بتشلش بلد، الله يكون بعونها.

أم ياسين: إي لكان اضحكي... اضحكي خليه يرخص الخبز.

إلفت: بالله شو... بدنا حِلوتها.

أم أكرم: على عيني بس إنت إإمري.

أم ياسين: شفتي يا إم أكرم... يلّلي بيصبر بياكل طيّب.

أم شكري: إي والله.

أم فؤاد: يا جماعة أبل حلوتها خلّينا نفرح مع أم أكرم الليلة... مو هيك؟

أم محمود: إي والله أم أكرم بتستاهل.

سعاد: وأنا لحا غنّي لها، بس مين لحا يرقص لنا الليلة.

أم محمود: بسلامة الصبايا.

إلفت: وهي زلغوطة من عندي:

أوها: وياما تغامزوا بعينيهن

أوها: وياما دبّكوا بإجريهن

أوها: وآلوا زوز أم أكرم ما بيرجع.

أوها: رجع وطئّت عينهن.

لي لي... ليش.

تشرع أم ياسين بالعزف على العود وتمسك ناجية بإيقاع الدربكّة وتتمايل الصبايا بالرقص بمشاركة أم أكرم.

سعاد: أوّل عشرة محبوبي — هداني خاتم ألماس..

يا عيني

الساهرات: وهوّ أصدي ومطلوبي — وهادا الأليأ بين الناس

يا عيني

سعاد: إلت لها مشّي بكير.. — ما حدا بيعرف شو بيصير بيصير

درب الحب طويل كتير — وياما آسوا منه الناس.

يا عيني

الساهرات: أوّل عشرة محبوبي هداني خاتم ألماس . .

وهوّ أصدي ومطلوبي وهادا اللالىء بين الناس

يا عيني

سعاد: منديلك أحمر وردي زاهي بلون الخدّ

وإيمتى بتجي لعندي لشيلك فوء الراس

الساهرات: أوّل عشرة محبوبي هداني خاتم ألماس . .

وهوّ أصدي ومطلوبي وهادا اللالىء بين الناس

أم ياسين: إن شاء الله مبروك يا إم أكرم. وإن شاء الله لحا تشوفي أيام تخلّيك تنسي هديك الأيام ياحا.

أم أكرم: الله يسلمك ويئدّرني على مكافاتكن.

إلفت: بالله شو؟ هي وين بيصرفوها، خيتو من آصرها، حك ليّ لحك لّكْ . . . وين الغلاءة. خاي؟

أم محمود: يُه يفكحك . . . إني غلاءة.

إلفت: غلاءة الصلحة يوب. . شو ما في حكومة، يمّا وكالة بلا بوّاب.

يعني بالألم العريض، بدنا نحلّي ضرسنا إم أكرم. . . ما هيك صار الحكي. يما بس ألله يهني سعيد بسعيدة وهالناس يلّلي أدّامك خلّيهن على أماري الحمام يستنوا فرج الله.

أم أكرم: لآ يُه ألله يسامحك كل شيء بيرخص لكن. . . يمّا أول لكن شو رأيكن بأكلة عوّامة بالسهرة الجاية.

إلفت: منيح كتير بس بالسهرة الجاية الحزيرة على مين؟

ناجية: لآ إلفت خانم، هَي خلّيها علي أنا[٥].

٧ ـ حزيرة غمزته بعيني وأصعت له، وحزازير أخرى:

أم محمود: وهلاً يا جماعة، ناجية خانم لحا تحزركن الحزيرة يلّلي وعدتنا فيها هديك السهرة، ويلّلي شايفة حالها أد هالحشوة تأرجينا حالها.

أم أكرم: إي والله اشتئنا لحزازير ناجية الحلوة.

أم محمود: وإنت يا أم أكرم وئعت لما رماكِ الجمل.

أم أكرم: شو يعني.

أم محمود: بدّك تردّي على ناجية بحزيرة من عندك.

أم أكرم: يِه والله ما بعرف. . . وما لي أد حزازير ناجية خانم.

إلفت: لا تتدللي أم أكرم أنا بعرف، إنّه بيت السبع ما بيخلى من العضام. والجود من الموجود. ما فيها خسارة.

أم أكرم: خوش إنتوا أفضالكن طامرتني وألله يأدّرني. . بس مو من وزن حزيرة ناجية خانم ولا هيّة رد عليها ولا أفلة لحزيرتها.

ناجية: يا جماعة الشغلة مو شغلة حزيرة حلوة، يمّا مو حلوة. كل الحزازير حلوة، بس بدها وحدها تلئطها وتصفن فيها وتعرف وين مربط الفرس بالحزيرة، والشطارة بلّلي عم يئول الحزيرة وحبكته إلها.

سعاد: ست الحسن هلاً لحا تعملي لنا إجرين وإيدين لهالحزيرة؟ شوفي ناجية خانم، يا إمّا بتؤولي حزيرتك وبلالك كترة هالحكي، يا أما أنا بئول حزيرة بدالك. . شو إلتي؟

ناجية: بالله شو؟ . . من إيمتى كنّا والسمس تراأعنا . . شوفي سعاد؛ وأت أنا بدّي أول حزيرة ، البائي يصف على جنب . . . ومين ما كان يكون .

أم محمود: إي لآ تخنتيها ناجية خانم ، طلعت إيدها .

ناجية: إذا بتسمحي لي إختي أم محمود ، بس خلّيني شوف شو عند أم كلّه يلّلي ما عاجبها حدا .

سعاد: ناجيّة خانم ، اسمعي . . بس اسمعي منّي هالكلمتين . .

ناجية: وشو في غيرهن عندك أوليه .

سعاد: حسبيني ما بفهم ، وطلطميس ، وحوبة . . في أكتر من هيك . . .

ناجية: والله أنا ما إلت هيك . .

سعاد: معليش ، أنا عم أول عن حالي هيك ، بس بدّي إسألك هالسؤال ، إذا عرفتيه ، بحط لك عصا الطاعة ، مو منشان شي٭ . . منشان تعرفي إن الله حأ ، والحجر يلّلي ما يعجبك بيفجّك .

ناجية: وإنت إلتي . . شاهدين .

أم محمود: بس ما بدها حكي طالع نازل ، وتكسير مآديف .

ناجية: هاتي لنشوف .

سعاد: هادا يا ستي:

وحدة آعدة عالأبر عم تبكي .

شافها رجال . آل لها: ليش عم تبكي .

آلت له: اتركني بهمّي . . .

آل لها: ليش؟

آلت له: أخو مرت الميت عمي.

بآ يا ناجية المكلمدان شو بيئرب لها الميت؟

أم بسام: الدم يشويك.. شو دوّيخة؟

سعاد: لآ... يُه، شو دوّيخة؟.. هلاّ ناجية خانم، إذا بدّك تعرفي شو بيئرب لك هالميت، فضايل الله حولك، وبعيد الشر عنّك، بتكون دوّيخة!!.. إي والله أهون من شربة المي.

أم بسام: لك أني مي هي... إنشا الله المي تعلاّ بزلاعيمك.

سعاد: هلاّ هي صعبة... شو صعّبها؟

أم محمود: يعني بدّك نئول عززنا... يمّا عم تمزحي سعاد خانم.

سعاد: لا والله ما عم إمزح.

إلفت: ليكون ابن عم نكّاشة بيّوركن بالرضاعة.

سعاد: هلاّ إنت خليك ببطنك والبّبو تبعك.

إلفت: الواه الواه عليك.. هَهْ تطئّك.

أم شكري: وينكن يا جماعة.. تعو نحلها سوا.

ناجية: شلون.

أم محمود: يعني إذا كان أخوها لمرت الميت بيكون عمّك، شو بيكون الميت إلك؟

ناجية: شو بيكون الميت إلي... شو بيكون الميت إلي.. إي إي العين تطرئك بيكون زوز عمتي.

أم شكري: إي والله . . . إي والله . . . ماهيك سعاد خانم .

سعاد: مزبوط . .

أم أكرم: يو يا سعاد ما تروحي غير تنتيف على هالحزيرة منين جايبتيها؟

سعاد: شو بيعرفني . . . طلعت معي . شو إلتي ناجيّة خانم؟ .

ناجية: والله مالك هينة يا سعاد .

سعاد: إي لكان ناجية خانم ، الحجر يلّلي ما بيعجبك بيفجّك . . .

ناجية: مزبوط ، ولحا أبصم لك بالعشرة . . منيح هيك .

وهلاً يا سعاد خدي مني هالحزيرة أبل ما تبرد حزيرتك . .

أم ياسين: إي إي ناجية خانم ردّي لها ياها . . . لحتى تعرف إن الله حأ .

سعاد: شو عليه يا أم ياسين . . بس الآخرة يا فاخرة .

أم محمود: وإذا ما عرفتيها سعاد خانم بيطلع عليك حأ .

سعاد: وأنا رأبتي للحأ .

أم شكري: عالحكم والرضا .

سعاد: عالحكم والرضا ، إختي أم شكري ، بس ناجية خانم ، لا تعمل لنا بالرز بصل .

ناجية: إي لكان إسمعي ، وبلا حكي بلا طعمة .

سعاد: وأنا لحا أول لك شو عليه: آلو لرمضان ليش ما بتيجي بشعبان ، آل لهن كل شي بوأته حلو .

ناجية: لكان احزري شو آل:

دأ الباب فتحت له.

وأهلاً وسهلاً إلت له.

غمزته بعيني وأصعت لـه.

أم محمود: يُه... شو هاد ناجية خانم، بلالك هالإلّة حيا.. عيب شو هيّة أصعتي لـه، ما أصعتي لـه.. ما بدنا حكي برّات الطريئة وما بدنا حكي شروي غروي.

ناجية: مالك حأ أم محمود.. أنا ما حكيت شروي غروي... بعدين أنت يا ما أصعتي لـه... وأنا وأنت، وياما كل وحدة منّا أصعت له.

أم شكري: طَبْ شو معناه هالكلام؟

ناجية: ليش خلّيتوني كمّل الحزيرة.

أم ياسين: كمان في كمالة للحزيرة.

أم محمود: كملي ناجية خانم عم نسمع.

ناجية: وحط الناعم عالناعم.

وبمحرمتي مسحت له.

بآ شو هي يا أم السعود؟

سعاد: والله مالي عرفانه شو بدّي أول.

ناجية: ولا لحا تعرفي..

سعاد: والله يا ناجية خانم، شيت إنّه حزيرتك تئيلة ومحبوكة. والله وبكسر الهاء تئيلة ومحبوكة ومرتّبة. بس:

أم محمود: سعاد خانم، الحزيرة وسمعتيها، يعني ما بدها بسبسة، يا بتحزريها، يا بتئولي عزرت.

سعاد: بعرف بعرف أختي أم محمود، وأنا زاهزة للحكم، بيلّلي بتئوليه... بس خلّوني فكّرلي شوي.

ناجية: خدي راحتك تئبريني.. الليل طويل والرب كريم.

سعاد: ليكون إبريء المي تبع الزنبوعة.

ناجية: لآ مو إبريء المي تبع الزنبوعة، هداك بتفرشخي له.

أم محمود: ناجية... شو حكينا.

ناجية: إختي أم محمود أنا ما خرجت عن الطريئة... بآ لا تحبرمي حولي، ولا تودّي أفكارك لبعيد... حاكم أنا عرفانة أدّيش نيتك عاطلة ناحي الليلة.

أم محمود: إن شاء الله كون غلطانة...

أم شكري: خلّونا بالحزيرة يا جماعة... شو سعاد خانم.

سعاد: ناجية خانم... هادا يلّلي أصعتي له، مأكول يمّا منضور؟

ناجية: لأ منضور.

سعاد: يئصعوا لـه النسوان والرجال.

ناجية: النسوان بيئصعوا له، بس الرجال أوائيت ومو كلهن.

سعاد: وكم مرّة الوحدة بتئصع لـه باليوم؟

ناجية: أأل شي مرّة باليوم.

سعاد: إيمتى؟

ناجية: عند عشية أكتر شي.

سعاد: لك هيّة بذاتها... هيّة بذاتها يا جماعة... هي المكحلة... هي المكحلة ولي عليك شو أويّة يا ناجية، لهون وصلت معك؟

الساهرات: إي والله المكحلة.

أم فؤاد: شلون هيك.

سعاد: أنا لحا أول لك... هَهْ شوفوا... ناولوني مكحلة إختي أم ياسين.

تسارع ابنة أم ياسين عزيزة وتحضر لسعاد مكحلة. تقوم سعاد بشرح عملية تكحيل العين وكيف أنّ المرأة عندما تريد أن تكحل عينها، تنقر على المكحلة، ثم تفتح المكحلة وتُخرج ميل الكحل منها، وتميل (تقصع) إلى الوراء، وتضع الكحل الناعم يعني الكحل بالعين.

ثم تمسح ما قد يسبب ذلك من دموع بالمحرمة ثم تقول: بآ... شو رأيكن.

الساهرات: مزبوط.. مزبوط.

أم محمود: بدكن الحئيئة، إنتو التنتين إد بعضكن، ومالكن هينين.

ناجية: بس إختي أم محمود، مالك حأ.

أم محمود: بإيش. تئبريني؟

ناجية: بدي إسألك، أنا صعي كل هالأد إليلة حيا.

أم محمود: بهيّ إنت عيني، وعلى راسي من فوء، وبدّك ما تآخذيني... الله يلعن الشيطان.

ناجية: هلاً شو دخل الشيطان ، يمّا كل ما عملت الوحدة عملة بتحط الشيطان بالنص؟!

إلفت: هي أم محمود شغلة كبيرة ، وما بتنحل بكلمتين ظراف . . بعني بالمشرمحي ما بتمرء هيك . هي بدها حأ .

أم محمود: إي والله . . . وأنا زاهزة ، وشو بدكن أرؤص لكن ، يمّا غنّي لكُنْ .

سعاد: لآ . إختي أم محمود شبعانين رأص وخلع . . .

أم محمود: على عيني كل شي بدكن ياه .

ناجية: ما بدنا غير سلامتك .

سعاد: وفوء هيك بدنا تبحبحي هدية الحجّي .

أم محمود: كمان على راسي من فوء .

إلفت: وهلاً يا جماعة إسِمنّها الشغلة حامية . شو لحا تسمعنا أم أكرم .

أم محمود: صعي أم أكرم ، ما بتتذكري لك شي حزّيرة .

أم أكرم: إمبلى . . . إمبلى . . بس خايفة ما تكون أدّ المآم .

أم محمود: إي لآ . . . أم أكرم فيكي البركة . . يمّا عم تتدلّلي يا عيني؟

أم أكرم: لآ هَهْ متل ما بدكن ، لحا حزّركن حزيرة سمعانتها من زمان وزمنة:

آل: يا حاضرين كلكّم كم واحد منكم أرى .

دلّوني على طير طليموسي بأنو موضع يا تُرى .

طير إله سبع روس وبكل راس مبخرة . .

ناجية: شو هاد يا أم أكرم . . تاريكي فيكي البركة ، لك شو هالأدملك . . صار لنا زمان ما سمعنا هيك حزّيرة . . . الله يسلّم هالتم .

أم ياسين: هي حزيرة بينحطّ لها عصا الطاعة شي حلو . . ما يبلى يا أم أكرم .

أم بسام: انشا الله تضلّي دوم رايئة ومهناية وتئولي لنا هيك حزازير .

أم محمود: وبعدين إنت وياها مين عرفها؟

ناجية: شو أم محمود ، باينتك عارفتيها ، أولي لا تستحي .

أم محمود: لآ إنتي أوليها عني .

ناجية:هلأ لحا تشتغلي فينا أم محمود ، أولي. أولي. . . ومن تمّك أحلى يا كحلا .

أم محمود: وإذا إلت لكن هيّ الصبّارة .

سعاد:وإذا إلنا لك شو عرفك يا أم محمود؟

أم محمود: إمبلى . . . إمبلى الصبارة ، وأنا سمعانتها من حماتي الله يرحمها .

أم أكرم: مزبوط الصبارة .

أم ياسين: لكان يا أم محمود صار بدنا ردّة لحزيرة أم أكرم من حزازير حماتك أيام زمان .

أم محمود:لك هلأ شو جاب هالسيرة على بالك ، يا أم ياسين . . . ليكها إلفت وناجية وسعاد وهي أم أكرم . . .

أم بسام: أي لآ أم محمود أنا بعرفك مليانة ومتليّة . يمّا إذا صرتي مرت الحجّي ما بيصير تئولي حزازير .

أم محمود: لآ يُه. . . مو هيك، أنا والله لو ما بحبكن ما كنت معكن بالسهرة. بس شغلة فات عليها زمن بعيد. . ونسيانة.

أم بسام: يعني لا تئولي كسرت الدف وبطلت الغني. . . هيك شغلات ما بتنتسى.

أم ياسين: إي أم محمود أوّي ألبك. . . بعدين بتزعل أم أكرم. . .

أم محمود: أنا ما بيهون علي زعل حدا منكن. . . بس ما بيالي ردّة لحزيرة أم أكرم.

ناجية: معليش أم محمود، بس تكون من حزازير أيام زمان.

أم محمود: لكان اسمعوا:

آل: شي برأ برأ

وتخبّا بين الدوالي والورأ

يا عمّي يا فاكياني. . .

عندك فاكية بلا ورأ.

ناجية: إضرب أنا عنك شو عمّا تنسي. . . دخلك نسيانة ليلة عرسك.

أم محمود: يعني ما بدكن تحزروا الحزيرة يمّا ما عجبتكن؟

سعاد: شلون ما عجبتنا وأم محمود آلتها. . . بس أبل ما نئول لك شو هية، بدك تئولي لنا منين سمعانتيها؟. . كمان من حماتك؟

أم محمود: لأ من ابن عمي.

أم بسام: عم أول لحالي!!. مالك هينة. . تاريك مخبّاية بتيابك.

أم ياسين: لك ناجية على شو عم توتوتي إنت سعاد؟

ناجية: ما في شي .

أم ياسين: بذّمتك .

سعاد: لا تحلفيها إختي أم ياسين . . . كل شي لحاله . . . نحنا هون بالسبهرة ، وكل وحدة فيها تئول يلّلي بدها إياه .

ناجية: إذا بدك تزعلي أم ياسين منشان إختك أم محمود ، أنا لحا أول لك .

أم ياسين: بالله شو كنت عم تحكي إنت وسعاد ، مو على أم محمود .

ناجية: لآ . . مو على أم محمود . . . أم محمود .

أم ياسين: لكان؟

ناجية: على حزيرتها ، إلنا لحالنا: خلينا نفوّر دمها شي مرّة . . . يعني مالها بسعرنا . . .

أم محمود: خوش أنا ما عاد بدّي حدا يعرف الحزيرة ، ما بيلبأ لكن . الحأ مو عليكن .

سعاد: لكان الحأ على مين؟

ناجية: الحأ عالكمة تبع الحزيرة .

أم محمود: تضربي منّك إلها . خرج أنا كون عاملتها مع شي وحدة منكن[٦] .

٨ ـ إذا الأكل مو إلك... بطنك مو إلك:

انشغلت الساهرات باتفاق سعاد وناجية وأم بسام ، على مكايدة أم محمود بتجاهل الحزيرة التي قدمتها نزولاً عند إلحاح الساهرات . . . عن ما كانت تعانيه إلفت من آلام . إلى أن انتبهت إليها أم ياسين .

أم ياسين: يا جماعة شوفوا شبها إلفت باينتها عم تتوجّع.

ناجية:يي إي والله.. شبك إلفت، بك شي... شو عم يوجعك؟

إلفت:آخ... آخ... ما بآإدر... ما عاد فيني. دخيلكن ضهري... آخ صلبي خواصري.. إي... إي أي آخ.

سعاد: وين عم يوجبك إلفت... إغلي لك كاسة يانسون؟

إلفت: لآ لآ... أي أيْ... هون... هون... سكاكين عم تغزّ ببطني، لك دخيلكن... دخيلكن..

أم ياسين: لك شو آكلة إلفت. شو آكلة...

إلفت: ما أكلت شي... متلي متلكن، رز بحليب.

أم ياسين: لك سعاد شو حاطّة، لإلفت بالرز بحليب؟

سعاد: شو بدي حطّ لها... هيّة بطنها كبير... إسم الله أكلت زبدية رز بحليب ألله مولاها.

ناجية:(هامسة لسعاد) سعاد ليكون المسهّل يلّي حطّيتي لها ياه بالرز بحليب سهّلت منه.

سعاد: ينكت كرارك.. بآ مسهل بيعمل هيك بإلفت، المحوراه من كتر ما أكلت.. هَيْ إلفت مدفع ما بيأسّر فيها.

أم أكرم: لتكون عم تتوجّع.

أم بسام: إي لآ ما حلها.

أم شكري: شلون ما حلّها، صار لها سبع تشهر، وبيزوز مخربطة بشهرها ومالها عرفانة آل:

عدّوا البيض بالمئلة . . . ولا تعدّوا أشهر الحبلة .

وبعد أن يأخذ الألم مأخذه من إلفت ، وتبدو عليها علائم ، الإعياء تهدأ بعض الوقت ثم تعاود التوجع .

أم فؤاد: وهلاّ شلونك؟

إلفت: أحسن .

أم محمود: بإيش حاسّة؟

إلفت: بشي عم ينغل من صلبي لضهري . . . آخ . . . آخ . . . آخ . . . دخيلكن . . . ضهري . . بطني . . آخ . . . إه . . إه . . . راحت . . . راحت .

أم غسان: لتكون المخلوءة عم تطلأ . يا جماعة إلفت بكرية ، ما بتنترك هيك .

أم محمود: يُهْ . . . لتئوم تعملها .

أم شكري: أحسن شي خلّينا ناخدها عالبيت . . . بيتها أستَر لها . . حاكم هادا الطلئ حرامي بيجي على غفلة .

أم محمود: إي والله .

ناجية: للسهرة الجاية إن شاء الله بتكون إلفت بخير . . . ولوأتها بيفرجها ألله .

أم محمود: أنا رايحة معها وصلها عالبيت .

ناجية: وأنا جاية معكن .

* * *

الهوامش والحواشي:

١ ـ تقطم: تخطي وتخرج من اللعب. عياقتها: مهارتها. حقاً: غرامة. تكّة: أرادوا، نقلة صغيرة. نأطيني: نقطيني، من النقوط، أرادوا: لزوم السكوت. شو: ماذا. متلك: مثلك، أمثالك. البّبو: الجنين. يسلت: يسقط. تئولي: تقولين. يا ريت: يا ليت. اللّي: الذي. هلأ: الآن. شبك: ما بك. يوئع: يسقط، يقع. شوي: رويداً. لإدام: إلى الأمام. ليش: لماذا. هيك: هكذا. تكتر: تكثر. تكتّر غلبة: تتدخل فيما لا يعنيها. وأت: وقت. عندما. مطموزة: زعلانة. أتلة: قتله. بترئصي: ترقصين. خلئك: خلقك. عصبيتك. تخافي: تخاصم. والمقولة كناية عن الغضب الشديد.

٢ ـ تئبريني: تقبريني، دعاء تحبّب. كمان: أيضاً. غصب من عنّي: رغماً عني. بتلائيها: تجدينها. ما بتصدئ: لا تصدق، لا يكاد. زوزها: زوجها. يئب: يقب، يثور. بطربئها: بطربقها، يصب جام غضبه. نيئة عن الخليئة: الخليقة، والمقولة كناية عن التميّز عن الآخرين. أولك: قولك. طلع بإيده شي: أمكنة فعل شيء. أبلانة: قبلانة، راضية. مزعبر: كذوب وأفّاق. يبيئى: يبقى. الغرآن: الغريق. آشة: قشّة.

٣ ـ حرئت: حرقت، والمثل كناية عن الندم. منئودية: نقد. التوك: العلّة. مأصرة: مقصرة. لحلئها: إلى حلقها، كناية عن طولة اللسان. تعطي كل مين شاطة تحت باطة: كناية عن قوتها في مواجهة من يتصدّى لها. المنائرة: المناقرة، المشاحنة. يئوى: يقوى. تآبحه: تقابحه، تزعجه. ما بتنحلب وما بتنجلب: كناية عن العناد. الآد: القدر، المقدار. فوء: فوق، زيادة. يخلى لها سبع بلاد: كناية عن تمكنها من الإيقاع بغيرها. التنتين: الاثنتين.

٤ ـ لفّاية: خادمة. لوش: وجه. الضهر: الظهر. ماتلحئ: لا تلحق، تكاد. تلئط: تلتقط. تلقط نفس: تستريح قليلاً. فاءوا: استيقظوا. ما يبئى: لا يبقى. المخلوءة: المخلوقة. حيل: قوّة. تئعد: تقعد، تسهر. عاشئها: عاشقها. والمقولة كناية عن التحقير. بتهتّ: تُعَيِّر. أمر: قمر. تلاؤوا: تجدون، تلاقون. الحلأ: الحلق، الأقراط. العئول: العقول. زمّر بنيّك: مشي الحال، صار يحق لها. زوئك: ذوقك. سميكة: أرادوا: دسمة. إشطة: قشدة. أبل: قبل. ألبك: قلبك. عنّك وعن أمواتك: ما شئت.

٥ ـ مزهرهة: مبسوطة. بعد إيش: بعد ماذا، ما فعل. ما بتئصد: لا تقصد. بيقطّع الألب: محزن للغاية. طئيئ: طقيق، حسرة وكمداً، هالأد: بهذا القدر. أمام الحأ: بين يدي الله. تئلبوا: تقلبوا، تحولوا. بتشلش: تشغل. طئّت عينهن» طقّت، والمقولة: خرجت من محجريها. أصدي: قصدي، مطلب. الأليأ: اللائق. آسوا: قاسوا. إيمتى: متى. فوء: فوق. يئدّرني: يجعلني قادرة. من آصرها: بالمختصر المفيد. الغلاءة: البقيّة. على أماري الحمام: قمريات، سطح الحمام.

٦ ـ أصعت: قصعت. مالت إلى الوراء إغراءً. شايفة حالها أدّ هالحشوة: ترى نفسها قادرة على الوقوف بوجهها، أمامها. اشتئنا: اشتقنا. وئعت: وقعت. تلقطها: تلقطه، تعرف القصد منها. السمس: الشمس. ترأعنا: تصيبنا، تشرق علينا. أم كلّه: المدّعية. طلطميس: غبيّة. حوبة: بلهاء. إلتي: قلت. حكي طالع نازل: غير لائق. آعدة: قاعدة. الأبر: القبر. المكلمدان» المدعية الفهم. بيئرّب: يقرب، من القرابة. تعلأ: تعلق. عزنا: عجزنا. هَهْ: أرادوا الخمسة بعيون الشيطان؟ تطئك: تصيبك. أبصم لك بالعشرة: الإصابع العشرة. لا تعمل لنا بالرز بصل: لا توارب. حكي بلا طعمة» لا طائل منه. دأ: طرق. إلّة: قلّة. الحيا: الحياء. الطريئة: الطريقة، الصواب. شروي غروي: كلمة من الشرق وكلمة من الغرب:

غير متّزن. تئيلة: ثقيلة، بمعنى جيدة. إبريء المي: إبريق الماء. لا تحبرمي: لا تحومي. أديش: كم هي. منضور: منظور. أوائيت: أحياناً. الحئيئة: الحقيقة. بالمشرمحي: بالألم نشرح. ما بتمروء: لا تمر. أد: بقدر. أدّ المآم: لائقة. الأدملك: الموغل في القدم. رايئة: رائقة. مبسوطة. باينتك: يبدو إنك. ليكها: ها هي. برا: بَرَق. الورا: الورق. خوش: أصلاً. ما بيلبأ: لا يليق، لا تستاهلن. الكمة: الكمأة.

٧ - إإدر: أقدر التحمّل. ضهري: ظهري. وين: أين. حطّيتي: وضعتِ. ينكت كرارك: دعاء توبيخ. ما بيأسّر: لا يؤثّر، لا يجعلها تُصاب بمكروه. سبع تشهر: سبعة أشهر. ينغل: يتنقّل. راحت: خفّت. تطلأ: تطلق، المخاض. لتئوم تعملها: يبدأ مخاضها وتلد.

ثاني عشر:

١ ـ سنّادة الخاصرة.

٢ ـ هون حطّنا الجمّال.

٣ ـ العوامة.. العوّامة.

٤ ـ عينكن ما تشوف هيك عوامة.

٥ ـ راحة البال.

٦ ـ جلبة وتعويذة.

٧ ـ موت يا عبدي، غصب يا ربّي.

٨ ـ من عمايل الدّاية.

٩ ـ في الحمّام.. كيف تصبح البنت صبيّاً!.

١٠ ـ حط إصبعتك بعينك..

١١ ـ مرمر زماني يا زماني مرمر.

١٢ ـ المناغشة بألقاب النسوان.

١ ـ سنّادة الخاصرة:

جرى العرف على إطلاق هذه الصفة، على من يرافق الآخر، وبخاصّة في المشاوير والزيارات، التي لا تمتّ له بصلة، ولا ناقة له بها ولا جمل. بل إنّه من كثير من الأحوال، يجد نفسه غريباً عن الحضور... وقد لا يستريح الحضور إلى وجوده معهم، ولا يأنسون لاطّلاعه على دخائلهم التي قد تُثار في ذلك المجلس.

أطلقت هذه الصفة على أم محمود، كونها حضرت مع ناجية متأخرة عن السهرة، والكل ينتظرنها، للوقوف على حالة إلفت الصحيّة، وبخاصة وإن أم أكرم قد أحضرت معها العوّامة والزنكل حلوان عودة زوجها إليها. عمدت أم ياسين إلى إشغال الساهرات عن التفكير بأم محمود بتقديم عصير البرتقال لهن.

في هذه الأثناء دخلت أم محمود وناجية على الساهرات، لم تكد أم محمود وناجية تجلسان، حتى ابتدرت أم ياسين أختها أم محمود مستفسرة.

أم ياسين: أشهد بالله أنكنّ بنات حلال، ومن شوي!! إإجيتوا على بالي، وإلت لحالي ما لها أم محمود بالعادة تتأخّر، بس لّمن لئيت ناجية كمان تأخرت استغربت وانشغل بالي أكتر. لأنه طريء ناجية لهون غير طريئك أختي أم محمود.

ناجية: والله يا بنت الحلال الشغلة صارت صدفة، إلت لحالي بمرؤ على أم صياح الداية بتطمّن على إلفت. إمت لئيت إختي أم محمود جاية عالسهرة، إه إلت لحالي منجي سوا، وبالطريء تفركشت، آم انكسر كعب اسكربينتي، انخطفت أنا وأم محمود عالبيت لبست غيرها وإجينا.

سعاد: يعني إنت أم محمود كنت معها سنادة خاصرة، ونحنا عم نستنّى تطمنينا على إلفت. يعني بنت بكري بوظ ما فيها تروح لحالها تغيّر اسكربينتها، يمّا بدها معها سنّادة خاصرة.

أم محمود: لآ بعدي... أنا كبرت على سند الخواصر... لك إنتِ مو بإيدك بتتحركشي بالحمّة لتجيكي البردية. ولي عليك على هالسان شو متبرّي منك.

سعاد: بالله شو!!

أم شكري: معليش إختي أم محمود، وأنت سعاد خانم، كرمالي ازرعوها بدأني هالمرّة وخلّونا نتطمّن على إلفت شو صار معها.

سعاد: لك على عيني إنتِ وأم محمود.

أم فؤاد: أصيلة سعاد خانم أنتِ وأم محمود، وهلأ خلّينا نعرف شو أخبار إلفت.

٢ ـ هون حطنا الجمّال!!..

أم شكري: إي إختي أم محمود، هي إنت وهي ناجية خانم، طمنونا بآ، بعد ما أخدتوا إلفت عالبيت شو صار معها. شلونها، إنشاء الله أحسن ومالها عم تتوجّع.

ناجية: إنشاء الله أحسن.

أم فؤاد: يعني ما عرفتوا شو صاير معها؟!.

أم محمود: هادا يا ستي. لمّن أخدناها عالبيت، عملنا لها تغطيسة. وغلينا لها كاسة يانسون، وما إجا زوزها، إلا وكانت غاطّة بسابع نومة.

ناجية: وعلى بكره، جابت لها إختي أم محمود، إم صياح الدايّة كشفت عليها..

أم شكري: وشو آلت أم صيّاح؟

ناجية: آلت إنشاء الله عرضيّة، المخلوءة آخدة شويّة برودات، آم صار معها هيك.

سعاد: آه. . . الحمد لله على سلامتها.

ناجية: وآل بيزوز الرز بحليب فرط لها معدتها، آم حرّك معها هالشي.

سعاد: شو هالحكي. . كلنا أكلنا رز بحليب.

ناجية: لآ إمبلى سعاد خانم. بيزوز من الرز بحليب صار معها هالشي بعد مالغمتي لها الزبدية بالمسهّل تبعك.

الساهرات: مسهل يا سعاد لك حرام عليك، المخلوءة كانت لحا تروح من بين إيدينا. . .

سعاد: لآ يُه، شو دخل المسهّل. . المخلوءة ما فيها شي، بس هيّة مصبّصة من الأول.

أم بسام: سعاد لا ترشّي عالموت سكّر، الشي يلّلي صار مع إلفت كلّه من عمايلك. . مو بإيدك إنت هيك مجبولة.

أم شكري: وهون حطنا الجمّال.

أم محمود: يا جماعة، ألله أدّر ولطف، ولا تعملوا للشغلة إيدين وإجرين، وإذا كان يلّلي صار بإلفت من الرز بحليب، سعاد ما بتئصدها إي والله عندها إلفت بالدنية.

أم فؤاد: والله ما تطرح إلفت، بسبب هالمسهّل تبعك يا سعاد، ليطربئ زوزها الدنية على راسك.

ناجية: تفّي من تمّك إم فؤاد. . تفّي من تمّك. كش برّة وبعيد. . . كش برّة وبعيد، فضايل ألله حولها وحواليها.

سعاد: وشو أنا كل هالأد. . إي والله سبرها بسبري، وعندي ياها أغلى من عيوني[1].

٣ ـ العوّامة... العوّامة:

أم غسان: إي إختي أم فؤاد. . . إلفت وتطمّنا عليها، إيمتى بآ بدّك تحنّي علينا بشي حكاية.

أم فؤاد: أنا زاهزة، وإيمتى ما بدكن لحا إحكي لكن حكاية محرزة.

أم أكرم: بالله شو. . . والعوّامة يلّلي شغلتوني فيها مين بدّه ياكلها؟

ناجية: يفكحك كمان في عوّامة. . إي كنّا عم نمزح معك. . شو ما بتلئي مزح.

أم أكرم: ليش ما هيك صار الحكي.

ناجية: إمبلى. . إمبلى، بس الله يعافيكي يا إلفت. . . هالعوامة إنت يلّلي سعيتي فيها. . وبعدين ما تتدوئيها.

أم أكرم: لا يكون لك فكرة، عاملة حسابها، وهلأ بتكون العوّامة والزنكل صاروا ببيتها.

أم ياسين: مو بإيدك. . أصيلة يا أم أكرم أصيلة.

أم أكرم: الله يسامحك. . آال منها. . يالله يا جماعة تفضّلوا، فضلة دياتكن والأكل على أدّ المحبة. . أمانة. . . أمانة. ما حدا بيئوم وبيكون بنفسه شي.

أم ياسين: خير ألله كتير.

أم أكرم: ولا تنسوا الزنكلات بيبوسوا إيديكن.

أم فؤاد: لا تخافي عليهن.. جايبهن الدور.

أم شكري: ألله يسلّم هالديّات يا أم أكرم، يا هيك عوّامة يا بلا!!

أم محمود: تعيشي وتئلي عوّامة.

أم أكرم: الله يسلمك.. عوافي وهنا.

أم فؤاد: إه هه... هَي عوّامة ناجية خانم.. عم تئرش أرش ومليانة أطر.

تشردقت أم بسام أثناء تناولها حبّة من العوّامة، وهي تحكي، ينفر قطر العوامة من فمها، تسارع ناجية، وتدق على ظهر أم بسام وهي تقول:

ناجية: صحة.. صحة أم بسام.. كاسّة مي يا جماعة.. ناولوني كاسّة مي.

تسقي ناجية أم بسام وتضل معهما تمسح لها وجهها وهي تقول لها:

لك شو صاير عليك.. يأمعوكِ، كنت صرتي عند خالتك.

أم ياسين: ارتعبتي عليها مو هيك؟

ناجية: إي والله... لو صار معها شي لكان زوزها حطّ عرضي على بيرأ.

أم ياسين: إي لآ لا تخافي عليها.. هي متل الأطاط بسبع ترواح بس عم تتدلّل وصاحح لها.

أم محمود: لك إختي مو دلال، آل ألله يشردئني بريئي، لحتى أعرف عدوّي من صديئي.

أم فؤاد: لك أم بسام ، يعني ما بيصير آكل من دون حكي . . يا إحكي . . يا كلي .

أم شكري: لك إختي مو بإيدها . . معوّدة عالأطش والبلع ، ومن الغلوة للكلوة .

ناجية: الله يذكرك بالخير يا إلفت . عينك تشوف هالشوفة .

أم شكري: وهيّ إم بسام بدالها .

أم بسام: وهيّ أنا لحا آكل بدال إلفت بالزوز وعالجنبين . . وعن البّبو كمان . .

أم شكري: لك على مهلك . . . على مهلك . وحدة وحدة ، هلاّ بتنفزري .

أم بسام: خمسة وخميسة بعيون الشيطان .

أم ياسين: يا جماعة خلّولكن كام عوامابة لسعاد ما عم تاكل .

سعاد: لآ إختي أم ياسين معليش خليهن ينبسطو . صحتين .

أم بسام: العوّامة إدّامها . . ما تاكل؟

أم شكري: تاكلك حيّة بسبع روس .

أم فؤاد: بتعرفوا يا جماعة مو إيمن كان بيئدر يعمل هيك عوّامة . إي والله أطيب من العوّامة تبع بيّاع العوامة بالسوء .

أم ياسين: شغل المعلم بإيده .

أم غسان: إي والله يا أم ياسين ، الحأ بإيدك . آل عطي الخبّاز خبزُه . ولو سرأ نصّه .

أم شكري: إي إم غسان احكي لهن لمّن ساوينا العوّامة أنا ويّاكِ شو صار فينا(٢) .

٤ ـ عينكن ما تشوف.. هيك عوامة:

أم شكري: يلاّ إحكي أم غسان.

أم غسان: بلاها هلاّ أم شكري، غير مرّة.

أم فؤاد: لك إختي إحكي. . شو صاير عليكِ، عم نسمع.

أم غسان: هادا يا ستي، الولاد من كتر ما نأوا بدهن عوامة بدهن عوامة. إلت لحالي إسمنّها إم شكري عندي، لاأأوم أعجن لي شوية طحين، وأغلي كاسة سكر أطر. وأعمل لها الولاد عوّامة. وعينكن ما تشوف هيك عوّامة وما تتدؤوها.

أم محمود: ليش أم غسان؟

أم غسان: الله وكيلك. . الله وكيلك، وكيل السما والأرض، ما ضلّت عوّامايه بالمئلاية، شي طرّش بالزيت، وشي نط عالحطان، وشي عالسئف، وتأمأمت لكن بهالزيت أنا وإم شكري. . ويا مين يتفرّج ويا مين يضحك. .

ناجية: لك الله يسامحك إسأليني. . ما أنا جارتك الحيط بالحيط.

أم غسان: هيك صار.

أم شكري: لكان ناجية خانم، إحكي لنا شلون بتطلع معك العوّامة هيك عم تئرش ومليانة أطر.

ناجية: والله يا أم شكري أنا كنت متل أم غسان، بس البركة بسعاد خانم. أنا تعلّمت منها. . . إسم الله حولها، العوّامة تبعها برنجي، وما بيعلى عليها عوّامة.

أم محمود: شو سعاد خانم.

سعاد: هَيْ إصّة أديمة . . إسئالله هديك الأيام . يا حسرتي على نسوان هالأيام ، كل شي صار لهنّ زاهز . . ويا مين تعرف طعمة تمها . . .

أم شكري: ناجية خانم شو بتفيد الحسرة ، نحنا بالعوّامة يلّلي أكلناها ، شلون هيك طلعت تليانة أُطر وعم تئرش ، والزنكل شلون طلع هيك متل العوامة وماله ملبصن متل اللّوائيم .

ناجية:لك إختي الشغلة مافيها شي ، بس إنت تعجني العجينة لا تخلّيها ماسكة متل عجينة الخبز ، خلّيها طرية شوي ، يعني متل عجينة العجّة. بعدين حطي لها معلأة بوراً واتركيها ساعة زمان حتى تستريح .

أم شكري: وألي العوامة شلون . . متل العجة يمّا . .

ناجية: لأ . لأ . . شو متل العجّة ، كل شي لحاله ، العوّامة بتنألى مرتين ، أوّل مرّة لتزهّر . . وبعد ما تبرد بتنألى المرّة التانية ، وبتكوني محضرة الأُطر ، ووئت مابتئلي العّوامة تاني وشّ دوغري للأطر ، بعد ما حط للأطر شي معلئة زيت لحتى تطلع العوّامة عم تلمع . . وبسلامة عرفك ، مناطّع عجينة العوّامة بمعلأة زغيرة ، لحتى تطلع هيك مدوّرة .

أم شكري:كمان الزنكل هيك؟

ناجية:إي إختي أم شكري منئلي الزنكل متل العوّامة ، بس بدال ما نأطّع العجينة بالمعلأة . منسكبها بالزيت من فنجان أهوة ، بس منفرد إيدنا ونحنا عم نحط عجين الزنكل بالزيت ، لحتى يكون إرص الزنكل مفرود ، مو مكبتل .

أم شكري:ألله يسلّم هالتّم .

ناجية: إن شاء الله مجاري الهنا .

أم غسان: وعند صبحية بصبي(٣) .

٥ ـ راحة البال:

كانت سعاد في عالم آخر لا يتصل بقريب أو بعيد بما يجري بين الساهرات من نقاش لدى تناولهن العوامة وأسلوب إعدادها. كان يشغل بالها وضع إلفت وما قد يتسبب الملين الذي وضعته لها في زبدية رز بحليب. أما وقد اطمأنت بعض الشيء عن إلفت، فقد بقي يؤرّقها وضع صبحية مع زوجها وحماتها وبنت حماها . . . وبخاصة بعد أن عرفتها على ذلك الأبو كيس الدجّال، الذي جعل منها بقرة حلابة يستنزفها كلّما سنحت لـه الظروف، ولم يخرج سعاد من تلك الدوّامة إلا سؤال أم محمود.

أم محمود: شو سعاد خانم، وين صرنا.

سعاد: سلامتك إختي أم محمود. . بس هيك سرحت شوي.

أم شكري: إه. . نيّاله. . يلّلي شاغل بالك.

سعاد: منين يا حسرة. . والله مربّطة إيدي مالي عرفانة شو بدّي إعمل.

أم محمود: خير إنشاء الله.

سعاد: مالي عرفانة شو بدي أول، ويلي إلفت شلونها، وويلي شو صار بصبحية.

أم محمود: لك إختي كبريها بتكبر، زغريها بتزغر، في ألله، والمكتوب ما منّه مهروب، والله يأذن لصبحية باللطف.

سعاد: وإلفت؟

أم محمود: شبها إلفت؟. . ماامبارح كنت عندها، واليوم طول النهار عندها. الحمدلله متل الحصان، بس إم صياح الداية آلت لها ترتاح كم يوم.

أم فؤاد: سعاد خانم، صعي يلّلي سمعته عن هادا أبو كيس؟

سعاد: شو سمعتي؟.

أم فؤاد:آل لحا يعمل من صبحية بأرة حلابة، وما لحا يوفّرها.

سعاد:مو بعيدة عنّه.

أم شكري:أولك صبحية بتطاوعه؟

سعاد:بيزوز بالأوّل، بس بعيدن بدها تمل وتنفض إيدها منّه.

أم غسان:يعني سعاد خانم، بلا مؤاخذة، ما عرفتي شو آل هالزلمة لصبحية؟

سعاد:يعني متل شو؟

أم غسان:ليش ما آلت لك صبحية؟

سعاد:متل ما إلت لكن هديك المرّة، آل: إنه في تابعة لاحئة صبحية وهالتابعة هيّة اللي معذبتها وتاعبتها، وعم تخلّي حماتها وبنت حماها تركبها، وتجور عليها، وتخلي زوزها لصبحية يلفي على غيرها. ومنشان هيك حبس لصبحية هالتابعة بأنّينة، وآل لها: ترميها يا إمّا بشي أبر مهجور، يا إمّا بمي جارية يعني نهر.. بحر هيك شي.

أم بسام:وصدئته صبحية؟

سعاد:وليش لحتى ما تصدؤه.. آل رزق الهبل عالمجانين.

أم محمود:ألله لا يتوّه لنا رأي.

أم غسان:ولحا يرجع لها زوزها لصبحية.

سعاد:هيك آل لها أبو مخلاية.. أبو كيس.

أم بسام:يبليه بكلنك يطيّر العالي من بين كتافة وينجر لـه رأبته نجر.

٦ ـ جلبة وتعويذة:

أم ياسين: دخلك، طلع بإيده شي منشان زهرية بنت صبحية.

سعاد:أنا كنت عرفانة، إنه مالحا يطلع بإيده شي منشان زهرية، لأنه شغلتها شغلة إسمة ونصيب، وهادا بإيد رب العالمين. . .

أم فؤاد:أولك فرطت شغلة صبحّية معه.

سعاد:ما بظن لأنّه وصّاها هديك المرة تجيب لـه من عند العطار شغلات وتجيب لـه شي من أتر زوزها.

أم محمود:وليش؟

سعاد: آل بدّه يعمل لزوزها جلبة وتعويذة، ويربّط لـه إيديه لحتى ما يعود يسمع كلام أمّه وأخته، وما يعود يلفي على غيرها. وآل لها، شو تعمل وتئول لـه وهوّ نايم.

أم محمود: دخلك سعاد خانم، متذكّرتيهن.

سعاد: مو كلهنّ.

أم ياسين: متل إيش سعاد خانم.

سعاد: هادا يا ستي آل: وئت بيكون نايم زوزها. . بدها تنكش شعرها متل الغولة، وتلبس لها شي روب. كنزة كبيرة عليها، وكمامها تكون نازلة، وتمسك بإيدها شي عصاية وتوئّف فوء راسه وهوّ نايم بفرشته وتئول لـه سبع مرات:

آبلتك وأبلت عليك.

أنا سكّرة بتمّك.

وجوهرة بين عينيك .

أنت أرضي الواطية .

وأنا دعست عليك دعست عليك .

وبعد كل مرة تنفخ عليه .

أم محمود: ومنشان إيش كل هاللبكة؟

سعاد: منشان يغرأ بدباديبه فيها .

أم ياسين: إي إي سعاد خانم وشو كمان؟

سعاد: كمان بتخلّيه نايم وبتئرا فوء راسه سبع مرّات:

آبّلتك بالعشرة والعشرة إإبال .

محبّة وتلفيتة وعئد لسان .

أم شكري: يعني فرط الزلمة ، وصار أخوت بحبها ليلتها .

أم غسان:وإذا كان زوزها لافي على غيرها .

سعاد: آل: بدها تطلع عالمشرأة بين المغرب والعشي وتئول:

«توكّل يا وسواس ، وأنت يا خنّاس . . .

خدوا عئل ، سعيد بن باهيّة باللّوصان .

ويا ميمون يا غطّاس ، تلبسه من الأدم للراس .

وتجيبه لهون بالعجل العجل أوام بالعجل العجل» .

أم محمود: وإذا ما ردّوا عليها .

سعاد: بدها تئول عند عشية بعد ما ينام، فوق راسه:

«جسر البيت يا عابس، كنتِ أخضر صرت يابس

بعتت لك يا سعيد بن باهيّة:

ألف جندي من فارس:

يوأفوا على راسك بالصرعان.

وإيدك بالخضران.

ورجليك بالمشيان.

لتجي بالعجل العجل. . العجل العجل».

وآل ما بتشوفه غير فاتح باب الزآء بالسائط، وفايت لعندها.

أم ياسين: يبعت لك الهالكة يا سعاد، كل هالشي بدها تعمل لحتى يرجع سبع البرمبو لعندها.

أم غسان: بس والله ما بيزوز تعمل بزوزها كل هالشي.

أم بسام: إمبلى أم غسان إمبلى. . وأكتر من هيك، بس لأنّه، زوزها أبو ولادها.

أم غسان: أنا شايفة يا جماعة، إنّه صبحية بلا لها هالحركات. وأحسن شي تحط حالها، هيّة وزوزها وحماتها وبنت حماها وتنضب. الدنية ما خربت. . الشغلة بدها مسايرة، والكلمة الحلوة بتطالع الحيّة من وكرها[٤].

٧ ـ موت يا عبدي.. غضب يا ربّي:

كان قول أم غسان بدعوة صبحية إلى التعقّل في معالجة علاقتها مع زوجها وحماتها وبنت حماها، بمنزلة البلسم على الجرح. . حتى لكأن دعوة أم غسان

كانت على موعد مع حضور صبحية إلى السهرة، ولو بعد انقضاء جانب كبير من هذه السهرة.

فما أن لحظتها سعاد، حتى انفرجت أساريرها وأهّلت بها وسهّلت قائلة:

سعاد: هه... أشهد بالله إنك بنت حلال، يمكن ما بتصدئي إنّه كلنا كنّا بسيرتك... لك أهلين وسهلين... والله ألبي كان حاسس إنك لحا تجي عالسهرة.

أم ياسين: وينك يا بنت الحلال شغلت بالنا.

صبحية: الله لا يشغل لكن بال.

أم محمود: بتعرفي يا صبحية، بإسمك الكبير، طول السهرة ما عم تروحي من بالنا.

صبحية: إن شاء الله تسلموا لي، وألله يخلّي لي ياكن. يا أعز الحبايب. آل: يا رب شرئني بريئي.. لأعرف عدوّي من صديئي... وانتوا والله بتتألوا بالجواهر.

أم أكرم: بتعرفي يا صبحية إنّك ما بتستاهلي غير كل خير.

صبحية: شو بدي ساوي.. آل موت يا عبدي.. آل غصب يا ربّي. منشان هالبنات.. إي والله ما تجيهن خالة مرت أب، لتدوّئهن السم والدم..

أم شكري: صبحية خانم، كل الأد حماتك حاطّة حطايتك منشان الصبي.

صبحية: إي بحضّي.. بدها صبي لإبنها.

أم ياسين: أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم، لا اعتراض على حكم ألله، شو الوحدة بتجيب البنت يمّا الصبي من بيت أبوها. هادا كلّه من ألله.

٨ ـ من عمايل.. الداية:

صبحية: شو طالع بإيدي . . . إي والله والله وبحضّي وبناتي الخمسة، وإن شاء الله بعدمهن إذا كنت عم إكذب .

أم محمود: فضايل ألله حولهن، بعيد الشر عنهن .

صبحية: إنت سعاد خانم . أولي لهن لمّن إجتني البنت الخامسة شو صار معي .

سعاد: لك إختي يلّلي راح راح، ليش عم تفتّي جروحات . . وبعدين ما بدي وجّع لكن راسكن .

أم محمود: صعي شو صار سعاد خانم؟

سعاد: يا ستي الإصّة ومافيها إنه زوز صبحية حلف وتتالف إذا ولدت له صبحية بنت خامسة ليطلئها ويتزوز عليها .

صبحية: وهيك ألله كاتب، شو بدّي إعمل، كبها؟

وهنا تشهق صبحية بالبكاء وتفقد وعيها فتسارع سعاد إلى طلب الماء، تنثره على وجه صبحية وتمسح به وجهها، وتقوم ناجية بجعلها تشم الكولونيا . . . إلى أن استردت وعيها، فتقول لها سعاد:

سعاد: ارتاحي صبحية ارتاحي .

أم محمود: سعاد خانم ليش شو صار معها .

سعاد: هادا يا ستي، إم صياح الداية، لمّن ولدت صبحية هالبنت، وشافتها زعلانة . آلت: أنا لحا بئول إنها جابت صبي إدّام حماتها وزوزها . وبعدين دبار الإصّة عندي .

أم أكرم: ليش حماتها ما كانت حضرانة الطلئ .

سعاد: لآ بعدي ، كانت زايرة عند بنتها .

أم شكري: يُهْ . . بيصير هيك!!

سعاد: هادا يلّلي صار ، المنظومة لّمن شافت صبحية مستتئلة ، آلت لحالها: لإيش أنا أخدم بنت الناس ، أمها أولى فيها ، وهيك الحماية وبنتها تركوا البيت ، وأمها لصبحية إجت لعندها .

أم ياسين: ودخلك صدّأ هالرجال إنه مرته جابت لـه صبي .

سعاد: ليش لحتى ما يصدئ . . . انمزع عأله ، وصارت الدنية مالها وسعانته من فرحته ، وعمل لها صفرة خلاص مطنطنة ، عمل هالعزايم ، دبح هالخواريف ، عمل هالمباركة ، هالكراوية ، من يلّلي بيشتهيها ألبك ، ومن كل شي أكتره . . ولا بينعد ولا بينوصف .

أم ياسين: والحماية؟

سعاد: كمان أبضتها وصارت بدها رضى صبحية لترضى . . وطول مالها آعدة ، على دلال لصبحية وشأشلة .

وكل ما آلت هالحماية للداية خلّينا نطهّر هالصبي ، تّرد عليها أم صياح:

إن شاء الله بعد ما تفسخ صبحية . بعدين بكّير على حمام الفسخ ، خلّي الصبي يشبع من حليب الصمغة من صدر أمه .

ولّمن آلت الحماية للداية ، إنها خايفة لتئوم صبحية ترتعب لها شي رعبة ينهز بدنها شي هزّة بيهرب حليبها . ردّت عليها أم صياح: شو بدّه يرعبها . أو يهزّ لها بدنها ، ماشاء الله محمولة على كفوف الراحات ، وإنها (أم صياح) عم تجي كل يوم ، تغيّر للولد ، وتشوف لـه صرّته .

أم محمود: تاريها هالأم صياح مالها هينة .

سعاد: إي والله . . هي إم صياح ياما مارئ على راسها. ومتل ما بتعرفي الداية ما عليها مخبّاية.

أم ياسين: بعدين شلون فسخت صبحية.

سعاد: بعدين يا مرحومة إلبَيّ، استنّت أم صياح الداية لحتّى كانت الحماية نازل عليها حدور أوي ومطبّيء صدرها.

أم محمود: إن شاء الله صارت أم صياح الداية بدها تعمل لصبحية حمام الفسخ.

سعاد:إنت عيني.

أم شكري:ورضيت الحماية.

سعاد: بالأوّل ما رضيت، بدها ياها تفسخ بالبيت. . آل شو بيعملوا لها متل حمام ملكة، بابور وتنكة، وصلّى الله وبارك.

آمت هالأم صياح أبّت لك بوش هالحماية، وآلت لها:

وبركي اولجت النفساء، والصبي شلون بدّه يتحمّل ريحة زيت الكاز والبرد، وشلون بدنا نعمل للنفسا الشداد. وهيك هالأم صياح بلعت الحماية بلع، لأنها بدها تمرّئها بلا شداد. وآلت لها:

ما بيصير بلا شداد، خليها تشد عروئها على بيت النار بها الدبس وحبّة البركة والبيض والزنجبيل والكمون ولسان العصفورة. . .

أم بسام: يعني إبلت الحماية.

سعاد: مو بس إبلت، إبلت ولطيت، وعالأخص إنو إم صياح هي اللّي لحا تدهن جسم صبحية بالشداد ولحا تغسلها وتغسّل الصبي، وما لحا تخلّي ريسة الحمام ولا البلانة تأرب عليها. وهيك كل شي صار مزبوط.

أم محمود: لك شو يلّلي مزبوط؟ وآخرتها. . .

سعاد: هون صار يلّلي ما كان بالحسبان(٥).

ـ في الحمّام كيف تصبح البنت صبيّاً!..

أم محمود: شو أصدك سعاد خانم. . .

سعاد: يعني شو بدّي أحكي ما بعرف. . . شلون هيك صار كمان ما بعرف.

أم ياسين: هلاّ بظّيها هالجوهرة نشّفت دمنا. شو صبحية خانم ما تحكي أنت شو صار معك؟. .

صبحية: أنا. . . أنا التوبة على سبع إبل تنزكر ما تنعاد. . يا ريتها انشئّت الأرض وبلعتني. ولا يصير معي يلّلي صار.

أم فؤاد: وبعدين إنت ويّاها. . . بدنا نروح على بيوتنا لحا تصير الدنية نص الليل.

أم شكري: تنمحئوا إنتوا وهيك سهرة. . لسّاكن آعدين ما تئوموا.

أم محمود: طولوا بالكن. . طولو بالكن. . خلينا نعرف بالأوّل شو صار. . ما تحكي سعاد.

سعاد: هادا يا مرحومة البي، ما تاريها إم صياح الداية، رابطتها مع بلانة الحمام إنها تبدّل بنت صبحية بصبي!! من صبيان زبونات الحمّام، يكون ابن نفاس.

الساهرات: يُهْ. . . يا لطيف. . . يا لطّيف. . شلون هيك. .

سعاد: آل شو لحتى ترتاح صبحية بآ، من هالمصيبة، وتسكّت حماتها وزوزها.

وهيك رحنا على حمام الفسخ أنا وإم صياح الداية وصبحية والبنت تغسّلنا وغسّلنا صبحية ، ودهنتها إم صياح بالشداد وأعدّتها على مصطبة بيت الناس . وما شوف لكن غير هالبلانة عم توشوش إم صياح الداية .

أم ياسين: شو عمّا كانت تئول لها؟

سعاد: على ما فهمت ، دلّتها على صبي ولدان جديد ، نايم بالوسطاني تبع الحمّام ، جنب ما كانت صبحية منيمة بنتها .

١٠ ـ حط إصبعتك بعينك:

أم شكري: وبعدين شو صار؟

سعاد: راحت هالبلانة من هون ، آمت إم صياح لحئتها ، وآلت لي ، اسكبي لصبحية ، والحئوني عالوسطاني . وما وصلنا عالوسطاني إلا وكانت إم صياح ملبسة هالصبي أواعي بنت صبحية ، وملبسة البنت أواعي الصبي ، وناولت هالصبي لصبحية وآلت لها:

شلون بتتركي هالبنت ، لحا تطئ من البكي . . حرام عليك ، خيه رضعيها شي مصتين خطَي . .

أم محمود: وشو آلت صبحية؟

سعاد: ليكها إدّامكن إسألوها . .

ما إن أمسكت صبحية بالصبي من إم صياح ، إلا وكان جسمها من حالة من الاصفرار والتعرّق والاختلاج وما لبثت أن تداعت قواها ، فأخذت أم صياح منها الصبي . وكانت صبحية مرميّة على الأرض وهي تهذي بكلام غير مفهوم ، وتبكي بمرارة . . .



في البراني من حمام النسوان

أعادت أم صياح الصبي إلى مكانه، وبسرعة غيّرت لـه ثيابه، وحملت إبنة صبحية وخرجن إلى البيت.

فلما أحالت سعاد سؤال أم محمود إلى صبحية. كانت الساهرات ينتظرن جواباً مقنعاً من صبحية، لتفسير عزوفها عن أخذ الصبي، بدل إبنتها، وقد وصلت اللقمة إلى الفم.. وتستريح من ذلك العناء.

صبحية: شبكن عم تتطلعوا فيّ هيك.. أبل كل شي أنا أم.. أي أنا أم... يمّا أنا غلطانة.. إي والله ضفر كل بنت من بناتي عندي إياه بالدنية. وكمان شو ذنب أم الولد.. آ.. حِسْبُوها صارت معي، أو صارت مع أي واحدة، كش برّة وبعيد، منكن، شو لحا يصير فيها؟!..

ولاد الوحدة منّا بنات يمّا صبيان من لحمها ودمها.. وأنا كنت لحا موت وأت ولدتها. والله إذا بموت كل يوم ألف موتة مع زوزي وحماتي أحسن. وخلّي زوزي يجيب لي ضرّة، ولا تكون سعادتي على حساب غيري.

الساهرات: يحرز دينك، ويحرز دين البطن يلّلي لمّك.. والله شي بيرفع الراس..

أم محمود: وأنت يا صبحية من عمرك ألبك كبير وبنت أصل (٦).

١١ ـ مرمر زماني يا زماني مرمر:

ناجية: والله يا صبحية بستاهلي تنحطّي عالراس، لولا هالتسعة وتسعين علّة يلّلي فيك.

صبحية: وضريب، يمّا عم ياكلك بدنك.

أم محمود: من بعد إذنك صبحية خانم وأنت ست ناجية، بدال ما تتناسبوا

وتدوخونا معكن، شو رأيكن يا جماعة لو تسمّعنا هالأمورة زهرية شي غنيّة شو ما اشتئتوا لغنانيها.

أم محمود: إي والله.. إجت بوأتها. شبنا أم ياسين!! وين العود والدربكّة. ويلّلي جاية على بالها تأرجينا رأصاتها ألله وإيدها، وما منئول لها لأ. إي أمورتنا شو جاية على بالك تسمعينا؟.

زهرية: يلّلي بتحبّيه خالتي أم محمود.

أم ياسين:الليلة بدنا نسمع على زوئك.. يالله يا جماعة سمعونا شي تسفيئة..

زهرية: لكان لحا غنّي لكن مرمر زماني..

أم ياسين: كل شي بيطلع من هالتم حلو.

زهرية: مرمر زماني يا زماني مرمر

ألبي مولّع بهواك يا الأسمر

الساهرات: مرمر زماني يا زماني مرمر

ألبي مولّع بهواك يا الأسمر

زهرية: يا رايحة عالحمّام خديني معاكِ

لاحمل البئجة وأمشي وراكِ

وإن كان أبوكِ ما عطاني ياكِ

لاعمل عمايل ما عملها عنتر

الساهرات: مرمر زماني يا زماني مرمر

ألبي مولّع بهواك يا الأسمر

زهرية: من زغر سنّها حبّها أتلني

برمش عينها هالحلوة بتسحرني.

يا رب عالهوى تعذرني

من لحظ عيونك صرت أتمرمر.

الساهرات: مرمر زماني يا زماني مرمر

ألبي مولّع بهواك يا الأسمر

أم فؤاد: إضرب أنا عنك.. إنت بس أولي لي مين هوّة. لأرجي لك ياه.

أم أكرم: بسم الله وماشاء الله.. الله يسلّم. الله يسلّم. يا أرض إحفظي ما عليك.

صبحية: الله يخلّي لك ويحفظك.

أم بسام: عين ألله حولك.. والله شي حلو.

أم محمود: ومن تم أحلى.

أم غسان: شو صبحية خانم.. لإيمتى بدّه العسل يضل بكواره.. شوفي.. مافي. إن شاء الله في حدا بالطريء.

صبحية: الله كريم، وكلّه بالإسمة والنصيب.. ويا متلنا تعو لعنّا..

أم غسان: الله يأدّم مافيه الخير.

١٢ ـ المناغشة بألقاب النسوان:

أم محمود: إي إختي أم فؤاد، إلفت وتطمنا عليها، وهَي صبحية خانم وبنتها

زهرية الله يسلّمها سهرانين معنا، وزهرية غنّت لنا.. شو بائي لنا بهالسهرة؟..

الساهرات: حكاية أم فؤاد.. حكاية أم فؤاد.

أم فؤاد: وإنتوا على عيني وعلى راسي من فوء. بس الحكاية متل ما بتعرفوا. بدها عين صحيانة وإدن سمعانة، وأكترنا عيوننا عم تتدافش.. يعني ما بآ غير نروح لبيوتنا.. الليلة كفاها ألله والسهرة الجاية بدّي أحكي لكن حكاية مرتّبة إذا ألله أحيانا.

أم بسام: لكان خلّي إم أكرم تئول لنا شي حزيرة من يلّلي ببالها.

أم أكرم: شو عليه، ما بتنعز. بس أنا جاية على بالي أتناغش لي شويّة مع أم غسان.. صار لي زمان ما تحركشت فيها.. لأني حاسّة إنه بدنها عم ياكلها.. وبدّي خلّيها تروح عالبيت تنام طب.

أم غسان: مو باين عليك، وليش إنت أدّ هالحكي.. الواه الواه عليك، نائص على شكلك. آل!! إإعد أنا وياها.. أنا بدّي وحدة أد الحشوة مو من دهنه سئي له. ويادوبها تنفد بريشها.

أم أكرم: عازك وعوّازك، وألف رأعة بإنبازك، لسّا امبارح كنت بالرأراء، أوام بدّك تنطّي من الأفّة لأدانها. آل كبرت البيتنجانة وتدندلت إجراسها، ونسيت إفّة الزبالة على راسها.

أم أكرم: عيني.. يا عيني... آل برلّة يا برّلة، منين لك هالريحة.. كنت مغنيّة، صرتي شيخة.

أم غسان: كان نائص على شكلك لك مكنسة الطريئ.

أم أكرم: وإنت شو نائصك لك معسفة الأكابر؟.

أم غسان: أحسن ما كون شاضومة عم خفّيء من بيت شآع لبيت رآع لبيت كتّر الله أفراحكن، وعاملة أبو نجيب يلّلي بياخد وبيجيب. . ويا مين يسمع ويدفّي إيده بإرشين.

أم أكرم: سدّي حلئك، ولك أباوة. ولي عليك شو شرنّة.

أم غسان: أنا شرنّة لك شنتر حفانا.

أم أكرم: لا بئ للشوحة مرجوحة ولأبو بريص إبآب.

أم غسان: سدّي حلئك لك حرباية.

أم أكرم: وحدة متلك تسد نيعها لك حمّصة الكي.

أم غسان: ولي عليك شو نسناسة، بتحكش من تحت لتحت متل حيّة التبن.

أم أكرم: استحي لك سلبوتة، آل يلّلي استحوا ماتوا.

أم غسان: شو عليه. . أحسن ما كون سهيانة، وجادبتها ومتوكلة على ألله.

أم أكرم: بس أنا مالي دسّاسة وسلالة. . وبعمل العرب عربين. . .

أم غسان: كمان إلك عين تحكي يا خرّابة البيوت العامرة، لك ملوفكة.

أم أكرم: شو تفضلتي ست الحسن؟

أم غسان: معلوم أنا ست الحسن ويلبألي.

أم أكرم: وأنا سربست خانم كل الناس بتنده لي.

أم غسان: وأنا العيوأة المرباية بيت أهلي.

أم شكري: وإنتوا التنتين على راسي وعلى أنزوعة طربوشي من فوء وكفاها ألله. وتضربي منّك إلها.

أم أكرم: وإذا بدكن آعدين لعلى بكرة، ويا أنا.. يا هِيّة.

أم محمود: لآ حاجة تئبروني، إنت ويّاها كفّيتوا ووفّيتوا... اسم الله حولكن، إدرة ولئت غطاها.

سعاد: لآ إنت السادأة: فولة وانأسمت، وصحتين على ألبكن.

تدخل إبنة أم ياسين بالقهوة. فتشغّل أم ياسين الفونوغراف بأغنية قديمة لمحمد عبد الوهاب: دخلت مرّة الجنينة ويا جارة الوادي فتطرب لها الساهرات وهنّ يشربن القهوة. ومن ثم الانصراف.

* * *

الهوامش والحواشي:

١ ـ شوي: برهة. إجيتوا: خطرتوا. إلت: قلت. لئيت: وجدت. طريء: طريق. يمرؤ: يمرق، أمرّ. سوا: سوية، معاً. تفركحت: تعثرت. آم: قام. الإسكربينة: الكندرة، حذاء للنساء. إجينا: قدمنا. بتتحركشي: تتحرّشين. معليش: لا بأس. داني: ذقني. هلأ: الآن. شو: ماذا. شلونها: كيف حالها. إجا: جاء. زوزها: زوجها. غاطّة: مستغرقة. الداية: القابلة. عرضيّة: أمر بسيط. المخلوءة: المخلوقة. فرطت معدتها: أصابها إسهال. هالشي: هذا الأمر. لغمتي: غششتي، أضفتي. المسهل: الملين. مصبّصة: مستضعفة. هون: هنا، والمقولة تعني بيت القصيد. يلّلي: الذي. ما بتئصد: لا تقصد الإساءة. تطرح: تسقط حملها. بطريء» بطريق، هالأد: بهذا القدر. سبرها: سعرها.

٢ ـ إيمتى: متى. زاهزة: جاهزة، مستعدّة. محرزة: جيدة. ما بتلئي: لا تتحملين. ما تتدوئيها: لا تذوقينها. أأل: اقل. أد: قدر: بيئوم: يقوم. تئلي: تقلين. تئرش: تقرش، يسمع لها صوت عند قضمها. أطر: قطر، مغلي السكّر. تشردئت: تشردقت، شرقت. بيرأ: علم، سنجق.

الأطاط: الهرر. ترواُح: أرواح. مو: ليس. الريء: اللعاب. الأطش: القضم. من الغلوة للكلوة: أرادوا من المقلاة إلى المعدة مباشرة دون تريّث. بالزوز: بالزوج، كل حبتين معاً وعلى جانبي الفكّين. البّبو: الجنين، كمان: أيضاً. خمسة وخميسة: رقيّة لرد عين الحاسد. إدّامها: أمامها. حيّة: أفعى. روس: رؤوس. إيمن: أي كان. كام: بضع. بيئدر: قادر. السوء: السوق. خَبزُه: خبيزه. سرأ: سرق. نصّه: نصفه. لّمن: عندما. صار فينا: حصل لنا.

٣ ـ نأوا: أكثروا طلب العوّامة. أسمنها: طالما. شوية: بعض. لأقوم: لأقم. تتدؤها: تراها. ليش: لماذا. المئلاية: المقلاة. السئف: السقف. تأمأمت: تلوثت. برنجي: عال العال. إصة: قصّة. إسئا: سقا. هديك: تلك. زاهز: جاهز. ملبصن: متجمّع وغير ناضج. اللوائيم: من اللاوونة التي كانت تلحم بها قساطل مياه الطوالع. معلأة: ملعقة. بوراً: بورق، ما يساعد على انتفاخ العوّامة. ألي: قلي. تزهّر: بلون الزهر الفاتح. دوغري: مباشرة. مناطّع: نقطع. زغيرة: صغيرة. أهوة: قهوة.

٤ ـ وين: أين. سرحت: شردت. نيّاله: يا سعادته. شولنها: كيف حالها. صعي: أصحيح. بأرة: بقرة. بيزوز: يجوز، ممكن. لاحئة: لاحقة. أبر: قبر. صدئته: صدقته. كلنك: أداة حادة كالسيف. منشان: لأجل. إسمة: قسمة. هادا. هذا. فرطت: انتهت. هديك: تلك. أتر: أثر. كمان: أيضاً. تئول: تقول. أريبة: قريبة، تقريباً. وئت: عندما. توئّف: تقف. فوء: فوق. آبلتك: قابلتك. اللبكة: المشقّة: يغرأ: يغرق. بدباديبه: بكلّيته. بتئرا: تقرأ. عئد: عقد. فرط الزلمة: أصبح مطواعاً. أخوت: لا قرار له، لا إرادة. المشرأة: المشرقة. عئل: عقل: الأدم: القدم. أوام: بسرعة. الزآء: الزقاق. السائط: الساقط، المتاح. سبع البرمبو: أرادوا الزوج، ما بيزوز: لا يجوز، حرام. أكتر: أكثر. بس: فقط.

٥ ـ وينك: أين أنت. شردئني بريئي: اجعلني اشرق بريقي، لعابي. بتتألوا: توزنون. لتدوّئهن: تذوقهن. الأد: القدر، المقدار. أولي: قولي. اجتني: ولدت. تفتئي: تفتحي. الإصة: القصّة. يطلئها: يطلقها. كبّها: رمى بها إلى الشارع. مستئلة: على وشك الولادة، صدّأ: صدّق. أبضتها: صدقت. شأشلة: مداراة. الطهور: الختان. الفسخ: تحويل حليب النفساء من حليب صمغة غير كامل التكوين وهو مفيد للوليد، إلى حليب كامل. استنّت: انتظرت. حدور: رشح. مطبئ: مطبق. الأولاج: فقدان الوعي بسبب رائحة احتراق زيت الكاز واستنشاق غاز الكربون الناجم عن احتراق زيت الكاز. تمرّئها: تجعلها تمرّ. الشداد: هو مزيج يدهن به جسم النفساء في حمام الفسخ وتُجلس على مسطبة بيت النار بحمام السوق، حتى تعرق.. ثم تغسّل وتخرج.

٦ ـ بظيها: انطقيها. انشئّت: انشقت. تنمحئوا: تهجرون. بالإبل: قبل كل شيء. البلانة: عاملة في حمام النساء، وهي أدنئ مراتب سلم العاملين في حمام السوق للنساء. إبن النفساء: حديث الولادة. لحئتها: لحقت بها. آلت لي: قالت لي. شلون بتتركي: كيف تتركين. تطئ: تطق، تنفجر. شبكن: ما بكنّ. ضفر: ظفر.

٧ ـ ما اشتئتوا: ألم تشتاقون. وأتها: وقتها. ما منئول: لا نقول. زوئك: ذوقك. تسفيأة: تصفيق. مرمر: من مرار الصبر والمعاناة. البئجة: البقجة، صرّة الملابس. زغر: صغر. أتلني: قتلني. بالطريء: في الطريق. إسمة: قسمة. يأدّم: يقدّم. شوبائي: ماذا بقي. عيوننا عم تتدافش: تتدافع، كناية عن النعاس. اتناغش: أتساير. وهنا بمعنى تبادل القدح والذم. تحركشت: تحرّشت. تنام طب: كناية عن القهر. نائص: ناقص، وناقص على شكلك: استصغار. إإعد: أقعد. أدّ الحشوة: قادرة على مواجهتي. سأف: سقف. رأعة: رقعة. الإنباز: القنباز، شبيه بالفستان. الرأراء:

البداية. الأفّة: القفّة. تدندلت: تدلّت. شاضومة: كثيرة الحركة. خفّئ: أتنقّل. ابو نجيب: كناية عن النمام. حلئك: حلقك. أباوة: من سقط لحم بطن الخروف، تنظّف وتحشى بالرز واللحم، وتستوعب كثيراً من الحشو، وعندما تقسم يعرف المرء مقدار ما كان محشواً بها.

ثالث عشر:

١ ـ حابسة زوزها ومؤلبته ومربّطة إيديه.

٢ ـ طب الإدرة على تمها.

٣ ـ وين كنتِ رايحة.. يا شنّ برنّ.

٤ ـ كوي الشعر عالبخار.

٥ ـ حتى لا يلعب زوزها بديله.

٦ ـ أطايف العصافيري.

٧ ـ كنّة سيكار.. وبيكار.

٨ ـ حكاية ما لي شعر بلّه.

٩ ـ مآل اليأس.. الاستسلام.

١٠ ـ عألك مو براسك.. تنين بيديروك.

١١ ـ خطف الزعزع.

١ ـ حابسة زوزها ومؤلبته ومربّطة إيديه:

كانت الساهرات على موعد، مع حكاية أم فؤاد، في هذه السهرة. أرادت أم فؤاد، أن تحلّي ضرسهنّ، بأكلة قطايف عصافيري، بالقشدة وبالشمندور. فأتت مبكرة إلى دار أم ياسين، وتوجهت مباشرة إلى المطبخ. لرصف القطايف بالجاطات وتزيينها بالقشدة أو بالشمندور، وإعداد الصحون وزبادي القطر اللازمة لذلك.

انشغل بال الساهرات بشان تأخّر أم فؤاد وحسبن إنها لم تأت بعد، لكنّ أم ياسين طمأنتهنّ، بأن أم فؤاد لن تتأخر كثيراً.

لكن غياب سعاد أقلقهن، وبخاصة بعد أن ربطن تأخر أم فؤاد بغياب سعاد وتوقعن أن ذلك التوافق في غياب أم فؤاد وسعاد، وراءه ما وراءه؛ فقطعت أم محمود عليهن ذلك اللغط بقولها:

أم محمود: لا تخلو أفكاركن تروح لبعيد، الغايب عذره معه.

أم ياسين: وأم فؤاد ما إلها بمداخيل سعاد. .

أم شكري: هلأ انتوا خايفين على سعاد ما تئدر تبلف أم فؤاد، وترتّب لناشي مغطس. . . لك هي سعاد بتأخد الإرد على البحر وبترجّعه عطشان.

فقطع هذا الجدل بين الساهرات دخول أم فؤاد عليهن:

أم فؤاد: مسا الخير يا جماعة. . الله يخلّيكن بدكن ما تآخذوني، تأخّرت عليكن الليلة.

ناجيّة: شو فينها سعاد؟

أم فؤاد: سعاد؟!! . . شو بيعرفني .

أم شكري: ليش ما كانت معك .

أم فؤاد: لآ يُهْ . . أنا ما شفتها من وأت ما كنّا بهديك السهرة .

أم بسام: كل بالنا أنك كنت ويّاها .

أم فؤاد:يعني بالزور بدّي كون ويّاها . عم أول لكن ما شفتها .

أم محمود: لكان وينها هالمنظومة .

ناجيّة: أنا والله يا جماعة ، حاسّة في شيء هي سعاد لعنة مكبرتة ، هلاً بتكون عم تحاسب شمادح ، يا شيموخ ، يمّا حابس أبو العجل العجل .

أم شكري: هلاً من كل عألك عم تحكي ناجية خانم؟! . .

ناجية: لكان من نص عألي .

أم محمود: أي حاجتك بآ حاجتك .

ناجيّة: أختي أم محمود!! . أنا يلّلي بعرف . . دخاليج سعاد . ويا من تراها طالعة من عند تبع المندل . . لعند يلّلي بيحسب بالرمل ومن عنده لعند العطار عم تلّملم وتحوّج: شي دنب الإطّة ، وشي فسوة الحمار ، وشي شباشيل . . رايحة فيهن لعند هاد أبو كيس ولعند غيره وغيراته .

أم محمود: أي ناجية خانم مزبوط . . مزبوط . خوش أنا سمعانة إنّ سعاد خانم بتتعاطى هيك شي . . بسّ مو هالأدّ .

ناجية: وأكثر أختي أم محمود وأكثر . . والمخفي أعظم كش برّه وبعيد .

أم بسام: أؤلك ناجية خانم ، سعاد أدرانة تدبر حالها مع زوزها . ومبسوطة معه .

ناجية: مبسوطة وبس. . مبسوطة كتير تئبريني. . وزوزها مثل الخاتم بإصبعتها.

أم شكري: عم أول لحالي ليش دايم الدوم مشأرأة. .

ناجية: بتعرفي شو بيئول المثل أم شكري؟

أم شكري: شو بيئل؟

ناجية: بيئول المتل: يلّلي زوزها معها. بتدير الدنية بإصبعها. وسعاد زوزها على كيفيها. شغل إيدها.

أم شكري: شلون على كيفها. . ماله رجال؟.

ناجية: مين آل زوز سعاد ماله رجال؟!. . رجّال وملو هدومه. . بس سعاد لحتى ما تزوغ عين زوزها هيك وهيك، حابسته ومؤلبته، وحاططته بالآلب يلّلي بدّها إياه. . وصاير بدّه رضاها لترضى، وهيّة طول ما لها آعدة. . على بسبسة وبربرة ونفخ وسكب من هون وتمليحة من هون، ودخاخين وبخور من هون. . وهوّه دايخ معها ودايب بدباديبها. .

أم بسام: الله يكون بعونه. . مسكين المي ماشية من تحته وماله حاسس. هادا سارئته السكين وما لـه دريان.

أم محمود: بس أنا يلّلي بعرفه إنه زوز سعاد أدّ حاله، وسعاد بين إيديه مثل الأملة المفروكة. بآشو حدا لبدا.

ناجية: أم محمود شينا؟!. هالشي يلّلي عم بتئوليه كان زمان، وسعاد يللي بتعرفيها غير سعاد هلاّ.

أم ياسين: وأنا يلّلي كنت محسّبتها عم تتسلّى(١).

٢ ـ طبّ الإدرة على تمّها:

أم شكري: دخلك ناجية خانم، شو وصّل سعاد لهيك مواصيل؟.

ناجية: ما لها جايية شي من عندها.. بسلامة أمها.

أم محمود: أمها؟!..

ناجية: إي أمها لسعاد.. أمها كانت عاملتها شغلتها.. ويا من تراها: شاعلة هالبخور، وهالدخاخين عم تعفّ عفّ، وعم تعطي لهي تبخيرة، ولهي فاسوخ، وهي حجاب من عند الأسياد، ولهديك جلبة وللتانية تمليحة..

أم أكرم: وشو حاجها لكل هالشيء؟.

ناجية: هلاّ بدّي اسألك، إذا الوحدة منا ما عندها شي تساويه، وخايفة لعين زوزها تخطف لبرّة، يما حماتها تعمل لّها شي عمل.. آ.. شو بدها تساوي.. تتفرج عليهن؟!..

أم أكرم: يعني بدّل تئولي..

ناجية: أي لكان.. الوحدة منا مالها، غير وحدة مثل أمها لسعاد خانم، ترجّع لها المي لمجاريها. اه.. ولمّن سعاد تزوزت، وحسّت أنه عيون زوزها عم تزوغ، هالناح وهالناح.. آلت لأمها..

أم ياسين: وأمها آلت لها شو تساوي.

ناجية: وأنت عيني.

أم شكري: ما شافت حالها سعاد، إلاّ وغرآنة بهالطابوسة لأرائيط أدانها.

ناجية: أولي صارت أسطة، وسبئت أمها.

٣ ـ وين كنتي رايحة.. يا شن برن!.

لم تكد ناجية تتم كلامها عن سعاد وأمّها، حتى كانت سعاد فوق رأسها مثل القضاء المستعجل. أمسكت سعاد بتلابيب ناجيّة وأطبقت عليها بكلتا يديها وشدت وهي تقول:

سعاد: على مين كنت عم تحكي، لك مأصوفة الرأبة.. آ.. عليّ أنا؟.

تدخلت أم محمود بين سعاد وناجية وهي تقول:

أم محمود: ما لك حأ يا سعاد خانم، المخلوءة ما جابت سيرتك بالعاطل..

سعاد: لكان مين كنتو حاطّين بالمئلاية؟

أم محمود: كمان لسّا ما حطّوا حدا بالمئلاية.

سعاد:لكان.. أولي وليه ناجية. على مين كنتوا عم تحكوا؟..

ناجية: كنا عم نحكي عنّك وعن الأسياد تبعك.

سعاد: ومالكن خايفين ياخدوا على خاطرهن ويئلبوكن سعادين.

ناجية: سعدانة تركبك وما تسمّي.. استهدي بالله وأولي لنا وينك لهلأ ووين كنت، شغلت بالنا.

سعاد: الله لا يشغل لك بال... حسّبت.

ناجية: لكان عدي إدّامي لشوف. أنا بسألك وأنت بتجاوبي، ويلّلي بدّها: تئول معي شو ما بئول:

وين كنتي رايحة يا شنّ برنّ؟

سعاد: عند حبابي زايرة لا يكون لك ظنّ.

ناجية: وين كنتي رايحة يا شنّ برن .

سعاد: رايحة عالدكان تا حمّص بن .

ناجية: وين كنتي رايحة يا شنّ برن .

سعاد: والله لأنشر محرمتي على شريط التلغراف
ويلّلي بيعشأ محبوبه من غير ألله ما بيخاف

أم محمود: أي سعاد خانم ، ما بدّك تئولي لنا ، ليش لهلأ ما اجيتي ، وين كنتِ .

سعاد: والله يا أم محمود كنت جاية من بكير أنا وصبحية وبنتها زهرية ، بسّ كان عندي مشوار ، زغير أنا وصبحية ، إلت لحالي ، منئضي هالمشوار أنا وصبحية وبعدين منجي سوا عالسهرة .

اه ، مرئت لعند صبحية لئيتها ملبّكة شوي . . آلت لي: اسبئيني عالسهرة ، لاحتئك بعد شوي أنا وزهرية(٢) .

٤ ـ كوي الشعر عالبخار:

لم تفوّت ناجية ما سمعته من عزم سعاد وصبحية على ذلك المشوار ، فقد لعب الفأر بعبّها ، وبدا لها أنّ في ذلك المشوار ، أمر ما تريد سعاد أن تخفيه عنها . فكان أن انقضّت على سعاد وأمسكت برقبتها (خوانيقها) وهي تقول:

ناجية: وليه يأمعوك لوين بدّك تروحي إنت وصبحية؟ أولي أحسن ما اخنئك . تروح روحك من دفّات صدرك .

أم محمود:له . . له . . لك ناجية شو صار لك . . حرام عليك . . شو عملت لك؟ .

ناجية: يحرم جلدها عن عضمها. . (وهي تشد على رقبة سعاد) أولي وليه. . أولي لوين بدكن تروحوا.

سعاد: اي. . اي. . بس بس. . لحا أول. . لحا أول لحا تخنئيني ولي عليك. . يعني شو فيها إذا رحنا لعند أصّاصة الشعر سوا؟.

أم أكرم: ولإيش أصّاصة الشعر.

سعاد: يعني حرام الوحدة، تتهندز وتتلمّع وتكوي شعرها عالبخار إدّام زوزها.

أم بسام: لآ مو حرام. . بس موليلّلي بها العمر. . وهه هي إجت صبحية.

صبحية: شبها، صبحية خير.

أم بسام: أوعي هَهْ، لك صبحية. . هي سعاد بدها تاكل بعألك حلاوة. . ويللّي بيخفف عأله بيتعبوا إجريه.

صبحية: شو الإصّة فهموني. . خير.

أم بسام: صعي متواعدة أنت وسعاد، لتأخذك بعد هالعمر، لعند أصّاصة الشعر؟

صبحية: ليش شبني؟. . نائصة إيد يمّا إجر. . ما لي بسعر هالنسوان يلّلي عما تروح يمّا هنّن أحسن منيّ.

أم ياسين: صبحية خانم أم بسام ما هيك أصدها. يعني صار عندك خمس بنات وبناتك أطول منك. . الدور صار إلهن. . نحنا حاجتنا، كبرنا على هيك شغلات.

سعاد: وشو فيها يعني المخلوءة حابّة تزهزه حالها. . زوزها عم يلفي على غيرها، وحماتها بدها تزوّز ابنها وحدة غيرها. . خلّيها تغيّر. . إي والله الرجال الحأ معه، يعني كل يوم لازم ياكل مجدّرة؟!.

أم غسان: لك سعاد . . ما بتبطّلي هالحركات .

سعاد: يعني حرام إذا غيّرت صبحية لزوزها طعمة تمّه . بعدين كل الرجال هيك بدهن .

٥ ـ حتى لا يلعب زوزها بديله:

أم محمود: لأ يا مو مو كل الرجال متل بعضها .

سعاد: هلأ أختي أم محمود أتت خلّيك على جنب . . أنت زوزك حجي . . والله ينعم عليك . . أنا عم بحكي على يلّلي مثل حكايتنا .

أم شكري: يسلئوا بدنك على هالحكي . . احكي عن حالك ، شو دخلنا نحنا معك؟! .

سعاد: وأنت أم شكري تصطفلي . . خوش أنا عاملة حسابي لحالي . . ويلّلي مثلنا خلّيهن معنا .

أم فؤاد: ومع مين عامله حسابك؟

سعاد:مع زوزي .

أم فؤاد:شلون بآ . ؟

سعاد: لحتى ما يلعب بديله ، وتمشي الميّ من تحتي ، بتلائيني ما في يوم بيرجع من شغله ، إلاّ وبيلائيني ، مرّة بالزهر ، ومرّة بالنهدة . ويوم بالمهفهف ، ويوم بالمكفكف والمزمزم . . ويوم بالمشمرّ . . وشعري كل يوم موديل . . ودايم الدوم ريحة الفلّ والياسمين عمّ تفوح مني . . ويا أرض اشتدّي . . ما حدا أدّي .

أم فؤاد:أي مزبوط . . مزبوط . . من هالشي عينه زايغة .

سعاد: شو عليه . . ما بدّه يعرف إيمة يلّلي عنده .

أم بسام: وبنت الجيران يلّلي دايب فيها لدباديبو .

سعاد: عم تحكي جدّ أم بسام؟

أم بسام: هيك آلت لي الستيتيّة .

سعاد: صعي؟

أم فؤاد: آل يا مأمنّه بالرجال . . يا مأمنة بالمي بالغربال .

سعاد: أنا بأرجيه . . والله لأنكت له الخمير والفطير ، وخليه يشتهي لئمة الخبز . .

أم محمود: أي أي . . طولي بالك . . هدول التنين متفئين عليك .

سعاد: اه . . ريّحتي ألبي الله يريّح ألبك ، ويطمّنك عالغوالي . وأنت وياها[٣] . أنا! لكن ، بكره بيدوب الثلج وبيبان المرج . وكلّ وحدةمنكن لحا تئول إنّ الله حأ .

٦ ـ أطايف العصافيري:

أم محمود: وهلاً أم ياسين مالحا ناكل الليلة أطايف .

أم ياسين: لكان . . لكان . . بس الخوانم ما يدهن يخلصوا لنا هالنائردي . .

ناجية: وإن شاء الله أم فؤاد بدها تلهينا بالأطايف لحتى ما تحكي لنا الحكاية .

سعاد: وإلفت . ما لازم تاكل .

أم ياسين: محسوب حسابها الفت ويمكن أكلت من هالأطايفات الليلة أبل منكن . وأم فؤاد ليكها إدّامكن ، لو بدّها ما تحكي الحكاية ، كانت ما إجت .

تدخل ابنه أم ياسين بجاطين من القطايف وعدد من زبادي القطر وتتقدم أم فؤاد من الساهرات قائلة:

أم فؤاد: يا جماعة ما في شي من واجبكن . . اشتهيت إلكن هالأطايفات . هالجاط بالأشطة ، وهاد بالشمندور ، نفس وما تشتهي . . وأمانة أمانة الصعبة ، ما حدا يئوم ونفسه بشي . . بالإذن من أختي أم ياسين ويلّلي بنفسها تأخذ معها ، خير الله كتير . . فضلة دياتكن . .

ناجية: طمنينا أم ياسين . . في أخره .

أم ياسين: في حكاية أم فؤاد ، وبا لسهره الجاية لحا ساوي لكن أطايف ستاتي . إن شاء الله عوافي .

ناجية: أختي أم ياسين ، بئولوا: شرط بالحألة ولا خناءة عالبيدر ، من هلأ بدنا نعرف الستاتي تبعك بايش ، بالإشطة يما بالزوز . . يمّا . . .

أم شكري: والله الستاتي بالأشطة ما في أطيب منها .

سعاد: ليش شبها الستاتي بالزوز مو طيبة .

أم شكري: كمان هي طيبة بس آمنت بالله أنا بلائي الستاتي بالإشطة أطيب .

أم ياسين: لكان لحا اعمل شي منهم بالإشطة وشي بالزوز .

سعاد: بس ما عرفنا شو بتئصد ناجية عن هي: اليّما يللّي لمّتها؟ .

ناجية: لا تآخذيني أختي أم ياسين ، والله ما أصدت شي . . كنت بدّي أول إنه في ناس بيحشوا أطايف الستاتي بالجبنة .

أم فؤاد: وفي ناس بيحشوها أريشة . . شو فيها . . نفس وما تشتهي . مو هيك بالله .

سعاد: ليش ما نئول كل مين بيمدّ إجريه على أدّ فراشه.

أم محمود: هلاّ شو بدنا بها لحكي. . شوفي أختي أم ياسين. لا تردّي على حدا هدول عم يتونئوا. . أنت اعملي يلّلي الله بيألهمك عليه. لأنهن ما يعجبهن العجب ولا الصيام برجب. .

أم ياسين: ونعم بالله.

٧ ـ كنّة.. سيكار وبيكارا!..

أم محمود: أي أختي أم فؤاد شو لحا تحكي لنا الليلة.

أم فؤاد: والله يا أختي من هديك السهرة عم تحكش براسي حكاية حلوة إلت لحالي لسبدّ ما إحكي لكن ياها.

أم محمود:شو هيّة هالحكاية أم فؤاد؟

أم فؤاد: يعني شو بدّي أول لّك، هالحكاية إلها مازيّة غير شكل، وأنا سمعانتها من حماة حماتي. آل شو:

كان أهل أول بيزوّزوا البنت وهي بنت تلتعشر أربعتعشر سنة.

أم أكرم: أي لآ. . لك هي بتبكي على شأفة خبزة.

أم شكري:وعلى مصاصة وعرنوس درة. إي هزّوا لها بمرجوحتها بتنام. !!. .

أم بسام:وليش هالشدّة يا رسول الله. . شو صاير عليهن؟! إلّة بنات!!. .

أم فؤاد: على ما فهمت، آل لحتى الحماية تندر تربّي الكنّة على إيديها، وتكون تحت طوعها ومثل الخاتم بإصبعها. . اطلبْ تعطى. . وما يكون لها راس وفرناس.

صبحية: يا لطيف من هيك حموات، يخرب بيتهن الوحدة منهن بدها تضمن الدنية والآخرة.. وبتكون حاسبتها عالمظبوط.. وما بتخلي يفوت عليها شيء..

أم شكري: وكمان لحتّي تكون الكنة سيكار وبيكار.. لزوزها وحماتها. ولئمتها في سبيل الله.

أم محمود: ما زال هيك سمعونا تسفيأة، وخلونا بآ نسمع الحكاية من أم فؤاد[٤].

٨ ـ حكاية مالي شعر بله:

أم فؤاد: كان يا ما كان بأديم الزمان، صلّوا على النبي العدنان عليه ألف صلاة وسلام. صلى الله عليه وسلم كان بزمانه، في تاجر كبير، يعني مثل ما بيؤلوا، شيخ بندر التجار. مرت هالتاجر، إضرب أنا، ما بتجيب ولاد.

أم شكري: يا حرام.. الله ما بيكملّها مع حدا.

أم غسان: بعدي اسمه الله.

أم فؤاد: وهالمستورة كانت كل ما حبلت، بتستئيم لها شهرين ثلاثة وبعدين بتطرح. مسكينة ما خلّت داية.. شيخ.. إلاّ وراحت لعنده.. لكن لا تغلب. إه.. آخر طب الكي، آلوا لها لسّاتك زغيرة، وضهرك ما عم يحمل الحَبَلْ. الله كبير، والأيام جاية.

بس هالمسكينة خافت لتزوغ عين زوزها. هالناح هالناح، ليؤوم يطلّئها يا بيتزوّز عليها. آمت صارت تندر هالندورة وتصلّي هالصلوات وتدعي لأالله. وحطّت وشّها بوشّ رب العالمين آلت له:

يا ربي ترزئني بشي ولد بنت.. يا ربي يعني كتير عليّ شي بنت ولو كانت أدّ الفارة!!..

أم بسام: فارة؟! . . يبلي عاشئها بالنسفة ما لئت غير الفارة .

أم فؤاد: الآخرة يا فاخرة . . لا تستعجلي أمّ بسام .

أم بسام: شو يعني .

أم فؤاد: هادا يا ستي ، بالظاهر وأتها بواب السّما كانت مَفْتّحة ، هالمخلوءة بإرادة آدر مئتدر كانت ليلتها حبلة . . ولمن عرف زوزها مسكين ما تحمل الفرحة . . ألب ومات .

أم أكرم: الله يكون بعون هالمرة . . آل آمت الحزينة لتفرح . . ما لئت للفرح مطرح .

أم فؤاد: يا جماعة آلله بيبلي وبيعين ، بعدين هيك كاتب رب العباد . والمكتوب ما منه مهروب .

أم غسان: وشو صار بالولد يلّلي ببطنها .

أم فؤاد: هالمخلوءة ما حسّت إلاّ بطنها عم يكبر ويطنبر . . آل عدّوا البيض بالمثلة ، ولا تعدوا أشهر الحبلة . . شهر . . تنين . . ثلاثة . . أربعة . . أوام حضّرت هالمخلوءة بئجة التنزيلة ، حضّرت الديارة ، نجدت هالفرشة لها الولد ، جابت هالجودلة . . ما خلّت شي يعتب عليها . . وهيك خلصوا التسع تشهر . . دب الطلق بهالمخلوءة ، طئّت ميّة الراس ، ولدت . . تطلعت هيك لئت حالها ولدانة فارة . .

أم بسام: فارة . . فارة . .

أم فؤاد: متل ما عم أول لكن . . أي فارة . . فارة . . عمرك ما شفتي فارة؟ .

أم أكرم: يعني فارة من حآ وحئيئ؟! .

أم فؤاد: أي تئبريني . . فارة من حآ وحئيئ . مثل هالفيران ، بس بتحكي مثلنا .

أم شكري: والله شي بيحطّ العئل بالكف.

أم محمود: شغله، بعدي اسمه آدر مئتدر، لا اعتراض على حكمه، هيك كتب لها الله.

أم شكري: الله يكون بعونها.

أم فؤاد: هالمسكينة شو بدها تساوي. إه شكت أمرها لألله وإبلت بحكمه.

وهيك أعدت هيّة وهالفارة بها البيت السياح النيّاح.. أكلهن وشربهن سوا وطول هالنهار هالفارة عمّ تنط من رفّ لرفّ، ومن كتبيّة لكتبيّة، ومن شبّاك لشباك. ومن تحت الآطع لضهر الخزانة..

أم أكرم: أي والله شيء بيشلم.

أم ياسين: يعني أم أكرم. هالمسكينة شو بدها تساوي.. تكبّها.. الضنا غالي.

أم بسام: وبعدين شو صار.

أم فؤاد: هادا يا مرحومة البيّ.. بيوم من الأيام. كانت الفارة عم تنط من الرفّ للشّباك، آمت تشركلت بأنيّنة الكولونيا، ووئعت الآنينّة عالشباك واندلئت عالزآء.. إه وساءب هالشيء بمرئت ابن السلطان آمت نزلت الكولونيا على راسه:

ولمن شافت الأم شو عملت بنتها، آمت صارت تدعي عليها، وتئول لها: ما لئيتني غير الشباك.. موعيب. شو بدهن يحكوا علينا الناس.

سمع ابن السلطان هالكلام وآل لحاله.. إذا كانت شخاخة هالبنت بها الريحة، أديش حلوة هالبنت. آم حط علامة على باب الزآء، ودوز دغري عالأصر. فات لأوضته وأعد يصفن بيلّي صار معه.. ولمن شافته أمه كانن.. آلت له:

ـ لك ابني شبك .

يا أمي إيمي فراش الفرح وحطّي فراش العنكبوت . . ابنك لحا يموت . .

ـ يه . . لك ابني شوها لحكي . . إنت ابن ملوك ، كل شي بيرخص لك وكل صعب منشانك بيهون ، بس إنت افتح لي ألبك وأول لي شو صار معك .

أم بسام: وآل لها؟ يما ضل مخبّي عليها .

أم فؤاد: منين . . ابن ملوك ، راسه يابس . . وهالأم كعيت . . إنه يئول لها شو صاير معه لا تغلب . . ما رضي يحكي لأمه شو صار معه .

وبعد اللتا واللتيّا . . . وبلا طول سيرة عليكن . هالصبي آل لأمّه شو صار معه . مع هالبنت يلّلي خرطت مشطه من غير ما يشوفها . وبدّه تخطب لـه ياها .

آلت لـه أمه ، لك ابني أنت ابن ملوك ، لتكون هالبنت مو من توبنا .

ـ آل لها . يا بتخطبوا لي ياها ، يا بهجّ من هالبلد .

ـ لك ابني ما بدنا نعرف ، بنت مين هيّة . . أصلها . . فصلها . . مين أبوها . . شو بيشتغل . . هيك بدك يانا طم غم نخطب لك ياها . .

ـ كل شيء بعرفه إنه بيتهن ـ يعني مثل ما بيئووا ـ تحت الصيبات بزآء الحكر وحطّيت علامة على باب الزآء .

ـ لكان طوّل بالك شي كم يوم ، عم بين ما نئول لأبوك السلطان ونشوف شو بيصير معنا .

كانت هالأم أوام بعتت ناس ، ودأدست هالناح هالناح . . سألت هون . . وهون ، لحتى عرفت إنه هالبيت ، هوّ بيت شيخ بندر التجار ، وهالبنت بنته .

إه . . آلت للسلطان شو صاير مع ابنه ، وإنّه هالبنت هي بنت شيخ بندر التجار .

أم شكري: يعني وأفا السلطان.

أم فؤاد: أم شكري هي حكاية، وشلون ما بدّه السلطان يوافي آ. معلوم وافأ السلطان على خطبة هالبنت لابنه، وبعت مرته لتحكي فيها.

أم بسام: إي أم فؤاد، شو صار؟ شو آلت أم البنت، لمرت السلطان؟.

أم فؤاد: طوّلي بالك أم بسام، ما لي جاييتكن بالحكي. هادا يا ستّي لمنّ راحت مرت السلطان لتخطب هالبنت، مسكينة إم البنت تبلكمت، واختارت شو بدها تئول.

إن آلت الحئيأة يا ويلها، وإن وافئت عالزوازة يا ويلها، وهيك ما كان فيها غير توافئ.

ولمن طلبت مرت السلطان تشوف العروس. آلت لها أمها:

معليش إن شاء الله المرّة الجاية، لأنه البنت خجلانة ومستحية تبيّن عليكن وعلى عريسها، . بدكن ما تآخذوها. آمت آلت مرت السلطان شو عليه، وهيك يكون.

أم محمود: وبعدين أم فؤاد؟

أم فؤاد: بعدين عطوا أم العروس مدّة لحتى تزهز بنتها، ولمن صار وأت حمام العرس. آلت أم العروس: بدّي تحززوا لي حمام من بابه لمحرابه، وما حدا يفوت علينا من أهل العريس لحتى تخلص العروس حمامها.

أم شكري:اسمعوا هالسمعة بآ. طول عمره حمام العرس، دأ وغني وزلاغيط ومعازيم من أهل العريس وأهل العروس. بآ شلون هيك؟

أم فؤاد: هيك أختي أم شكري بدها أمّ العروس.

أم شكري: ليش بآ؟

أم فؤاد: وأنا متلك إلت لحالي ليش هيك، بدها أم العروس. . ما تاري أم العروس عم تأطّع وئت بركي بتلائي لها شي طريئة تهرب فيها من البلد.

أم أكرم: إذا كان هيك الحأ معها. . بس دخلك أم فؤاد، ما هربت.

أم فؤاد: لآ يْه، شو الشغلة فلتانة؟ يمّا الفوتة عالحمام، مثل الطلوع منّه؟ الحمام يا بعدي، كان حوله وحواليه جندرما، وابن السلطان عم يستنّى عروسته.

سعاد: لكان شو صار؟

أم فؤاد: فاتت هالفارة عالجواني، وصارت تنطّ من جرن لجرن وهيّة عمّ تغني:

ما لي جسم بلّه ... وما لي شعر حِلّه

وإذا إجا ابن السلطان ... شو بدّي أول لّه

وكل ما نطت من جرن لجرن ترد تئول:

ما لي جسم بلّه ... وما لي شعر حِلّه

وإذا إجا ابن السلطان ... شو بدّي أول لّه

بلا طول سيرة عليكن، وبالظاهر كانت على طاءة، بيت النار بالجواني، تبع الحمام بنت ملك الجان ضعيفة. وما كان حدا يندر يلائي لها دوا. ووئت شافت هالفارة، عمّ تنطوط من جرن لجرن، آمت ضحكت ضحك، ضحكت ضحك لحتى وئعت على أفاها. . ولمن آمت لئت حالها طايبة وما فيها شي.

أم محمود: رب بعيد. . آدر مئتدر، بيحط عجايبه بأضعف خلوْه.

أم فؤاد: ولمن عرف ملك الجان، إنّه هالفارة هيّ اللّي طيّبت له بنته، تطلع بها الفارة وآل لها:

ـ اطلبي واتمني.

ـ الله أعلم بحالي، والليلة عرسي على ابن السلطان، وأمي لحا تموت من الأهر، وأنا محتتارة شو بدّي ساوي.

ـ آل لها ملك الجان: كوني أحلى بنت ونفخ عليها.

أم فؤاد: وهيك بإدرة آدر صارت هالفارة صبيّة لبيّة، بتوّل للأمر غيب، لإأعد مطرحك آضي ومفتي ونئيب، عم تتمايل عنؤود وخصلة والبائي فراطة.
لك: شو شآر، شو بياض شوعيون.. وشو أوام، شي بيسبي سبي.

سعاد: ليكي المأمّعة ليكي.

أم فؤاد: بيرجع مرجوعنا لهالأمّ المسكينة، كانت آعدة بماصورة الجوّاني عم تبكي وتنوح لحتى نشفوا دموعها.. وإيديها مربّطة، وما لها عرفانة شو بدّها تساوي لمن يعرفوا بيت السلطان، إنّ العروس فارة.

وهيّة بها الحالة ما شافت إلاّ فاتت عليها بنتها، يلّلي كانت فارة، بشعرها الأشئر، وعيونها الزرء، وآمتها يلّلي بتمزع العئل.. لحا يزحل عألها، من فرحتها.

وأوام كانت خفيفة الأركان، نادت لأهل العريس لياخدوا العروس لأصر السلطان. وبها الأصر طرّؤا الاضيب، حضر الآضي والمفتي والنئيب كتبوا كتاب بنت شيخ بندر التجار على ابن السلطان.. وعملوا هالأفراح والليالي الملاح.

باللذة والنعيم طيب الله عيش السامعين.. وشّرناهن هنيك وجينا لحتى كان(٥).

الساهرات: (مع التصفيق) الله يسلم هالتم، تعيشي وتحكي لنا من هالحكايا الحلوة..

أم فؤاد: الله يحلي أيامكن.

زهرية: صعي خالتي الفارة ساواها الجني عروس حلوة.

أم فؤاد: اسم الله حولك وحواليك، لك بنتي، هي بنت حكاية، مو مثل حكايتنا. وبنت الحكاية شلون ما بدها يلّلي عم تحكي الحكاية بتساويها.

تدخل ابنة أم ياسين عزيزة بالقهوة في وقت كانت الساهرات في حاجة فعلية للقهوة.

٩ ـ مآل اليأس.. الاستسلام:

صبحية: كأنّك يا أم ياسين بألبي، كنت عم أول لحالي، بعد ها الحكاية الحلوة من أم فؤاد، صار بدها فنجان أهوة.

أم ياسين: كنت اطلبي من ربك شي تاني.

صبحية: إن شاء الله وتعالى.

أم محمود: الله يسمعنا الأخبار الطيّبة.

صبحية: ياما، التوا لي. الله موجود. وأنا ما في مرّة إلت غير هيك بس يللي حارئ البي حماتي وبنتها.

سعاد: والله أنت يا صبحية بتستاهلي تنحطّي على الراس، ولو تسمعي مني هالمرّة.. هالشغلة لينسّرّ إلبك وخاطرك.

صبحية: سعاد.. الله يخليك، ما عاد بدي اسمع شي من حدا، ألبي من الحامض لاوي.

أم فؤاد: صعي صبحية، بدّي اسألك، جرّبتي شي مرّة خطف الزعزع.

صبحية: ما إلت لكن ملّيت . . والله ملّيت ، وما عاد فيني فكّر بشي ، ولا اعمل شيء . خلص . . خلص ، رفعت البيرأ الأبيض ، وأدّ الإرد ما مسخ الله . . هالخد تعوّد عاللطم .

أم أكرم: أي طولي بالك صبحية ، اسأليني أنا شو أضّيت من حماتي .

صبحية: تشكلي آسي ، حماتك سلفة إمك ، إمك يلّلي كانت عم تاكل العصي وإنت عم تعدّي هديك العصي . . أما أنا ، فالعصي نازلة عليّ مو على غيري .

أم فؤاد: بس بيؤلوا هادا خطف الزعزع منيح لمتل حالاتك .

صبحية: ما عادت فارأة . . متل بعضها .

سعاد: شبك صبحية يعرفك أأوى من هيك . . بعدين ما فيها خسارة . . بركي هالرجال بيرجع عئل الرحمن لراسه .

صبحية: خوش هادا الشيخ أبو كيس آل لي هيك شي . . بس أنا ما إمت كلامه من أرضه .

أم محمود: ليش .

١٠ ـ عألك مو براسك.. تنين بيديروك:

صبحية: لك آخ شو بدّي احكي يا أم محمود لأحكي ، لا نفع حبس التابعة ، ولا الجلبة ولا التعويذة . المكتوب مكتوب وما منّه مهروب ، ويلّلي انكتب عالجبين لازم تشوفه العين .

أم شكري: اي لآ صبحية . . والله ما بحطّها واطية والسما زرآ . . وإذا شويّة زعبرة من هادا أبو كيس ومن يلّلي مثله ، ما نفعوا معك ، مو معنانا منحطّ الحزن بالجرن ونئعد!! .

أم فؤاد: أي ستّي . . شو إلتي؟ . .

صبحية: بإيش؟

أم فؤاد: بخطف الزعزع .

صبحية: يعني بدكن ياني روح لعند هادا أبو كيس كمان مرّة!! . . إي والله ما بروح لعنده ولو طبئت السما عالأرض . ولي على آمته ، ما خلّى حيلتي حيلة ، لك صفّيت على الحديدة . . وعلى أولة . . هاتي . . جيبي . . لك العطارين حفظوني وشّ وأفا ، من كتر ما زئيت من عندهن . . لك مونة البيت صار بدّه ياها . .

أم فؤاد: ومين آل لك هالمرّة تروحي لعنده؟ هي ناجية وهي سعاد خانم أدّها وإدود بيئولوا لك شو تساوي . . شو إلتوا .

سعاد: أختي أم فؤاد ، هالمرة أنا اعفوني ، ناجية خانم أفضى منّي .

صبحية: آل عألك مو معك ، تنين بيديروك . . شو عليه . . غلبتوني . . لشوف آخرتها .

١١ ـ خطف الزعزع:

أعيت أساليب الشيخ أبو كيس ، بل حتى محاولات أم صياح الداية ، في إخراج صبحية ، مما هي فيه ، من غم وهم جرّاء إلحاح حماتها على إنجاب صبي يحمل اسم أبيه ، ويملأ عليها البيت .

كانت صبحية بين خيارين ، أحلاهما مرّ . فإمّا أن تخلد إلى السكينة والتسليم بما هي عليه ، على ما كانت تقاسيه من معاملة زوجها وحماتها . . وما قد يجرّه ذلك من مضاعفات ، أقلّها إجحافاً ، أن يتزوج زوجها عليها ، ويجعلها تعيش مع ضرّة في بيت واحد ، وقد ذاقت هذه المرارة من قبل واستطاعت الخلاص منها . .

لكن أخشى ما كانت تخشاه أن يعمد زوجها إلى طلاقها، ويأتي لبناتها بخالة زوجة أب. . إزاء ذلك لم تجد حرجاً، من الخيار الثاني المتمثّل في خوض تجربة خطف الزعزع. . وقد قبلت الخوض في ذلك، بعد أن فقدت الأمل، من جميع المحاولات الأخرى. . تطوعت ناجية هذه المرّة للسير معها خطوة خطوة للقيام بذلك. بعد أن قالت لصبحية:

ناجية: شوفي صبحية لولا غلاوتك عندي ما بمشي معك في خطف الزعزع. أنا منشانك هه. ومن زمان بعيد ما دلّيت حدا عليها. ومنشان هيك بدّك تعملي يللّي بتول لّك عليه.

صبحية: شو عليه. وأنا لحا اعمل متل ما بيئول المتل: خود من عبد الله، وتوكل على الله.

ناجية: يا ستي أبل كل شي بدك تلبسي ليلة التنين يا أمّا الجمعة أواعيكي، بس بكم وحدة، يعني ما تلّبسي غير إيد وحدة ورجل وحدة، وتخلّي التانية بلا لبس. وتغندري خدّ واحد من وشّك، وتكحّلي عين وحدة، وكمان نص شفتك الفوآنية ونصّ الشفّة التحتانية. ولازم تديري بالك إنّه يكون كل يللّي عم تساويه بالشمال مو باليمين. ولا تنسي شعراتك كمان بتسرحي طرف وبتنفشي طرف. .

وبعدين بتاخدي شأفة من المعسفة، يا شي عصاية أطول منّك، وبتعمليها يعني مثل الحصان، تبع الولاد الزغار، وبتركبي على هالحصان، وبتركدي ركيد بين صلاة المغرب والعشي من البيت عالمصلّبة تبع الحارة، ودوز دغري عالتربة هه شوفي هيك متل ما عم إعمل.

صبحية: يفكحك هيك بدك ياني اطلع بالليل عالتربة وأمروء بالمصلبة ادّام هالناس، يلّلي آعدة بالأهوه ويللّي آعد بدكانه، ويللّي ماشيين بالطريئ. . أي والله بصير فرجة، شو بدهن يئولوا عني. . أي والله بيكون مو نائصني غير العصفورية.

ناجية: أي وشوفيها. . حبيبتي يللّي بدها يرجع لها زوزها مو كتير عليها تعمل كل شي.

أم فؤاد: أي صبحية مافيها شي. . ما بتعرفي شو بيؤل المتل.

صبحية: وشو بيؤل.

أم فؤاد: آل: يللّي بدّه ياكل هالأكلات. . بدّه يموت هيك موتات، ويلّلي بدها تاخد الفحل. . بدها تغرأ بالوحل. . مو بس تروح عالتربة بالليل.

ناجية: بآ شو رأيك؟

صبحية: استعنت عليك بالله. لشوف آخرتها معك.

ناجية: وبعد ما تفوتي على هالتربة، بدّك تركضي على حصانك تركضي تركضي لحتى توصلي لأربع مفارئ، يعني مصلّبة. وهون بتدوّري على حجر مدوّر ومطاول مثل البيضة تبع الوزّة. بتاخديه، وبترجعي ركيض عالبيت مثل ما إجيتي.

صبحية:وشو بدّي ساوي بالحجر.

ناجية:ها ها، هون حطّنا الجمال، بعد ما توصلي عالبيت، بدّك يا ستي تاخذي هالحجر وبترسمي عليه وشّ، وتغندري هالوش مثل ما غندرتي حالك.

صبحية: يعني خدّ وخدّ وعين وعين. .

ناجية:مزبوط. . وهيك بيكون صار معك الزعزع.

صبحية: وشو بدّي اعمل فيه. ولأيش هالزعزع.

ناجية: لك حوبة. . هادا الزعزع هوّ يللي لحا يرجّع لك زوزك. . عرفتي.

صبحية: أي عرفت. . وبعدين.

ناجية: بعدين بتجيبي صندوء، مو كبير، يعني أدّ صندوء الصيغة.

صبحية: صندوء الصيغة؟!

ناجية: أي صندوء الصيغة.. الشكمجية تبعك، يا إما، أدّ علبة مكي تبع الغندرة.

صبحية: فهمت.

ناجية: بعدين بتحطّي هالزعزع بها الصندوء، وبتستغفري، ربك وبتنوي إنك ما تزعلي زوزك وتسايري حماتك، وبنت حماكِ، وبتحطّي هالصندوء، إدّامك وبعد ما تطفي الضوّ بتؤلي بصوت عاليَ.. شو إلت لكّ، علّي صوتك أدّ ما بتئدري.

يا نجوم السما بعد العشي كلّكن..
يا حسرتي ما لي حريمة متلكن...
بديّ ياكن تواعوا حبي بألب زوزي.
كل ما هبّ الهوى ولاح...
كل ما هبّ الهوى ولاح...

صبحية: ولإيش كل هالعياط..

ناجية: ما بدهن يسمعو كي.

صبحية: مين.

ناجية: شو كنت عم غنّي بالطاحون.. لك هدول نجوم السما يلّلي بدهنّ يعملوا هنن والزعزع كل هالعمايل. فهمتي.. حفظتيهن.

صبحية: اي . . اي فهمت وحفظتهن .

ناجية: عيديهن لشوف .

صبحية: يا نجوم السما بعد العشي . . . .

ناجية: لك مو هيك . . مو هيك من ألبك جوّات من ألبك من ألب محروء . . شو إلت .

صبحية: اي . . اي خلص . . بس كم مرّة بدّي أولهن .

ناجية: يا سبع مرات. يا يا سبع تشعر مرّة . . يا سبع وعشرين مرّة وإنت طالعة . . لحتى تصيري ترجفي كلّك ، ويوئّف شعر راسك ، ويصير ألبك يلهف ويدءّ .

صبحية: وبعدين .

ناجية: ما بتسمعي إلاّ وهالزعزع بألب الصندوء صار يخفوء وينط بالصندوء مثل خفآن ألبك .

ووئت بيصير هيك ، أوام بتغسلي وبتلبسي وبتتغندري ، وبتتسأسلي ، وما بتشوفي إلاّ افنديكي حبيب الألب زوزك مشرّف . وفايت عليك ، وإن شا الله نعيماً .

صبحية: من تمّك لبواب السما .

ناجية: وتاني يوم ، أبل صلاة العشي ، بتلبسي مثل هديك المرّة ، بس بالعكس .

صبحية: ما فهمت شلون يعني؟

ناجية: يعني بتسرّحي الطرف التاني من شعرك ، وبتغندري الجنب الثاني من وشّك ، وبتلبسي بالإيد والأجر التانية . . شو إلت لكّ . فهمتي؟

صبحية: اي اي فهمت . . فهمت . . وبعدين؟

ناجية: بعدين بوشّك عالتربة عالحصان (العصاية) مثل هديك المرّة.

صبحية: كمان في ترب، أي والله من مرّة واحدة بموت رعبة، وركبي ما بتعود تحملني.

ناجية: لكان مين بدّه يرجّع الزعزع لمطرح ما أخدتيه.. اصحي هه.. بعدين بتتأزي، ومنكون بالطب منصير بالبيطرة، وبيصير فيكي متل يلّلي بيؤم من تحت الدلف لتحت المزراب.

أم محمود: لأ لأ اصحي صبحية خانم.. تف تف.. فال الله ولا فالك يا ناجيّة.

سعاد: اي والله يا صبحية..

ناجية: ولا تنسي تغندري الجنب التاني من وش الزعزع مثل ما عملت بحالك..

صبحية: ناجية خانم.. إيدي على راسك ما بيصير بلا ترب.

ناجية: لآ ستي ما بيصير. وكمان لا تنسي تجيبي معك السهرة الجاية شي نحلّي ضرسنا.

أم محمود: اي أختي أم ياسين.. هديك الأهوة بردت وما شربناها.. يعني ما فينا بآ نشرب لنا فنجان أهوة على رواء[٧].

أم ياسين: لكان تئبريني لكان.

ناجية: بس مو أبل ما تسمعنا أم أكرم شي حزيرة.

أم أكرم: وأنا ما لحا أول الحزيرة يا ناجية خانم أبل ما تحكي لنا الإصة يلّي سمعنتيها عند أصاصة الشعر أنت وسعاد.

ناجية: لك يفكحك.. هي بدها سهرة لحالها.

أم أكرم: ما يعرف . . زنبك على جنبك . .

أم محمود: لكان خلينا نشرب الأهوة هلأ . . ونخلي حزيرة أم أكرم ويللي لحا تحكي لنا ياه ناجية خانم للسهرة الجاية .

الساهرات: والضيف المنظوم . . بيشرب الأهوة وييؤم . .

صبحية: يا جماعة اسمعوا مني ابل ما تئوموا .

أم محمود: خير صبحية . .

صبحية: أنا حابّة أول لسعاد وناجية ، مو أحسن إذا استغفرت ربي وسايرت حماتي وزوزي من هاللفّة والدورة والفوتة عالتربة .

أم محمود: يحرز دين البطن يلّلي حملك يا أصيلة بنت الأصول .

وهنا تنهض الساهرات لتقبيل صبحية وهن يصفقن ويزغردن والفرحة تملأ وجوههن والابتسامة مع الدموع على وجه صبحية .

* * *

الهوامش:

(١) ما تئدر: لا تقدر . تبلف: تجعلها توافق . مغطس: مقلب ، توريطة . الإرد: القرد . وأت: وقت . هديك: تلك . بالزور: بالإكراه . عألك: عقلك . نص: نصف . هيك: هكذا . الأد: القدر ، المقدار . أدرانة: قادرة . تئبريني: تقبريني ، دعاء تحبب . زوزها: جوزها . مشأرأة: مبسوطة ، فرحة . بيؤل: يقول . الآلب: القالب . سارئته: سارقته . الأملة: القملة . تئوليه: تقولينه . هلأ: الآن .

(٢) الإدرة: القدر . حسّت: شعرت . أرائيط أدانها: شحمتي إذنيها ، أي من أخمص القدمين حتى الأذنين . سبئت: سبقت . الرأبة: الرقبة . حأ: حق . المخلوءة: المخلوقة . المئلاية: المقلاة . يتلبوكنّ: يقلبونكن . أولي: قولي .

عدي: اقعدي. إدّامي: قدامي، أمامي. التلغراف: الهاتف. منئضي: نقضي، ننجز. بنجي: نأتي. سوا: سوية. مرئت: مرقت، مررت. لئيتها: لقيتها، وجدتها. ملبّكة: مشوّشة. لاحئتك: سألحق بك.

(٣) اخنئك: أخنقك. عضمها: عظمها. أصاصة: قصاصة. ليلّلي: لمن. بعألك: بعقلك، والمقولة: تدهورك. نائصة: ناقصة. أصدها: قصدها. تزهره: تعتني بشكلها. يلعب بديلة: ينشئ علاقة مع امرأة أخرى. يسلؤ: يسلقوا والمقولة للنهي عن قول أو عمل مخجل. خوش: بالأصل. تمشي المي..: أرادوا أن تجري أمور لا تريدها دون علمها. بتلائيني: تجدني. مزبوط: صح. إيمة: قيمة، مقام. صعي: أصحيح. لئمة: لقمة. متفئين: متفقين. ويّاها: وإياها.

(٤) أطايف: قطايف. عصافيري: القطايف الصغيرة الحجم. النائردي: المشاحنة. يئوم: ينهض، يتوقف عن الأكل. ستاتي: قطايف كبيرة الحجم تشبيهاً لها بطائر الستّيتيّة. الحألة: الحقل. خناءة: خلاف. الأشطة: القشدة. الزوز: الجوز. لسبد: لا بد. مازيّة: نكهة. تلتعشر: ثلاثة عشر. شأفة: شقفة صغيرة. إلّة: قِلّة. لا يكون لها راس وفرناس: ليس لديها تطلعات بالانفراد برأي. لئمتها: لقمتها.

(٥) بأديم: في قديم. شيخ بندر: رئيس. مرت: زوج. تستقيم: تستقيم: تظلّ حاملاً. زغيرة: صغيرة. ضهرك: ظهرك. يطلّئها: يطلقها. ترزئني: ترزقني. أد: بقدر. وقع. يطنبر: يبرز. بئجة: بقجة. التنزيلة: ملابس ولادة المولود. الديارة: حاجات المولود من ملابس ونحوه. الجودلة: نوع من اللحف الفاخرة. الطلئ: الطلق، المخاض. طئّت: طقّت. حئيئ: حقيق. إبلت: قبلت. السياح النياح: الواسع. الآطع: القاطع. ضهر: أعلى. بيشلم: يدوّخ. تكبّها: ترمي بها. آمت: قامت. اندلقت، انسكبت. عالزآء: على الزقاق. ساءب: ثائب، صادف. مرئة: مرور.

ما لئيتي: ألم تجدين. أديش: كم مقدار. دوز دغري: ذهب مباشرة. الأصر: القصر. أوضته: غرفته. أعد: قعد. يصفن: يفكر. كانن: قاعد بلا حراك. ايمي: ارفعي. خرطت مشطة: أعجب بها. من غير توبنا: ليست من مقامنا. طم غم: بلا تفكير أو معرفة. دأدست: سألت، تحرّت. وافأ: وافق. تبلكمت: تعثر لسانها. الحئيأة: الحقيقة. تزهز: تجهز. تحززوا: تحجزن. دأّ: عزف موسيقي. زلاغيط: زغاريد. تاري: يبدو. تأطّع: تمضي، تبدّد. بركي: ربّما. طريئة: طريقة، وسيلة. جندرما: حراسة. طاءة: طاقة، كوّة. يئدّر: يقدر. أفاها: قفاها، ظهرها. الأهر: القهر. لإاعد: لإقعد. نئيب: نقيب السادة الأشراف. عنؤود: عنقود. شآر: شقار. مأصورة: مقصورة، غرفة استحمام. الزرء: الزرقاوين.

(٦) حارئ: حارق. من الحامض لاوي: أرادوا الملل واليأس. البيرأ: العلم، علامة الاستسلام. معناتا: معناتها، معناها. تئعد: تقعد. طبّئت: طبقت. آمته: قامته. صفيت عالحديدة: أصبحت، والمقولة تعني الفقر المدقع. وش وأفأك: وجه وقفا، على الوجهين. زئيت: زقيت، نقلت، اشتريت. أدّها وإدود: قدّها، على مقدرة كافية.

(٧) غلاوتك: مكانتك، محبّتك. بئول: أقول. التنين: الاثنين. أواعيكي: ملابسك. شأفة: شقفة. المعسفة: عصا طويلة. لتنظيف السقوف من العنكبوت ونحوه. الزغار، الصغار. بتركدي: تركضين. المصلبة: ساحة تلتقي بها الممرات والطرق. دوز دغري: مباشرة. التربة: المقبرة. الأهوة: المقهى. الطريئ: الطريق. الفحل: أرادوا الرجل. تغرأ: تغرق. مفارئ: مفارق. صندوء: صندوق. علبة مكي: علبة الماكياج. توأعوا: توقعون، تجعلون. سبع تشعر: سبعة عشر. يوئّف: يقف. يدءّ: يدقّ. يخفوء: يخفق. بتتأزي: تؤذين. راوء: رواق.

رابع عشر:

١ ـ بقجة المولود.

٢ ـ سايئتها جدبة على سلبة.

٣ ـ وئت بيهجم النصيب.

٤ ـ شوفة ما بتتصدأ.

٥ ـ البحث عن ابن الحلال.

٦ ـ سلوك الفتاة أمام الخطابين.

٧ ـ سمسارة العرسان.

٨ ـ العريس عالأسكي بدال العروس.

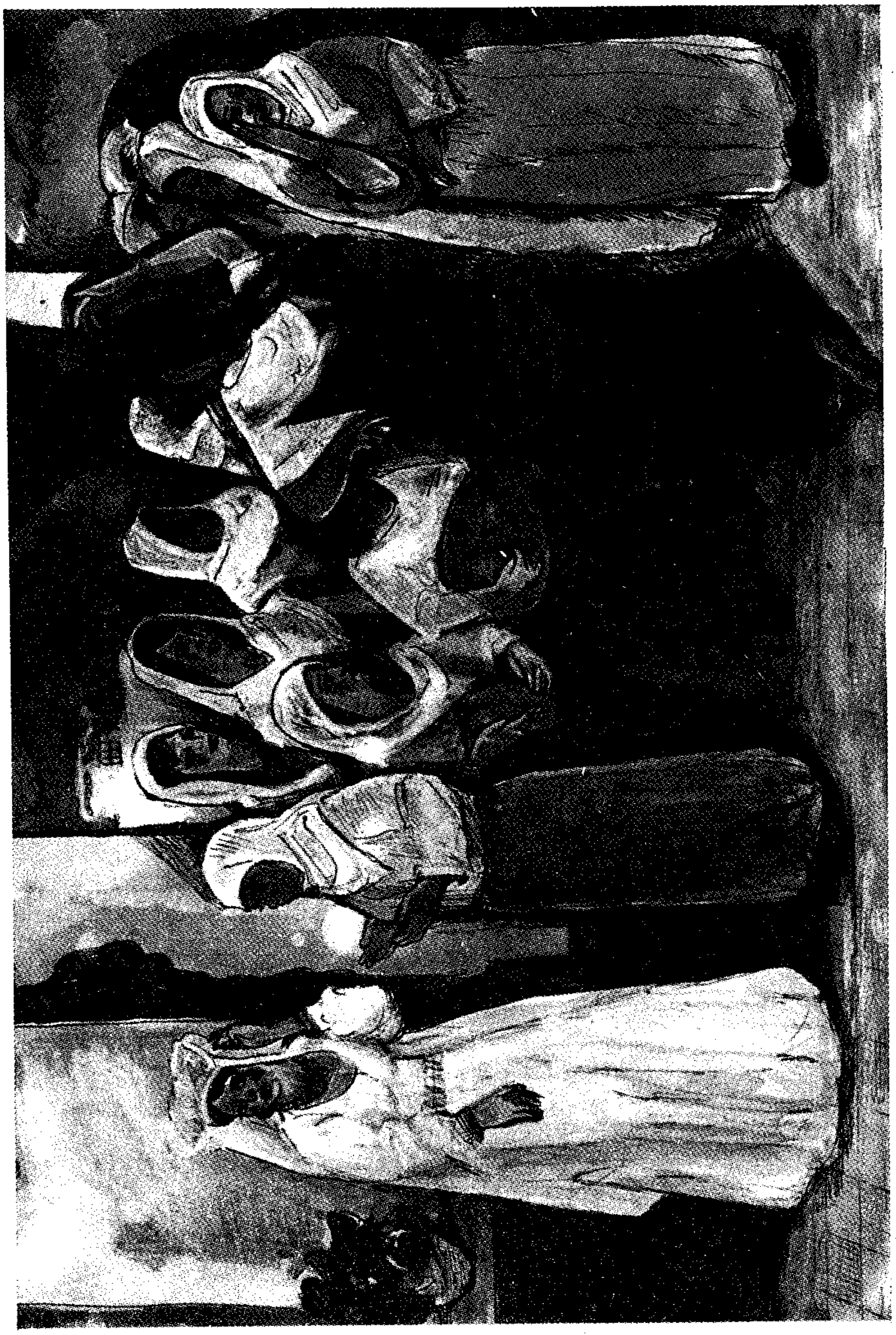
٩ ـ عرس فات خازوء.

١٠ ـ اسم الله.. اسم الله يا زينة.

١١ ـ الحزّيرة والحلوان.. بخبر كان.

١٢ ـ اطفوا الضوّ.. الغارة والغاز المخنيء.

١٣ ـ لحا إعمل وإعمل.. بعد الحرب.



عرس ما شفتي ... الصندوق

١ ـ بقجة المولود:

على غير العادة ، كان إلتآم جمع الساهرات ، هذه الليلة ، كان حضورهن دون تأخير ، حتى لكأنهنّ على موعد في حضورهن ، لما يتوقعن في هذه السهرة من إمتاع ، بعد أن افترقن على حكاية فريدة من ناجية ، وحزازير أم أكرم ، فضلاً عن قطايف الستاتي التي وعدت بها أم ياسين الساهرات .

وبينما كنّ يحتسين قهوة أهلاً وسهلاً ، ابتدرت أم محمود سعاد بالسؤال عن إلفت بقولها:

أم محمود:سعاد خانم ، إن شاالله تطمنتي على إلفت .

سعاد: إي والله أختي أم محمود ، هيةّ الحمد لله أحسن بكثير .

أم محمود: شفتي شي أم صياح الداية عندها؟

سعاد: أي والله ، وهيّ طمّنتني عنها . . كانت بدّها تضّب لها بئجة الولادة ، إمت إلت لهّا ، إذا بتخليها ليوم الجمعة بيكون أحسن . . إلت لحالي بلكي نائصها شي .

أم محمود: خير ما عملتِ . حاكم وئت الطلئ منكون ملتاشين وما حدا فاضي لحدا .

أم فؤاد: بعدين لا تنسوا ، الله يئيمها بالسلامة ، ما بتنترك لحالها .

أم ياسين:يُه . . بسلامة حماتها .

ناجية: آل حماتها . . أنو حماية هي . . مسكينة ما عادت عرفانة راسها من دك البستان ، كبرت وما عادت جمّعت ، الله يحسن آخرتنا .

سعاد: مسكينة من وأت ما راحت ستّها لإلفت، لرحمة ربّها، حماتها صارت تضوّع.

أم محمود: هلاً ناجية خانم، مو إنت رحت وإلفت، وأت الديارة؟

ناجية: أي لكان أختي أم محمود، لكان.

أم محمود: شو اخدتوا للديارة؟

ناجية: هادا يا ستي ما إنت. أبل كل شيء أطعنا للببو شلحة وروب وتلت إمصان وطائية. وعملنا له: زنار ولفحة، ورحنا لعند المنجد وصيّنا لـه عالجودلي. وكمان رحنا لسوء الخراطين وصينا لـه عالمرجوحة.

أم محمود: لكان خلينا نحط لإلفت بها البئجة بشي علبة، شوية كمون ناعم وصرّة ملح زغيرة ومكحلة. وشوية بودرة وراآس، ومئص زغير وخيط وقطن وشاش، وأنا عندي أنيّنة فيها زيت وكم حبة نانرج زغيرة بعطيكن إياها.

أم ياسين: وهيك ما بيكون إن شاء الله نائصها شي، الله يئيمها بالسلامة.

ناجية: لكان بكره منمروء عليها مشّأة، ويوم الجمعة، منصّر لها بئجة الولادة.

أم محمود: بكرة أنا بروح معكن، بس يوم الجمعة بدكن تعذروني، حاكم إجا الجوخدار تبع الحجاج وجاب لنا مكتوب من أبو محمود.. بدنا نعزل البيت ونغسل ونضبضب أبل ما يجي أبو محمود بالسلامة.

أم ياسين: أي والله الحأ معك، الله يجيبه بالسلامه.

أم محمود: الله يسلمك..

الساهرات: والغايب إلك والهدية إلنا.

أم محمود: إن شا الله إن شاء الله[1]

٢ ـ سايئتها جدبة على سلبة:

أم غسان: إي ناجيّة خانم، إلفت وتطمننا عليها، إن شاء الله لحا يحلّ أجل الحكاية!!..

ناجية: وحياة الغوالي، أنا عند كلمتي منشان الحكاية، بس من أولها بدّي أول لكّن، إنّه حكاية الليلة، بدها بال فاضي ورايئ، لأنه إصّتها بتاخد العئل.

سعاد: ليش بعدي، يعني حكايتك خرطها الخرّاط وألب مات.

أم غسان: طولي بالك عليها سعاد خانم، ناجية ما بتئصد هيك شي.

ناجيّة: معليش أختي أم غسان، بس بدّي أول لسعاد خانم، أنا إلت هيك عن الحكاية، يلّلي لحا إحكيلكن إياها، لأنّها صارت إدامي، وشفتها بعينتيني هدول يلّلي بّده ياكلهن الدود.

أم ياسين: بعيد الشرّ عنك، بعد عمر طويل ناجية خانم.

ناجية: تسلمي لي.

اي ستي.... بآ.. جارتنا يلّلي كانت ساكنة بالمربّع الصدراني، بتعرفوها مو هيك؟

أم ياسين: مو يلّلي كان زوزها، الله يرحمه، حارس تحت الحمام؟.

ناجية: هيّة بذاتها.

أم محمود: إي شبها؟.

ناجية: الله يكون بعونها عندها هالبنت ملبّكتها كتير، ومربّطة إيديها.

أم شكري: إن شاء الله يلّلي عالبركة شويّ.

أم أكرم: حسنا؟

ناجية:اي حسنا.

أم محمود:هلاً هي حسنا عالبركة، إي والله بتاخدكن عالبحر، وبترجعكن عطشانين، بس هيّة سايئتها جدبة على سلبة، ووأت ما بدها، بيخلى لها سبع بلاد.

أم شكري: أولك منشان هيك، بتلائيها بعض أوائيت مو هون، وعألها عم ياخد ويجيب، وكأنّها مأجرة الطابئ الفوآني.

أم محمود: يا جماعة البنت مو هيك.

أم شكري:لكان شو؟ دخلك أم محمود؟

أم محمود: هالبنت وحدانية ومدلّلة، وكتر الدلال بيخلّي الولد ينجلئ، وما يعود يفرئ بين يلّلي بيصير، ويلّلي ما بيصير.

أم غسان:شروة صاحبك، يلّلي ما بيحب الموز بالملح إختي أم محمود.

أم محمود:ومنين لي هالصحبة بعدي.. يئبر أمه شو لابئ له هداك الدلال.

٣ ـ وئت بيهجم النصيب:

ناجية: شو بدنا بهالحكي هلاً؟

سعاد:شو بتئصدي ناجية، خانم.. يمّا حكينا ما عاد يعجبك؟

ناجية:لأ يُه.. كلامكن عالعين والراس، بس يلّلي بئصده، إنه خلينا بحسنا وإصتها، يما ما بدكن.

أم محمود: لأ لأ ناجية خانم، مثل ما بدك كمّلي كمّلي..

ناجية: كنت بدي أول إنّه هالحسنا ألله يكون بعونها، لحا تعنّس ويفوتها القطار، وما حدا آل لها يا محلا الكحل بعينك.

أم محمود: وكمان المسكينة كل يوم بتسمع إنّه فلانة انخطبت، وعلاّنة تزوّزت وعلاّكة البانة حبلت، والثانية ولدت. . وهيّة آعدة عم تستنّى فرج الله. إي والله شي بيجنّن.

ناجية: بآ بالله مو الحأ معها. . يعني ما في أصعب عالوحدة منّا، إنّه يتزوزوا رفآتها، وهيّة آعدة بوشّ أمها وأبوها.

أم ياسين: هلأ بدي إسألك ناجيّة خانم، وكمان إنت أختي أم محمود، يعني هي حسنا صحّ لها شي عريس وآلت لأ؟. الشغلة يا جماعة بايد الله، والوحده منّا مخلوءة من ضلع صاحب النصيب، وهية إسمته. ووئت بيهجم النصيب ما حدا بيئدر يوئف بوشّه.

٤ ـ شوفة ما بتتصدأ:

أم غسان: يا جماعة يا جماعة، ومن بعد إذن أختي أم محمود. . أنا لمّنْ حكيت أخدت ناجية خانم على خاطرها مني، وحسّبتني إنه حكيها ماله عاجبني، أنا يلّلي بتمنّاه من الست ناجية تئول لنا شو ضربيها هيّ حسنا، وشو حكايتها مع أمها.

ناجية: معك حأ أختي أم غسان. . أنا الحأ عليّ يلّلي عملت زيارة لأمها لحسنا، وشوف هالشوفة، والحأ حسنا وأمها من دء لسلام عليكم، وإجي احكي لكن. ولو ما رحت لعندهن، كان لا على بالي ولا على خاطري ولا كنت وجعت لكّن راسكن بحسنا وأمها.

أم محمود: وهلأ شو يللي شفتيه ناجية خانم؟

ناجية: هادا يا مرحومة إلبَيّ، لمنّ عملت لهنّ هالزيارة، يعني شو بدّي أول لكن، شفتلكن شوفة بتمخول.

أم شكري: خير.

سعاد: شو حزيرة.

ناجية: ومعْزتك عندي يا سعاد، وحياة هل المأصيص، ما عم أول غير اللّي شفته بعيني هيّ، وسمعته بإدني هَيّ.

سعاد: وأنا مصدّئتك..

ناجية: شو بدّي أول لكنّ، يعني لسّا ما دفي تحتي، ولاّ هالحسنا فايتة علينا، عم تنطّ وتئمز مثل بسم الله الرحمن الرحيم، وعم تلطش من إرنة لإرنة، وهي نازلتكّن بها اللبانة علي مجيء وعلى طأ.

أم شكري: وما حاكتها أمها ولا عملت معها شي؟

ناجية: المسكينة إنسلأ بدنها، وهية شي عم تغمِز هالبنت، شي عم تزورها إنها تزوء لا تغلبي. بعدين آلت لها: لك بنتي كنّي بآ، إهدي، والله زغا نضري منك. آمت آلت لأمها:

حسناء: بدّي أتسلّى يا مو بدي أتسلّى.. والله ضاء خلئي.

أم حسناء: إن شاالله محسّبة حالك لسّاكِ زغيرة، لك بنتي يلّلي أدك صار عندها عرّ ولاد.

حسناء: بعرف يا مو.. بعرف.. يعني شو بدي ساوي.. يا مو.. تلعبي معي دأ برسيس. (٣)

أم حسناء: لك بنتي حاجة بآ، لحا يطلع خلئي عليك. زوئي بآ.

حسناء:أمي الله يخلّيك تلعبي معي دأ برسيس . . بس دأ . . الله يخليك . . .

أم حسناء:لك بنتي مالك شايفة في عنا ضيوف .

حسناء:وإذا كان يامو . . وإذا كان . . بعدين هي جارتنا ناجية مو ضيوف وهية دايم الدوم بتجي وما بتتكنس من عنّا .

أم حسناء:الله يسلؤ بدنك هص . . لك هص . . الله يخلصني منّك على أهون سبب .

لكن حسناء ظلّت تلح على والدتها ، أن تلعب معها البرسيس ، وقد مدّت أمامها قماشة لعب البرسيس وأشارت إلى مكان بدء لعبها ومكان بدء لعب أمها (الشيرة) . ولما بيّنت لها أمها ، أن الوقت غير مناسب للعب البرسيس ، وأن عليها الإسراع في لبس فستان لائق وإصلاح ملامح وجهها (الماكياج) وترجيل شعرها أجابت حسناء والدتها بقولها .

أجابتها أمها:

حسناء: ليش يا مو ليش ، شبني هيك ، مالي خلئة ألله .

أم حسناء: بسم الله حولك وحواليك ، أمر مصّور ، أومي حطي على هالوش بخّة بودرة ورشة حمرة وركزي لي تمك وشعرك .

حسناء:ليش يا مو ، جاية لعنا حدن شي .

أم حسناء: هلاّ جاية لعنا حدا . أو ماله جاية حدا ، يعني ضروري تضلّي هيك وبهل الكباش مثل شمّا اللطّامة . لك بنتي غسلي وشّك ما بتعرفي مين بيبوسه ونضفي بيتك ما بتعرفي مين بيدوسه ، يمّا أنا غلطانة .

حسناء: ليش . . ليش يا مو ليش؟ .

أم حسناء: لك أمي يحنّن عليك ، أومي بآ.

حسناء: يعني جايين خطّابين مو هيك؟ جاييين عريس معهن ، مو هيك؟ . .

أم حسناء: حسنا طلع خلئي منّك هه . . يا لله اعملي لك همة تحركي .

حسناء: اي يا مو اي . . بس هالمرّة أنا بدّي ألّعهن لهدول الضيوف .

أم حسناء: هلاّ بتروحي من آدامي يما بئوم ليكي .

ثم توجّه كلامها إلى ناجيه:

أم حسناء: والله يا ناجية خانم هالبنت حارأه ألبي ومعذبتني . . ومثل مالك شايفة لا بتكّن ، ولا بتهدئ ، وطول النهار أنا ويّاها على أولّ لي ، لا أول لّك . وعلى مداءفة ، والله لحا طئ منها .

٥ ـ البحث عن ابن الحلال:

استرسلت أم حسناء في فش خلقها ، وتفريغ ما تعانيه لناجية . وناجية تخفف عنها وترجو لحسناء أن يرزقها بابن الحلال .

ناجية: طولي بالك جارتنا ، البنت ضايئة خلائها ، بدها تتسلى ، أنت بس إدعي لها بركي الله ييجبر خاطرها .

أم حسناء: الله يسمع منك ، وأنت ناجية خانم ، إذا حواليك هالناح هالناح شي ابن حلال ، لا تنسيني .

ناجية:إن شاالله بيصير خير .

أم حسناء:وبيني وبينك ناجية خانم ، جارتنا أم عبده ، لمحّت لي ، إنّه جايين اليوم ناس بدهن يحكوا فيها .

ناجية: أم عبده بيت غلاّ الحليب يلّلي ساكنين عند الفيجة؟

أم حسناء: أي هيّة، وما بآليجو، الله يخليك عدي لك شوي حاكم أنا وحدي مالحا أعرف إتحوّك معهن. . ومعك بيكون أوجه.

ناجية: الله يأدّم يلّلي فيه الخير.

أم فؤاد: إي هه، والله شغلة لا بئتلّك يا ناجية.

أم محمود: مالك حأ أم فؤاد، شغلة ما فيها خسارة، بينولها ثواب.

أم فؤاد: يعني نسينا شو آل المثل إختي أم محمود، يما منركّب أدن الجرّة مطرح ما بدنا.

أم محمود: أم فؤاد، أنا ما نسيت شو آل المثل. آل إمشي بجنازة ولا تمشي بزوازه.. بس هون ناجية خانم بغير وضع.

أم فؤاد: شلون يعني؟

أم محمود: يعني ناجية خانم لا خطّبت ولا سعيت بالعريس ولا زوّزت، دارت لك.

أم فؤاد: إه الله يوفيء لحتى نسفّئ. (٤)

أم محمود: اي ناجية خانم بعدين شو صار؟

ناجية: ما تاري يا أم محمود، جارتها لأم حسنا، واسطة مع الجماعة يلّلي بدهن يحكوا بحسنا، وجاية لحتى يحكوا شو بدهن يؤلوا للجماعة، ويعلموا حسنا شوي تساوي لمّن يجوا.

أم ياسين: وأنتِ ضلّيتِ آعدة.

ناجية: شو بدّي ساوي، ما إلت لكن منشان أم حسناء.

٦ ـ سلوك الفتاة أمام الخطابين:

عندما أتت حسناء للتسليم على جارتهن أم عبده نظرت أم عبده بحسناء، ملياً، وهي تحاول كشف ما يمكن أن يساعدها على استيعاب حسناء قائلة.

بسم الله وما شاء الله، صورة مصوّرة خزيت العين، الله والنبي يحرسك.

آمت تطلعت هالبنت بهالجارة وآلت لها:

ـ عم تتمألسي عليّ جارتنا.. إه شو عليه.. أنا إلي الله.

آلت لها أم عبده:

لَهْ يا حسنا عالحساب إنت بتحبيني وأنا بحبّك وما بريد لك إلا الخير.. أنا عم أتمألس. ولايش المألسة تئبريني، إنت شوفي حالك عالمراية لحتى تصدّئي أنه كلامي مزبوط.

حسناء: لكان ليش ما عم إعجب حدا؟

أم عبده: أنت مو ما عم تعجبي حدا، إنت وئت بيجوا الخطابين، بتعملي حركات ما بتخليهن يرجعوا مرّة ثانية. بيحسبّوك طرطوعة.

حسناء: شو خالتي هَيْ الطرطوعة.. ما فهمت، يعني متل: إيش؟

أم عبده: لك خالتي، إنت كل ما إجاكي خطّابين لسانك لحلئك ما بيفوت وبتصيري تحكي شروي غروي. وما بتركزي بحكيك.

حسناء: يعني شو لازم أعمل، شو إحكي؟

أم حسناء:لك بنتي إهدي لك شوي، واسمعي كلام خالتك أم عبده، وشوفي شلون هالمرة الخطابين لحا يرجعوا.

حسناء: صعي جارتنا؟

ناجيه: اي اي صعي. . صعي بس إنت اسمعي كلام أم عبده وهالشي كلّه منشانك.

حسناء: أه مثل ما بدكن.

أم عبده: شوفي حسنا، بعد شوي جايين جماعة يشوفوكِ، برضاي عليك، بدّي ياكِ تتألي، يعني ما تنطّي وتثمزي، وكمان ما تحكي لهن سِيَر وإصص. يعني على نصتك وبلا حركات فهمتي.

أم حسناء: شو آلت لك إم عبده. . فهْمتي حسنا. . فهْمتي.

حسناء: خلص. . خلص يامو خلص.

أم عبده: إي هيك هه. . بركدن بينفتح نصيبك وبتكوني إسمة إبنهن.

حسناء: يعني هدول مو مثل هدنك الخطابين يلّلي ما رجعوا.

أم عبده: إذا عملت مثل ما إلت لك لحا يرجعوا ومعهن العريس.

أم حسناء: بس إنت بتجيبي الأهوة وبتعدي جنبي وعلى نصتك وخلّي نضرك بالأرض.

حسناء: يعني اعمل حالي مستحيّة.

أم عبده: أيوه. . هيك بدّي ياك والبائي على الله وعليّ وعلى أمك، موهيك ناجية خانم.

ناجية:لكان. . لكان. . عم تحكوا جواهر.

أم محمود: دخلك ناجية خانم، طوّلوا هدول الخطابين لحتى إجوا؟.

ناجية: لا والله. . لسّا ما خلصت كلامي، إلا كان الباب عم بندأ.

٧ ـ سمسارة العرسان:

أم شكري: ناجية خانم . . أنت شلون شفتي هالجماعة.

ناجية: بدك الحئيأة يا إم شكري الجماعة باينتهن معتمدين .

أم فؤاد: يعني شلون معتمدين ، لسّا ما شافوا البنت .

ناجية: لك أختي على إيد أم عبده ما في زوازة بتفئس ، كلّه من تحت ديّاتها؟؟ .

أم شكري: أولك أم عبده عم تشتغل بهالأيام . .

ناجية: اي ستي اي . . عم تشتغل خطابة ، آل نيّاله يلّلي بيجمع راسين على فرد مخدّة . . ثوابه كبير عند الله .

سعاد: لكان لحا نسمع الزلاغيط عن أريب ، من عند أم حسنا .

ناجية: هيك باينته .

أم محمود: أي لكان ، أولي ناجية خانم ، أولي لنا شو صار .

ناجية: هادا يا مرحومة إلبَيّ لمن خلصت أم عبده حكيها مع حسنا ، آلت لها أمها إنت هلاّ فوتي لجوة ، ووئت بأشرّ لك بتجيبي الأهوة . .

ولمن وصلوا هالجماعة ، ما تشوفي غير هاالأم عبده أهلت لك فيهن وسهلت ، ولو كانت صاحبة البيت مو هيك .

أم شكري: لكان يا مو هي شغلها .

أم بسام: ناجية خانم والله شوّأتينا احكي لنا ، إن شاء الله عجبتهن البنت .

ناجية: لك أختي مالي جاييتكن بالحكي . . إنت ليش بصلتك محروءة؟

أم بسام: يعني ما بدنا نعرف ، يمّا بدك تعملي فينا مثل حكواتي الأهوة تبع الرجال ، تحكي الليلة شوي وبالسهرة الجاية بتكفّي لنا شوي . . ويا صبر أيوب .

ناجية: لآ لآ تطمّني ، الليلة ما لحا نروح على بيوتنا ، إلا بعد عرس حسنا .

أم بسام: إي هيك تطمنت . . الله يطمّن ألبك .

ناجية: مثل ما إلت لكن ، إم عبده استلمت التأهيل والتسهيل والتوجيب بها الجماعة ، لحتى إجا على بالها تئول لهن مين أم العروس ، وآلت لهن عني إني صديئتها .

وما بعرف شلون ، هيك أم العريس صارت ، تأكّد بأم حسنا ، وأم حسنا كمان هيك صارت تصفن فيها . وبعد شوي آلت لها:

أنا شايفتك أبل هالمرّة بس مالي متذكرة . . وين . . وين . . ما لي متذكرة . . .

آمت آلت لها أم حسنا أنا مالي نسيانة ، بس أنا عم شبه عليك بوحدة سلمت علي عند بنت إختي فاديا كنّة أم رمزي . آلت لها أم العريس:

أم العريس: عند أم رمزي ما غيرها . . اي اي تذكرت تذكرت . . يا لطيف شو الدنية زغيرة وهي طلعنا أرايب .

أم حسناء: شلون؟

أم العريس: هَيّ أم رمزي سلفتي . وعم أول ليش هالأم رمزي حابتكن!! .

أم حسناء:المحبة من الله . هادا من أصلها .

أم العريس:مو بسّ أم رمزي ، آلت لنا عنكن!! إي والله ما في حدا بالحارة إلا وآل عنكن كل منيح ، سمعتكن مثل العطر . . اي أشهد بالله . .

أم حسناء: الله يخلّيك إنتو الأصل.

أم العريس: وأنا عم أول لحالي، وين شايفتك، وين التئينا تارينا أهلية بس بيني وبينك، الكبر عبر شو يعني. . بدنا ناخد دورنا ودور غيرنا.

أم حسناء: لآ يه، بسم الله وما شاء الله لسّاك بعزّ صباكِ.

أم العريس: الله يجبر بخاطرك. . إنت يلّلي بعز صباك بس البنات هنّن يلّلي بيكبروا الأمات.

ناجية: يعني شو بدي إحكي لكن لأحكي، إي والله التعى ألبي. وكنت لحا أوم إتأبع بملايتي وروح، لوما خوفي على زعل أم حسنا.

أم ياسين: أي والله الحأ معك شغلتهن بابنتها طويلة.

أم محمود: دخلك شو عملت أم عبده وئت لئتهن أرايب.

ناجية: بيني وبينك، خافت لتطلع من المولد بلا حمّص. وهي اللي طبّئت الجماعة وجابتهن لعند أم حسنا، وهي اللّي عرفانة البير وغطاه.

أم شكري: إن شاء الله لحا تفركس الطبخة. (٥)

ناجية: لآ يه. . شو تفركسها الجماعة ما وصلوا لهون لحتى آلو يا رب العون.

أم محمود: شلون بآ. .

ناجية: هلأ خلينا بأم عبده، وبعدين لحا أول لكنّ ليش أم العريس جاية تخطب حسنا.

أم محمود: مثل ما بدك. .

ناجية: ومنشان هيك ماشوف لكن غير أم عبده عما تئول لأم حسنا. . شو أختي أم حسنا، وينها عروستنا، مالها مبينة؟!.

أم حسناء: هه . . ليكها جاية .

أم عبده: اي والله بنت حلال ، اسم الله حولها .

قدمت حسناء القهوة وجلست إلى جانب أمها مطرقة بالأرض كما قالت لها أم عبده وعليها علائم الخجل ويسود صمت بعض الوقت تقطعه أم العريس بقولها:

أم العريس: سبحان الخالئ المصور ، والله نزلت بألبي مثل السكرّة الحفيظ يحفظها .

أم حسناء: الله يحفظك ويسلمك ويخلّي لك .

أم العريس: تسلم لي طالعة إلك .

أم حسناء:الله يخليك ، صعي آخدة مني . . بس هي لعمتها أم صلاح أكثر .

أم عبده: اي مزبوط . . الله يردها بالسلامة . . آل خدوا البنات من صدور العمّات .

أم العريس: من غير شر ، ليش وينها الست أم صلاح .

أم حسناء: عئبال عندكم بالحج . . الله يحفظها كل سنة بتروح عالحج . . صارت حاجة سبعشر حجة .

أم العريس: اله يهنيّها ويتأبل منها .

أم عبده: شو إلتي أختي أم حسنا .

أم حسناء: والله مالي عرفانه شو بدّي أول . يعني . .

ناجية: يعني شو بدك تئولي ، ما بالي طلعتوا أراييين وأهل . . أنا بئول هلاّ تسمعونا الفاتحة ، وبعدين الرجال بيحكوا . .

٨ ـ العريس عالأسكي بدال العروس:

سعاد: يعني ناجية خانم، أنت كنتي حضرانة كل هاللّت والعجن.

ناجية: شكيتك لعينك يا سعاد، الله يسامحك هادا كله عندك، لتّ وعجن!! ما بيالي إنّك أعرف الناس بهيك أمور.. شو صاير لك الليلة عجولية.. وبتخطفي الكباية من راس الماعون؟.

أم ياسين: أبصر على إيش مستعجلة، يا إما ناوية على شي نيّة عاطلة.

سعاد: الله يسامحك يا أم ياسين هلأ أنا كل هالأدّ كخّ...

أم فؤاد: لكان ليش عم تتطعي وتلحشي هيك على أبو جنب، أبل ما تعرفي الأصه.

سعاد: ليش كمان في إصة؟.

أم فؤاد: بعد إذنك سعاد خانم.. كل هالشيّ يلّلي سمعتيه، مو شي إدّام طبخة العرس، مو هيك ناجية خانم.

ناجية: أي والله كأنّك بألب أم العروس وأم العريس.

سعاد: ما فهمت.. ناجية خانم.. شو هَيّ طبخة العرس.

ناجية: هادا يا سعاد خانم، ما تاري أم العريس وأم العروس كل وحدة منهن صالية للتانية.. وكل وحدة شيطانها تحت باطها..

سعاد: يعني مثل ما بيقول المثل: صِلِحْتَ لي، ولبئت لّك.

ناجية: وفيك تقولي: إدرة ولئت غطاها.

سعاد: هلأ خدعتك بألله وإيدي على راسك كنتِ حضرانة كل هالشيء.

ناجية: ليش الكذب، أنا ما كنت حضرانة كل هالشي، ولا شفت بعيني كل شي.

أم ياسين: لكان شو عرّفك؟.

ناجية: بسلامة أم عبده الخطّابة . . هَيّ وحدة مسحوبة من لسانها، وبس تشم ريحة المصاري، بتركض براسها أبل إجريها. ولمن عرفت إني بمون على أم حسنا، آمت صارت تتأرب مني، إمت عطيتها إرشين، إلت لحالي بتلزم. . آمت ارتخت وآلت لي كل شي صار مع أم حسناء ولحا يصير.

أم أكرم: أي لكان ما تئولي لنا شو آلت لك أم عبده.

ناجية: بس طولوا بالكن عليّ. ولحا أول لكن كل شي . .

أم محمود: ألله وايدك . .

آلت لي أم عبده، إنه أم العريس إجت مرّة ثانية هي وبنتها. بيظهر هالمرة معتمدين وجايين يحكوا بالعرس. وأم عبده لمن شافت أم العريس هيك بدها آلت لأم حسنا:

ناجية: ليش ما بتكتبوا الكتاب، وبتعملوا العرس بليلة وحدة؟.

أم حسناء: بس بدنا وئت لحتى نحضّر حالنا، نخيط لهالبنت شي.

أم عبده: لك أختي لا حئين بكره البنت بتهبّ هبّة الفراش وبيزغر عليها كل شي. ويا ريت يكون كل شي من أريبه، والعريس معه معه ما بيخليها عاوزة عودة كبريت.

أم حسناء: والعرس؟

أم عبده: كمان من أريبه أهلية بمحلية.

أم حسناء: يعني ما بدها تفرح البنت ليلة عرسها؟

أم عبده: ليش لأ . . تفرح . . بس يعني الفرحة ما بتصير بلا هالناس المعازيم شي بروس وشي بلا روس!! لك خلينا نرد هالمصاري عالبنت وعلى زوزها .

أم حسناء: مثل ما بدكن . . الله يأدم يلي فيه الخير .

أم عبده: أي والله نسوان هالأيام ما بيعجبهن العجب ولا الصيام برجب .

أخت العريس: بس أختي أم حسنا ، لحتّى ما تئولوا خبينا عليكن ، بدي أول لكن ، أمي نادرة على ألبها ، إنه ليلة عرس أخي تصير هيك يعني شغلة .

أم حسناء: خير؟!!

أخت العريس: بس بدكن ما تزعلوا ، ويلّلي أوله شرط آخرته سلامة . وشرط بالحألة ، ولا خناءة عالبيدر .

أم حسناء: يا جماعة وغوشتوني خير . . شو هالشغلة؟ .

أم العريس: والله يا أم حسنا أنا خجلانة منك . . بس شو بدّي أول . هادا يلّلي صار .

أم عبده: لك أختي ما بدها خجل أولي . . وإذا الشغلة أريبة ، مثل ما بدكن بيصير ، بس شو؟ .

أخت العريس: والله يا أم حسنا ، هوّ مو شرط ، بس أمي نادرة على ألبها ، أن تصمد أخي ليلة عرسه عالأسكي أبل العروس وتجي لعنده العروس ليلة الدخلة .

أم عبده:صعي هالحكي . .

أم العريس: اي والله . يعني بدكن ما تآخذوني . . بعدين كله عالإسمة والنصيب .

أم حسناء: بس هالشي عمره ما صار، العريس بدال العروس عالأسكي والعروس بدال العريس. شو بدها الناس تحكي علينا؟.

أم عبده: وهلا شو إلتي أختي أم حسنا.

أم حسناء: والله مالي عرفانة شو بدي أول.

أم عبده: لك أختي، ما فيها شي العرس مثل ما إلتوا أهلية بمحلية، وما في حدا غريب. مضّوا لنا هالليلة وكل شي أختي أم حسنا إلا خاطرك.

أم حسناء: لكان خلوني شوف البنت وأحكي معها، بركدن ما رضيت.

أم عبده: لآ إن شاء الله بترضى اسم الله حولها عائلة وراسها ماله يابس.

أم محمود: أي والله شي بيحط العئل بالكف. وين صارت هَيّ

أم ياسين: العمى بألبهن، كل هالأد مستوطين حيطهن.

ناجية: الشغلة مو شغلة مستوطين حيطهن.. الشغلة فيها إنّ!!

أم أكرم: أنا معك ناجية خانم، أم العروس لسا ما فتّت ولا غمّست، ولا عرفوا خيرها من شرها.. يعني لا إيش هالدوبارة، يئولوا ما عجبتهن البنت والله معهن، أما هيك عينك كنت عينك، يحرمو هالبنت من فرحتها، ليلة عرسها، والله حرام يكسروا بخاطر هالبنت.

ناجية: والله يا أم أكرم هادا يلّلي صار..

أم محمود: وشو آلت البنت.

ناجية: لمن فاتت أم حسنا لعند بنتها آلت لها:

أم حسناء: سمعتي يا مو شو بدّها أم ا لعريس.

حسناء: أي اي سمعت . . سمعت ، وْلي على حظّي . . أنا معليش ينكسر خاطري . . أنا ما لي بني آدم .

أم حسناء: لك بنتي شوفة عينك شو إلتي . .

حسناء: شو بدّي أول ، يحطوا حالهم بدالي ، بيئبلوها عليهن ، يما لأني يتيمة وأبي كان حارس . . يعني أنا مالي خلئة الله .

أم حسناء: لك أمي نحنا ما وصلنا لهون لإلنا يا رب العون ، شو أوّل لهن؟ .

حسناء: شو بدّي أول . . شو بدّي أول . . يللي ما لـه حظ لا يتعب ولا يشئى . آل لحا افرح بليلة عرسي ، تاري الفرح مو إلي .

أم حسناء: طولي بالك . . بيرضاي عليك طوّلي بالك . . يعني كبرّيها بتكبر . . زغريها بتزغر .

حسناء: يعني بدك ياني . .

أم حسناء: شو بدنا نساوي ، إجانا غيرهن ، من الإلة ما لهن علّة .

حسناء: مثل ما بدك يامو . (٦)

٩ ـ عرس فات خازوء:

ناجية: بالله عليكم حدا منكن سمع يما شاف هيك شي؟ .

أم شكري: لا والله أنا عيني ما شافت وأدني ما سمعت هيك .

أم أكرم: يأطعوها أم العريس على هاالطلب . . آل . . شو . . حالفة يمين .

أم بسام: ولي عليها ، شو بيصير ، إذا صامت تلت تيام ، وجبرت بخاطر هالبنت .

أم محمود: يعني إذا كانت يتيمه، وما في وراها حدا معليش تعمل فيها هيك، يمّا بدها تركبها من ليلة عرسها.

أم بسام: اي الله يستر، إنه ما تخليها تنصمد عالأسكي إدام العريس لحتّى تمرء من بين اجريها.

أم محمود: أولك بتعملها؟.

أم بسام: ليش لأ، ما كانت حموات زمان أول تعمل أكتر من هيك.

أم ياسين: وبعدين ناجيه خانم صار العرس.

ناجية: أي ستّي صار العرس.

أم ياسين: شبك عم تئوليها من برّات منافسك.. يمّا ما كان عاجبك العرس.

ناجية: مو إنّه مو عاجبني العرس.

أم ياسين: لكان؟.

ناجية: يا خوفي على هالمعتّرة العروس حسنا. بتعرفي يا إم ياسين تاري مزبوط موت الفئير ما حدا بيدرى فيه.. يا حسرتي عالفئير شو حظّه معتّر ومشحر ومبهدل.

سعاد: أي والله يا أم محمود مثل ما آلوا: يللي ماله حظ لا يتعب ولا يشئى. والمنحوس منحوس. ولو علّئوا لـه فانوس..

أم محمود: شو كنتي بالعرس.

سعاد: مو بس أنا، ليكها هَيّ أم بسام وأم شكري وأم غسان، كلهن كانوا بالعرس واسأليهم على يلّلي صار. ويا ريتني ما رحت.

أم محمود: طيب. ليش؟ شو صار؟.

سعاد: شو بيعرفني. ما تحكي ناجية، عالحساب كنت من اللّي طبخوا هالطبخة.

ناجية: لآ أختي أم محمود، خلّي سعاد تحكي لكن.. اسألوها لأنها كانت آعدة جنب العروس.. اي سعاد، احكي لهن احكي معليش أحسن ما يعرفوا من غيرنا.

سعاد: لآ ستّي.. من تمّك أحلى يا كحلا.. الحكاية حكايتك.. وإنت كفيّها.

أم أكرم: يعني ما عملوا للعروس تفتيلة؟

أم محمود: وما غنوا لها الهيها، وما زلغطو لها؟

أم ياسين: يمّا الضيافة كانت مشرشحة ومن أرييه؟.

ناجية: لا والله كل شي كان أحسنه، جابوا للعروس ثبت ملبس وعملوا لها تفتيلة، وغنّوا لها الهيها، وضيفوا الإيمع والملبس..

أم محمود: والعروس؟

ناجية: مسكينة العروس ما كانت حاسّة بيلّي مخبئ لها. لك يفكحها من كثر ما رأصت وخلعت سلتت الجبّونة تبعها وبيّن عصّها.

ناجية: لكان شو يلّلي ما كان عاجبكن؟.

سعاد: العريس. المتصنبع عالأسكي مثل راس اليخنا بسوء الأحد.

أم فؤاد: شبه العريس..

ناجية: العين الطرّاءة كل هالشي يللي صار وهو مصّدر عالأسكي ونافش حاله مثل ديك المزابل.

سعاد: لك العين تطرؤه، لمّن وصلت العروس لعنده عالأسكي، ما آم لياخدها من إيدها.

أم أكرم: لكان.

ناجية: أعدت لحالها.

أم غسان: لكان بعدي، العز للرزّ.

أم محمود: دخلك ناجية خانم، العروس عملت مثل ما آلت لها أم عبده الخطّابة وأمها.

ناجية: مسكينة ما إدرت تتحلفظ، وكل ما تجي لتعمل لهّا حركة وهيّ جنب العريس، تحكي لها معه كلمة، كانت أمها تنكشها، وأم عبده تنعرها وعلى أولة: هص.. عيب.. تألي.. هص.. عيب..

أم فؤاد: وبعدين.

بعدين يا ستي حبكت مع هالعروس وآلت:

حسناء: أمي.. أمي ما عرف... ما عرف إنّي جدبة.. أمي فات خازوء.

أم محمود: بالله!!.

ناجية: اي والله.

أم محمود: وشو عمل العريس.

ناجية: والله يا أم محمود، ما سمع العريس شو آلت العروس، حتى آم وآل إدّام المعازيم.. أنا إذا فات خازوء.. إنت ما شفتي الصندوء، بعد ما كشف للمعازيم عن ضهره..

سعاد: ما تاري العريس إلو حردبّة بضهره أدّ الأفوّرة.

ناجية: وكل هالشي يللي عملته أم العريس لحتى ما تعرف العروس بها الحردّبة.

أم فؤاد: يا ريتنا كنا معكن.

أم محمود: ما راح عليكن غير الإيمع.. اسم الله حولهن ما خلوا شي ما حكوه.

أم ياسين: وهي الإيمع صار بخدمتكم يالله تفضلوا.

سعاد: اي لا أم ياسين إيمع وأطايف ستاتي.

أم ياسين: لإيش الأطايف.. إلت لحالي الدنية دفا والإيمع مأبول، وهلّا الإيمع أكله ووداع.. احسبوا حالكن بالعرس.

أم محمود: بتعرفي يا أم فؤاد، إصّة هالعرس إصّة، واسمنا أكلنا الإيمع شو رأيك تغنّي لنا سعاد خانم غنيّة اسم الله اسم الله يا زينة بهالسهرة (٧).

١٠ ـ اسم الله اسم الله يا زينة

أم فؤاد: شلون عزماتك سعاد خانم، بتغني لنا غنية اسم الله اسم الله.

سعاد: والله أنا ماله جاية على بالي، بس منشان إختي أم فؤاد ومنشانكن على عيني.

أم محمود: وهي إجت صبحية وبنتها، حاكم الغنّية بدها عروس وعروستنا الليلة زهرية ولحا تغني لها سعاد خانم غنّية اسم الله يا زينة.

أم ياسين: بس إذا بتسمح صبحية هَهْ:

صبحية: يعني شلون ما بدي أول إيه.. حدا بيصّح لـه تصير بنتها تصير عروس وبتؤل لأ.

أم محمود: الله يجعلها فال خير . . يالله سعاد خانم حطينا الطرحة على راس العروس ، وصار بدّك تغني لها ، وهَيّ الصبايا لحا يرئصوا معك .

سعاد: اسم الله اسم الله يا زينة

يا وردة جوّا الجنينة

زهرة الأرنفل يا عروسة

يا ورد خيم علينا

الساهرات: اسم الله اسم الله يا زينة

يا وردة جوّا الجنينة

سعاد: أومي العبي بحبل اللولو

وافردي شعرك على طوله

خلّيهن يحكوا ويئولوا

آه يا حلاوة «شامية» .

الساهرات: اسم الله اسم الله يا زينة

يا وردة جوّا الجنينة

سعاد: أومي العبي بعرء المصنف

اوأنا لأجلك لحا بضعف

ولو حلّفوني على المصحف

ما بفوت هواك يا زينة .

الساهرات: اسم الله اسم الله يا زينة

يا وردة جوّا الجنينة

سعاد: أومي العبي بحلئآتك

رايات البيض راياتك.

الله يخلّي لك حماتك

أه يا حلاوة عسلية.

الساهرات: اسم الله اسم الله يا زينة

يا وردة جوّا الجنينة

سعاد: أومي العبي بأميصك

كل العرسان على كيسك.

الله يخلّي لك عريسك

أبو عيون عسلية.

الساهرات: اسم الله اسم الله يا زينة

يا وردة جوّا الجنينة

سعاد: أومي العبي بعرء الألماس

واللولو حارس هالراس.

الله يجيرك من كلام الناس

أه حلاوة يا زينة.

١١ـ الحزيرة والحلوان بخبر كان:

أم شكري: اي ستي أم محمود، هلاً نحنا بطن ملان وكيف تمام، يا حزركن يا بزركن شو صار بدها السهرة؟

أم محمود: يفكحك، شو بدّك أكثر من هيك..

أم شكري: بالله شو!!.. وحزيرة أم أكرم شو نسيتوها.

أم محمود: بهي الحأ معك.

أم فؤاد: وحلوان صبحية خانم.. شو صبحية خانم.. حطّي عينك بعيني صار يمّا ما صار.

صبحية: اي وحياة عيونك صار وتصوّر.

أم فؤاد: ورجعنا للزّمان الأوّل.. عيني.. يا عيني.. شوفي صبحية إن طلعت لفوء وإن نزلت لتحت، ما بحلّ عنك غير بحلوتها لكل هالآعدين بها السهرة.

أم ياسين: والوائفين ما لهن تمّ ياكل حلوتها، من صبحية خانم.

صبحية: على عيني الآعدين والوائفين.. بس طولوا بالكن عليّ للسهرة الجاية.

سعاد: وأنا لحا أول لكن صبحيّة عندي، وإذا نسيت بذكرها..

أم فؤاد: سعاد خانم إنت على عيني، بس عصفور ما بيكفل طيار، حارتنا زغيرة ومنعرف بعضنا.

صبحية: خلص أم فؤاد خلص.. وحياة الحاضرين خلص! إلكن السهرة الجاية حلوان ما في منه، إنت والحاضرين.. منيح هيك.

أم شكري: امسكي على سوالفك مثل الرجال، وئت ما بيمسكوا على شواربهن.

أم شكري: وإنت أم أكرم عالحساب مالك بخيلة.

أم أكرم: في بالعادة، أم شكري.. وهلاً أنا زاهزة، بس الأفلة على مين.

١٢ ـ إطفوا الضو.. الغارة والغاز المخنق:

أم محمود: سمعونا يا جماعة.. سمعونا..

الساهرات: خير.. في شي أم محمود.

أم محمود: عم يندأ باب الزآء أم ياسين مو هيك.

أم ياسين: اي أختي أم محمود.. راحت عزيزة تشوف مين.

الحارس: أبو ياسين اطفوا الضو.. ما إلنا لكن اطفوا الضوء وادهنوا البلور بالنيلة.

أم ياسين: مين يامو؟

عزيزة: هادا الحارس يا مو.. عم يئول اطفوا الضو.

أم ياسين: أي والله الحأ معه.. مسكين شو طالع بإيده...

أم محمود: بتعرفوا يا جماعة أحسن شي خلينا نتسهل على بيوتنا، ليؤوم يصير لها ركضدة.

أم ياسين: طولوا بالكن بس لتخلص الغارة.. عزيزه برضاي عليك إرخي الجلايل، ورشيّ عليهن شي سطل ميّ هلاً، وإن شا الله من بكير لحا إدهن البلور بالنيلة، ولحا ركب برادي سميكة عالبواب.

أم بسام: صعي أختي أم ياسين لازم تكون البرداية مبلولة.

أم ياسين: هيك عم يئولوا، لازم تكون البرداية سميكة ومبلولة، وتكون لوشّ الأرض عالشبابيك وبواب الأرض..

أم بسام: لِكان لا أعمل حسابي لهالشي.

أم ياسين: ولا تنسوا يا جماعة رش البرادي بالمي، حتى تضل دايم الدوم مبلولة.

أم أكرم: ولايش المَيايا والجأجأة هي المطر يخزي العين عم تنزل.. ما بيكفي غلاظة الشتي وطيانها.

أم محمود: لآ.. أم أكرم ما بيكفي، بينخاف تنقطع المطر وتنشف البرادي.

أم أكرم: وإذا نشفت البرادي.

أم محمود: لك أختي ما بيصير تخلّي البرادي تنشف، بينخاف يفوت غاز المختنئ عالأوض.

أم بسام: لآه يُه.. كش برّه وبعيد.

أم بسام: شو بدنا نساوي.. يعني موته وعصّة أبر. الله يعين الفئير، شو بدّه يتحمل ليتحمّل، مسكين كسرة خبز يطعمي ولاده ماله ملائي، منين بدّه يدبّر البرادي..

أم محمود: الله يكون بعون الجميع.. كلنا بالهوا سوى.. لا تحمليّها أم غسان أحسن. إلحشي ورا ضهرك.. وإن بدنا نحملّها بنطءّ.

أم بسام: هيك لكان.. دخلك نحنا شو دخلنا بالحرب يبعت للحرب وصحابها الهالكة.. كان نائصنا.

أم ياسين: لك هص.. هص.. الحيطان إلها أدان.

أم شكري: يأمّعوكِ منين جايبة هالحكي؟.

أم غسان: ليش هص إم ياسين.. يعني ما بيكفيّنا، الفرنساوي آعد على صدور الناس وعمّا يجوّع فيهن.. كمان الحرب وويلاتها.

أم بسام: وفوء هيك الخزّانة والمحتكرين يلّلي أعدين على رآب هالناس وعم تتاجر بلئمة الفئير . . وما عم يشبعوا . .

أم محمود: يا ويلهن من الله .

أم غسان: لك حتى الكبريت وحجار الأدّاحه ما نفدت منهن .

أم ياسين : أختي هلاّ إنت ويّاها ضبضبوا حالكن أحسن لنا .

سعاد: وحزّيرة أم أكرم ما بدكن تسمعوها؟

أم محمود: لآ بعدي خليّها للسهرة الجاية إذا الله عطانا عمر .

أم ياسين : وهيّ الأهوة شو بدي أعمل فيها .

أم محمود: كمان خلّيها للسهرة الجاية . .

أم ياسين: بالعظيم . . بالعظيم . . غير تشربوا الأهوة . . ولي عالكسرة . . ما عاد تنشرب عندي الأهوة . . شو أرملة . .

سعاد: إذا بدّك يانا نشرب الأهوة ، بدّها ناجية تغنّي لنا غنيّة . .

ناجية: يفكحك نحنا هلاّ بأيش .

سعاد: يعني بإيش . . أدّ الإرد ما مسخه ربّه . . لحا يجينا آظان من الطيارة . . مثل بعضها ، يللّي إله عمر ما بتهينه شدّة . .

ناجية: لكان اسمعوا مني هالغنّية ، سمعتها يوم الجمعة لما كنّا عاملين سيران بالربوة (٨)

أم محمود: من مين اسمعتيها ناجية خانم .

ناجية: والله ما بعرف ، واحد شب كان عم يغنّيها والشباب عم تردّ معه والناس

عم تسمع وتتفرج عليه، وحلاوتها إنّها بتحكي شو بدّه يعمل الواحد، ليعمل بعد الحرب. . بس مالي متذكريتها كلها.. شوي. .

أم محمود: لكان سمعينا لنشوف شو بيطلع معك.

١٣ ـ لحا أعمل وأعمل.. بعد الحرب.

ناجية: لحا اعمل واعمل. . بعد الحرب

لحا إعمل واعمل.

الساهرات: بعد الحرب.

ناجية: صالح مراتك.

الساهرات: بعد الحرب.

ناجية: زوّز ولادك.

الساهرات: بعد الحرب.

ناجية: لحا إعمل واعمل.

الساهرات: بعد الحرب.

ناجية: (. .) حماتك.

الساهرات: بعد الحرب.

ناجية: لحا إعمل واعمل.

ناجيه: بعد الحرب

الساهرات: بعد الحرب.

الهوامش والحواشي:

١ - أديش: قدّ أي شي، مقدار. آلت: قالت. ألبها: قلبها. أطايف: قطايف. يحوروؤها، يحورقها، دعاء تحبّب، آتلها: قاتلها. الداية: القابلة. بئجة: بقجة، صرّه. إمت:قمت، بركي: ربما. نائصها: ينقصها. وئت: وقت، عندما. الطلئ: الطلق، المخاض. ملتاشين: منهمكين. حدا: أحد. يئيمها: يقيمها. ينهضها من الولادة. ما عادت عرفانة راسها. . ! مقولة يراد بها عدم تركيز التفكير: ما عادت جمّعت: لم تعد جيدة الإدراك أو الوعي. ستها: جدّتها. تضّوع: أفكارها مشتّتة. هلاّ: الآن. وئت: حين. الديارة: الملابس والحاجيات اللازمة للمولود. اخدتوا: أخدتوا، اشتريتوا. هادا: هذا، أبل: قبل. اطعنا: قطعنا من القماش. البّبو: الوليد. تلت إمصان: ثلاث قمصان. . الجودلي: لحاف فاخر. سوء: سوق. شوية: قليل. ورأ: ورق. مئص: مقصّ. زغير: صغير. أنّينة: قارورة. كم: بضع. منمروء: نمرق، نمر. مشّأة: مشقّة، زيارة صغيرة. الجوخدار: المبشر بسلامة الحاج وقرب أوبتهم. الحأ: الحق.

٢ - سايئتها: سايقتها، تسلك سلوك. جدبة: غباء. سلبة: خبث. يحلّ أجل: يحين وقت. بسّ: لكن. أول: أقول. رايئ: رائق. إصّتها: قصتها. العئل: العقل. مقولة خرطها الخراط. . : أرادوا عدم وجود مثيل لها على إدّامي: قدامي، بحضوري. هدول: هاتين، يلّلي: اللواتي. زوزها: زوجها. شبها: ما بها. بتلائيها: تجدينها. مأجرة الطابق: عقلها ليس معها. الفوآني: العلوي، أردوا العقل. ينجلئ: يميع. يفرّيء: يفرّق، يميّز. يئبر: يقبر. لابئ: لابق، لايق.

٣ -يمّا: إما. يفوتها القطار: تتجاوز سن الزواج. مقولة: ما حدا آل لها يا محلا. . : لم تعد تلفت الانتباه. آعدة: قاعدة، تنتظر. رفآتها: رفقاتها، أندادها. بوش: في وجه. مخلوءة: مخلوقة. بيئدر: يقدر. يوئف: يقف. بهيّ:

في هذه. إلحأ: ألحق. من دء دء لسلام عليكم: من الأول للآخر بكل التفاصيل. ألبي: الوالد. بتمخول: تُحيّر. المأصيص: سوالف شعر المرأة، وهي بمنزلة الشارب عند الرجل. ما دفي تحتي: لم أكد أجلس. تئمز: تقفز. مثل بسم الله الرحمن الرحيم: كناية عن العفاريت. إزنة: مكان. اللبّانة: العلكة. إنسلأ: إنسلق. تزوء: تزوق. ترعوي. زغا نضري: تاه نظري. ضاء خلئي: ضاق خلقي. لسّاك زغيرة: لا تزالين صغيرة. أدّك: قدك، في عمرك. عرّ: عدد. دأ: دق، لمرة واحدة.

٤ ـ خلئي: خلقي، أنرفز، ضاق صدري. ما بتتكنس: مقيمة عندنا لكثرة زياراتها، هص: صه. خلئة: خِلقة. أمر: قمر. الكبّاش: الشعر غير المرجّل. شمّا اللطامةً: امرأة تلطم في المآتم، عرف عنها عدم العناية بمظهرها. ليش: لماذا. ألعهن: أطردهّن، حارأة: حارقة. طئ: طق: انفجر. انحوّك: احسن التصرف. يأدّم: يقدّم. لابئتلّك: لائقة عليك. يوفئ: يوفق. نسفّيء نصفق.

٥ ـ تتمألسي: تسخرين. طرعوعة: غير سويّة. حلئك: حلقك. شروي غروي: كلام غير موزون. منشانك: لأجلك. إصص: قصص، سوالف. بركدن: ربما. إسمة: قسمة. الأهوة: القهوة. نضرك: نظرك. البائي: الباقي. تفئس: تفشل. المسوكر: المضمون. بأشّرلك: أومي لك. شوّأتينا: شوّقتينا. بصلتك محروءة: محروقة والعبارة كفاية عن التسرّع. تأكّد: تمعن النظر. أرايب: أقارب. إلتأينا: التقينا. الكبر عبر: كناية عن التقدّم في السنّ. الأمّات: الأمهات. التعى: مللت، إتأبع: اتقبّع، أرتدي: طبئت: طبقّت، جعلهن يعتمدن. تفركش: تفشل. الطبخة: أرادوا: الخطبة.

٦ ـ الخاليّ: الخالق. ليكها: هاهي. طالعة إلك: شبيهة بك. عئبال: عقبال.

تمنتعشر: ثمانية عشر. يتأبّل: يتقبّل. اللّت والعجن: الكلام الذي لا طائل منه. مسحوبة من لسانها: سهلة المأخذ من لسانها لمعرفة ما تخفيه مقابل المال. تتأرّب: تتقرّب. تهب هبّة الفراش: يتغيّر قوامها. يزغر: يصغر. أريبة: أرادوا من النوع المتوسط. وغوشتوني: أقلقتموني. الدوبارة: اللّف والدوران. ولي: ندبة. يشئ: يشقى.

٧ ـ يأطعوا: يقطعوها قطعاً. تمروء: تمّر. من برّات منافسك: كناية عن القرف والاستهانة. الفئير: الفقير. علّئوا: علّقوا. يفكحها: دعاء تحبّب. رأصت: رقصت. المتصنبع: الجالس بغرور. الطرّاءة: الطرّاقة، الضيقة. ما آم: لم يقم، يجلس. تتلحفظ: تقدم بأية حركة. خازوء: خازوق. حردّبة: كتلة كبيرة في ظهره. الأفورة: وعاء من قش تضع فيه المرأة أدوات الخياطة.. ونحوه. الايمع: البوظة بالحليب.

٨ ـ عزماتك: همّتك. الإرنفل: القرنفل. بعرق: عرق. المضعف. من الزهور. حلئآتك: حلقاتك، أقراطك. أميصك: قميصك. يعرء: بعرق. لفوء: إلى فوق، أعلى. الأفلة: الردّ على الحزيرة. باب الزآء: الزقاق. بواب: أبواب. أوض: ج: أوضه. المخنئ: المخنق، السام. رآب: رقاب. أدّاحة: قداحة. آظان: قذيفة طائرة.

خامس عشر:

١ ـ بين النور . . ما في تكليف .

٢ ـ شايفين السهرة . . بنومهنّ .

٣ ـ الستاتي . . تناديكن .

٤ ـ الرّدح . . بالأمثال .

٥ ـ بعد حين ومين . . الحزيرة .

٦ ـ الكلام بيجرّ كلام .

٧ ـ حزيرة . . بحزيرة . .

٨ ـ لّمن شركلوها بالحزيرة .

٩ ـ ما طار طير . . وارتفع .

١٠ ـ خطوبة . . معصلجة .

١١ ـ فخار يكسّر بعضه .

١٢ ـ تعويذة وجلبة وتبخيرة وفاسوخ .

١٣ ـ العريس . . بالميزان .

١٤ ـ مشينا لحفينا . . وبكينا لعمينا .

١٥ ـ دندرما . . يا دندرما . .

١ ـ بين النور.. ما في تكليف:

كان انفضاض عقد السهرة السابقة على عجل، فلم يَكَدْ إنذار «إطفوا الضوء»، الذي نادى به الحارس، بسبب الغارة الجويّة ينتهي، حتى بادرت كل واحدة من الساهرات إلى وضع فجّة ملاءتها على رأسها، وهمّت بالانصراف. وعلى عادة نسوان تلك الأيام، في فتح أحاديث قبيل خروجهنّ من باب الزّقاق.. فإن أم غسان ما لبثت أن عاتبت أم أكرم على تملّصها من تقديم حزيرة السهرة.. كانت أم أكرم في عجلة من أمرها، خوف حدوث غارة جوية أخرى، لكن أم غسان استرسلت في عتابها لأم أكرم، فكانت إن ردّت عليها أم أكرم بشيء من الجفاء، الأمر الذي أثار حفيظة أم غسان، وجعلها تدخل مع أم أكرم في ملاسنة مقذعة تبادلن فيها عبارات قاسية، كان لأم أكرم الدور الأكبر فيها.. حتى إن من الساهرات الموجودات، من اعتقدت أن تلك الملاسنة، ستكون نهايتها انصرام حبل الود، بين أم أكرم وأم غسان.

فكان لا بد أن تتعرض بعض الساهرات في هذه السهرة إلى تلك الملاسنة بين أم أكرم وأم غسان. سألت أم شكري أم ياسين:

أم شكري: دخلك أم ياسين، إجت أم أكرم وأم غسان؟

أم ياسين: لسنا ما وصلوا.

أم شكري: أما يا أم ياسين هالأم أكرم، تاريها مو أُيلة.. مخبّاية بتيابها.

أم ياسين: بتئصدي علئتها مع أم غسان؟

أم شكري:اي.. اي. ما شفتي شلون غسّلتها لأم غسّان ولبلكتها لبلكة.. والله ما كنت عرفانتها هيك.

أم ياسين: وكمان أم غسان فيها البركة. . ما أصّرت فيها. . طلعت أدّ الحشوة وأزود.

أم بسام: يعني شو بدها تعمل؟ تسكت لها، وهيّة عم تنسبها من راسها لأساسها؟ ولا تنسي إنّه أم أكرم هي اللّي بدت، ويلّلي بيدئ الباب، بدّه يسمع الجواب.

أم شكري: ويللي بدّه يلاعب الأطّ، بدّه يلئى خراميشه.

أم ياسين: بس مو ورا باب الزآء. . الناس بالطريئ سمعت صواتهن، وحسّبوا صاير عنّا شي. .

أم فؤاد: لك على إيش عم تِتوتْوتُوا إنت ويّاها؟.

أم ياسين: على يلّلي عملته أم أكرم وأمّ غسان. . .

أم فؤاد: يعملوا تحتهن هالمحورئين. . شو ردحوا. . وهالأم أكرم. . أنا مالي عرفانتها هيك. . إي والله بيخلى لها سبع بلاد. . ويا ميت صباح صبّح غيرها.

أم ياسين: ليش أم غسان أصّرت؟!.

أم فؤاد: اي والله الحأ معها. . لو ما تردّ على أم أكرم، لكانت أكلتها بلا ملح.

أم بسام: ستّي!! التنتين أدّ بعضهن. . . والحجر يلّلي ما بيعجبك بيفجّك. وياما تحت السواهي دواهي.

أم شكري: الدم يشويهن شو طلع منهن.

أم ياسين: بس بتعرفوا إنّهن مهضومين ورهجين.

أم فؤاد: لك هصّ. . هص ليكهن إجوا. . بلا فضائح.

أم شكري: لك شوفي شوفي أم ياسين. . شلون عم بتشخلعوا ويتصهصلوا.

أم بسام: اي والله. . لك شوفي. . شوفي، يعدّمك يا هنّ على هالرأوصة آل مشغول بالنا عليهن، وهنّن لا علمهن ولا خبرهن. . لك إيمتى لحئوا يرجعوا حبايب؟ صعي بين النور ما في تكليف.

أم ياسين: أهلين وسهلين، بنات حلال. . كنّا بسيرتكن:

أم أكرم: خير؟

أم ياسين: كل خير.

أم غسان: عالذمّة هَهْ. .

أم بسام: لا يكون لك فكرة.

أم غسان: بالله شو!! . . أم بسام: أنا ما بيتاكل بأعْلِي حلاوة. . أبل ما نفوت كنتوا آيمين آعدين، مثل حمام مأطوعة ميّته. . بآليش سكتّوا، وصرتوا تبربروا عالهسي لمنّ فتنا؟[1].

٢ ـ شايفين السهرة بنومهن:

أم ياسين: يعني أم غسان شوفيها إذا إلنا: سمستكن عالية.

أم أكرم: شو محسّبتينا شايفين السهرة بنومنا، لحتّى نجي أبل الشحّادة وبنتها؟ لاحئين. . لسّا بكيّير. . .

ناجية: شو أم أكرم. . من إيمتى كنّا والسمس ترأعنا. . يمّا كبرانة البيتنجانة هالأيّام معك. عالحساب نحنا حبايب وما فينا نائد ومنؤود. بعدين بدّك تئولي لنا حزيرتك الليلة!! . . يمّا. .

أم أكرم: لآ يه. . العين ما بتعلى عن الحاجب. إنتو على العين والراس.

ناجية: لكان تطمّني . . نحنا جايين على بكير لحتى نسمع الحزيرة على بكّير . . ولحتّى ما يصير معنا ، متل هديك السهرة .

أم أكرم: يا لطيف ما أأواكِ . . لك أنت ما بيموت لك ميّت؟

أم ياسين: ليش أم أكرم هالحكي . . عالحساب أنت ما بتفوتك هيك شغلة ، يما نسيتي على شو صار الحكي وئت الغاره هديك السهرة ؟؟ لحتّى إلتي حزيرتك زاهرة بس بدّك تعرفي الأفلة على مين .

أم أكرم: وهلاّ أنا زاهزة .

أم بسام: وهي ناجية متحمّضة لّك من وأتها .

أم أكرم: بهالحزيرة يللي لحا سمّعكن ياها ، ما لحا يطلع لها .

ناجية: شوفي أم أكرم ، أنا لحدّ هلاّ ساكتلّك ، وإذا سايرتك أول مرّة وإلت حزيرتك ما في منها . مو معناتا صرتي مكلمدان الحزيرة بالسهرة ، أنت يا دوبك كلمتين ونصف .

أم فؤاد: ما صار شيء . . يالله سمعونا ، والميّ بتكذب الغطاس ، وبيدوب التلج وبيبان المرج .

أم ياسين: لكان . . من عنا ناجية خانم ، وأم أكرم ، يايا . . ياه . .

٣ ـ الستاتي تناديكن:

تدخل سعاد مقاطعة تحيّة أم ياسين للحزيرة ، حاملة جاطاً كبيراً مملوءاً بقطائف الستاتي قائلة:

سعاد: لآ أختي أم ياسين ، بالزّور يمّا بالدور ، الأطايف سخنة ، أبل ما تبرد . . مو هيك أم فؤاد . . اجلّوا لنا هلاّ الحزيّرة . الأطايف تناديكم .

أم غسان:والله . . إذا في أطايف . . الشغلة بالزور، وبعدين منسمع الحزّيرة . بس ما بدنا نعرف شو إصّة هالأطايف . .

سعاد: هدول الأطايفات، إجوا بمساعي العصفور يلّلي كفل طيّار. يا أم غسان .

أم فؤاد: أصدك صبحية . . . يعني . .

سعاد: إي ستي . . صبحيّة . . هدول حلوان خطبة بنتها زهرية الليلة . . يا الله تفضلوا، كلوا وادعوا لها . . إن شاء الله عوافي .

أم فؤاد: ها ها . . منشان هيك لكان آلت صبحية هديك السهرة . . صار وتصوّر . . إه الله يجعله مبارك .

سعاد: لكان صح النوم .

أم فؤاد: كمان انتي سعاد خانم بدّك ما تآخذيني لمن إلت لّك عصفور ما بيكفل طيار . .

سعاد: هلاّ تفضلوا أبل ما تبرد الأطايف . . هدول المثليّات بالزوز وهدول المشويات بالأشطة . . نفس وما تشتهي . . وهي الأطر، ليلّلي بدّه . .

أم شكري: الله يخلف عليكي يا صبحية، ويسلم هالإدين يا سعاد، أنت طول عمرك إلك لهفة على صبحية .

أم بسام: سعاد خانم . . إن شا الله حسبتي حساب إلفت بالأطايف . .

سعاد: لكان أم بسام لكان، أنا جاية ناولتها كم وحدة باشطة وكم وحدة بزوز . . وكمان أم محمود ما نسيتها، إلت لحالي: أم محمود بتحبّ زهرية بنت صبحية، وبتفرح لها .

أم غسان: إن شا الله شهّلت أم محمود بالتعزيل . .

سعاد: لسّا بدّها، يعني ما بيوصل أبو محمود بالسلامة إلاّ وبيكون كل شي أحسنه.

أم فؤاد: وشو أخبار إلفت.

سعاد: الحمد لله بخير، وبكره لحا نروح أنا وناجية لعندها لحتى نضّب لها بئجة التنزيلة أبل الضهر.

٤ ـ الرّدح بالأمثال:

أم غسان: هلاّ سعاد خانم.. يعني ما بيصير غير يكون لك بكل عرس إرص؟ وكل شغلة غير ما تمسكيها من بابها لمحرابها.

سعاد: تسلمي لأمّك على هالتخلفة، يعني حكيتي آل المناطئ سعادة لبني آدم.

أم غسان: الواه الواه عليك.. بتتشبّهي، كان نائص على شكلك.

ناجية: شو سعاد خانم لسّا ما دفي تحتك والأطايفات ما خلصوا.. أوام لئيتي مين تستلميه، وتتمرئعي عليه.

سعاد: ما شفتي شلون نطّت متل حمّصة الكي. ويلّلي بيدءّ الباب بدّه يسمع الجواب.

أم ياسين: يا جماعة استهدوا بالله، شو صاير لكن، من أول السهرة مثل الجاجة والدّيك عم تتناءروا.

سعاد: أختي أم ياسين خليكِ هالمرّة محضر خير، هَيّ إصبة بيني وبين أم غسان، آمت ست الحسن ناجية دحشت حالها.. بالظاهر بدنها عم ياكلها...

أم بسام: والله ما حدا عمَّ ياكله بدنه غيرك يا سعاد، وأنا ألبي مليان منّك، وجاية على بالي آجر فيك مع ناجية.

سعاد: شو عليه، وأنا إلكن.. آل الشاكي والمشتكي وحامي الإصّة.. متل الضراط عالفصّة. فافوش بفافوش، وأنا جبل ما بيهّزني ريح.

ناجية: لآ إنتي بسلامة أدرك: فص كرّ ما بينفع ولا بيضّر . .(٢).

أم ياسين: يا جماعة . . يا جماعة . . إذا بتريدوا اسمعوا مني هالكلمتين . .

الساهرات: خير أم ياسين .

أم ياسين: إذا بتريدوا ، أبل كل شيء الله يمسيكن بالخير . . وإن شاء الله هالجَمعة عند النبي صلى الله عليه وسلم . .

الساهرات: آمين . . آمين . . والآيل . .

أم ياسين: إذا بدها توصل للزعل ، إلبوا لنا صفحة وخلّينا بحزيرة أم أكرم . يا أما منعملها آفية بيناتنا ، ومن دون حكي طالع نازل . اتفأنا؟ .

(مع التصفيق) اتفأنا . . اتفأنا . .

أم ياسين: لكان من عند مبين لحا نبدا؟

سعاد: من عند أم شكري .

أم شكري: يفكحك ، أنا شو دخلت بيناتكن؟ . . ليش حطّيتيني ببوز المدفع .

الساهرات: ما بيصير . . أم شكري ما بيصير .

أم فؤاد: يالله أم شكري ابدي لنا ، الكلام من تمّك أحلى يا كحلا .

أم شكري:من دء دء . . لسلام عليكن .

أم بسام: من سلّمك مدبحه . . لا تدبحه .

ناجية:الدم يشويك يا مأطّعة يا موصّلة يا ملمّعة . .

سعاد: لابئ للشوحة مرجوحة ولأبو بريص إبآب .

أم أكرم:إنت وحدة ما بتنعطي وشّ.

ناجية: وأنت وحده ما بتنطري أفاكِ.

سعاد: وكمان إنت مالك أمان.

أم بسام: دخلك أنت، من إيمتى غسلتيها بليفة وصرتِ نايية الخليفة؟

أم فؤاد: ومن عمرك يا زبيبة بسفلك هالعودة.

أم أكرم: وضريب يفش نيعك.

أم بسام: وكلنك ينجر رأبتك.

ناجية: وخشت يطيّر العالي من بين كتافك.

أم ياسين: بس.. بس.. ما هيك إتفأنا.. حيز.. حيز ما بيصير.. كنّا بشي لحا نصير بشي تاني.. وين لحا تروحوا.. إلنا آفية أمتال مو مدابحة أمتال... تفضلي سعاد خانم، بس الله يخلّيك.. هدّي شوي.

سعاد: أختي إم ياسين يعني شلون بدّي هدّي.. هي وحدة ما عندها كبير غير الجمل.

ناجية: وأنت ما عندك دئن ممشّطة.

أم فؤاد:وما بتحرّم ولا بتحلّل..

أم غسان:وما بتنحلب ولا بتنجلب.

أم بسام: ولا بيعجبها العجب ولا الصيام برجب.

أم شكري: وكمان ملحها على ديلها..

سعاد: كل هالأدّ الوبكن مليانة مني، وما عدت نافعة لنافعة، وصرت سكّة عطل . .

أم أكرم: لآ يه بسلامة أدرك . . العين ما بتعلى عن الحاجب.

ناجية: بس يلّلي بدّه يعمل جمّال. يدّه يعلّي باب داره.

سعاد: ويلّلي متلنا تعوا لعنّا . .

الساهرات: أي والله . . أي والله.

أم ياسين: وهلاً نحنا . .

الساهرات: حبايب . . حبايب (مع التصفيق).

٥ ـ بعد حين ومين.. الحزّيرة:

أم ياسين: وهلاً، وعلى رَوَاءْ، هاتي لنشوف حزّيرتك يا أم أكرم . .

أم ياسين: على عيني . . بس وينها ناجية خانم . . زاهزة؟

ناجية: إتتِ بظّي لنا هالبيضة وخلّصينا وما عليك.

أم ياسين: لكان أم أكرم شو آل:

أم أكرم: ياستي آل: حفر ونزل وأعد يغزل ويا حزر كن شو آل؟

أم غسان: وشو آل بعدي!! . .

أم أكرم: ال: بصلنا . . زمّط كلّهْ.

وإن كان لك عاشيء بلّهْ.

وشمّر على زنودك.

ونزيل بعزمك كلّهْ.

أم غسان: وبعدين؟

أم أكرم: أنو بعدين؟ خلصت .

ناجية: هلاّ هي حزيرة؟!.

أم أكرم: اي بعدي . . حزّيرة. وأرجيني بآ. . شطارتك.

ناجية: إن شا الله تنبوء لك نبّيرة . . هي حزّيرة.

أم أكرم:اي حزيرة ما عجبتك؟ حلوه ما هيك؟!. .

أم غسان:يحلى وبرك وما يطلع لك غيره . . هي مو حزيرة . . هي بربيرة.

أم ياسين: هلاّ بلا مزح أم أكرم، أولي كلام ينسمع . . مو طلاسم ما لها أول من آخر.

أم شكري: صعي أم أكرم إذا كنت عم تمزحي، هلاّ مو وئت المزح . . إلنا بدنا نسمع منك حزيرة.

أم أكرم: وإذا ما كنت عم امزح . .

أم شكري: أي لكان العين تطرئك أنت وهيك حزيرة. . شو ناوية تدوخينا[٣].

أم أكرم: منشان تئول ناجية خانم: إن الله حأ، وتجي تحط لّي عصا الطاعة إدّام الحاضرين.

ناجية: ما حزرت بعد إمّك . . أنا يللي متلك بحطّهن بطرف صرّة جيبتي يلّلي تحت خرّاطة ملايتي.

أم أكرم:لـه لـه خوّفتيني . . اضرب أنا عنّك، ناوليها أختي أم ياسين درّة سكر لحتى ترشّهن عالحزّيرة بركي بتستطعم فيها.

أم ياسين: من كل عألك عم تحكي، أم أكرم!!.

أم أكرم: يُه.. تئبروني على هالسمعة، شبكن تلبكتوا كلّكن.. اي والله هيّنة، وأهون من شربة المي. مو هيك سعاد خانم.

سعاد: لك مأوّصة يعني محسّبة حالك شي أُضَمْ.. لك لأوي لأوي ليطء لّك شي عرء. ديك المزابل.

أم أكرم: وأنت بعد إمك ديري بالك على حالك لتتشر كلي بخيالك.

سعاد: أي لكان عيدي لنا حزيرتك لشوف.

أم أكرم: أنا لحا عيد الحزيرة.. بس على شرط.

سعاد: على شرط!!. من إيمتى كنا والسمس ترعأنا بعدي.. آل علمناه عالشحادة سبأنا عالبواب.

أم أكرم: وآل كل زغير انتشى فز كبير باس إيده.

سعاد: هي بعيدة على سنانك مجلاية الطناجر.

أم أكرم: شو عليه.. الآخرة يا فاخرة.

أم ياسين: هلاّ شو بدنا بكترة الحكي.. شو إلتي ست أم أكرم.

أم أكرم: أنا لحا عيد الحزيرة، بس إذا ما عرفتها سعاد خانم بدها تجيب لنا بالسهرة الجاية صدر هريسة.

أم ياسين: وإذا عرفتها..

أم أكرم: بتكون ردّة الحزرة عليها.

أم ياسين: وناجية خانم..

أم أكرم: ناجية خانم حلّيها على جنب رافعة الراية البيضا.

ناجية: وكمان صار لِكْ راس وفرناس.

أم أكرم: بيطلع لي. . .

ناجية: أي بلا كِترْ حكي، عيدي لشوف.

أم أكرم: بَلاَلَكْ هالحزيرة أحسن، خلّي الهريسة على سعاد هالمرّة. والحزيرة التانية إِلك. . خلص إلك. . وهاد وعد. . منشان تجيبي لنا الحبوب الليلة، من عند يلّلي براس زوزة الحدبا.

ناجية: هيك لكان تئبري أمك.

أم أكرم: خلي أمي على جنب. . لأنها راحت لرحمة ربّها، بس بائي عليّ إئبرك بالحيا، لحتى تبطّلي تعملي حالك فهيمة، أكتر من غيرك.

ناجية: لكان فهمية خانم هرّي لشوف هالحزّيرة، أبل الله يا ياخد منّك أمانته، وتروحي لعند المرحومة حتى تونّسيها. بعد ما الله يلحّئ الحبل بالدلو.

أم أكرم: أبل كل شي ما حدا حاطط على راسه خيمة، بعدين كل هالأدّ فعآنة معك هالحزيرة. .

أم ياسين: والله أنا شايفة، إذا بدّها توصل معكن لهيك مواصيل، تسحبي لنا هالحزيرة يا أم أكرم. . وغنانا ألله. . ما عاد بدنا حزازير الليلة من حدا. .

أم أكرم: متل ما بدك أختي أم ياسين. . بس ما أنا بديت هه. . والحأ مو عليّ. .

أم شكري:لكان تضدرسي منّك إلها، شو صار لكن؟ لهون وصلت معكن!!. شو عدوّين. هدّوا هدّوا شوي، مو حلوة منكنّ.

أم ياسين: وهلاً شو إلتي أم أكرم تئلبوا لنا صفحة، يمّا تعيدي لهن الحزيرة.

أم أكرم: متل ما بدّك أختي أم ياسين . . يلّلي بتشوفيه.

أم ياسين: لكان من أوّلها أم أكرم، عيدي لنا الحزّيرة. . وكرمالي إنت ويّاها، ما بدنا كلام طالع نازل، وبرّات الطريئة. نحنا حبايب، وجايين عالسهرة لننبسط.

أم أكرم: على عيني أختي أم ياسين، وهي لحا عيد الحزيرة من جديد:

بصلنا زمّط كلّه.

وإن كان لك عاشيء بلّه

وشمّر على زنودك.

ونزيل بعزمك كلّه. . .

وهنا تتهامس ناجية وسعاد على حل الحزيرة، وتحاشياً لأي إشكال، تسأل ناجية، أم أكرم:

ناجية: أم أكرم من أولها، ولحتى ما تئولي ما إلنا لك، فيني إتشاور أنا وسعاد.

أم أكرم: معليش، بس وحدة بتجاوب.

سعاد: أي ستّي، هالشي يلّلي عم تئول عنّه الحزيرة، مأكول يما منضور.

أم أكرم:ما له منضور.

ناجية:يعني مأكول.

أم أكرم: مو مأكول مأكول، بس يمكن يصير مأكول.

سعاد:بدّه ملح؟

أم أكرم:أوائيت .

ناجية: بدّه سكر؟ .

أم أكرم: كمان أوائيت .

سعاد: لحتى يصير يتّاكل بدّه نار؟

أم أكرم: أي بدّه نار .

تقوم سعاد، وتتقدم من أم أكرم، وقد شمّرت على زنديها وهي تقول:

سعاد: يعني بيصير مبعوص، وبيصير مشروح، ومكتبل وبيصير نمورة وبئلاوة وكول واشكور . . وهوّ العجين؟

أم أكرم: أي تضربي منك إلها، ما زال عرفانين شوهية الحزيرة، لايش هالدوّيخة .

ناجية: لحتى تبطلي تتطاولي عالمعلمين .

أم أكرم: الله يسامحكن . . . وبلا طول سيرة، الهريسة عليّ السهرة الجاية .

٦ ـ حزيرة... بحزيرة:

أم ياسين: وهلاً سعاد خانم عليك ردّة حزيرة أم أكرم .

سعاد: وعلى عيني، بس بدّي اسأل ناجية خانم إذا بدها تردّ على حزيرة أم أكرم .

ناجية: ما في فرء، سواتين سعاد خانم .

أم ياسين: وإنت أم أكرم مين بدّك ترد على حزيرتك .

أم أكرم: كان الشرط بيني وبين ناجية، وسعاد نزلت بعدين. . وهيك ما بتعمل لنا سعاد أردن ورسن هيّة والأسياد تبعها.

ناجية: لكان أم أكرم اسمعي مني هالحزيرة:

لا تفوتي لبستان سيدي عين سيدي عليكِ.

ولا تئطفي الخضرة. . خطّية عليكِ.

هلاّ بيجي سيدي، بعلّمه عليكِ.

بيحمل إضبان الرمّان، وبينزل عليكِ.

أم ياسين: شو إلتي أم أكرم، حلوة مو هيك؟

أم أكرم: اي والله، ليش ناجية خانم بيطلع منها شي مو حلو. .

أم فؤاد: أي هه. هادا الكلام يلّلي بينسمع. .

أم أكرم: صعي حزازير ناجية خانم حلوة، وبرنجي، بسّ في أوائيت منسمع من غيرها كل حزّيرة بتخوت. . مو هيك ناجية خانم.

ناجية: الحأ معك. وهالشي مو معناته، إنّه الوحدة تقلّت كلام. ينكت الخمير والفطير. . ويخلّي الوحدة تطلع عن طورها، وتردّ بكلام آسي. .

أم ياسين: يعني الوحدة منا، ما بيكفيها شو متحملة ببيتها، من آل وإلْنا، وحلوة ومرّة، لحتى تجي عالسهرة، تكحلها بمداءفة مع صديئتها، وتكسب عداوتها.

أم شكري: وهلاّ أم أكرم عرفتي لنا حزيرة ناجية خانم؟

أم أكرم: طولي بالك أم شكري، يعني ما بدها هالحزيرة تدور براس، واتدوزن أنا وياّها.

ناجية: خدي راحتك أم أكرم . .

أم أكرم: لا تئبريني . . لا يكون لكن فكرة ، بس بدّي اسألك ، هالشي يلّلي بتقصده الحزيرة ، مأكول يما منضور؟

ناجية: لا مأكول .

أم أكرم: ها ها أنت عيني . . وهالشي من الفواكي؟

ناجية: يمكن يكون من الفواكي .

أم أكرم: خضرة . . وأضيب رمّان . . خضرة . . . يعني مو أول فواكي الشام يا عوجا . .

ناجية: يسلم هالتم امبلى العوجا .

أم أكرم: عجبتك أختي أم ياسين .

أم ياسين: اي والله . . اي هه هيك صار الوحدة فينا تستطعم بالسهرة[٤] .

٧ ـ لمن شركلوها بالحزيرة!

سعاد: ومنشان هيك يا جماعة أم ياسين لحا تحزركن بهالسهرة حزيرة جديدة لسا ما سمعتوها .

أم ياسين: شكيتك لعينك . . ما صار غير ما تشركليني ، بسلامة ناجية وهي أنت وأم أكرم . . خلّي الحزازير إلكن .

الساهرات: ما بيصير . . ما بيصير أم ياسين . . أم ياسين ما بيصير . . أم ياسين بدنا حزّيرة .

أم ياسين: على عيني . . غالي والطلب رخيص ، بس يلّلي بئصده ، أنا وين ، وحزازير هالخوانم وين؟! .

ناجية: ما لك حأ إم ياسين . . لكيها هي أم أكرم ما كان حدا بيحزر عنها هيك بالحزازير .

أم شكري: يالله أمّ ياسين ، ما بدها دلال؛ الزئي هالطينة بهالحيط ، يا بتلزأ يا بتعلّم .

أم ياسين: شو بدي أول ، لكنّ ، أمري لألله . . بس إذا ما عجبتكن ، أنا ما دخلت ، هادا يلّلي عندي .

أم غسان: هلاّ أم ياسين إنت أولي حزيرتك ، وإذا ما عجبتنا لحا نرّجع لك ياها معّززة مكرّمة .

أم ياسين: يعني بدال ما تكحليها عمتيها .

أم غسان: شو بيعرفني . . هادا بللي طلع معي .

أم أكرم: ومن عنا أم ياسين يايا . . ياه .

الساهرات: (مع التصفيق) وهيه .

أم ياسين: آل يا سِتّي:

جورة مُجَوّرة

وحيّة مكوَّرة

وبراس الحية جوهرة .

ويا حزكن يا بزركن شو هَيّ؟ .

سعاد: يا مسكينة يا أم ياسين!! شلون أكل الأط عشاك؟ . وما لك دريانة!! . أي والله ذكرتينا بأم أكرم ، لمّن كانت مستحية ، تئول أوّل حزيرة بالسهرة ، من غير اليوم . (ضحك وتصفيق) .

أم شكري: وأنت يا أم أكرم، وئعت يمّا رماك الجمل. أنا شايفة أنك وئعت وما حدنّ سمّى عليك.

أم أكرم: (وهي تشمّ رائحة كفيها) خير أم شكري. . شو عملت؟

أم شكري: ما عملتِ شي بعد أمك. . بس آل إنّك، لحا تردّي على حزيرة أم ياسين.

أم أكرم: أنا!! مين آل. بعدين ما بدنا نعرف شو هيّ حزيرة أم ياسين بالأول.

أم شكري: ما صار شي إحزري حزيرة أم ياسين وردّي لنا عليها، وهي نحنا سمعانين.

أم أكرم: ليش أنا خص نص. . هَيّ سعاد خانم، هيّة يللي طلبت منها، خلوّها ترد على حزيرتها.

سعاد: صعي أنا برد، بس الأصول تردّي إنت، لأنّ حالات أم ياسين بهالحزيرة مثل حالاتك بأول حزيرة سمعتينا إياها.

أم أكرم: بتئمري سعاد خانم إنت والحاضرين. . بس حزيرة أم ياسين الله يخّلي لنا ياها، بدها وحدة تردّ عليها ما تكون أألّ منك.

أم شكري: هلاّ أم أكرم ما بدها مخاتلة، يا بتردّي عالحزيرة. يا بتجيبي معك. السهرة الجاية هريسة وليموناضة. .

أم فؤاد: وأبل كل شي خلينا نعرف، شو بتئصد أم ياسين بحزيرتها، مو هيك أختي أم ياسين؟.

أم ياسين: لآ أم فؤاد معليش، خلّينا نشلبنها على أم أكرم الليموناضة عليّ أنا.

أم أكرم: بالله شو. . بلائيكن اضيتوا ومضيتوا وما حدا أدّكن. . ومين آل إني ما عرفت شو جواب حزيرة أم ياسين.

أم ياسين: بتوفّري . . . الله وإيدك.

أم أكرم: هلاً أم ياسين حلفتك بالله، وإيدي على راسك، ما كنت عرفانة، بالشّي يلّلي عملته سعاد وناجية، لمّن لعبوا لعبتهن تبع اليوك فينا؟

أم ياسين: تبع الكاز لمن طلع ونزل من السّئف؟

أم أكرم: ها ها. . أنت عيني. . هوّ بآ: الجورة المجوّرة والحية المكّورة تبع حزيرتك.

أم ياسين: يأمعوك ما أوهاكِ، لهون وصلت معك. .

أم أكرم: إذا حزيرتك حلوة يا أم ياسين، وبتفوت على غيري بس أنا أم أكرم هيك حزازير ما بتعصلج إدّامي.

أم ياسين: أنا ألتّ لكن من الأول. . إذا ما عجبتكن حزيرتي أنا ما دخلت. كلّه منّك يا سعاد. . انبسطتي.

سعاد: ومين آل حزّيرتك ما حلوة يا أم ياسين، أي والله ولا أحلى من هيك، وإذا هالكهينة أم أكرم عرفتها إنت شو ذنبك.

ناجية: وأنت سعاد ما علّتي أم ياسين غير مع أم أكرم، يأمعوها بتلئط الحزيرة بالوما، وأبل ما تخلص من تم صاحبتها.

أم ياسين: لكان بيطلع لي أول لأم أكرم ترد على حزيرتي؟.

أم أكرم: على عيني أختي أم ياسين بيطلع لك وأكتر، بس بدّي أول إنّه هالحزيرة اللّي لحا أولها غير نكهة، يعني مدندشة شوي(٥).

٨ ـ ما طار طير وارتفع:

أم شكري: وهي ست الحسن أم أكرم رجعت تفوش علينا. . أي طوّلي بالك

أم أكرم لأوي . . طلعت إيدها ، العيون: احمّرت عليك . يمّا نسيتي شو آلوا أهلِ أوّل .

أم أكرم:شو آلوا بعدي؟ . حاكم أنا صايرة عم أنسى .

أم شكري: لا سلامتك بعد إمك . أهل أول قالوا:

ما طار طير وارتفع . . إلاّ كما طار وقع . . بآأنا منشانك ، أحسن ما تندمي .

أم أكرم: وأنا جكارة فيك بطّلت ردّ على حزيرة أم ياسين .

أم فؤاد: اي لا تردي ، وإذا محسّبة إنّك خرطك الخراط وألب مات . . في متلك متايل وما أكتر ما خلأ ربّك . هي أم شكري بترد . . وكل وحدة منّا بتعرف حزازير متلك وبتردّ .

أم بسام: لكان أم شكري ، هاتي لك حزيرة من عندك . . مو حلوة تبرد حزيرة أم ياسين .

أم شكري: بس ما بدها زعل ، والشغلة مو مزاحنة .

أم فؤاد: لك أختي أولي لنا حزيرتك ، وما عليك منها ، شو بدك يانا نبوس إيدها . لحتى تئول لنا حزيرة .

أم شكري: لكان اسمعوا ، هالحزيرة إلك أختي أم ياسين:

أسود ما هو ليل .

إله جناح ما هو طير .

بيبيض ما هو جاج .

بيأكل شعير ما هو حمار .

أم ياسين: الله يسلم هالتم. حلوة كتير، وهالحزيرة ذكرتني بحزيرة سمعتها من جديد، لحأ أول لكن ياها، بعدين منحكي بحزيرة أم شكري منيح هيك.

أم فؤاد: الله وإيدك، فشّي لنا البنا، وحاجتنا معززة.

أم ياسين: آل يا ستي:

وقاضي قضى في الأرض عدلا.

له كفّ، وليس لـه سنان.

ترى الناس، يقبلون قضاه.

ولا نطق لـه، ولا لسان.

سعاد: الله يسلم. . الله يسلم جواهر.

أم ياسين: حلوة مو هيك؟

أم شكري: اي والله حلوة، وحلوة كتير.

أم ياسين: ومنشان ما ناخد ونعطي، بئصد من هالحزيرة الميزان.

الساهرات: اي والله. . اي والله. . مزبوط.

ناجية: وحزيرة أم شكري أختي أم ياسين؟

أم ياسين: دخلك أم شكري ما بتئصدي بحزيرتك هادا النّمل يللي متل جمل حرب وبس إله جناحات.

أم شكري: امبلى امبلى أختي أم ياسين، هيّ النملة السودة الكبيرة يلّلي بتئرص هي جمل حرب، ونملة حزيرتي نملة متل جمل حرب بس إلها جناحات.

سعاد: الله يعطيكن العافية. . وهيّ عوّفت.

أم ياسين: وين عوفت تشكلي آسي. .

سعاد: خير أم ياسين.

أم ياسين: ما إلت لنا شي عن خطبة زهرية بنت صبحية.

ناجية: ليكون ما بيهون على صبحية تحكو هيك شي.

سعاد: لآ يه. . بس عم أول لحالي بشأة إذا بتحكي لكن صبحية.

٩ ـ خطوبة معصلجة:

كان تأخر صبحية وابنتها عن السهرة، مثاراً للجدل بين الساهرات، حول خطوبة زهرية ابنة صبحية. وكان من رأي سعاد، أن تزّف صبحية هذا الخبر للساهرات بنفسها، لكن تشوّق الساهرات، للتعرف إلى ما كان من أمر هذه الخطوبة، جعل سعاد مضطرة للبوح بذلك، وبالتالي تقديم القطايف كحلوان لهذه الخطوبة. لكن أم ياسين ما لبثت أن كررت السؤال على سعاد:

أم ياسين: سعاد خانم، على حد علمك صبحية وبنتها، جايين عالسهرة الليلة؟

سعاد: في آبل ما يجوا، بس صبحية آلت لي إنها ما لحا تتأخر كتير.

أم ياسين: الجماعة استفأدوا لهن، أي والله السهرة مو حلوة بلا صبحية وبنتها زهريّة. بدّك ما يطوّلوا.

سعاد: لآ إن شاء الله ما لحا يطوّلوا.

أم شكري: هوّ الغايب عذره معه، بسّ إنشاء الله ما عادت حماتها لصبحية عم توجّع لها راسها.

سعاد: لآ الحمد لله، صبحية صارت عم تفهم على حماتها، وعم تسايرها، ولو آلت لها هاللبن أسود، عم تئول لها أي مرت عمي أنا شايفته أسود. بس يلّلي مْلَبّكْ صبحية بنتها زهريّة.

أم فؤاد: شو هالحكي سعاد خانم، أي والله يللي بيشوف زهريّة بالسهرة، بيؤول اسم الله حولها متل النئطة بالمصحف.

سعاد: مزبوط أم فؤاد، بس هالبنت يللي بتعرفيها صايرة هالإيام مو متل زهرية هديك الأيام. الله يصلحها، صايرة مشرّانية، وما عم يعجبها العجب ولا الصيام برجب.

أم فؤاد: بسم الله حولها، والله كانت متل الصلاة عالنبي.. ولا أحلى من هيك.

ناجية: سعاد، أولك شو يلّلي ألبها هالألبة؟(٦).

١٠ ـ فخار يكسّر بعضه.. وتصفية حساب:

سعاد: والله محتارة شو بدّي أول، يا ناجية خانم.

ناجيّة: ما تحكي سعاد شغلتي بالنا، أولي.

سعاد: بتتذكري ناجية خانم، لّمن كنت عم إحكي أنا وصبحية هديك المرّة.. والتي لنا على شو تتوتوتي إنت ويّاها.

ناجية: اي لكان ما بتذكّر، ووئتها دوّرتي الحكي أنت وياها.. لأصّاصة الشعر مو هيك..

سعاد: امبلى.. امبلى..

ناجية: شو في سعاد، أولي..

ناجية: لآ . . ما في شي .

ناجية: سعادأنابعرفك . . حطّي عينك بعيني . . أناحاسّة في بتّمك حكي . . خوش أنا من هديك المرّة حاسّة في شي ، وألبي مليان منّك ومن صبحية .

أم أكرم: يعني ما دارت لك ناجيّة خانم إصّة الأصاصة تبع الشعر؟

ناجية: لا وحياة هالمأصيص . . بس إلت لحالي: تندهن منها إلها ، وفخار يكسّر بعضه . . . بس بدكن الحأ ، أنا أخدت على خاطري منهن ، وإلت لحالي ولي عالكسرة ، هادا نحنا حبايب ، وما في وحدة بتنكش سنّها ، غير ما تعرف التانية . . وعم تتبكّت هالمنظومة سعاد هية وصبحية . بآ لا عتب الله عالغربا .

سعاد: يا ستّي الحأ معك ، وكل شي إلاّ خاطرك ، وبدّك تزرعيها بها السوالف ، ليش؟ . . لأنه صبحية بهداك الوئت كانت مكركبة ، وما لها عرفانة راسها من إجريها . .

ناجية: له لـه له . . والله زعلتيني ، خير . . ليش شو صار معها؟ .

سعاد: والله يا بنت الحلال هالبنت زهرية مربّطة إيديها لصبحية .

ناجية: ليش بآ . .

سعاد: يعني في أكتر من أعدتها بوشّ أمها وأبوها ، وهيّة عمّ تستنّى نصيبها .

ناجيّة:لك أختي هادا كلّه بإيد الله . . ونصيب هالبنت غير ما يصيبها .

١١ ـ تعويذة وجلبة وتبخيرة وفاسوخ:

سعاد: حكيك مزبوط أختي ناجية ، بس صبحية خايفة لتعنّس هالبنت ، بعدين ما حدا يبؤل لهّا محلى الكحل بعينك . . ومنشان هيك صارت صبحية

تْلِحّ عليّ إني آخدها، لعند الشيخ تبع خان الزيت، لأنّهن آلوا لها إنّه منيح . . الله المنيح .

ناجية: يعني ما تربّت، من اللّي عمله فيها هداك أبو كيس . . يلّلي ما خلّى حيلتها حيلة .

سعاد: شو بدّي أول لكن . . الغريئ بيتعلاّ بأشّة .

ناجيّة: يعني كان نائصها تاخديها لعند نصاب تاني .

سعاد: شو بيعرفني، هيّ اللّي عنّدت، وصبحية إذا بتعنّد على شي غير ما تعمله . وما بتلائيها غير بتحط دابها بدابك، وبتربّط إيديك، وبتعملك شغلتها، لحتّى يصير يلّلي ببالها .

وأنا ألله يشهد عليّ كعيت أني غيّر لها رأيها بس ما طلع بإيدي .

أم أكرم: صبحية من عمرها هيك، نؤوزيّة، وبصلتها محروأة، وما بتعمل غير يلّلي براسها .

سعاد: لك أختي مو بصلتها محروأة، بدّها تآوي هالبنت وتتطّمن عليها، وروحتي معها، والله مسايرة .

أم غسان: دخلك وشو صار معكن؟

سعاد: كانت باطلة ومحوّلة هالروحة .

أم ياسين: ليش؟ .

سعاد: لأنّه دستور من خاطره، بدّه يعمل منها بأرة حلاّبة . شروى هداك أبو مخلايه . »ألو كيس« آل شو: بده يعمل لها تعويذة وجلبة وتبخيرة، ويحبس لها التابعة، وَيفكّ لها التريبطة بفاسوخ لحتّى يفتح لها الطريئ . وعلى أولة

هاني وجيبي، والأسياد بدهن هيك وبدهن هيك. . وحضرته ما بياخد مصاري، بس بيئبل ندورة. وعلى خواريف وتنكات زيت، وسمن وشولات رز وسكر. . والذي منّه.

أم شكري: الله يكون بعونها.

أم أكرم: وبعدين سعاد خانم.

سعاد: بعدين عطاها لصبحية صرّة آل لها: إنه خلاص زهرية بنت صبحية بهالصّرة. ولازم وحدة تانية تاخدها وتغليها بالميّ شي سبع ساعات. وبعدين بدها تكب الميّات بزعرور باب زآء بيت صبحية على سبع ينام أبل طلوع السمس.

أم ياسين: عم تحكي جدّ سعاد خانم؟

سعاد: اي بعيوني هدول، يلّلي بدهن ياكلهن الدود.

ناجية: وبعدين هيك عملت صبحية؟

سعاد: هادا يا ستي عطتني صبحية هالصّرة منشان أغليها بالميّ متل ما آل الشيخ. آل لحتى ما تحسّ عليها حماتها.

أم ياسين: وأنت غليتي الصرّة؟

سعاد: بيني وبينك أختي أم ياسين، أنا أخدت الصّرة من صبحية، ونسيت وين حطيتها. دورت عليها ما كنت لائيها. .

ناجية: وشو ساويتي.

سعاد: شو بدّي ساوي عطيت صبحية شوية ميّ مغلية، وهية صارت تكتّهن بزعرور الباب. . وما مضى يومين ثلاثة، إلاّ والخطابين جايين يشوفوا زهرية بنت صبحية. ومن وأتها إلت إن الله حاً. وعاهدت ألله، إنّي ما عود فوت هيك فوتات.

١٢ ـ العريس.. بالميزان:

أم ياسين: ومنشان هيك، سبأتي صبحية عالسهرة، ومعك حِلْوِة فاتحة (خطبة) بنت صبحية.

أم شكري: اي والله زهرية بتستاهل، بعدين حاجتها صبحية ضوجة، بركي بيرتاح فكرها شوي.. ألله يكملها معك يا صبحية.. وندر عليٌّ لأرؤص لك بعرسك يا زهرية. من كتر مالي فرحانتلّك(٧).

سعاد: إن شاء الله. اي والله بتستاهل:

أم ياسين: شبك سعاد، عم تئوليها من برّات منافسك.. في شي ما منعرفه؟! أولي.

سعاد: لآ إنشا الله ما في شي.

أم فؤاد: شغلت بالنا سعاد.. أولي شوفي؟ شو صار؟

سعاد: يعني شو بدّي أول.. أحسن شي ألله يهدّي بالهن.

أم ياسين: بالله شو في؟.

سعاد: ما إلت لكنّ هي زهرية مدري شو صاير لها...

أم أكرم: خير؟!.

سعاد: لك لسّا هالجماعة ما شافوها مثل العالم وعجبتهن، وكانت فرحة صبحية ما لها وسعانتها، وما وصلت فرحتها لأرعتها، لحتى آلت بنتها زهرية، إنّه العريس ما عجبها؟. وعينك تشوف صبحيّة شو صار فيها.. كان براسها عئل وطار!!.

أم ياسين: شو هالحكي سعاد.. مو معئول. بلا مزح سعاد، هلاً مو وأتك، خلينا مبسوطين.

سعاد: الله وكيلكن ما عمّ إمزح، هه. . وهي صبحية ليكها إجت إسألوها.

صبحية: مساء الخير.

أم ياسين: مساء الخيرات صبحية خانم، أهلين وسهلين. . من حآ شو؟ نئول مبروك؟.

صبحية: الله بارك فيك. الله يجعل التمام على خير.

أم أكرم: ويلّلي عمِ تئوله سعاد؟

صبحية: اي مزبوط. . كان هيك شي، بس مشي الحال، وهلاّ تفضّلوا، هي حِلْوِة الخطبة.

ناجية: وكمان إيمع، بيكفي الأطايف صبحية خانم.

صبحية: أنيّ أطايف؟

سعاد: معليش صبحية، إلت لحالي إنّك مالك فاضية الليلة ويمكن تنسي، وأنت وعِدتي الجماعة الليلة بأطايف الستاتي بالزوز وبالأشطة، إمت عملت لهن الأطايف حلوة خطبة زهرية، هدية مني لعروستنا.

صبحية: الله يسلم هالديات، وإن شاء الله نكافيكِ بالأفراح.

١٣ ـ مشينا لحفينا وبكينا لعمينا:

كان خبر رفض زهرية ابنة صبحية للعريس، مثار جدل ونقاش، اتّسم بالتناقض بين الآراء. . لما أثار ذلك الرفض، من تحريك لما يجيش في صدور الساهرات من ألم العنت والاستهانة في زواجهن. . ذهبت بعضهن، إلى استهجان ورفض موقف زهرية. . في حين رأى بعضهن الإقرار بما ذهبت إليه زهرية في رفض ذلك العريس. . وقد بدأ هذا النقاش بسؤال، أم ياسين لصبحية.

أم ياسين: دخلك صبحية خانم، يعني بلا منؤديّة، صعي أن المحروسة زهرية ما كان عاجبها العريس؟!.

صبحية: ولي عليها، آل ما كان عاجبها.. اي والله مشينا لحفينا وبكينا لعمينا، وحطيّت يللّي فوئي وتحتي لحتى الله بعت لنا ياه.

أم شكري: يا لطيف يا لطيف.. شو هالجيل هاد؟!. ما عاد استحي.

أم غسان: اسئا الله على زمان أول، كانت الوحدة ما تشوف العريس أبل ليلة دخلتها.

أم أكرم: لك إختي كمان إنتو لا تجوا عالبنت، الدنية تغيرّت، أيامهن غير أيامنا.

أم شكري: يعني أحسن البنت- تعنّس، ويصيروا أهلها يستتئلوا لئمتها وتضل حسرة بألبها، طول عمرها.

ناجية: دخلك صبحية، بدّك ما تآخذيني، يعني شو يلّلي ما عجبها فيه؟.

صبحية: آل شو، زلمة عفايشي، وكسمه مكركب، وكتفه مو راتب.

ناجية: بس؟!. والله حسّبت في شي تاني.

أم أكرم: يعني ما بيكفي، شو الوحدة كم عمر بدها تعيش.. أي والله الحأ معها.

صبحية: أي ينكسر حتّها وما تلائي دوا.. كان نائصنا والله.

أم بسام: وبعدين إن شا الله رضيت.

صبحية: شو الشغلة على كيفها.. والله والله لو ما رضيت لكنت ربّطتها بهالسلّم، ونزلت فيها أتل أتل لحتى تئول إن الله حأ، شو هية أحسن من أخواتها..

أم أكرم: وبتعمليها؟!.

صبحية: لكان . . الوحدة بدّها تطلّع ، بديّات الرجال ، مو بوشّه . بعدين الولد مصمّد لـه إرشين وعنده بيت فيه مخدعين وفرنكة ومشرأة ، ومعه معه يصير أحسن . . يعني نحنا أحسن منّه . . آل يا متلنا تعوا لعنّا . شو بدّها أحسن من هيك؟! .

أم أكرم: لك أختي حرام عليك ، هادا عمر بدها تعيشه هيّة ويّاه ، مو سهرة . يعني أليل كل وحدة منا أديش أضّت بزوازتها لوصلت لهون؟! .

صبحية: هلاّ هادا يلّلي طلع معك ، نأطينا بسكوتك ألله يخليك .

أم أكرم: بس لا تنسي يا صبحية إنه خطيّة هالبنت برأبتك .

أم شكري: الله يخليّك أم أكرم ، إإلبي لنا صفحة ، لا تفتئي جروحاتنا . . خلي الطابئ مستور .

أم أكرم: معليش أختي أم شكري ، خلّيني فش ألبي بها الكلمتين ، وبعدين صبحية تصطفل منها لبنتها . وأنا إذا عم احكي هيك بس لأني بحبّها لصبحية وبحبّ بنتها زهرية الله يسلمها .

شوفي صبحية خانم ، نحنا كلنا ، ما لازم نخلّي بناتنا يشوفوا يلّلي شفناه ، ومو لازم نخليهن يطفحوا السمّ والدم ، منشان ، لئمة هالأكل . أي تضرب هالعيشة من أولها لآخرها . ألله يسامحن أهالينا ، زوزونا زغار ، وما منعرف الطم من الغم . وهيّ كل وحدة منا عمّا بترشّ عالموت سكر ، وبتؤول آخ ليطلع من ألبها الدخان(٨) .

١٤ ـ دندرما.. يا دندرما:

أم ياسين: الله يخليك أم أكرم ، يلّلي حكيته على رأسنا من فوء . . بس خلّينا هلاّ نسمع لنا شي غنيّة ، نموّه فيها ، نفرفش لنا شوية .

سعاد:اي والله يا أم ياسين الحأ معك.

أم شكري: إنت، هادا يلّلي شاطرة فيه.

سعاد: يعني شو طالع بأيدي؟

أم ياسين: طالع بإيدك تغني لنا غنيّة الدندرما يللي أكلتيها.

سعاد: أني دندرما هي. . إنشاء الله الإيمع.

ناجية: اي الإيمع سعاد خانم، يمّا هلاَّ ما عدتي تعرفي الدندرما.

سعاد: ليش في حدا ما بيعرف الدندرما.

أم ياسين: اي لكان عطوها صنّة يا جماعة.

سعاد: بس والله مو حلوة هالغنية غير من تم عروستنا زهرية.

أم شكري: هلاَّ سعاد خانم، لا تعملي لنا بالرز بصل، نحنا بدنا نصلي عالحاضر. والمرّة الجاية عروستنا بتغني لنا يلّلي بدّك ياه.

سعاد: يعني شو بدّي أول، حاكمك ظالمك.

أم فؤاد: ومن عنا سعاد خانم يا باه.

الساهرات: وهبه (مع التصفيق والرقص المرافق، على إيقاع الدرنبكّة):

سـعـاد: دنـدرمـا يـا دنـدرمـا

أنـا بـيـع الـدنـدرمـا

الساهرات:دندرما يا دندرما

أنـا بـيـع الـدنـدرمـا

سعاد: يا بنت يا لابسة الشال

وعألي من راسي إنشال.

اليوم بمصاري بكره بيلاش

أنا لبيعك دندرما.

الساهرات:دندرما يا دندرما

أنا بيبع الدندرما

سعاد: دندرما بوظة بحليب

تعا لعندي يا حبيب

آلوا لي عنك أديب

حبيّت تشتري الدندرما

الساهرات:دندرما يا دندرما

أنا بيبع الدندرما

سعاد: دندرما بوظة بليمون

تعا لعندي يا حنون

آلوا لك إنّي مجنون

بطّلت أبيعك دندرما

الساهرات:دندرما يا دندرما

أنا بيبع الدندرما

سعاد: يا بنت اللّي وائفة
عالمصاري خايفة
إن كان إيدك ناشفة
أنا بجيب لك دندرما

الساهرات: دندرما يا دندرما
أنا بييع الدندرما

أم ياسين: يسلم هالتمّ، إن شاء ما يبلى، تعيش وتغني.

سعاد: هادا من زوئك إختي أم ياسين.. تسلمي.

أم شكري: بتعرفوا يا جماعة شو جاية على بالي بعد هالغنيّة الحلوة.

أم ياسين: فنجان أهوة.. بالله مو هيك. تكّة وبتكون الأهوة هون.

ناجية: لآ الله يخليك أم ياسين أهوتك مشروبة، الليلة سماح، خلينا نروح على بيوتنا، حاكم بكره بدنا نضب لإلفت بئجة التنزيلة قبل صلاة الظهر، ونشوف إذا كان لازمها شي.

سعاد: اي والله الحأ معك، ويلّلي بدها تضل معليش تضل وأم ياسين أحب على ألبها.

أم ياسين: أي والله وبعيوني وعلى راسي(٩).

* * *

الهوامش:

(١) فجّة الملاية: غطاء الرأس المسدل على الكتفين إلى الخصر من الملاية. إجت: أتت. أليلة: قليلة. بتئصدي: تقصدين. علئتها: علقتها. شلون: كيف. لبّكتها: أربكتها. هيك: هكذا. كمان: أيضاً. أصّرت: قصّرت، توانت. أدّ: على قدر. اللّي: التي. يدءّ: يدق، يقرع. الأط: الهرّ. مو ورا: ليس وراء. الزآء: الزقاق. الطريئ: الطريق. شي: شيء. إيش: ماذا. تتوتوتو: تتهامسان. المحورئين: المحورقين، دعاء تحبّب. ردحوا: تشاحنوا. الحأ: الحقّ. التنتين: الاثنتين. هص: صه. يتشخلعوا: يتمايلن بدلع. يتصحصلوا: يتضاحكن. الرأوصة: الرقوصة. لحئوا: لحقوا. بعألي: بعقلي، والمقولة تعني: إنها لا ينضحك عليها. عالهسّي: الخافت. لمّن: عندما.

(٢) سمستكن: شمستكن. أبل: قبل، والمقولة: كناية عن القدوم باكراً. لاحئين: لاحقين. ترعأنا: ترقعنا، نائد: ناقد. تئولي: تقولين، أأواك: أقواك. ما بيموت لك ميت: كناية عن عدم التنازل أو نسيان حق. ليش: لماذا. يما: وإما. وئت: وقت، حين. هديك: تلك. زاهرة: جاهزة. الأفلة: الحزيرة التي يُردّ بها. متحمّضة: بمعنى تتحدى. مكلمدان: المتكلم الوحيد. طشت: إناء كبيراً. حلوان: تحلية، هدية: خطبة؛ قراءة فاتحة. منشان هيك: لذلك. المئليات: المقليات. الأشطة: القشدة. الزوز: الجوز. الأطر: القطر. شهّلت: روّجت في عملها. المناطئ: الحكي. نائص: ينقصنا. لئيتي: لقيت. تتمرأع: تتمرقع، تسخر منه. بيدئ: يدق. تتناءروا: تتناقرن، تتجادلان بحدّة. دحشت: حشرت. الإصة: القصّة. أدرك: قدرك.

(٣) ـ الآيل: القائل. إلبوا: اقلبوا، غيروا لنا هالحديث. آفية: قافية. إتفأنا: اتفقنا. يفكحك: دعاء تحبّب. ببوز: برأس. مأطّعة: مقطّعة. لابئ: لائق. إبآب: قبقاب. وش: وجه. أفاك: قفاك، غياب. نايبة: نائبة.

يئش: يقش. النيع: الفم. كلنك: نوع من السلاح الأبيض. خشت: نوع من السلاح الأبيض. دئن: ذقن، لحية. الوبكن: قلوبكن. رواء: رواق، هدوء. شوآل: ماذا قال. عاشيء: عاشق. تنبوء: تنبق، تظهر. نبيّرة: بروز في فروة الرأس إثر ضربة. يحلي وبرك: يسقط شعر جسمك. تطرئك: تطرقك، تصيبك.

(٤) إدّام: قدّام، بحضور. بركي: ربما. تلبكتوا: احترتوا. مأوّصة: مقوّصة. شي أضم: لك قيمة. لأوي: تريثي. ليطء: يطقّ. عرء: عرق، وريد. ديك المزابل: كناية عن الاستهانة. تتشركلي: تتعثرين. السمس: الشمس. إئبرك: أقبرك. فعآنة: محيرتكن. . تضدرسي: دعاء تحبّب. منضور: منظور. ما في فرء: لا فارق. أردن ورسن: أردوا إشكالات. تئطفي: تقطفين. إضبان: قضبان. ينكت الخمير والفطير: يؤدي إلى ما يحمد عقباه. آسي: قاس. آل وإلنا: أخذ ورد ومناكفة. مداءفة: جدال قاسٍ. صديئها: صديقتها. اتدوزن: أرادوا: انسجم. وياها: وإياها. الفواكي: الفواكه، الفاكهة.

(٥) ليكها: ها هي. الزئي: الصقي. وئعت: وقعت. حدن: أحد. خصّ نص: اردوا بها هنا: بالذات. ااَلّ: أقلّ. مخاتلة: مراوغة. ليموناضة: عصير الليمون. نشلبنها: تختصرها، نسهّلها. أضيتوا: قضيتوا، حكمتم، قررتم. أدكن: قدكّن. السئف: السقف. . ما أوهاك: ما أدهاكَ. علّئتي: علّقتي. بتلئط: بتلقط، تعرف معنى. . بالوما: بالرمز، مدندشة: مزيّنة.

(٦) تفوش: أرادوا: تتباهى. طلعت إيدها: أردوا: زادت عن حدها، طفح الكيل. احمرت العيون: ضاقت ذرعاً. جكارة: نكاية. متايل: كُثر. خلأ: خلق. معزرة: شوفة حال. . خيلاء. عوفت: أرادوا انتهت السهرة. بشأة: غير شكل، أوجه. آبل: قابل. استفأدوا: استعوقوا. النئطة: النقطة. الألبة: القلبة، ذلك التغيّر.

(٧) بالنا: فكرنا. دورّني: حوّلتي. تمّك: فمك. خوش: أنا بالأصل. تندهن: تصطفل. ولي عالكسرة: دعاء عتاب. تتبكت: تتستر، تناور في الحديث. مكرَلبة: مضطربة، مشغولة البال. يتعلاً: يتعلق، الغريئ: الغريق. أشّة: قشّة. بتلائيها: تلاقينها، تجدينها. كعيت: حاولت جهدي. محرواة: محروقة. بأرة: بقرة. شروى: مثل. الطريئ: الطريق. بيئبل: يقبل. ندورة: نذورة. تنعأها: تنقعها. تكب: تسكب، زعرور؛ مفصل. باب الزآء: باب الزقاق. من وأتها: من ذلك الحين. ضوجة: ضياع. لأرؤص: لأرقص.

(٨) تئوليها: تقولينها. من برات منافسك: برات، خارج، والمقولة يُراد بها من غير حماس، بلا إكتراث. معئول: معقول. مشي الحال: سّوّي الوضع. إيمع: بوظة بالحليب، معليش: لا بأس، معذرة. منؤديّة: انتقاد.. صعي: أصحيح. فوئي: فوقي، ما أملك: إسئا الله: سقا الله. يستسئلوا: يستثقلون، يتضايقون. لئمتها: لقمتها، طعامها. تضل: تَظلّ، تبقى. عفايشي: غير مرتّب. كسمه: شكله، مظهره. مكركب: غير منسجم. ديّات: يدي. فرنكة: غرفة علوية. مشرأة: مشرقة، فسحة سماوية علوية. أليل: قليل. أضّت: عانت. نأطينا: نقطينا، امنحينا: خطيّة: عذاب. رأبتك: رقبتك. الطابئ: الطابق. تصطفل: لها ما تشاء، حرّة التصرف. زغار: صغار. الطم من الغم: أرادوا الجيد من الرديء. ليطلع من ألبها الدخان: أرادوا: الحسرة.

(٩) نفرفش: نموّه عن أنفسنا. شوية: قليلاً. الدندرما: البوظة بالحليب أو الفواكه. صنّة: هدوء، سكوت. لا تعملي بالرز بصل: أي من غير إشكالات ونقاشات. نصلي عالحاضر: الموجود. ببلاش: بلا ثمن. إيدك ناشفة: أرادوا لا تحملين نقوداً. زوئك: ذوقك. تكّة: لحظة.

سادس عشر:

١ـ أطّ.. ما بيهرب من عرس.

٢ـ هريسة.. شوربا.

٣ـ مقلب المجدرة.

٤ـ أول الرّئص حنجلة...

٥ـ تعيشي وتاكلي غيرها.

٦ـ التسقية بزيت.

٧ـ دايته يا داية.

٨ـ الله أعلم بالسرائر.

٩ـ شو صبرّك عالمرّ..

١٠ـ بين السّفائين..

١١ـ تحت الناموسية.

١٢ـ مبسوطة ورايئة معها الحشيشة.

١ ـ أطّ ما بيهرب من عرس:

كان الاتفاق في السهرة الماضية، أن تقدم أم أكرم للساهرات صدر هريسة، ولكن تأخر أم أكرم عن السهرة، جعل الساهرات يتساءلن، عن ما إذا كانت أم أكرم سترسل الهريسة في حال غيابها عن السهرة، أم أن ذلك الغياب سيجعل أم أكرم في حلٍ من الهريسة الموعودة. أم أنها على أبعد تقدير قد نسيت الهريسة أصلاً. الكن تأخر سعاد أيضاً عن السهرة، أثار بين الساهرات، لغطاً وتحسباً من مطبّ قد ترتبه سعاد للساهرات. فكان أن تساءلت أم شكري:

أم شكري: شايفين يا جماعة، هي أم أكرم لهلاً ما إجت عالسهرة.

أم فؤاد: ستّي.. ولا تجي، شو يعني، بيحج الحج بلا أبو حلاوة.

أم بسام: والهريسة؟.

ناجية: أولكن وأفت السهرة عالهريسة!!. وبالنائص..

أم بسام: لأ يُه بتسترجي ما تجي. إي والله سعاد بتطلع بروحها، وبتنتف ريشها. وبتعمل من جلدها دربكات.

أم ياسين: ليش إجت سعاد.

أم بسام: بي... إي والله. سعاد لسّا كمان ما إجت.

أم غسان: إي لكان لا تشدوا ضهركن بسعاد.

أم بسام:هاها.. أنا والله يا جماعة حاسة بشي، بدها تعمله فينا سعاد... حاكم سعاد ما بتروّح عليها أكلة الهريسة، وخص نص، إنه هالهريسة بعد غلبها لأم أكرم بحزيرة السهرة الماضية.

أم فؤاد: والله ما في شي بعيد عن سعاد . . هي عوايدها .

ناجية: يا جماعة حرام عليكن . أنا شفتها اليوم ، وآلت لي جاية عالسهرة .

أم ياسين: هَهْ . . وهي أم أكرم شرفت .

أم شكري: شو ستّ الحسن ، بلائيكي عم تلولحي بإيدك .

أم أكرم: أبل كل شي مسا الخير ، وتاني شي شو بكن ضايجين متل حمام مأطوعة ميته . بعدين أم شكري بإيش بدك ياني لولح بإجريي؟

أم شكري: شبك أم أكرم . . ما إلنا لك شي . . يما حرم السؤال . . لسّا السهرة أولها .

٢ـ هريسة شوربا:

أم أكرم: كمان ، شبكن عن تتطلعوا هيك فيني . . ؟

أم ياسين: سلامتك ، لا غنى عنك لا تآخذينا .

أم أكرم: حسبّت .

ناجية: شو نسيتي الهريسة أم أكرم؟

أم أكرم:أني هريسة . . يُهْ . . لسا ما وصلت؟!

أم بسام:سم الموت . . لا شفنا هريسة ولا . . .

أم أكرم: لك أنا وصيت عليها خالي برو البغجاتي ، وصار الحكي سعاد تدل الأجير عالبيت يا تجي معه .

أم بسام: هاها . . ما إلت لكنّ . . عملتها سعاد .

ناجية: يعملوا تحتك، نحنا هلأ بايش. ليكون صاير لسعاد شي.

أم غسان: يعني شو بده يصير لها. هي وحدة بسبع ترواح.

أم أكرم: أولكن مرئت بصدر الهريسة؟. إي والله إلفت أم بحشور ما بتعملها.

أم شكري: فال الله ولا فالكن، استهدوا بالله يا جماعة، الغايب عذره معه.. أبصر شو صاير معها.

أم بسام: أم أكرم أنا شايفة. بتمك حكي، أولي على إيش متفئين أنت وسعاد.

أم أكرم: يعني على إيش بدي أتفئ أنا وياها! مثل ما بتعرفوا، غلب بيني وبينها، وجبته متل ما بدها! إسألوا ناجية، آلت لي بدها تمر لعندها أبل ما تجي لهون.

ناجية: لا إختي لا.. أنا ما دخلت، سعاد هية اللي استنغصت لإلفت وأم محمود وال بدها تسكب لهن من الهريسة، ولمن إلت لها ما بيصير، آلت لي: أنت شو دخلك، إمت تركتها وإجيت.

أم ياسين: إذا كان هيك بتكون سعاد بالمطبخ عم بتركز لكن الهريسة. أنا رايحة شوف لكن ياها.

أم أكرم: وأنا جاية معك.

كان تورط سعاد بإعطاء ألفت ثم أم محمود من الهريسة مجحفاً. كما وأن سعاد لم تحرم نفسها من تناول ما اعتقدت أنه حصتها من الهريسة. أرادت سعاد أن تخفي فعلتها هذه، فعمدت إلى نقل ما تبقى من الهريسة إلى صدر (صينية) أصغر، يخفي مقدار ما أخذ من الهريسة. وزيادة في الحيطة، أعدت كمية من القطر أضافتها للهريسة، اعتقاداً منها، أن ذلك القطر، يصد القابلية عن تناول المزيد. فتكون الهريسة والحال هذه كافية للجميع.

عندما دخلت أم ياسين وأم أكرم المطبخ كانت سعاد تحدث نفسها:

سعاد: يالله . . حاجتهن . . فزر . . شو الهريسة للشبع . . هية تحلاية ضرس . فقاطعتها أم أكرم:

أم أكرم: لك سعاد . . شو هاد . . الله يصطفل فيك . . وين الهريسة؟ .

سعاد: ليكها إدامك .

أم ياسين: وأنت شو عم تساوي هون؟

سعاد: كنت عم دوئها . . لئيتها بدها شوية أطر ، أمت غليت شوية أطر ، وهي لحا آخذ لهن ياها . . . شوفي أختي أم ياسين ، أنا رجعت لك السكر لمطرحه .

أم أكرم: إن شا الله حناكك تتسكر . هلاّ هي هريسة هي . شلون بدهن ياكلوها

سعاد: لا تخافي عليهن بياكلوا الحلفا . نفسهن آطعة .[1]

أم أكرم: وليش هيك مريئة؟

سعاد: شو بدي ساوي ، اندلئوا معي الأطرات . . يالله أم أكرم مرئيها . لا تدئئي بيوجعك راسك . بعدين شو بدها تساوي أم ياسين بالأطر؟ تكبه؟ حرام . . هي نعمة الله . كمان أنا أم أكرم لا يكون لك فكرة ، عاملة حسابي ، لحا آخذ لهن معالئ ، لحتى ما يشرشروا على حالهن حرام .

أم أكرم: الله يحرم جلدك عن عضمك يا سعاد .

سعاد: ستي . . لا الفارة طاهرة . . ولا دعاويها مستجابة ، من تمك لبلوعة المطبخ ، إدعي . .

أم أكرم: شوفي سعاد . . أنا ما دخلت ، هي إنت وهي أم ياسين ، دبروا حالكن مع يللي لحا ياكل الهريسة .

سعاد:أنت خليكي على جنب ، بس نأطينا بسكوتك . يالله الحؤني لأول لكن .

تدخل سعاد الهريسة على الساهرات ، وتضع الهريسة على منضدة صغيرة (اسكملة) قائلة:

سعاد: لحا تاكلوا الليلة هريسة عمر كن ما دئتوها ، ويللي بتحب بتاكل بالمعلاة يا إما بتلحس بأصبعتها .

أم شكري: لك شو هاد . . هي هريسة يما ميمونية . .

أم فؤاد: لآ أم شكري لآ . هي شوربة على هريسة ، من تكية الشيخ محي الدين دستور من خاطره .

ناجية: الله لا يعطيكي عافية على هالعملة ، لك ليش هيك صاير بالهريسة .

سعاد: هادا الحاضر ، ويللي بياكل على ضرسه بينفع نفسه .

ناجية: بتعرفي يا سعاد شو جاية على بالي؟

سعاد: شو جاية على بالك بعد إمك .

ناجية: جاية على بالي ابطحك بها الأرض ، وجيب أمع وإدلؤ هالهريسة بحلئك .

سعاد:هلاّ بلا خفة دم ناجية ، صاحبة الغرمة أم أكرم ما حكت شي ، وأنت جاية تطرزي الفن ، يمّا الحأ عليّ لأني سكبت لإلفت وأم محمود . صعي نسيت أول لكن ، بكرة بعد العصر أم محمود عاملة مباركة رجعة زوزها بالسلامة من الحج ، منشان كل وحدة تاخذ صرة بئجة تحط فيها هديتها .

أم شكري: صعي أختي أم ياسين؟

أم ياسين: ما بعرف ، علمي علمكن متل ما سمعتوا . . (٢) .

٣ ـ مقلب المجدرة.

لئن أصبحت مقالب وفصول سعاد بالساهرات، من المسلمات في السهرة، وقد لا تحلو السهرة إلا بطرف من ذلك.. فإن الساهرات كن يتقبلن ذلك من سعاد، على سبيل المباسطة والمداعبة، والمزاح، وليس على مأخذ الجد والانتقاص من الآخر. كان يراود الساهرات أمل أن تذوق سعاد مما تكيله لهن. فيرتاح بالهن، ويضحكن من قلبهن على سعاد. فكان أن أتت ناجية للساهرات، بالخبر اليقين، عن مقلب أكلته سعاد، وبلعته سراً، وترجو أن لا يعلم به أحد. وخبر ذلك المقلب، أتى مصادفة وقد مهد له حوار بين سعاد وبعض الساهرات، بدأته أم غسان بسؤال سعاد:

أم غسان: هلاّ سعاد، إنت ما كنت تبطلي هالحركات؟

سعاد: إني حركات؟.

أم غسان: مسكينة يعني إنت لا علمك ولا خبرك. بهالشي يلي عم تعمليه، فينا كل سهرة، موهيك؟

سعاد: شو طالع بإيدي، كل ما بلائي حالي، لحا أوأع بطابوسة، بخلّص حالي وبدّب غيري فيها، وبئعد بتفرج عليه، وهيك بيصيبكن طراطيش منها.

أم شكري: سعاد ديري بالك.. ما كل مرة بتسلم الجرة.

سعاد: لا تخافي علي.. أنا أد حالي وزود.

ناجية: إي لآ سعاد خانم لأوي تفوشي، حارتنا زغيرة ومنعرف بعضنا، وآل: يا أبي شرفني، آل له: ليموت مين يعرفني.

سعاد: شو بعدي، شايفة كبرانة الحكايا معك، وعما تتطاولي على معلمتك.

ناجية: تعلم العصي بجنابك.. الحأ مو عليك.

أم ياسين: هاها رجعت حليمة لعادتها الأديمة. . ناجية خانم، الله يخليك ما عاد بدنا نعرف شو ضريب مألب المجدرة يللي صار بسعاد، إلبوا لنا صحفة الله يخليكن.

سعاد: الحأ مو عليّ. . هي اللي بدت، ولي عليها شو فضايحية.

أم شكري: هلاّ لفوا لنا ياها، وأنا لحا إحكي لكن شو صار.

أم ياسين: شو التي سعاد خانم.

سعاد: متل ما بدكن.

أم ياسين: أبل كل شي بدك أنت وناجية تتباوسوا، لحتى ما يضل الزعل بيناتكن. وبعدين يعني إذا ما بتزعل سعاد خلي ناجية تحكي لنا الأصة.

سعاد: أختي أم ياسين لا إصة ولا جرصة. وبلا طول سيرة عليكن أنا لحا أول لكن شو صار. .

أم ياسين: أي هَهْ. . من الأول أولي.

أم شكري: معليش أختي أم ياسين لا تحرجيها لسعاد خانم بركي مستحية. . هي ناجية بتحكي لنا، هيه بتعرف البير وغطاه.

ناجية: هلاّ سعاد صارت تستحي، حيا الأملة براس الأأرع. . وش حيا.

أم ياسين: شو التي سعاد خانم، بتخلّي ناجية تحكي لنا شو الإصة.

سعاد: لأ ستي أنا لحا إحكي، شكيتك لألله يا ناجية بنت خجو. أنا بحكي لحجي لحي.

أم ياسين: إذا في إحراج، هي أم شكري بتحكي لنا.

سعاد: لآ أختي أم ياسين لآ ، هي أم شكري متل ناجية ، سمعانة الإصة منها . وبلا طول سيرة عليكن ، هادا يا ستي زوز هالمنظومة ناجية ، إجا لعند زوزي هداك الخميس ، وئتها كان زوزي عم يشطف الدكان هوّ وأجيره: لأنه تاني يوم فايدوس ، ما بيفتح زوزي الدكان . إه ، بآ كلمة من هون وكلمة من هون ، أم زوزها لناجية بلفه لزوزي وآل له:

هالدكان صايرة مهرهرة وكلها جور ودخاليج ، ومعشش فيها الفيران والجرادين ومعريش عليها العنكبوت وأرضها محفرة. . وصار بدها نفضة ، ولمن آل لـه زوزي أنه الدكان ما شي حالها ، والحالة مو متحملة ، صار زوزها لناجية ، إلا بده ينفض هالدكان . . وآل له:

بكرة ، الجمعة ، لحا يجي هوه ورفآته فزعة لحتى يعملوا كل شي ، وما بتكون الدنية عشية لا والدكان متل العروس .

٤ـ أول الرئص.. حنجلة:

أم ياسين: شو بدك أحسن من هيك؟ والله شي منيح .

سعاد: منين منيح . . لسا ما صار شي . . لسانا بالرأراء .

أم ياسين: يه . . والله شغلت بالنا ، سعاد خانم ، خير . . في شي؟

ناجية: وكمان آل لـه زوزي: كل هالشغلة بلاش ببلاش ، ومالحا يخليه ، يدفع ولا إرش . يعني عملوا فزعة كرمال الخبز والملح يلّلي بناتهن .

أم شكري: كمان هي ما فيها شي . . والله يديم المعروف .

سعاد: أي مزبوط . . بسّ الحرب بالنضّارات هين .

أم أكرم: أي ستي الحاصل له ، بعدين شو يلّلي صار؟

سعاد: يا ستي، ما صارت الدنية ضحوة، لحتى كان زوزها هالمنظومة ناجية عم يدئ باب الزاء. آل شو. . . زوزي وصل مشوار لحتى يجيب رمل وشمينتو، وإذا بعمل للشغيلة لئمة مجدرة يسدوا جوعتهم، عالغدا لحتى ما يضوعوا الوئت بالغدا ومنشان تخلص الدكان عند عشية.

أم فؤاد: وهي فيها شي؟. الناس لبعضها.

سعاد: أنت إلك الظاهر والله أعلم بالسراير. لأنّه أول الرئص حنجلة يا حسرتي.

أم ياسين: الله يخليك سعاد خانم، ما يدها الغاز، بدنا نعرف شو الإصة.

سعاد: أي أي على عيني وهي أنا جايبتكن بالحكي.

ناجية: أولي لهن. . إي أولي لهن شو عمل زوزك لمن دري بالمجدرة.

سعاد: أبل كل شي، أنا عملت متل أم عئل وعألين، نئيت هالعدسات وصولتهن، وحطيتهن عالنار، كمان صولت البرغلات وطبئت هالطبخة وأليت البصلات متل جناح الدبور، وزينت فيهن طنجرة المجدرة، وأعدت استنى استنى، مين يجي ياخد هالطنجرة للجماعة. لا تغلبي. . ضليت هيك حتّى أدن العصر. ودرن جاية زوزي لياكل لئمة، أبل ما يروح يشوف الجماعة لوين وصلوا، ولمن دري بطنجرة المجدرة، ملص عأله وطار من برج راسه، تئولي الشرار صار يطلع من عيونه. . أكتر.

- ولمن إلت له: شبك، شو صار،

- آم آلي: بتعرفي هالمناظيم شو لحا ياكلوا.

- ألت له: شو لحا ياكلوا؟

- آل لي: لحايجيبوا فول مدمس لحتّى يتغدوا.

أم ياسين: يه شكيتهن لعينهن. . والمجدرة[٣].

٥ـ تعيشي وتاكلي غيرها:

سعاد: ما تاري عاملين حسابهن على مألب مع زوزي، وصار ما عاد حدا بده ياكل المجدرة ولا جاية على باله هالأكلة.

أم ياسين: وشو بدك تساوي بطنجرة المجدرة.. أي والله بشهر ما بتتخلص من عندك.

ناجية: إي والله الحأ معهن. المجدرة ما بتنبلع إلا إذا كان معها.. لبن.. سلطة.. مخلل.. هيك شي.

أم بسام: أي والله هيك المجدرة أطيب.

سعاد: أطيب.. الله يخليك، إنت على نياتك.. هدول عم يعازروا زوزي، لحتى ينكبوه بالآكلة، لأنّه فوء هيك صار بدهن بطيخة خضرة، وشاي أخضر والذي منه.

أم أكرم: ورضي زوزك.

سعاد: شو بده يساوي.. حكم الظالم، وما أكلوا هالمجدرة، إلا بخبز بيتي عالصاج ومع نعارة لبن، وسلطة وطواحين مخلل لفت، وبطيخ أخضر وشاي.

أم ياسين: وليش هالشدة يا رسول الله.

سعاد: آل، جاية على بالهن يضحكوا لهن شوي. عم يمزحوا.. بالله هي مزحة؟.

أم أكرم: لكان منشان هيك محموأة سعاد خانم.

سعاد: وبدك ياني ما أنحمي؟

ناجية: لكان تعيشي وتاكلي غيرها .

سعاد:وأنت تاكلك حية بسبع روس .

أم بسام: الله يجعله نعيماً سعاد خانم .

سعاد: يعني شمتانين مو هيك؟

ناجية: مو شماته . . شماتة . . بس فرحانين لك ، على أد ما عملتي فينا . .

أم شكري: بعدين شو فيها ، إذا تشركلتي شي مرة ، وخليتينا نفرح لك . . أليل شو عاملة فينا .

سعاد: شو عليه . . أنا يلّلي بعمري ما حدا ضحك علي . . صرت عندكن مضحكة .

صبحية: مو بس هيك . . بعد ما بلعت الموس عالحدين .

سعاد: وأنت منين طلعت لي سأف الحلئ؟

صبحية: من عند الأسياد تبعك ، تئبري عدوّينك .

سعاد: بيالي إنك محبة إلي .

صبحية: إذا كنت محبة إلك ما بضحك عالمألب يللي شربتيه وأنت عم تضحكي على حالك؟

سعاد: يعني هلاّ صرتوا مبسوطين .

ناجية: بس والله منشانك سعاد خانم .

سعاد: وضريب .

أم ياسين: بفهم من كلامك سعاد خانم ، إنهم بعدين أكلوا المجدرة .

سعاد: إي ستي أكلوها.

أم شكري: أكلوها كلها.. كلها.

سعاد: أي كلها كلها أكلوها.

ناجية: كنت اسكبي لنا.

أم أكرم: ما صار شي.. المجدرة الجاية إلنا.

٦ـ التسقية بزيت:

أم شكري: لآ الله يخليك أم أكرم.. خلي جلودنا علينا. من غير شي سعاد هلاّ مسدودة بأشة، وعم تستنى مين يتحركش فيها، لحتى تنبحت عليه.

أم غسان: أي والله ساف البنا، بعد هالهريسة وحكاية المجدرة.

أم ياسين: شو المعنى أم غسان؟

أم شكري: المعنى بالب الشاعر، أختي أم ياسين.

أم أكرم: يعني إذا تحت إيدك، هيك شي أكلة. نلوشها، بيت السبع ما بيخلى من العضام.

أم ياسين: وشو رأيكن بأكلة زلط ملط..

أم غسان: الله وإيدك.. المنيحة ما بدها مشاورة.

لم تكد أم غسان تنهي كلامها، إلا وكانت عزيزة ابنة أم ياسين تمدّ أمام الساهرات مدة الطعام وتضع عليها عدداً من الملاعق وصحون الملح والكمون. ثم تعاود فتحضر طشتين كبيرين من التسقية بالزيت مع الكمون الناعم والملح لمن يريد. دعتهن أم ياسين إلى الطعام بقولها:

أم ياسين: يالله يا جماعة، مافي شي من واجبكن، يالله تفضلوا هي أكلة خفيفة، مو مجدرة سعاد خانم . .

أم فؤاد: أبل ما حدا يمد إيده، خدعتك بالله، في شي هيك هيك بالتسئية؟

أم ياسين: لا بكسر الهاء، وهه لحا آكل أبل منكن من هالطشت وهالطشت. يالله بسم الله.

أم شكري: هالمرة الأكلة مافيها شي . . لأنه سعاد ما فاتت عالمطبخ . . كلوا يا جماعة. كلوا وعلى مسؤوليتي . . بسم الله.

وماهي إلا لحظات، إلا وكانت التسقية بخبر كان، وكأن شيئاً لم يكن . . وفيما كن يتناولن الشاي، بادرت أم ياسين إلى سؤال ناجية عن أخبار إلفت؛

أم ياسين: ناجية خانم ما إلت لنا شو أخبار إلفت، شلونها، وشو أخبار الببو؟

ناجية: الحمد لله بخير، اليوم العصريات كنت عندها أنا وسعاد، ما كان فيها شي، بس من شوي، وئت أخدنا لها التسئية، كانت منعنسة ومكركبة شوي.

أم ياسين: خير؟

ناجية: إن شاء الله خير، بس الحكي بيناتنا، مستوية ومصابحة مماسية.

سعاد: أنا بعد شوي لحا روح لعندها بركي اعتازت شي.

ناجية: وأنا سعاد، بروح معك.

أم ياسين: الله يئيمها بالسلامة.

أم شكري: شو رأيكن يا جماعة، وئت مباركة إلفت نروح كلنا سوا لعندها.

الساهرات: إي والله بتنبسط فينا.

أم ياسين: وبدنا تغنّي ونزلغط لها.

أم شكري: لكان أختي أم ياسين أأَلّ منها.

أم ياسين: بس مين لحا يغني عند إلفت؟

أم فؤاد: يعني في غير زهرية بنت صبحية.

أم ياسين: وبركي ما راحت معنا صبحية وبنتها؟ ليكها لهلاً ما إجت عالسهرة..

أم شكري: الله يكون بعونها أبصر شو صاير معها.

٧ـ دايته يا داية:

ناجية: وشو يعني أنا بغني لكن غنية دايتُه يا داية.

أم ياسين: وحافظتيها.

ناجية: لكان.. وهه اسمعوا.

أم يا سين: بي ألله يبيض وشك.

ناجية: لكان شي وحدة تمسك الدف ووحدة تشنشن معي عالعود بس بدكن تردوا معي.

أم ياسين: مو تكرمي.

ناجية: دايته يا داية يا محلاك يا داية.

الساهرات: دايته يا داية يا محلاك يا داية.

ناجية: إصبعته بتمه والله يخلي لأمه.

شر الحليب من تمه، وتطرشت الداية.

الساهرات: دايته يا داية يا محلاك يا داية.

ناجية: كحلته بالكحلة لحظه أخد عألي

ريته يسلم لي، الله يخليك يا داية.

الساهرات: دايته يا داية يا محلاك يا داية.

ناجية: لبسته الروب وما أحلى هالروب.

أنا ألبي دايب دوب بها الخلأة الربانية.

الساهرات: دايته يا داية يا محلاك يا داية.

ناجية: ولبسته الطائية وما أحلى هالطائية

بها الخلأة الربانية، أخذ عألي يا داية.

الساهرات: دايته يا داية يا محلاك يا داية.

أم ياسين: ومين لحا تزلغط:

سعاد:أنا أختي أم ياسين لحا إهديها هالزلغوطة.

أوها: تستاهلي يا داية.

أوها: شالة حريرية.

أوها: وزيارة محمد (صلى الله عليه وسلم)

أوها: خير البرية.

لي لي. . ليش

ناجية: وكمان من عندي هالزلغوطة.

أوها: يا دايته الله يعطيك.

أوها: والسعادة تواتيك.

أوها: وإن شاء الله بحجك.

أوها نجي نكافيك.

لي لي.. ليش.

أم ياسين: الله يبيض وشّكن.. أديش محبين.

ناجية: أختي أم ياسين نحنا كلنا هيك... والسهرة عندك جمعتنا عالمحبّة، وإذا شي مرة صار زغابة بيني وبين هي أو بين غيري وغيري.. هي كلها تظريفات للسهرة لحتى تحميها، لأنه هاللمة عندك لمة حبايب والله لا يفرئ بيناتنا.

سعاد: وكمان أنت أختي أم ياسين السهرة عندك ما بتنتسى، والله يديمك ويخلف عليك، كان كل شيء أحسنه وعالتكانينو. إن شاء الله تضلي سالمة.

أم ياسين: ما في شي من واجبكن(٤).

أم شكري: وهي صبحية خانم وبنتها شرفت.

٨ـ الله أعلم بالسرائر

أم ياسين: شو صبحية خانم!.. صايرة سمستك عالية بها الإيام.. مو هيك؟

صبحية: لا والله، أختي أم ياسين إنتو على راسي، بس يا دوبي حطيت عشا لمرت عمي وبنتها، وهوّيت أوضتي، وضبضبت شوي بالمطبخ وأرض الديار وإجيت، حاكم مو نائصني حكي طالع نازل.

أم شكري: ليش مالك آيلة لزوزك إنك جاية عالسهرة.

صبحية: امبلى. . امبلى. . بيصير!!

أم أكرم: وشلونك بها الأيام؟ شو أخبار الجوّ عندك. في غيم هالناح. . هالناح. . حاكم بها الأيام كل دروة أحسن من فروة.

صبحية: أي والله أختي أم أكرم الحأ معك. . بس الحمد لله الجو رايئ. وبيشهّي، لافي إهوية، ولا في غيوم، وكل شي عالتمام التمام ومتل ما بدك.

أم أكرم: الله يهدي بالكن. .

أم شكري: يعني مافي غيمة هون. . غيمة هون. .

صبحية: لآ لآ. . هالأيام هادية، وغيمات الصيف ما بيخوفوا، وكل مين ملتهي بحاله.

أم شكري: إه الحمد لله طمنتينا.

صبحية: يحسن حمدك.

أم فؤاد: صعي صبحية. . درينا، إنه زوزك مصيف.

صبحية: شو هالحكي أم فؤاد، ما حبيتّها منك. هي مو مزحة؛ إي والله عئل زوزي بيوزن بلد.

سعاد: لآ صبحية، إنت فهمت غلط، وأم فؤاد ما بتئصد يلي ببالك، أنا فهمانة عليها. أم فؤاد عم تحكي على ضمنة المشمش تبع زوزك بالبستان الخامس.

أم شكري: شو صبحية. . دارت لك هلأ؟.

سعاد: إي إي. . بدك ما تآخذيني أختي أم فؤاد، حسبت. .

أم فؤاد: بعرف . . بعرف . . إلحأ معك .

أم بسام: وإنت وإن شاء الله ، معهن بهالضمنة؟

صبحية: يعني شو بدي ساوي .

أم غسان: يالله بتشمي هوا وبتغيري جو .

سعاد: هلاً أنت بتضلي على سبحانيتك . . لك آخ . . آخ . . شو بدها تحكي الوحدة ، خليها بالألب تجرح ولا تطلع ليرة وتفضح . . .

أم شكري: وآل: يلي بيعرف بيعرف . . ويللي ما بيعرف بيؤول كف عدس .

أم ياسين: يه . . تئبروني أنت وياها على هالسمعة . . خير . . شو فيه . . هلاً كنتوا ما أحلاكن . . شو إجا على بالكن . . لحتى تئلبوا لنا ياها محزنة؟! .

أم شكري: مو هيك أختي أم ياسين ، ومو محزنة . . الناس إلها الظاهر وألله أعلم بالسراير .

أم غسان: خير صبحية خانم . . أنا إلت شيء غلط ومالي عرفانة؟

صبحية: لآ سلامتك . . أنت ما غلطتي . . بس صاير فيني مثل ما آل المتل . يللي ماله حظ لا يتعب ولا يشئى . . بس الوحدة شو بدها تساوي المنحوس منحوس . . ولو علئوا وراه فانوس .

أم شكري: أي طولي بالك صبحية خانم ، في ألله .

صبحية: بعدي اسمه الله .

اغرورقت عيني صبحية بالدمع ، جراء ذلك الحديث فلحظتها ابنتها زهرية فتخرجان من السهرة لبعض الوقت ، بايماءة بينها وبين أم ياسين(٥) .

٩ـ شو صبرك عالمرّ:

يسرت مغادرة صبحية وابنتها السهرة لبعض الوقت، كشف ما تعانيه صبحية مع حماتها خلال فترة إقامتها وحماتها في البستان في موسم المشمش. فصبحية بقيت على ما عاهدت به نفسها، في أن تكون طوع حماتها، في كل كبيرة وصغيرة.. لكن حماة صبحية لم تأل جهداً، ولم تترك فرصة البحث عن زوجة لابنها، تكون ضرة لصبحية على أمل أن تنجب لابنها مولوداً ذكراً يملأ عليها البيت ويحفظ لابنها اسمه..

دار هذا الحديث عن معاناة صبحية، بين سعاد وناجية ثم شاركت به أم ياسين ولم تلبث كل من الساهرات أن أدلت برأيها في هذا الموضوع:

ناجية: أولك سعاد خانم، روحه صبحية عالبستان مع زوزها في وراه شي.

سعاد: ما بظن، كانت آلت لي، لو كان في هيك شي. صبحية ما بتخبي عني..

ناجية: بهيّ بدك ما تآخذيني يا سعاد، لأنه على هوى ما سمعت في شي.. وشي وشيانة كمان.

سعاد: بحضك.. بلا مزح هلاّ ناجية.

ناجية: هيك إصة ما فيها مزح، حبيبة ألبي.

أم ياسين: شو سعاد خانم.. المي ما شية من تحتك ومالك دريانة.

ناجية: لكان سعاد!!.. شو محسبة مالنا عرفانين ليش راحت صبحية عالبستان مع زوزها.. وحماتها هنيك.

أم فؤاد: أي والله.. لو ما كان في شي، شو بدها صبحية بها الشآ، والغبار والعفار وإلّة الواجب.

أم ياسين: أنا بئول لكن.

أم غسان: ليش؟

أم ياسين: لحتى ما تلعب حماتها بديلها، وترجع لابنها ضرّة صبحية الأولانية.

سعاد: هلاً يا جماعة شو بدنا بهيك أصص. بركي المخلوءة ما بدها حدا بحكي بهيك إصص.. يعني بلا منؤدية حياتها وهية حرة فيها. ما شفتوا لمن حست. إنه حدا لحا يحكي بها الموضوع شلون طلعت لبرّة هية وبنتها.

أم غسان: شلون يعني.. ما بدنا نعرف على أنو بر لحا يرسوا.. يما صرت الأبوكاتو تبع صبحية بعدي.

أم شكري: بتعرفوا يا جماعة.. والله شيء بيحير.. شلون هي ضرة صبحية، بتئبل تنزل على ضرة عندها خمس بنات. شو ما عاد في بالدنية رجال.. يا لطيف على هيك نسوان.

أم بسام: وفوء هيك كانت عنده وجربته، وطلّاها ورجع لمرته وولاده.

أم ياسين: بدكن الحئيئة يا جماعة. المخلوءة إلها ملائكة علينا.. الحأ مو عليها، الحأ على حماة صبحية، هيّة مو حالّة عنها، وعينها فيها.. آل شو: مجربة وعندها صبي من بختها الأولاني. مو متل صبحية يللي ما بتجيب غير بنات.

أم أكرم: وفوء هيك جابت لها بنت حماها وزوزها، لعندها عالبستان.

سعاد: وشو فيها.. وحدة اشتهت بنتها وصهرها، وعزمتهن لعندها عالبستان يئضوا لهن كام يوم.

أم غسان: سعاد خانم ما فيها شي.. بس أنا شامّة ريحة لعبة بدهن يلعبوها. هالعزيمة مو لألله.

ناجية: لآ إنشاء الله. كش برّة وبعيد. كش برة وبعيد الشر عن صبحية.

أم ياسين: لك هص.. هص.. ليكها رجعت صبحية وبنتها.

صبحية: شبها صبحية وبنتها..آ.. لك مأمعة إنت وياها ليش سكتوا على مين عم تحكوا؟.. عليّ أنا مو هيك؟.

أم ياسين: لا والله كلنا منحبك.. بس ألبنا عليك.

صبحية: ليش شبني؟

ناجية: شوفوا المحوراة. ألبنا عليها، وهية مطبلة بالدنية، مزمرة بالآخرة.. وعاملة حالها لا علمها ولا خيرها.

صبحية: ليش بآ بعدي. اسم الله حولي. وحواليي، مبسوطة ومشئرأة وعلى أربع وعشرين إيراط.

أم ياسين: بتضلي صبحية يلّلي ما بتحمل همها لحدا

صبحية: أختي أم ياسين، آل: شو صبرك عالمر. آل له: الأمر. بعدين هالدنية شو فيها..آ.

أم شكري: وكمان ألو: الهم بالدرهم والفرح بالأنطار، شو بدك بالدرهم.. خود من الأنطار. وأحسن دوا شم الهوا.

أم بسام: يعني صبحية بدك تئولي إنك مبسوطة بها السيران؟

صبحية: أنو سيران هاد. إذا كان طول النهار على طبخ ونفخ وجلي وإبريئ شاي طالع.. ودولة أهوة نازلة.. إي الله يطعم هالسيران لكل مشتهي. وفوء هيك صار البستان عم يغلي بالإنبع والزنبع والأعور الدجال. وكله عم يلوش مشمش... المستوبة لحنكة والعجرة للسلة.

أم فؤاد: أي أريضة وماحية، إذا كان هيك، مالحا يخلوا للورّات غير ورأ الكرات. شو جراد؟

أم شكري: وعلى هالمنوال ما لحا تلحئوا تعملوا معئود.

أم ياسين: وإن شاء الله تاكلوا مشمس.

صبحية: إي لا أختي أم ياسين، خير ألله كتير والمعئودات علينا.

أم ياسين: ما بدنا غير سلامتك عم نمزح[٦].

١٠ـ بين السفائين:

أم غسان: دخلك صبحية ما إلت لنا، شلونها حماتك معك بها البستان.

صبحية: ما شي الحال، عين ألله حولها.

أم بسام: يعني ما في منامات وحشة.

صبحية: هلاً مافي هيك شي، بس مو لأنها طايئتني.. عم تتحمض لي على شي بلوة تلبسني إياها، لحتى تخلص مني.. ولهلاً ما طلع معها شي، لأني مالي عم أول لأ، وحاطة خوف الله بين عيوني، وكمان لأني عم رش عالموت سكر.. وشوفة عينكن صايرة بين السفائين، حماتي من جهة، وبنتها من جهة

أم بسام: شو بدك تساوي. أللله كريم وإن شاالله ما بتنضامي.

صبحية: تسلمي.

أم شكري: صبحية.. ليش بنت حماك لساتها حاطة حطايطك؟ ما ببالي تزوزت.

صبحية:بعد ما تزوزت. الله ريحني منها شوي، هية من عندها وأنا من عندي، فيك تئولي كافة بلاها عني، لبين ما تلائي لها شي حركيشة، تشتغل فيها فيي.

أم شكري: يعني هلاّ عاملين حيز بيناتكن.

سعاد: يفكحك.. شو حيز. ميز. شو عم يلعبوا طميمة.. أو لي عم بين ما تحفر لها شي جورة ترميها فيها.

صبحية:لآ سعاد مو هيك.. فيك تئولي: عم بين ما ترسي ضرتي على بر.

أم ياسين: ليش ما طلأها زوزك لضرتك.

صبحية: إمبلى... امبلى.. بس عم يلفي عليها، وهي عم تسايره بركي بيردها.

أم ياسين: ببالي إنها انخطبت.

صبحية: هية عاملة حسابها، لهون ولهون، ووين ما بتعلأ بترسي. ما لها خسرانة شي.

أم ياسين: لكان الله يفتح نصيبها.. بركي بتحل عنك.

صبحية: الله يسمع منك. ويسعدها ويبعدها.

ناجية: وهيك ما بتعود حماتك تعمل لك فيها مهتة.

أم شكري: وبترتاحي من بنت حماك شوي.

صبحية: ولي على آمتها، والله آعدة بحلئي متل الحسكة، ولمن بشوفها بتكركب، وبئول الله يستر على إيش ناوية؟

أم بسام: ليش مطولة بنت حماك عندكن بالبستان.

صبحية: شو بيعرفني . . راخية بدن .

أم ياسين: لك أختي كرمال عين تكرم مرج عيون ، منشان زوزك ، وبعدين بدك تسايري وتداري وأتك ، المسايرة تلتين المعيشة .

صبحية: لو الإصة إصة مسايرة ، كنت ما أصرت . بس هنن متل ما بتعرفوا بدهن ياني اعمل خدي مداس . . وأنا ما عم إإدر . . صاروا بناتي صبايا وصرت حماية لتلت أصهرة . . يعني بتلاؤوها حلوة كون لفاية . لا أدر ولا إيمة ، وكل مين عم يتمأطع فيني شكل ، إدام بناتي وإصهرتي .

الساهرات: لا والله .

أم فؤاد: لك أختي شو بدك تساوي . هيك الإسمة والنصيب .

صبحية: ما إلت شي . . بس بدها خوف من الله . هالشي والله حرام . وما بيزوز من ألله .

الساهرات: والله الحأ معك(٧) .

١١ ــ تحت الناموسية:

أم شكري: دخلك صبحية شو إصة الناموسية بالبستان .

صبحية: لك وينها هالفضايحية سعاد؟

سعاد: شو تئبريني . . ليكني هون جنبك .

صبحية: يعني ما صار غير حكيتي لهن عن الناموسية .

سعاد: وشو فيها . . عم أكذب شي؟ بعدين أنا ما حكيت غير لأم شكري وناجية . وإذا أم شكري ما كانت تصدئ ، أنا شو دخلت؟ .

أم شكري: أي والله الشغلة ما بتتصدأ .

أم ياسين: صبحية إذا ما في حرج أحكي لنا إياها .

صبحية: لآ يه ما في حرج ولا مرج ، بس هي سعاد لسانها متبري منها .

سعاد: وهلأ صبحية الأصة صارت وصارت إذا بتستحي أنا بحكيها عنك .

أم ياسين: ليش صبحية مالها لسان سعاد خانم ، هية إذا بدها بتحكي .

صبحية: يا جماعة الأصة مالها حرزانة ، أنا لحا إحكي لكن إياها . بس هي سعاد حرام تسمع لها شي شغلة؟ غير ما تزمر وتطبل فيها؟ .

سعاد: أنا يا صبحية . . أنا إه شو عليه ، الحأ مو عليك .

صبحية: زعلتي أم السعود .

سعاد: لإيش لإزعل . . أنا كنت غلطانة . . كتر خيرك .

أم ياسين: شو صبحية ، يعني ما بتلفيها إنت وياها ، يما نئلب الشحاطة . . هادا إنتوا حبايب وهيك والله عيب . . مو هيك بالله أم شكري .

أم شكري: إي والله . . وصبحية عندها ياك يا سعاد بالدنية .

صبحية: بس هالفصل كل ما بتذكره بيأشعر بدني ، وبيفور دمي ، وما بعود أعرف شو عم أول ، لأنه فصل إبليس ما عمله .

أم شكري: إذا كان هيك ، مالحا نحل عنك لحتى تحكي لنا إياها .

صبحية: شو أم السعود ، لساتك زعلانة . .

سعاد: وبدك ياني ما إزعل ، ما كان هيك أملي فيك .

صبحية: ليش أنا بئدر على زعلك، ومنشانك ومنشان أختي أم شكري والحاضرين لحا إحكي لكن الشي يلّلي ما بينحكى.

أم ياسين: إي هه. . حلوها برمة بآ. . .

صبحية: هادا يا ستي، من كام يوم، كانت الليلة شوب شوب، أولي حريئ أكتر، وما فيه نسمة هوا. إه صار الحكي ننام عالأسطوح. . وبلا طول سيرة عليكن الأسطوح كبير، وهيك نامت بنت حمايي وزوزها تحت ناموسية بطرف، ونمت أنا وزوزي تحت ناموسية بطرف، وحماتي نامت تحت ناموسية بطرف. وخلينا الولاد نايمين تحت بالبيت، لحتى ماياخدوا برد الصبحيات. وحوالي نص الليل، ما تشوفي غير حماتي مسلحبة من تحت ناموسيتها، وآيمة تتفتل بها الليل عالأسطوح. ولمن وصلت لعند ناموسية بنتها، صرخت عليها، لك بنتي، ما تضبي على زوزك، في أرصة برد. . أربوا أربوا ضبوا على بعضكن. وبعد شوي ما شوفها إلا فوء راسي عم تصرخ: صبحية. . صبحية. . لك صبحية. ولمن إلت لها: شو مرت عمي. آلت لي: لك خنأتيه لزوزك، الدنية حرائي بعدي عنه. . خليه يئدر ياخد نفس.

أم ياسين: وسكتي لها؟ شو التي لها.

صبحية: شو بدي أول لها. . لك آخ بئولها وبيطلع من ألبي دخان. ساعتها طلع الدم لراسي وصرت فور فوران وما شفت حالي غير طالعة من تحت الناموسية وعم أول لها: .

يا مخلوءة خافي الله. . استحي. . أنا وزوزي مع بعضنا. . إنت شو دخلك. . روحي انضبي بفرشتك. . ماله جاييك نوم روحي صلي لك ركعتين. . لسا حاطة دابك بدابي. يما عند كنتك شوب وعند بنتك شتي. . صعي يلي استحوا ماتوا.

أم أكرم: والله ما أصرت فيها.

أم بسام: خرجها الله لا يئيمها.

أم ياسين: وشو آلت لك.

صبحية: تعدميها.. ولا كلمة.. رجعت متل الأملة المفروكة(٨).

١٢ ـ مبسوطة ورايئة معها الحشيشة:

أم ياسين: إي ستي صبحية خانم، إسمنك هلأ رايئة معك الحشيشة ومبسوطة مو هيك؟!

صبحية: أنا دوم رايئة معي الحشيشة ومبسوطة وبشوفتكن رايئة أكتر. لأن الدنية ما فيها شي يستاهل الزعل.

سعاد: شوفوا شوفوا شلون عم تحكي، متل الفهما!!

أم ياسين: أنت هلأ خليكي على جنب، بدنا نعرف شو نئول لصبحية خانم.

صبحية: إنت بس إإمري.

أم ياسين: أبل كل شي بدي. أول لك ما يئمر عليك ظالم، وتاني شي صار لنا زمان ما سمعنا منك شي حلو.

صبحية: متل إيش.

أم ياسين: والله مالي عرفانة شو بدي أول...

ناجية: افهميها بآ... ببالي بتفهمي بالوما، صار بدك مين يلئمك ياها بالمعلاة. المخلوءة عم تئول بدنا نسمع منك شي شغلة نهفة تسر الألب وتفرفشنا.

صبحية: هاها . . . أى فهمت عليكن فهمت عليكن ، بس أبل كل شيء بدنا ناكل مشمش من البستان ، اشتهيت لكن إيّاهن .

أم شكري: لك إختي ليش ملبكة حالك!! .

صبحية: ما في شي من إيمتكن تثبريني اتفضلوا اتفضلوا إن شاالله صحتين وهنا . . يالله سعاد ما تمدّي إيدك . . الأكل على أد المحبة . . وأمانة الصعبة لا تئوم واحدة وبنفسها شي .

ناجية: صبحية خانم ، عليه شي إذا أخدت كم مشمشاية لإلفت .

صبحية: شو عليه وعلى حسابك ، بس أنا بعتت لها عالبيت .

أم ياسين: بتعرفوا يا جماعة أديش فيه أنواع مشمش بالشام .

صبحية: يمكن في أكتر من عشرين نوع ، ومنها البلدي والوزري والشحمي والسندياني والتدمري والحموي وشكر بكر ، والعجمي ، وكمان في الكلابي تبع المرملاد . وآمنت بالله كل نوع بطعمة شكل . . ومين بيصدء انه كانت السجرة الوحدة بتحمل تلات أربع أشكال

أم ياسين: سبحان الخلاء في ما خلأ . . الله يعمرك يا شام شو فيك خيرات .

الساهرات: آمين .

أم أكرم: وأنت صبحية خانم مالفت نظرك بهالبستان شي؟

صبحية: إمبلى . . إمبلى ، لفت نظري شغلات كثيرة ، إلت لحالي حزركن شي منها .

أم شكري: بس ما تصعبيها علينا .

صبحية: لآ لآ منوب، كل اللي لح إسألكن عنه، بتعرفوه بس بدها الواحدة تتذكره. وإلكن علي إني جيب لِيللي بتحزر شغلة، مشمشات المعئود تبعها لهالسنة من البستان. بآ شو رأيكن؟

الساهرات: الله وإيدك.. أنت الكريمة ونحنا منستاهل.

صبحية: لكان هلأ بدكن تئولوا لي:

شو هية الفاكية يللي مالها إشر.

وشوهية الفاكية يلّلي مالها بزر.

وشو هية السجرة يلّلي بتأزهر وما بتحمل.

والسجرة يلّلي بتحمل وما بتأزهر.

أم شكري: إي لآ صبحية هيك صعبتهن

صبحية: لآ مو صعبين، ولحتى هونها عليكن لحا أول لكن، إنه هدول كلهن من فواكي وأسجار الصيف.

سعاد: يا جماعة ما بدها شي، استفكروا شو بيطلع بالصيف بتعرفوهن.

صبحية: معليش سعاد، أنت مشمشاتك صاروا بالبيت، خلي غيرك يحزر.

سعاد: أنشا الله تضلي سالمة وتعيشي وتهادي.

أم أكرم: الله يصلحك يا صبحية عم تسألينا عن شي منعرفه، بس مالناعم نستفكره.

صبحية: وعم بين ما تستفكروه، لحا حزركن حزيرة درويشة زغيرة بعرفها، إن شا لله تعرفوها.

أم ياسين: الله الله عليك يا صبحية نحنا بالأولانيات مالنا مخلصين.

ناجية: خلينا نسمع أختي أم ياسين، مافيها خسارة. تفضلي صبحية خانم.

صبحية: إي ستي: شو هو الشي يلي شفتك على شفته وإصبعتك بإدنه؟

ناجية: أي والله حلوة كتير وهينة.

صبحية: شو هو؟..

ناجية: فنجان الشاي... يا فنجان الأهوة..

صبحية: الله يسلم هالتم.

ناجية: والمشمشات؟.

صبحية: بيصلوا.

ناجية:بتعرفوا يا جماعة، حزيرة صبحية بتنفد على الحزيرة يللّي بتقول: شفتك بالزلط مع واحد بالسنانية.

سعاد: يأمعّوك شو بتحبي الدوالج.. لك صبحية عم تئول حزيرة، وأنت شو دحشك.. مو بإيدك؟!

أم أكرم:معليش سعاد خانم، حزيرة وآلتها بده مين يحزرها.

سعاد:لك أختي هي مو حزيرة، هي تظريفة مَلْعَنة من ناجية...

أم بسام:لكان أولي لنا ياها.

سعاد: بدك ياني أعلأ أنا وناجية، ليكها إدّامكن إدها ودلئها.

ناجية: أنت بلا كترة غلبة، أنا لحا أول لهن. شوفي أم بسام، أنا بئصد أنه شفتك ولسانك هنن يللّي بالزلط.

أم بسام: أمبلى ، وأصدك السنانية السنان تبع تمنا .

ناجية: وأنت عيني . . . صعبة شي؟ .

صبحية: وهلاّ عرفتوا يللّي سألتكن عنهن؟

أم غسان: أنا بظن أنه الفاكية يللّي بلا بزر يا إما الجوز يا إما الكستنا .

صبحية: مزبوط .

أم بسام: والفاكية يللّي بلا إشر صبحية خانم مو التوت .

صبحية: كمان مزبوط .

أم فؤاد: والسجرة يللّي بتحمل وما بتزهر هي سجرة التين .

صبحية: معك حأ مزبوط ، بالظاهر عندكن سجرة تين بالبيت مو هيك .

أم فؤاد: إي والله .

صبحية: والسجرة يلي بتأزهر وما بتحمل مين عرفها .

أم ياسين: إي هي سجرة المانوليا ، والزنزلخت وغيرهن كتير .

صبحية: والله يا جماعة غلبتوني ، ومشمشاتكن لحا يوصلونكن . . اعملوا معئود وادعوا لي .

أم ياسين: لكان صبحية خانم بدنا بنتك زهرية تغني لنا غنية .

صبحية: كمان على عيني ، بس الليلة تأخرنا ، وإنشالله لحا تغني لكن ياها عند إلفت ، الله يئيمها بالسلامة .

أم ياسين: صبحية خانم بدك ما تآخذيني ، عم يحكش براسي سؤال مستحية إسألك ياه يعني . .

صبحية: نحنا أخوات أختي أم ياسين، ودايسين بساطك وحقّك علينا كبير، اسألي ولا يهمك.

أم ياسين: بس ما بدها زعل.

صبحية: إذا كان هيك، من جد لحا إزعل، وما لحا روح الليلة لحتى تسألي.

أم ياسين: هلاّ صبحية خانم خدعتك بالله وإيدي على راسك، وبحضك. إذا صار لحماتك شي ما بتزعلي.

صبحية: بدك الحئيأة أختي أم ياسين.. أنا متلك عم تحكش براسي هالشغلة من زمان. وبدي أول لك ما حدا منا حاطط على راسه خيمة، وشلون ما كان المخلوءة أم زوزي أبو ولادي، وكرمال عين تكرم مرج عيون. إي والله سبرها بسبر أمي. بس بطلب من ألله إنّه يحننها علي منشان هالبنات. وبعدين بيناتنا أختي أم ياسين، هي أم ما شافت ابنها طولها لطلعت عيونها، وهي مربيته كل شبر بندر.. شلون بدها تجي الكنة وتاخده منها.

أم ياسين: والخِلْفهْ.

صبحية: كلنا منعرف، أنها بإيد ألله بعدي اسمه. وكل أم بتحب لابنها يكون عنده صبي[٩].

* * *

الهوامش والحواشي:

١ـ هَيّ: هذه. لهلاً: حتى الآن. بيج الحج..: مقولة يراد بها إمكان الاستغناء عن الشيء أو الأمر.

وأفت: توقفت. بالنائص: بالناقص: بشي: بشيء. خص نص: بخاصة. شو: ما. ماطوعة: مقطوعة، والمقولة كناية عن الفوضى واختلاط الحابل بالنابل. يُهْ: أداة استغراب. مرئت: مرقت، أرادوا أنها أكلت كامل الهريسة. ام بحشور: بطن كبير، كناية عن الفجع. متفئين: متفقتين. استنغصت: أحبت أن تسكب... أطر: قطر مغلي السكر. الحلفا: عشب يتخذ علفاً للأبل، ويصنع منه الحصر والسلال. آطعة: لا تميز بين الطعام

٢ـ مريئة: مائعة. اندلئوا: انسكبوا دون قصد. لا تدئئي: لا تدققين. يشرشروا: يسيلوا القطر على ثيابهن. عضمك: عظمك. الحؤني: إلحقوا بي. ما دئتوها: لم تذقنها. المعلأة: الملعقة، الميمونية: من الحلويات الخفيفة الشعبية تشتهر بها حلب. أمع: قمع. بحلئك: بحلقك. صعي: صحيح. وهنا بمعنى تذكرت.

٣ـ بلاني: ألاقي، أجد. أوأع: أقع، طابوسة: إشكال. بئعد: أقعد. طراطيش: ب‌عض. أدّ: قد والمقولة: قادرة على حماية نفسي وأكثر. لأوي: خففي، قليل. تفوشي: تتعالي. زغيرة: صغيرة. الأديمة: القديمة. إلبوا: إقلبوا. الإصة: القصة. الأملة: القملة. براس: في رأس. الأأرع: الأقرع. وئتها: وقتها. ذلك الحين فايدوس: عطلة. بلفة: جعله يوافق من غير قناعة. دخاليج: انعطافات سيئة. نفضة: إصلاح شامل. الحالة مو متحملة: كناية عن ضيق ذات اليد. فزعة: عملية تطوع. الرأراء: البداية. ببلاش: بلا كلفة. بالنضارات: بالنظارات. يدء: يطرق. باب الزآء: باب الزقاق. لئمة: لقمة، أرادوا وجبة غداء. الوئت: الوقت.

السراير: السرائر. الرئص: الرقص. حنجلة: تمايل وانسجام يسبق الرقص. عئل: عقل. نئيت: نقيت. طبئت: طبقت. أليت: قليت. أعدت: قعدت. درن: وإذّ.

٤- حدا: أحد. يعازوا: يعاجزوا. فوء: فوق، زيادة. محموأة: منرفزة. سأف الحلئ: سُقف الحلق، لقب يطلق على سبيل الاستخفاف. أشة: قشة، عود صغير. تنبحت: تنفجر. ساف البنا: تشعر بالجوع. نلوشها: نمضغها. العضام: العظام. زلط ملط: سهلة لا تحتاج إلى مضغ. التسقية بالزيت: فتة الحمص المسلوق مع الزيت المعالج بمادة القلي، لتحويل الزيت إلى سائل أبيض كيموسي طيب الطعم. مستوية: عليها إمارات المخاض. وئت: عند. زلغط: زغرد. أآل: أقل. الداية: القابلة. عألي: عقلي. الخلأة: الخلقة. أديش: كم. زغابة: إشكال. لا يفرئ: لا يفرق. التكانينوا: الأصول.

٥- سمستك: شمستك، ويراد من المقولة هنا للدلالة على التأخر عن المعتاد أو المتفق عليه. يا دوبي: لم أكد. دروة: مكان هادئ. مصيف: يراد بها هنا أنه اشترى محصول ببستان. تئصد: تقصد. بستان الخامس: من بساتين أرض الشاغور شرقي باب كيسان. دارت لك: هل أدركت. حسبب: ظنت. بتضلي: تظلين، تبقين. سبحانيتك: بساطتك. تئبروني: تقبروني: دعاء تحبب، السراير: خفايا الأسرة. يشئى: يشقى. علئوا: علقوا.

٦- شي: شيء. بهي: بهذه. الشآ: الشقاء. المخلوءة: المخلوقة. منؤدية: انتقاد. أنو: أي. الأبوكاتو: المحامي. بتئبل: تقبل. الحئيئة: الحقيقة. . مو حالة عنها: لن تتركها وشأنها. بختها: حظها، زوجها. يئضوا: يقضون. ريحة: رائحة، هص: صه. . مأمعة: هنا دعاء تحبب، شبني: مابي. المحورأة: المحورقة، دعاء تحبب. مطبلة بالدنية: المقولة كناية عن عدم

المبالاة. مشئرأة: مشقرقة، مبسوطة. على أربع وعشرين قيراط: كالذهب الصافي. دولة أهوة: ركوة قهوة. الأنبع والزنبع.. : كناية عن الكثرة. يلوش: يأكل. الحنك: أرادوا الفم. العجرة: الفجة. ورأ: ورق. تلحئوا: تدركوا. معئود: معقود.

٧ـ السفائين: الصفاقين. حركشة: فتنة، ابتلاء. طلأها: طلقها. تعلأ: تعلق. شوي: قليلاً. آمتها: قامتها. آعدة: قاعدة. بحلئي: بحلقي. الإصة: القصة، الموضوع. ما أصرت: لا أقصر. هنن: هن. إإدر: أقدر. لتلت: لثلاث. لا أدر ولا إيمة: لا قدر ولا قيمة، مكانة. يتمأطع: يسخر ويتأمر. إدام: أمام، بحضور. الإسمة: القسمة. بيزوز: يجوز.

٨ـ وينها: أين هي. تصدئ: تصدق. تئلب: تقلب. والمقولة فأل شر أو خلاف. بيأشعر: يقشعر. بئدر: أقدر. حريء: حريق. مسلحبة: تتسلل. تضبي: تقتربي. أرصة: قرصة. خنأتيه: خنقتيه. الدنية: الدنيا، الجو. حرائي: حراقي، شديد الحرارة. يئدر: يقدر. بئولها: أقولها. يا مخلوءة: يا مخلوقة. لا يئيمها: لا يقيمها، تستأهل.

٩ـ رايئة: رائقة. إسمنك: طالما. الفهما: الفهمانين. نئول: نقول. بالوما: الإيماء. يلئمك: يلقمك.. السجرة: الشجرة. الفاكية: الفاكهة. إشر: قشر. دحشك: حشرك. إعلأ: أعلق. دلئها: دلقها، حجمها. الحئيأة: الحقيقة. سبرها: مكانتها.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
٢ ـ مو كل مين صفّ الصواني . . قال أنا حلواني	٤٥
٣ ـ لسان حلو . ويد سخيّة	٤٧
سادساً:	
١ ـ قوم تعاونوا . . ما غلبوا	٥٣
٢ ـ انتلت الخواصر . . وارتخت المفاصل	٥٦
٣ ـ يا بيتي يا بويتاتي	٥٧
٤ ـ مكاشفات	٥٧
٥ ـ التئام الشمل	٦٠
٦ ـ يا رايح عالجبل . . هات لك حجر	٦٠
٧ ـ اليوم الطويل	٦٢
٨ ـ شام شريف	٦٣
٩ ـ مواكب الحج الشامي	٦٤
سابعاً:	
١ ـ المرأة أيام زمان	٦٨
٢ ـ تسلاية النسوان	٦٨
٣ ـ متل ما ودعتوا . . . تلاقوا	٦٩
٤ ـ لا ناقد . . ولا منقود	٧١

الموضوع	الصفحة
	١١٣

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
	٢٦٤

الموضوع	الصفحة
٦ـ رئص ومغنى	٢٦٦
٧ـ مساجلة الأمتال	٢٦٩
٨ـ لغة البياعين	٢٧٤
٩ـ اكل الحراء بإصبعه	٢٨٠
١٠ غنية لغة البياعين:	٢٨٣
ثامناً:	
١ـ أبو الفول	٢٩٠
٢ـ براس مين انكسرت الشربة	٢٩٥
٣ـ الحكم والرضى	٢٩٦
٤ـ أكل الشوندر	٢٩٨
٥ـ شاي أخضر حسب الوسعة	٣٠٠
٦ـ حكم قرقوش	٣٠١
٧ـ نجوم الظهر	٣٠٤
٨ـ صافي يا لبن	٣١٠
٩ـ المعاجزة بالحزازير	٣١١
تاسعاً:	
١ـ مخاض الضيافة	٣٢٢

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

للمؤلف:

الآثار المطبوعة:

١ـ فنون وصناعات دمشقية وزارة الثقافة ١٩٥٨م

٢ـ الحمامات الدمشقية وتقاليدها صدر عن وزارة الثقافة سنة ١٩٦٤ وطبعة ثانية مزيدة: مطبعة ابن خلدون بدمشق سنة ١٩٨٦م.

٣ـ رمضان وتقاليده الدمشقية. مطبعة الحياة بدمشق سنة ١٩٧٤. وطبعة ثانية مزيدة عن مكتبة النوري بدمشق سنة ١٩٩٢ بعنوان: الشام أيام زمان في رمضان.

٤ـ يا شام: في التراث الشعبي الدمشقي مطبعة ابن خلدون سنة ١٩٨٤، وطبعة ثانية وثالثة سنة ١٩٨٧ و ١٩٩٣م.

٥ـ حكايات دمشقية. مطبعة ابن خلدون سنة ١٩٨٧م.

٦ـ الصناعات السورية التقليدية. المديرية العامة لمعرض دمشق الدولي باللغة العربية واللغة الفرنسية سنة ١٩٦٥م.

٧ـ معجم درر الكلام في أمثال أهل الشام مكتبة لبنان سنة ١٩٩٤م.

٨ـ معجم بابات مسرح الظل مكتبة لبنان سنة ١٩٩٥م.

٩ـ دمشق يا سمينة التاريخ دار البشائر بدمشق سنة ٢٠٠٤م.

١٠ـ محمل الحج الشامي وزارة الثقافة سنة ٢٠٠٦م.

١١ـ مآثر شامية في الفنون والصناعات الدمشقية وزارة الثقافة سنة ٢٠٠٧م.

١٢- بترول العرب وقومية المعركة مطبعة الحياة سنة ١٩٧٠م .

١٣- جغرافية الوطن العربي بالاشتراك وزارة التربية سنة ١٩٦٥م

قيد الطبع:

١- بيت الله الحرام والمسجد النّبويّ .

٢- دمشق الشام ذاكرة الزمان .

٣- جزيرة أرواد . . تاريخها وتراثها الشعبي .

٤- كنايات الشوام .

الطبعة الأولى / ٢٠٠٩
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

هذا الكتاب

الشام ريحانة وقرّة عين، وتاريخها الاجتماعيَ عقد يزيّن جيدها. وهذا الكتاب صفحات من تاريخ دمشق الاجتماعيّ، بما قدمه من رصد للأطر التي تحكم علاقات الناس في الفترة التي تمتد خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين.

جاء الكتاب في بابين. اهتم الباب الأول: بإلقاء الأضواء على الأسس التي كانت تقوم الأسرة الدمشقية من خلال معايشتها للحياة في خضمّ ما كان يعانيه المجتمع، في البحث عن لقمة العيش والأمن والأمان، من ويلات حرب لم يكن لأهل الشام فيها ناقة ولا جمل.

ويقدّم الباب الثاني من الكتاب، مرصداً مُعاشاً لما كانت عليه الحياة في سهرات النساء من تحابٍّ وتعاضد ومؤانسة في الأفراح والمناسبات، ومعاناتهم إزاء صروف الحياة الأسرية، كموقفهم من خلفة البنات، والمفارقات الناجمة عن ذلك، من ناحية تعايش الزوجة مع أهل زوجها «حماتها وبنت حماها وضرّة وسلفة...» والإشكالات التي قد تنجم عن تلك الظروف والأحوال. على ما كان يطبع هذه السهرات، بطابع السرور والمرح والمؤانسة والبسمة، فضلاً عن دعاباتهنّ ومآكلهنّ وسمرهنّ، بالأمثال والأقوال والأزجال والأحاجي وبخاصة الحكايات، بما تقدمه من نقد وتوجيه بأسلوب مباشر وغير مباشر، وصولاً إلى ترسيخ الأصالة والمحبة والإيثار في علاقات الناس وممارساتهم، بالموازنة مع ما عليه مجتمعنا المعاصر من ممارسات وعلاقات وسلوكيات تبرهن أن حياة أسلافنا على ما كانت عليه: جديرة بأن تُعاش إزاء ما يتوفر للناس في هذه الأيام من أسباب الحياة.

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٠٩

سعر النسخة ٣٥٠ ل.س أو ما يعادلها